

العثمانية

جميع الحقوق محفوظة لدار الجيل

الطبعة الاولى

١٤١١هـ - ١٩٩١م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عونك اللهم

ثم إنا مُخْبِرُونَ عن مقالة العثمانية ، وبالله نستهدى وإيّاها نستعين ، وعليه نتوكل ، وما توفيقنا إلّا به .

- *) روى (١) أنّ أفضل هذه الأُمّة وأولاها بالإمامة أبو بكر بن أبي قحافة ، وكان أوّل ما دلّهم عند أنفسهم على فضيلته وخاصّة منزلته ، وشِدّة استحقاقه ، إسلامه على الوجه الذي لم يُسلم عليه أحدٌ من عاله وفي عصره . وذلك أنّ الناس اختلفوا في أوّل الناس إسلاماً ، فقال قوم : أبو بكر بن أبي قحافة ، وقال آخرون : زيد بن حارثة ، وقال نفرٌ : خبّاب بن الأرت .
- على أنّه إذا تفقّدنا أخبارهم ، وأحصينا أحاديثهم وعدد رجالهم (٢) ، و [نظرنا في (٣)] صحّة أسانيدهم ، كان الخبر في تقديم أبي بكرٍ أعمّ ، ورجاله أكثر ، وإسناده أصحّ ، وهم بذلك أشهر ، واللفظ به أظهر ، مع الأشعار الصحيحة والأخبار المستفيضة (٤) في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته . وليس بين الأشعار وبين الأخبار فرقٌ إذا امتنع في مجيئها وأصل مخرجها التّباعد (٥) والاتّفاق والتّواطؤ ، ولكنّا ندع هذا

(١) ب : « زعمت العثمانية » وفي ح : « قالت العثمانية » .

(٢) ب ، ح : « وعددنا رجالهم » .

(٣) التسكّلة من ح .

(٤) في الأصل وب : « والأمثال المستفيضة » ، ووجهه من ح .

(٥) في الأصل وب : « التشامر » ، وصوابه من ح .

ذلك من باطله بأن تُحصَى سِنِيهِ التي ولي فيها ، وسِنِي عُثْمَانَ ، وسِنِي عُمَرَ وسِنِي أَبِي بَكْرٍ ، وسِنِي الهِجْرَةِ ، ومُقَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ بعد أن دعا إلى الله وإلى رسالته إلى أن هاجر إلى المدينة ، ثم تنظرَ في أقاويل الناس في عُمره ، وفي قول القَلَّلِ والكثُرِ ، فتأخذَ أوسطها وهو أعدلها ، وتطرح قول المَقْصُرِ والنَّالِي ، ثم تطرح ما حصل في يديك من أوسطٍ ما رَوَى من عُمرِهِ [و] سِنِيهِ ، وسِنِي عُثْمَانَ وسِنِي عُمَرَ وسِنِي أَبِي بَكْرٍ ، والهجرة ومُقَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ إلى وقت إسلامه ، فإذا فعلتَ ذلك وجدتَ الأمر على ما قلنا وعلى ما فسرنا .

وهذه التواريخ والأعمار معروفةٌ لا يستطيعُ أحدٌ جهلها والخلاف عليها ؛ لأنَّ الذين نقلوا التاريخ لم يعتمدوا^(١) تفضيلَ بعضٍ على بعضٍ ، وليس يمكن ذلك مع اختلاف علمهم وأسبابهم ، فإذا ثبت عندك بالذي أوضحنا وشرحنا أنَّه كان يومئذ ابن سبع سنين أقلَّ بسنة أو أكثر بسنة ، علمت بذلك أنَّه لو كان أيضاً ابن أكثر من ذلك بسنتين وثلاث وأربع لا يكون إسلامه إسلام المكلف العارف بفضيلة ما دخل فيه ، ونقصان ما خرج منه .

والتاريخُ المجمع عليه أنَّ علياً قُتِلَ سنة أربعين في شهر رمضان* . وقالوا : ^(*) فإن قالوا فلملَّه وهو ابن سبع سنين وثمان^(٢) سنين قد بلغ من فِطنته وذكائه وصِحَّة لُبِّه وصدق حسِّه وانكشاف العواقب له وإن لم يكن

(١) هذا ما في ب . وفي الأصل : « إن الذين نقلوا التاريخ لم يعتمدوا » .

٢٠ (*) الكلام من مبدأ الكتاب إلى هنا موضع مناقضة للاسكافي . الظاهر رد رقم (١) في ملحقات الكتاب .

(٢) ح : « أو ثمان » .

جَرَّبَ الأمور ، ولا فاتَحَ الرِّجال ، ولا نازعَ الخصوم ، ما يعرفُ جميعَ ما يجب على البالغ معرفته والإقرار به .

قلنا : إنَّما تتكلَّم على ظاهر الأحكام وما شاهدنا عليه طباعَ الأطفال .
وجدنا حكم ابن سبع سنين ، وثمان سنين وتسع سنين ، حيث قرأناه^(١) وبلغنا خبره — ما لم يُعلم مغيب أمره ، وخاصة طباعه — حكمَ الأطفال ،
وليس لنا أن نُزيل^(٢) ظاهر حكمه والذي نعرف من شكله^(٣) بلعلَّ وعسى ؛ لأننا كنا لا ندري لعلَّه قد كان ذا فضيلة في الفطنة ، فلمله أن يكون ذا نقص فيها . أجاب منهم بهذا الجواب من يجوز أن يكون على في المغيب قد أسلم إسلام البالغ المختار ، غير أنَّ الحكم فيه عنده على تجري أمثاله وأشكاله الذين إذا أسلموا وهم في مثل سنه كان إسلامهم على تربية الحاضن ، وتلقين القيم ، ورياضة السائس .

فصل^(٤) : فأما علماء (العثمانية) ومتكلموهم ، وأهل القَدَم والرِّياسة منهم ، فإنَّهم قالوا : إنَّ عليًّا لو كان وهو ابنُ ستِّ سنين وسبع سنين ، وثمان سنين وتسع سنين ، يعرف فصل ما بين الأنبياء والكهنة ، وفرق ما بين الرسل والسحرة وفرق ما بين خبر المنجم^(٥) والنبي ، وحتى يعرف الحجَّة من الحيلة^(٦) ، وقهر

(١) ب : « رأينا » .

(٢) في الأصل : « أن تتكلم نزيل » ، وكلمة « تتكلم » مقحمة ، كما يلهم من ب ، ح .

(٣) ح : « والذي نعرف من حال أبناء جنسه » .

(٤) كلمة « فصل » ليست في ب ، كما سبق التنبيه .

(٥) في الأصل : « المنجمين » ووجهه من ب ، ح .

(٦) في الأصل : « من أجله » ، صوابه في ب .

الغلبة من قهر المعرفة ، ويعرف كيد الرّيب وبعْد غور المتنبّي ، وكيف
يلبس على العقلاء ، ويستميل عقول الدّهماء^(١) ، ويعرف الممكن في الطبائع
من المتنع فيها ، وما يحدث بالاتّفاق وما يحدث^(٢) بالأسباب ، ويعرف
أقدار القوي في مبلغ الحيلة ومُنتهى البطش ، وما لا يحتمل إحداثه إلّا
الخالق ، وما يجوز على الله ممّا لا يجوز في توحيده وعدله ، وكيف التحفّظ
من الهوى ، وكيف الاحتراس من تقدّم الخادع في الحيلة — كان كونه
بهذه الحال وعلى هذه الصّفة مع فرط الصّبا والحدّاث ، وقِلّة التجارب
والممارسة ، خروجاً من نشوء العادة ، والمعروف مما عليه تركيبُ الأمة^(٣) .
ولو كان على هذه الصّفة ومعه هذه الخاصّيّة ، كان حجةً على العامّة ،
آية تدلّ على البايّنة . ولم يكن الله ليخصّه بمثل هذه الآية وبمثل هذه
الأمّجوبة إلّا وهو يريد أن يحتجّ بها له ، ويخبر بها عنه ، ويجعلها
قاطعةً لعذر الشّاهد ، وحجةً على الغائب ، ولا يضيّعها هدرًا ، ولا
يكتُمها^(٤) باطلاً .

ولو أراد الاحتجاج بها شهر أمرها وكشف قناعها ، وحمل النفوس
على معرفتها ، وسخر الألسنة لنقلها ، والأسماع لإدراكها ، لثلاً يكون
لنوا ساقطاً ، ونسيّاً منسياً ، لأنّ الله لا يتدع أمّجوبة ولا يخترع آية
ولا ينقض العادة إلّا للتعريف والإعذار ، والمصلحة والاستبصار^(٥) . ولولا

(١) دهماء الناس : جماعتهم وكثرتهم . وفي الأصل : « الدم » ، صوابه في ب ، ح .

(٢) ب ، ح : « مما يحدث » .

(٣) هذا ما في ب ، ح . وفي الأصل : « تركبت الأمة » . ٢٠

(٤) ب : « ولا يكتُمها » .

(٥) هذا ما في ب ، وهو الأشبه بلغة الجاحظ . وفي الأصل : « الاستنفاذ » .

ذلك لم يكن لفعليها معنى ، ولا لرسالته حجة^(١) . والله يتعالى^(١) أن يترك
الأمور سُدًى ، والتدبير نَشْرًا . ولا يصلُّ أحد إلى معرفة صدق نبيِّ
وكذب متنبِّي حتَّى تجتمع له هذه المعارف التي ذكرنا ، وهذه الأسباب
التي فصلنا .

ولولا أن الله سبحانه أخبر عن يحيى بن زكريا أنه^(٢) آتاه الحكم
صبيًا ، وأنه أنطق عيسى في المهد رضيعًا ، ما كنا في الحكم ولا في المغيَّب
إلا كسائر الرُّسل ، وما عليه طبع البشر^(٣) .

فإذ^(٤) لم ينطق لعلِّ بذلك قرآن ، ولا جاء الخبر به مجيء الحجة
القاطعة ، والشهادة الصادقة ، فالمعلوم عندنا في الحكم وفي المغيَّب جميعاً
أن طباعه كطباع عمِّيه حمزة والعباس^(٥) وهما أمسُّ بمعدنِ جماع الخير
منه ، وكطباع جعفر وعقيل أخويه ، وكطباع أبويه ورجال عصره
وسادة رهطه . ولو أن إنساناً ادَّعى مثل ذلك لأخيه جعفر أو لعمِّه
حمزة أو لعمِّه العباس — وهو حلیم قریش — ما كان عندنا في أمره
إلا مثل ما عندنا فيه^(*) .

فصل^(٦) : (* ولو لم تعرف الروافضُ ومن ذهب مذهبها في هذا باطل ١٥

(١) ب : « تبارك اسمه وتعالى » .

(٢) في الأصل : « إذ » صوابه في ب ، ح .

(٣) وما عليه طبع البشر ، ساقط من ب . وفي ح : « وما عليه جميع البشر » .

(٤) في الأصل ، ح : « فإذا » ، ووجهه من ب .

(٥) كذا في ح ، ب . وفي الأصل : « طباع حمزة والعباس عميه » . ٢٠

(*) الكلام من « فإن قالوا » ص ٦ س ١٧ إلى هنا موضع رد للاسكافي . انظر

رقم (٢) من نصوصه الملحقة بالكتاب .

(٦) ليست في ب .

هذه الدعوى ، وفساد هذا المعنى إذا صدقت أنفُسها ولم تقلد رجالها ،
 وتحفظت من الهوى وآثرت التقوى ، [إلا بترك^(١)] على ذكر ذلك
 لنفسه والاحتجاج به على خصمه وأهل دهره ، منذ نازع الرجال ،
 وخاصم^(٢) الأكفاء ، وجامع أهل الشورى وولي وولي عليه ، والناس
 بين معاند يحتاج إلى التقرير ، ومراد^(٣) يحتاج إلى الإرشاد ، وولي يحتاج
 إلى المسادة ، وغفل يحتاج إلى أن يُكثّر له من الحجّة ، ويتابع له بين
 الأمارات والدلالات^(٤) مع حاجة القرن الثاني إلى معرفة الحق ومعدن
 الأمر ، لأنّ الحجّة إذا لم تصحّ لعلّ في نفسه ، ولم يَقُوْ على أهل
 دهره ، فهي عن ولده أعجز ، وعنهم أضعف .

ثمّ لم ينقل ناقل واحد أن عليّاً احتجّ بذلك في موقف ، ولا ذكره
 في مجلس ، ولا قام به خطيباً ، ولا أدلى به واثقاً ، ولا همس به إلى
 موافق ، ولا احتجّ به على مخالف .

فصل^(٥) : وقد ذكر فضائله وفخّر بقرابته وسابقتة ، وكأثر بمحاسنه
 ومواقفه ، منذ جامع الشورى وناضلهم ، إلى أن ابتلى بمساوره معاوية
 له ، وطعمه فيه ، وجلوس أكثر أصحاب رسول الله عن عونه ، والشّدّ
 على عضده ، كما قال عامر الشّامي : لقد وقعت الفتنة وبالمدينة عشرون
 ألفاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما خفّ فيها منهم

(١) التكملة من ب .

(٢) هذا ما في ب . وفي الأصل : « وخير » .

(٣) ب : « ومرتاد » . ٢٠

(٤) هذا ما في ب . وفي الأصل : « والدلالة » .

(٥) هذه الكلمة ليست في ب .

عشرون . ومن زعم أنه شهد الجمل ممن شهد بدرًا أكثر من أربعة
فقد كذب . كان عليٌّ وعمّار في شقٍّ ، وطلحة والزبير في شقٍّ .

وكيف يجوز عليه ترك الاحتجاج على المخالف وتشجيع الموافق وقد نصب
نفسه للخاصّة والعامة ، وللخاذل والعمادي^(١) ، ومن لا يحمل^(٢) له في دينه
ترك الإعذار إليهم ، إذ كان يرى أن قتالهم كان واجبًا ، وقد نصبه
الرسول مفرعًا ومعلمًا ، ونصّ عليه قائمًا ، وجعله للناس إمامًا ، وأوجب
طاعته ، وجعله حجة في الناس يقوم مقامه .

فصل^(٣) : وأعجب من ذلك أنه لم يدع هذا له أحد في دهره كما لم
يدع لنفسه ، مع عظيم ما قالوا فيه في عسكره وبعد وفاته ، حتّى يقول
إنسان واحد إن الدليل على إمامته أن النبي صلى الله عليه وسلم دماه
إلى الإسلام ، فكلف التصديق^(٤) قبل بلوغه وإدراكه ، ليكون ذلك
آية له في عصره ، وحجة له ولولده على من بعده . وقد كان عليٌّ أعلم
بالأمور من أن يدع ذكر أكبر حُججه والذي بان به من شككه ،
ويذكر أصغر حُججه والذي يشاركه فيه غيره ، وقد كان في عسكره من
لا يألُو في الإفراط ، ومن يحسب أن الإفراط زيادة في القدر .

والمعجب له ، إن كان الأمر كما ذكرتم ، كيف لم يقف يوم الجمل
ويوم صفين أو يوم النهروان في موقف يكون من عدوه بمرأى ومسمع ،

(١) ب : « وللولي والعمادي » .

(٢) في الأصل : « ولا يحمل » صوابه في ب .

(٣) ليست في ب .

(٤) في الأصل : « وكفه التصديق » ، صوابه في ب .

فيقول : « تَبَّأَ لَكُمْ وَتَمَسَّأَ ، كيف تقاتلونني وتبجحدون فضلي^(١) » وقد خَصِصْتُ بِآيَةٍ حَتَّى كُنْتُ كِيحِي بن زكريا وعيسى بن مريم « ولا يمتنع النَّاسُ مِنْ أَنْ يَقُولُوا وَيَعُوجُوا ؛ فَإِذَا مَا جُوا تَكَلَّمُوا عَلَى أَقْدَارِ عِلَّاهُمْ ، وَعِلَّاهُمْ مُخْتَلِفَةٌ ، وَلَا يَنْشَبُ أَمْرُهُمْ أَنْ يَعُودَ إِلَى فُرْقَةٍ ، فَمِنْ ذَا كَرٍّ قَدْ كَانَ نَاسِيًا ، وَمِنْ نَازِعٍ قَدْ كَانَ مُصِيرًا ، وَكَمْ مَتَرَنَجٍ قَدْ كَانَ غَالِطًا ، مَعَ مَا كَانَ يَشِيعُ^(٢) مِنَ الْحُجَّةِ فِي الْآفَاقِ ، وَيَسْتَفِيزُ فِي الْأَطْرَافِ ، وَيَحْتَمِلُهُ الرُّكْبَانُ وَيُتَهَادَى فِي الْمَجَالِسِ .

فهذا كان أشدَّ على طلحة والزبير ، وعائشة* ومعاوية ، وعبد الله بن وهب ، من مائة ألف سنانٍ طرير ، وسيفٍ مشهور .

١٠ فصل^(٣) : ومعلوم عند ذَوِي التَّجَرُّبَةِ والعارفين بطبائع الأتباع^(٤) ، وَعِلَلُ الْأَجْنَادِ ، أَنَّ الْعَسَاكِرَ تَنْتَقِضُ مَرَاثُهَا وَيَنْتَشِرُ أَمْرُهَا ، وَتَنْقَلِبُ عَلَى قَادَتِهَا^(٥) بِأَيْسَرٍ مِنْ هَذِهِ الْحُجَّةِ ، وَأَخْفَى مِنْ هَذِهِ الشَّهَادَةِ .

فصل : وقد علمتم ما صنعت المصاحفُ في طبائع أصحاب عليٍّ ، حين رفعها عمرو بن العاص أشدَّ ما كان أصحاب عليٍّ استبصارا في قتالهم ،

١٥ (١) ب : « فضيلتي » .

(*) الكلام من قوله « ولولم تعرف الرواض » س ١٥ من س ٩ إلى هنا موضع مناقضة للاسكان ستأتي برقم (٣) . وقد نقل الإسكاني عبارة الجاحظ موجزة متصرفا فيها . انظر ابن أبي الحديد ٣ : ٢٦٣ .

(٢) في الأصل : « يسمع » .

(٣) هذه الكلمة ليست في ب . ٢٠

(٤) في الأصل : « بمنائهم الأتباع » ، صوابه في ب .

(٥) ب : « قائدها » .

ثم لم ينتقض على عليٍّ من أصحابه إلاَّ أهلُ الجِدِّ والنَّجْدَةِ ، وأصحاب
البرانس والبصرة^(١) .

وكما علمتم من تحوُّل شطر عسكر عبد الله بن وهبٍ حين اعزلوا مع
فروة بن نوفل ، لكلمةٍ سمعوها من عبد الله بن وهب كانت تدلُّ عليهم
على ضعف الاستبصار والوهن^(٢) في اليقين .

وهذا الباب أكثر من أن يحتاج مع ظهوره ومعرفة النَّاس به إلى
أن نحشور به كتابنا .

فصل^(٣) : فأما إسلامه وهو حدثٌ غريرٌ وغلّامٌ صغيرٌ ، فهذا مالا
ندفعه ، غير أنه إسلام تلقينٍ وتأديبٍ وتربيةٍ . وبين إسلام التَّكليف
والامتحان وبين التلقين والتربية فرقٌ عظيمٌ ، ومحجّةٌ واضحة .

وقالت (العثمانية) : إن قالت الشَّيْع : إنَّ الأمور ليس كما حكيتُم ،
ولا كما هيأتُموه لأنفسكم ، بل نزعِم أنَّه قد كانت هناك^(٤) في أيامِ صباه
وحداثته فضيلةٌ فطنيةٌ ، ومزيةٌ^(٥) ذكاء ، ولم يبلغ الأمرُ قدرَ
الأعجوبة والآية .

قلنا : إنَّ الذي ذهبتم إليه أيضا لا بدُّ فيه من أحد وجهين :
إمّا أن يكون قد كان لا يزال يُوجَد في الصِّبيان مثله في الفطنة

(١) انظر العقد ٤ : ٣٥١ لجنة التأليف . ب « المراس » ، تحريف .

(٢) في الأصل : « والوهم » ووجهه من ب .

(٣) هذه الكلمة ليست في ب .

(٤) ب : « هناك » .

(٥) ب : « ومزيد » .

والذكاء وإن كان ذلك عزيزاً قليلاً ، أو كان وجود ذلك ممتنعاً ، ومن العادة خارجاً . فإذا^(١) كان قد كان يُوجد مثله على عزته وقلته فما كان إلا كبعض من نرى اليوم ممن يُتَعَجَّب من حسه وفطنته ، وحفظه وحكايته وسُرعة قبوله على صغر سنه وقلة تجربيه^(٢) . وإن كانت حاله هذه الحال ، وطبيعته على هذا المثال ، فإننا^(٣) لم نجد صبيّاً قط وإن أفرط كَيْسُه وحُسْنُ فطنته وأُعْجِب [به^(٤)] أهله يحتمل ولاية الله سبحانه وعداوته ، والتمييز بين الأمور التي ذكرنا . مع أنه ما جاءنا ولا صبح عند أحد منا بخبر صادق ، ولا كتاب ناطق ، أنه كان لعلّ خاصّة دون قریش عامّة في صباه من إتقان الأمور وصحّة المعارف وجودة المخارج ، ما لم يكن لأحد من إخوته وأعمامه وآبائه .

وإن كان القدر الذي كان عليه على من الذكاء والمعرفة القدر الذي لم نجد له [فيه^(٥)] مثلاً ، ولا رأينا له شِكْلاً — وهذا هو البديع الذي به يُحتج على المنكرين ، ويُفلج^(٥) على المعارضين ، ويبيّن للمسترشدين — فهذا باب قد فرغنا منه مرّة .

١٥ فصل : ولو كان الأمر في عليّ على ما يقولون^(٦) لكانت في ذلك حُجّة للرسول في رسالته ، ولعلّ في إمامته . والآية إذا كانت للرسول وخليفة

(١) في الأصل : « وإن » ، والوجه من ب .

(٢) ب : « تجربته » .

(٣) في الأصل : « وإنا » ، صوابه في ب .

(٤) التكملة من ب .

(٥) فليج غيره وفليج عليه وأفليج : فاز وظفر . وفي النسختين : « يفلج » ، تحريف .

(٦) ب : « كما يقولون » .

الرسول كان أشهرَ لها ؛ لأن وضوح أمر الرسول يزيد^(١) على ما للإمام
وزيده إشرافاً واستنارة^(٢) وبياناً . ولا يجوز أن يكون الله قد عرفَ أهلَ
عصرِها ذلك ، وهمُ الشُّهداءُ على مَنْ بعدهم من القرون ثم يسقط^(٣)
حجته ؛ فلا تخلو تلك الحجةُ وتلك الشهادةُ من ضربين : إمّا أن تكون
ضاعت وضلت ، وإمّا أن تكون قد قامت وظهرت .

٥

فإن كانت قد ضاعت فعملٌ كثيراً من حُجَجِ الرسول صلى الله عليه وسلم
قد ضاع معها ، وما جُعِلَ الباقي منها أولى بالتَّمام من السَّاقط ، والسَّاقط
من شكل الثَّابت . على أنَّ مع السَّاقط خاصّةٌ ليست مع الثَّابت ، لأنَّه
حجة على شيئين ، والثَّابت حجة على شيء . ولا يخلو أمرُ السَّاقط من
ضربين : إمّا أن يكون الله لم يُردِّ تمامه ، أو يكون قد أَراده .

١٠

وأىّ ذينِ [كان^(٤)] ففسَّاده واضحٌ عند قارىء الكتاب .

وإن كانت الآية قد تمت إذ كانت الشهادة قد قامت علينا بها كما كانت
شهادة العيان قائمةً عليهم^(٥) [فيها^(٦)] فليس في الأرض عثمانىٌ إلا وهو
يكابر عقله ويبحّد علمه .

ولعمري إنّنا لنجد في الصّبيان من لو لقنّته وسدّدته أو كتبت له
أفمض الممانى وألطفها ، وأغوص الحجاج وأبعدّها ، وأكثرها لفظاً

٢٠

(١) ب : « يرى » .

(٢) في الأصل : « استنارة » ، صوابه في ب .

(٣) ب : « أسقط » .

(٤) التكملة من ب .

(٥) في الأصل : « عليها » صوابه في ب .

(٦) التكملة من ب .

وألطفها ، وأطولها ، ثم أخذته بدرسها وحفظه لحفظه عجباً ، ولهذا هذا ذليلاً^(١) . فأما معرفته صحيحته من سقيمه ، وحقته من باطله ، وفصل ما بين القرب والدليل ، والاحتباس من حيث يؤتى المخدوعون ، والتحفظ من مكر الخادعين ، وتأثرت^(٢) المجرب ، ورفق الساحر ، وخلاصة المتنبي ، وزجر الكاهن^(٣) ، وإخبار النجمين ، وفرق ما بين نظم القرآن وتأليفه ونظم سائر الكلام وتأليفه — فليس يعرف فروق النظر واختلاف البحث^(٤) ، إلا من عرف القصيدة من الزجر^(٥) ، والخمس من الأسجاع ، والمزاج من المنشور ، والخطب من الرسائل ، وحتى يعرف المعجز العارض الذي يجوز ارتفاعه من المعجز الذي هو صفة في الذات .

- ١٠ فإذا عرف صنوف التأليف عرف مباينة نظم القرآن لسائر الكلام ، ثم لم يكتف بذلك حتى يعرف عجزه وعجز أمثاله عن مثله ، وأن حكم البشر حكم واحد في المعجز الطبيعي وإن تفاوتوا في المعجز العارض . وهذا ما لا يوجد عند صبي ابن سبع سنين وثمان سنين وتسع سنين أبداً ، عرف ذلك عارف أو جهله جاهل . ولا يجوز أن يعرف عارف معنى الرسالة إلا بعد الفراغ من هذه الوجوه ، إلا أن يجعل جاعل^{١٥}

(١) الذليق : الفصيح . وفي اللسختين : « لهذه هذا » ، تحريف . يقال هذا القرآن والحديث هذا : سرده . وفي حديث ابن عباس ، قال له رجل : قرأت الفصل الليلة . فقال : أهذا كهد الشعر .

(٢) في الأصل : « ماني » بإهمال أوله ، وفي ب « ويأتي » ووجهها ، ما أثبت . قال الأصمعي : تأتي فلان حاجته ، إذا ترفق لها وأتاها من وجهها .

(٣) ب : « السكهان »

(٤) ب : « فروق النظم واختلاف البحث والنثر » .

(٥) الزجر ، واضحة في اللسختين . يعني زجر الكاهن . انظر طرفاً منه في صدر سيرة ابن هشام . والزجر يلتبس على من لم يعرفه بالشعر .

- التقليد والنشوء والإلف لما عليه الآباء وتعظيم الكبراء ، معرفةً و يقيناً .
 وليس بيقينٍ ما اضطرب ودخله الخلاج عند ورود معاني لعلّ وعسى ، وما
 لا يُمكن^(١) في العقول إلاّ بحجة تُخرج القلب إلى اليقين عن التجويز .
 ولقد أعيانا أن نجد هذه المرفة إلاّ في الخاصّ من الرّجال وأهل
 الكمال في الأدب ، فكيف بالطفل الصغير والحدث الغرير ؟ ا مع أنّك
 لو أردت^(٢) معاني بعض ما وصفتُ لك على أذكى صبيّ في الأرض
 وأسرع قبولاً وأحسنه حكايةً وبياناً^(٣) ، وقد سَوَّيته [له^(٤)] ودلّته ،
 وقرَّبته [منه] وكفّيته مؤونة الرّوية ووحشة^(٥) الفكرة ، لم يعرف
 قدره ولا فصل بين حقّه من باطله ، ولا فرق بين الدّلالة وشبيه
 الدّلالة ، فكيف له بأن يكون هو المتولّي لتجربته^(٦) وحلّ تقدّمه ،
 وتخليص مُتشابهه ، واستشارته من معدنه ؟
 وكلّ كلام خرج من التعارف فهو رجيحٌ بهرج ، ولفوٌّ ساقط .
 فصل^(٧) : وقد نجد الصبيّ الذّكيّ يعرف من العروض وجهاً ، ومن النحو
 صدراً ، ومن الفرائض أبواباً ، ومن الغناء أصواتاً ، فأما العلمُ بأصول
 الأديان ومخارج الملل ، وتأويل الدّين ، والتحفُّظ من البدع ، وقبَل ذلك
 الكلامُ في حُجَج العقول ، والتّعديل والتّجويز ، والعلمُ بالأخبار وتقدير

(١) هذا الصواب من ب . وفي الأصل : « وبما لا ينكر » .

(٢) في الأصل ، ب : « أردت » ، والوجه ما أثبت .

(٣) الكلمة مبهمة في الأصل ، وتوضيحها من ب .

(٤) التكملة من ب .

(٥) في الأصل : « وحيثه » صوابه في ب .

(٦) في الأصل : « لحرثه » وصوابه في ب .

(٧) ليست في ب .

الأشكال^(١) فليس هذا موجوداً إلا عند العلماء . فأما الحشوة والطنام^(٢) فإنما هم أداة للقادة ، وجوارح للسادة . وإنما يعرف شدة الكلام في أصول الأديان من قد صلي به وعجمه ، وسلك^(٣) في مضايقه ، وجأى الأضداد^(٤) ، ونازع الأكفاء^(٥) .

٥ فإن قالت (الشيع) : الدليل على أن إسلام علي كان اختياراً ولم يكن تلقيناً ، أن علياً^(٦) أسلم بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم له ، وفي ذكر الدعاء والإقرار به دليل على أن الإجابة اختيار ، لأن المسلم بالدعاء مجيب للدعاء . ولا نعلم الدعاء يكون من حكيم لدعوى^(٧) لا يختار ولا تحمل فطرته تميز الأمور وفصل ما بين ما دعا إليه وبين ما دعا إليه غيره . وليس بين قول القائل : دعا النبي صلى الله عليه ١٠ فلاناً إلى الإسلام^(٨) وبين قوله : كلف النبي صلى الله عليه وسلم فلاناً الإسلام فرق . وقول المسلمين : دعا النبي صلى الله عليه وسلم علياً كقولهم :^(٩) دعا جميع العرب فمن مجيب طائع كعلمي ، ومن تمتنع عاص كفلان وفلان .

- ١٥ (١) في الأصل : « وتقرير الشكال » ، صوابه في ب .
 (٢) حشوة الناس ، بالضم : رذالتهم ، ومثله الطغام ، بالفتح .
 (٣) ب : « وسال » .
 (٤) في الأصل ، ب : « وحائى » ، تحريف . جائاه : جلس معه على ركبتيه للخصومة .
 (٥) إلى هنا ينتهى الاختيار الأول في نسخة ب وتنفرد نسخة الأصل إلى حيث نلناه ٢٠ فيما بعد .
 (٦) في الأصل : « أن الإمامة أن عليا » .
 (٧) في الأصل : « يدعو » .
 (٨) بعده في الأصل : كلمة « فرق » ، وهى مقحمة .
 (٩) في الأصل : « وقوله المسلمين ... كقوله لهم » تحريف .

قالت (العثمانية) عند ذلك : قد عرفنا أن بعضهم قد نقل أن علياً كان أول من أسلم ، وقد نقلوا بأجمعهم أنه كان أول من أسلم . وبين قول القائل أسلم فلان أول الناس وبين أن يقول أسلم في أوائل الناس فرق . فأمّا أن يكون واحد من جميع الصنفين من البعض والجميع فسر مع روايته ومخرج خبره كيف كان إسلامه ، أعلّى وجه الدعاء والتكليف أم على وجه التلقين والتربية ، فلم نر أحداً منهم ميّز ذلك ولا فرقه في مخرج الخبر . ونحن لم ندّع أن إسلامه كان إسلام تلقين من قبل تفسير الناقلين وتمييز المحدثين ، ولكننا نظرنا في التاريخ فعرفنا عمره وابن كم كان يوم توفى ، وعرفنا موضع اختلافهم واجتماعهم ، فأخذنا أوسطه إذ كان أعدل ما فيه ، وأسقطنا قول من كثر وقلل ، ثم ألقينا منه سنيه إلى عام إسلامه فوجدنا ذلك يوجب أنه كان ابن سبع . ولو أخذنا أيضاً بقول المكثّر فجعلناه ابن تسع ، وتركنا قول من قلل وقول المقتصد ، علمنا بذلك أيضاً أن إسلامه كان إسلام تربية وتأديب وتامين ، كما أخذ الله على المسلمين أن يأخذوا به أولادهم .

وقالت (المملوكية) للملوكية : إنا لم ندّع أنه أسلم وهو ابن سبع ١٥ فإننا وجدنا ذلك قائماً في خبرهم مفسراً في شهادتهم ، ولكنه علم مستنبط من أخبارهم ، ومستخرج من آثارهم عند المقابلة والموازنة . ومثل ذلك لو أن رجلاً قال لرجل : خذ عشرة في عشرة ، كان ذلك في المعنى كقوله : « خذ مائة » ، وإن لم يكن سمّاها له ولا ذكرها بلسانه .

وقالوا : ولولا أن من شأننا الأخذ بالقسط ، والحكم بالعدل لأخذنا الشيع بقولهم في عمره وبقول ولده ، فإن أحدها يزعم أن علياً توفى وهو ابن سبع وخمسين . وقال الآخرون : بل توفى وهو ابن ثمان ٢٠

وخسين . ولو كان^(١) كما تقول الرافضة وولده ما كان أسلم إلا وهو ابن
خمس أو ابن ست ، وهم لا يألون ، ما نقصوا من عمره وصغروا من
سنه لكي يجعلوا إسلامه آية له وحجة على إمامته .

ولعمري لو كان الذين نقلوا أنه كان أول من أسلم نقلوا مع خبرهم
أنه أسلم بالدعاء والتكليف ، لقد كان مذهبهم إليه مذهباً ، وما اعتصم
به متعلقاً ، ولكن ما في الأرض كلها حامل خبر^(٢) ولا صاحب أثر
كان في خبره أنه أسلم بدعاء ، ولا أنه أسلم بتلقين ، وإنما هذا
مستخرج من الأخبار .

فإن قالت (الرافض) : بل الدليل على أن إسلامه كان طاعة ولم
يكن تلقيناً قول جميع الأمة إن علياً كان من أول من أسلم ، فذفس
قولهم أسلم هو كقولهم أطاع واختار ، وكذلك قولهم إذا قالوا : كفر
فلان ، فهو كقولهم : عصا واختار ، وإن لم يفسروا . وليس بين قولهم
أسلم فلان وكفر فلان فرق ، لأن الخبر الصادق إذا قال كفر فلان
فحكمه عند السامع التداوة والبراءة . ولو قال^(٣) أسلم فلان كان حكمه
المحبة والولاية : فإذا كانوا كلهم قد قالوا : أسلم على ، وحكم « أسلم » يثبت
الاختيار وإجابة الولاية ، قبل أن يجمعوا على أنه كان على التلقين
والتربية ، فعلى على هذا القياس مطيع في إسلامه ، مختار له على غيره .
وكذلك لو قالوا : كفر فلان ، كان حكمه حكم العاصي المختار حتى

(١) لعلها : « ولو كان الأمر » .

(٢) في الأصل : « خبره » .

(٣) في الأصل : « قالوا » .

يُجْمَعُوا أَنَّ كُفْرَهُ كَانَ عَنْ إِكْرَامٍ أَوْ غَلَطٍ أَوْ هَيِّجٍ مَرَّةً ، أَوْ هَجَرَ النَّاسِ^(١) ، أَوْ تَلْقِينَ الْمُؤَدِّبَ . فَلَمَّا كَانَ هَذَا قِيَاسًا مُوجِبًا صَحِيحًا ، لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْعَلَ إِسْلَامَ عَلَى إِسْلَامٍ تَلْقِينَ إِلَّا بِمَثَلِ الْحُجَّةِ الَّتِي جَعَلَهَا بِهَا مُسْلِمًا ، لِأَنَّهُمْ قَدْ أَطَبَقُوا بِأَجْمَعِهِمْ عَلَى إِسْلَامِهِ وَاخْتَلَفُوا فِي السَّنَةِ . فَيَجِبُ إِلَّا نُزِيلَ حُكْمُ « أَسْلَمَ » إِلَّا بِإِجْمَاعٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ كَانَ عَنْ تَلْقِينَ وَتَرْبِيَةٍ .

قلنا لهم : لعمري لو لم يكن ها هنا إجماعٌ يُخْبِرُ أَنَّ إِسْلَامَهُ كَانَ إِسْلَامَ تَلْقِينَ وَنَشُوءٍ ، كَانَ حُكْمُ قَوْلِهِمْ أَسْلَمَ عَلَى ما قُلْتُمْ ، لَا تُجْعَدُونَ حُكْمَهُ وَلَا تُظْلَمُونَ مَعْنَاكُمْ فِيهِ ، وَلَكِنْ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّهُ تَوَقَّى وَهُوَ ابْنُ كَذَا وَكَذَا فَأَخَذْنَا بِأَوْسَطِهَا نَقَصُوا^(٢) مِنْ سِنِيهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ أَسْلَمَ ١٠ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ . وَلَوْ أَخَذْنَا بِقَوْلِ الْمَكْثَرِ وَبَخَسْنَا الْقِيَاسَ حَظَّهُ كَانَ أَيْضًا إِسْلَامُهُ وَهُوَ ابْنُ تِسْعِ سِنِينَ إِسْلَامَ تَلْقِينَ . فَبِهِمْ عَرَفْنَا تَقْدُّمَهُ فِي الْإِسْلَامِ ، وَبِهِمْ عَرَفْنَا صِغَرَ سَنَةِ وَحِدَائَتِهِ ، إِذَا كَانَ الصَّبِيُّ إِذَا كَانَ ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ إِلَى عَشْرِ سِنِينَ لَا يُسْتَتَابُ إِنْ كَفَرَ ، وَلَا يُلَامُ إِنْ جَهِلَ ، وَلَا يَعَذَّبُ إِنْ ضَيَّعَ . فَإِذَا كَانُوا بِأَجْمَعِهِمْ قَدْ قَالُوا إِنَّهُ أَسْلَمَ ١٥ وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ أَوْ سِتٍّ أَوْ ثَمَانٍ أَوْ سَبْعٍ ، فَقَدْ قَالُوا بِأَجْمَعِهِمْ إِنَّهُ أَسْلَمَ إِسْلَامَ تَلْقِينَ وَإِنْ لَمْ يَقُولُوا بِأَفْوَاهِهِمْ ، كَمَا فَلْتُمْ إِنْ قَوْلُ الْقَائِلِ كُفْرُ فَلَانٍ وَأَسْلَمُ فَلَانٍ — وَإِنْ لَمْ يَذْكُرْهُ — [حُكْمٌ^(٣)] بِالطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ .

قلنا : فَكَذَلِكَ إِذَا قَالَ رَجُلٌ أَسْلَمَ فَلَانٌ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ أَوْ ثَمَانٍ

(١) هَجَرَ النَّاسَ هَجَرًا : حَلَمَ وَهَدَى .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « نَفَلُوا »

(٣) أَيْسَتْ فِي الْأَصْلِ ، وَبِمَثَلِهَا يَسْتَعِيمُ السَّكَّامُ .

أو تسع ، فقد قال إنَّ إسلامه كان إسلام تلقين وإن لم يذكره ولم يتفوّه به كما قلتم ، حَدِّثُوا الْقُدَّةَ بِالْقُدَّةِ ، وَالتَّعَلَّ بِالتَّعَلِّ . فإذا ثبت أن إسلام عليٍّ إسلام تلقين في ذلك الدهر فإسلام زيد وخبّاب أفضل من إسلامه . ولو أن عليّاً كان أيضاً بالغاً كان إسلام زيد وخبّاب أفضل من إسلامه ، لأنَّ إسلام المقتضب^(١) الذي لم يُعَذِّبْ به^(٢) ولم يُعوِّدْه ولم يُمرِّنْ عليه ، أفضل من إسلام النَّاشِئ الذي قد رَبَّى فيه ونشأ عليه وخبَّبَ إليه ؛ لأنَّ خبَّاباً وزيداً يمانيان من الفكر ويتخلَّصان إلى أمور ، وصاحب التَّربية يبلغ حين يباغ وقد أسقطَ إلفه عنه مؤونة الرويّة ، والخطار بالجهالة ، وقد أورثه الإلفُ السُّكونَ ، وكفاهُ اختلاجُ الشَّكِّ^(٣) ، واضطرابُ النَّفسِ وجَوْلانُ القلبِ . ١٠

فصل : * ولو كان عليٌّ أيضاً بالغاً وكان مقتضباً^(٤) كزيد وخبّاب لم يكن إسلامه ليبلغ قدرَ إسلاميهما ، لأنَّ إسلام التَّربية يكفي مؤونتين : إحداهما الخطار والتَّغْيِير ، والأخرى شدَّةُ فراقِ الإلفِ ومكابدةُ المادة ، ونِزاعُ الطَّبيعة ، مع أنَّ من كان بِحَضْرَةِ الأعلام وفي منزلِ الوحي ، وفي رِحالِ الرُّسل فالأعلامُ له أشدُّ انكشافاً ، والخواطرُ على قلبه أقلُّ اعتلاجاً . وعلى قدرِ الكُلفةِ في دَفْعِ الشُّبهة والإقرارِ بخلافِ الإلفِ والمادة ، والمخاطرةِ باعتقادِ الجهالة ، يعظمُ الفضلُ ، ويكثرُ الأجرُ* . ١٥

(١) المقتضب : خير التَّهْيِءِ المَعْدِ لِشَيْءٍ .

(٢) لم ينقط من هاتين الكلمتين في الأصل إلا الفين فقط .

(٣) الاختلاج : الاضطراب . وفي الأصل : « الحلاج الشك » وفي ح « علاج القلب » . ٢٠

(٤) انظر ما مضى في الحاشية الأولى .

* الكلام من « ولو كان علي » إلى هنا موضع مناقضة للاسكافي ستأتي برقم (٤) .

ولو كان أيضاً على ^١أسلم بالغاً مدركاً ، وكان مع إدراكه وبلوغه
 كهلاً ، وكان مع كهولته مقتضياً كان إسلامُ زيدٍ وخبّاب أفضلَ من
 إسلامه ، لأنَّ مَنْ أسلم وهو يعلم أنَّ له ظهراً كُأبي طالب ، وردءاً
 كبنى هاشم ، وموضِعاً في بنى عبد المطلب ، ليس كالحليف ولا المولى ،
 والنزِيل والتَّابع والعسيف ، وكالرجل من عُرْضِ قريش ^(١) وقاطِئِي
 مكة . [أ] وما علمت أن قريشاً خاصّة وأهل مكة عامّة لم يقدرُوا على
 أذى النبي صلى الله عليه ما كان أبو طالب حياً قائماً ؟ ! ولقد منع أبو طالب
 أبا سامة بن عبد الأسد المخزوميّ لأنه كان ابن أخته ، فما قدّرت
 بنو مخزوم مع خيلائها ^(٢) وعُرايم شبابها ، ومع عزّها وشدة عداوتها
 أن تحصّ منه شعرة ^(٣) ولا تُسمعه كلمة حتّى مشّت إليه بأجمعها ،
 للذي ^(٤) ترى له في أنفسها ، فكان من قولهم له : هذا ابنُ أخيك
 قد فرّق جماعتنا وسفّه أحلامنا وشتّم آلهتنا وقد منعتنا منّا ، فما بال
 صاحبنا ^(٥) ؟ قال : من لم يمنع ابن أخته لم يمنع ابن أخيه !

فإذا كانت قريش وأهل مكة لا يقدرُون على ابن أخيه وابن أخته
 معه فهم عن ابنه أعجز ، وعنه أقعد ، وله أعنف ^(٦) ، وهو لابنه أحضَرُ
 نصراً وأشدّ غضباً ، وأجنى أنفأ ، وليس الممنوع كالخذول ، ولا الضعيف

(١) من عرضهم ، أى من معظّمهم وجهورهم ، ليس في موضع رآسة .

(٢) الخيلاء : السكر . وبنو مخزوم معروفون بالكبر والته . انظر الحيوان ٦ : ٧٠ ،

٧٢ . وفي الأصل : « حملاتها » بإممال الحرفين الأولين .

(٣) حص الشعر : أذهب أو حلقه .

(٤) في الأصل : « الذي » .

(٥) في الأصل : « ما بال صاحبنا » . وفي السيرة ٢٤٤ : « فإلك ولصاحبنا تمنعه منا » .

(٦) رسمها في الأصل « اعفا » .

كالقوى ، ولا الآمين كالتخائف . فإذا كان إسلام زيد وخبّاب أفضل من إسلامه في ذلك الدّهر كما عدّدنا من الطّبقات ، وربّنا من المنازل ، ونزّلنا من الحالات ، فإسلام أبي بكر أفضل من إسلامهما ، فقد سقطت المنازعة ، وارتفعت الخصومة عند من فهم كتابنا ولم يمنع نفسه الحظّ بصحبتنا ، لفرط التّباین وعظم الفرق . ٥

فصل : والدليل على أن إسلام أبي بكر كان أفضل من إسلام زيد وخبّاب أن زيدا كان رجلاً غير مذکور بعلم ، ولا مَزَنَ بِمال^(١) ، ولا منغشٍ المجلس ، ولا مَزُور الرّجل ، وكذلك كان خبّاب . وكان أبو بكر رضي الله عنه أعلم العرب بالعرب كلّهم ، وأرواها لناقبها ومثالبها ، وأعرفها بخيرها وشرّها ، ولذلك قال النّبيّ صلى الله عليه وسلم لحسان مع سين حسان وعلمه وتحاكمُ الشمراء إليه ، حيث أمره النّبيّ عليه السلام أن يهجو أبا سفيان بن الحارث ، وحيث قال له : « اهْجُؤْهُمْ ومَعَك روح القدس » . وحيث قال له : هَيِّجِ النّظاريّ على بني عبد مناف — في قتل أبي أزيه^(٢) — والقي أبا بكر فإنّه أعلم النّاس بهم .

١٥ (١) في اللسان : « قال الأحياني : أزيته بمال ويعلم وبخير ، أي ظننته » .
(٢) النظاريّ : السادة الأشراف « هيج النظاريّ » : يراد بالنظاريّ القصائد الجياد البارة ، وهو تحريض على هجوهم وأصل معنى النظاريّ السيد الشريف وفي رواية بعض نسخ البيان (١ : ٢٧٣) : « اهيج النظاريّ من بني عبد مناف » وفي بعضها وهي نسخة (ه) مطابق لما هنا . والذي في العمدة ١ : ١٢ « وقال لحسان بن ثابت : اهجوهم — يعني قريشاً — فوالله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام في غاس الظلام . اهجوهم ومعك جبريل روح القدس ، والقي أبا بكر يملك تلك الهنات » . ٢٠

وأما ما كان من أمر أبي أزيه الدوسي ، فإن الوليد بن المغيرة كان قد تزوج ابنته ، ثم أمسكها أبو أزيه عنه فلم يدخلها عليه حتى مات ، وكان الوليد قد أوصى ولده قبل أن يموت أن يطلبوا أبا أزيه بمقره — والمقر : دية الفرج المنسوب — وكانت بنته قد تزوجها أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، فمدا هشام بن الوليد بن المغيرة على

فصل : ولذلك كان جُبَيْر بن مُطْعِمٍ أَعْلَمَ قُرَيْشٍ بالعرب بعد أبي بكر ،
لأنه كان المتولَّى لتأديبه وتثقيفه ، وقد كان أبو بكر قد سمَّى عائشةَ له (١) ،
للذي رأى من حُسْن أثره عليه .

(*) وكان أبو بكر ، مع علمه بالناس وحُسْن معرفته ، ذا مالٍ كثير
ووجه عريض (٢) ، وتجارة واسعة ، وكان جَبَلًا عتيقًا (٣) ، ومزوراً مغشياً ،
ومحبباً أديباً صاحب ضيافات (٤) ، ويؤمن في الحَمَّالات ، ويجتمع إلى مجلسه
كُبراء أهل مكة ، لما يجيئون عنده من طريف الحديث وغريب الشعر ،
حتى كان مثلُ عُتْبَةَ وشَيْبَةَ (٥) يجلسان إليه ، ويُعْجَبَان بحديثه ، ثم يتخذ
لهم ما يتحدثون عليه ويتناول مجالسهم به ، من شراب العسل والزبيب

تتأبى أزهر وهو بسوق ذي الحجاز فقتله . السيرة ٢٧٣ - ٢٧٥ . وكان يزيد بن أبي سفيان
قد خرج فجاءه ابني هاشم ليثأرا لأبي أزهر جار أبيه ، فغضب أبو سفيان وضربه ، فمير بذلك ،
وكان نهزة لسان بن ثابت يمرض في دم أبي أزهر ويعير أبا سفيان خفرته وتجبته فقال :
غدا أهل زوجي ذي الحجاز كليهما وجار ابن حرب بالمغمس ما يغدو
كساك هشام بن الوليد ثيابه فأل وأخاني مثلها جرداً بعد
قضى وطراً منه فأصبح ماجداً وأصبحت رخباً ما تحب وما تعدو
بلو أن أشياخاً بيدر تشاهدوا لبل لعال القوم منقط ورد
والظركتاب اسب قریش ٣٢٣ .

(١) أى سماها لتكون زوجة له ، وعنده بذلك ، وفي الإصابة ٧٠١ قسم النساء :
« كات تذكر لجبير بن مطعم وتسمى له » و « قال أبو بكر : كنت أعطينها طعاماً
لأبيه جبير » .

٢٠

(٢) الوجه : الحاء . وبهال رجل . وجهه ووجهه : ذواجه .

(٣) العتيق : الكريم الرائع من كل شيء .

(٤) فى الأصل : « صفات » تحريف .

(٥) عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف . أما عتبة فقتل يوم بدر ، قتله

حمزة . وأما شيبة فقتله عبيدة بن الحارث . وذُفِّ عليه حمزة وعلى . مغازى الواقدي ١١٣ .

واللبن^(١) ، فكانت قريشٌ بعد إسلام أبي بكرٍ وكثرةٍ مستجيبيه بمكة تريد تنفير عتبة بنِ ربيعة من مجلسه وإيحاشه منه ، مخافةً أن يستميله بحسن دعائه ، وتأتيه ورفقه ، ورقة دموعه وشدة خشوعه فتقول له : أمّا إنك ما تأتي ابنَ أبي قحافة إلا لطيب عسله وإلا لِمَذَقْتَهُ^(٢) ، وإنما نفّروه بهذا وشبهه لأنه كان ذا عيالٍ مُملقاً ثَقِيلِ المؤونة ، خفيف ذات اليد ، مع سِنَّه وسؤدده وجهه ورأيه .

ولا سواهُ إسلامُ ذى اليسر والمال الدُّثُر ، المنفقِ حَريرة كسبه وعقيلة مِلْكه ، والمفرِّقِ عنه جمعه والموحش منه أنيسه ، الخارج من عزِّ الغنى وكثرة الصديق ، إلى ذل القِالة وعجز الفاقة ، وإسلام من لا حراك به ولا جدّاً عنده ، تابعٍ غير متبوع ، ومستجدٍ غير مُجدٍ ؛ لأن من أشدّ ما يُبتلى به الكريمُ السبُّ بعد التحية ، والضربُ بعد الهيبة ، والمُسرُّ بعد اليسر .

ولا سواهُ إسلامُ العالم الأديب الأريب ، ذى الرأى السديد ، وإسلامُ غيره .

ثم كان داعية من دعاة الرسول مقبول القول ، متبوع الرأى . ومن كان فى صفة أبى بكرٍ فالخوفُ عليه أشدّ ، والمكروه إليه أسرع ، لأنه لم يكن على ظهرها عدوٌّ للنبي صلى الله عليه وسلم إلا وأبو بكرٍ يتلوه عنده فى المداوة .

ولا سواهُ إسلامُ من أسلم على أن يَمُون ويكلف ، وإسلامُ من كان يُمانُ قبل إسلامه ويكلف بعد إسلامه .

(١) فى الأصل : « واللبن » . وانظر الحاشية التالية .

(٢) المذقة : الطائفة من الابن المذيق ، وهو المزوج بالماء .

ولا سوا الإسلام الكهل النبیه الذي يحسُن عند قريش مطالبته ، ولا يستَحْي من طلب الثأر عنده ، وإسلامُ الحدث الذي لا يفِي بمداوة الجِلَّة ، ولا تستجيز مجازاته العلية* .

ثمَّ كان الذي بلقى أبو بكر في الله ورسوله بيطن مكة ، وعلى خِليّ الروع^(١) ، آمين السَّرب رخيُّ البال ، كما لقيَ يومَ دعا طلحةَ إلى الإسلام ٥ فأسلم ومضى به إلى النبي صلى عليه وسلم وخذلتها تيمم ، وأخذها نوفل بن خويلد بن أسد^(٢) — فأما ابن إسحاق^(٣) فزعم أنَّه كان من شياطين قُريش . وأما الواقدي^(٤) وغيره فزعموا أنَّه كان يلقَّب أسد^(٥) قريش ،

* الكلام من « وكان أبو بكر مع علمه » س ٢٥ س ٤ إلى هنا موضع رد للاستكافي سيأتي برقم (٥) . وقد تصرف الإسكافي في كلام الجاحظ بالإيجاز الشديد . انظر ابن أبي الحديد ٣ : ٢٦٦ .

(١) الروع : القلب والعقل والبال . في الأصل : « الذرع » تحريف .
(٢) نوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي . وفيه يقول أبو طالب :
كما قد لقينا من سبيم ونوفل وكل تولى ممرضا لم يجامل
السيرة ١٧٥ — ١٧٧ . وقد قتل مشركا في وقعة بدر ، قتله علي بن أبي طالب . ١٥
السيرة ٥٠٨ ومغازي الواقدي ١١٤ . وقال ابن حزم في الجهرة ١١١ : « قتله ابن أخيه الزبير بن العوام » .

(٣) هو محمد بن إسحاق شيخ أهل المغازي ، المتوفى سنة ١٥١ . تهذيب التهذيب وعيون الأثر لابن سيد الناس ١ : ٨ — ١٧ .

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي . ولد سنة ١٣٠ وولاه المأمون القضاء بالعسكر ، وتوفى سنة ٢٠٧ تهذيب التهذيب ، وعيون الأثر ١ : ١٢ — ٢١ .
(٥) لم يظهر من هذه الكلمة في الأصل إلا الألف وإحدى أسنان السين ، وإثباتها من جهرة أنساب العرب لابن حزم ١١١ ، قال : « وكان يقال لنوفل بن خويلد : أسد قريش ، وأسد المعليين . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر : اللهم اكفنا ابن المدوية ! يعني نوفلا » .

وهو الذى يقال له ابن العدوية — فقرنهما في جبل ، وفتنهما عن دينهما وعذبهما ، فلذلك سمى أبو بكر وطلحة « القرينين » .

وأبو بكر الذى قام دون النبي صلى الله عليه وسلم بمكة وقد اعتوره المشركون حين قال : « أمّا والله لقد جئتكم بالذبح ! »^(١) قال أبو بكر ويلكم ، أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ! فصعدوا فودى رأسه . ٥

(**) ثم الذى لقي في مسجده الذى كان بناء على بابيه في بني مَجْع ، وحيث ردّ الجوار وقال : لا أريد جاراً سوى الله . وقد كان بني مسجداً يصلى فيه ويدعو الناس إلى الإسلام ، وله صوت رقيق ووجه عتيق ، فكان إذا قرأ وكى ، وقعت عليه^(٢) المارة والنساء والصبيان والعبيد ، فلما أودى في الله حتى بلغ جهده استأذن النبي صلى الله عليه في الهجرة ، فأذن له ، فأقبل يريد المدينة فالتقاه السكناي سيّد الأحابيش^(٣) ، فعقد له

(١) إنذار بالعذاب والهلاك . جاء في السيرة ١٨٣ في رواية عبد الله بن عمرو بن العاص : « فأقبل بمشى حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفاً بالبیت ، فلما مر بهم غمزوه ببعض القول . قال : فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها ، فوقف ثم قال : أسمعهم يا معشر قريش ، أمّا والذى نعى بيده لقد جئتكم بالذبح ! قال : فأخذت القوم كلته حتى ما منهم رجل إلا لسكناً على رأسه طير واقم » .
وفي عبون الأثر ١ : ١٠٤ أن النبي صلى الله عليه وسلم قل بعد ذلك في خطابه للمؤمنين : « أبصروا فإن الله عز وجل مظهر دينه ، وتم كلمته ، وناصر نبيه . إن هؤلاء الذين ترون مما يذبح الله بأيديكم طاجلاً » . قال عثمان بن عفان : « ثم اصصرفنا إلى بيوتنا ، فوالله لقد رأيتهم قد ذبحهم الله بأيدينا » .

(٢) في الأصل : « وقعت » .

(٣) السكناي هو مالك بن الدغنة ، أحد بني الحارث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة . والأحابيش ، هم بنو الحارث بن بكر بن عبد مناة ، والهون بن خزيمه بن مدركة ، وبنو =

- جواراً وقال : والله لا أدع مثلك يخرج من بين أخشبي مكة . فرجع وقد عقد له الكِنائي جواراً ، كل ذلك رغبةً في قرب النبي صلى الله عليه ، فلما رجع إلى مكة عاد إلى مسجده وصنيعه ، فمشت قريش إلى جاريه وعظّموا الأمرَ عنده وأجلبوا عليه فقالوا : قد أفسد أحداثنا ، وعبيدنا وإماءنا ونساءنا ، في منازلنا ! فمضى إليه الكِنائي وقال : ليس على هذا أعطيتك الجوار ، ادخل بيتك واصنع فيه ما بدا لك^(*) ! قال له أبو بكر : أو أردُّ عليك جوارك وأرضى بجوار الله ؟ فلما قطع الجوار وترادّا العهد وتباريا^(١) لقي أبو بكر رضى الله عنه من الأذى والدُّلّ والضرب والاستخفاف ما بلغك ، وهو أمرٌ موجود في جميع السّير . وليس المفتون كالوادع ، قال الله سبحانه : « والفتنة أشدُّ من القتل » . وذلك أنّ المشركين كانوا قد صاروا إلى أن يفتنوا النَّاسَ عن دينهم بالتّعذيب ، والمسلمون نفرّ يسيرون ، قد خذلهم عشائرتهم ، وأسلمتهم أهلهم ، فألقوا خبياتاً على الرّضف^(٢) حتّى ذهب ماء متّنه . وكان أبو ذرّ حليفاً مستضعفاً فكان يدخل بالنهار في خلال أستار الكعبة ويخرج بالليل مستخفياً ، وكات بنو مخزوم أمدّب عمّاراً وأباه وأمه برمضاء مكة ، فيمرّ بهم النبي صلى الله عليه وسلم فيقول : ١٥

== المصطلق من خزاعة . السيرة ٢٤٥ والروض الألف ١ : ٢٣١ .

وفي العرب آخر يسمى « ابن الدغنة » وهو ربيعة بن رفيع بن أهبان بن ثعلبة بن ربيعة بن يربوع . السيرة ٨٥٢ .

(*) الكلام من « ثم الذي اتي في مسجده » ص ٢٨ س ٦ إلى هنا موضع رد للاسكافي سيأتي برقم (٧) .

٢٠

(١) تباريا : صنع كل منهما مثل صاحبه ، وقد تكون مسهل « تبارعا » .

(٢) الرضف : الحجارة التي أحيت بالشمس أو النار ، واحدتها رضفة .

« صبراً آل ياسر ، فإنَّ موعدَكم الجنة ! » فذكر عمار عند ذلك عياد
أبي بكر لبلال حين أعتقه من العذاب فيمن أعتق ، فقال :

جزى الله خيراً عن بلال ودينه عتيقاً وأخزى فاكهاً وأبا جهل^(١)

وقال سعيد بن جبير : قلت لعبد الله بن عباس : أكان المشركون

يبلغون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه من العذاب ما يُعذِّرون به ٥

في ترك دينهم ؟ قال : والله إن كانوا ليضربون أحدهم ويُعطشونه حتَّى

لا يقدر أن يستوى جالساً من الجهد ، حتَّى إن كان أحدهم ليعطيهم الذي

سألوه ، من الفتنة ، وحتَّى يقال له : اللات والعزى إلهك من دون الله ؟

فيقول : نعم . وحتَّى إنَّ الجمل ليرث بهم فيقال^(٢) له : هذا إلهك ؟

١٠ فيقول : نعم .

فلو كان عليُّ بن أبي طالب قد ساوى أبا بكر في الإسلام لقد كان

فضله أبو بكر بأن أعتق من المذنبين المفتونين بمكة ، وحتَّى [لو^(٣)] لم يكن

غير ذلك لكان لحاقه عسيراً^(٤) ، ولو كان ذلك يوماً واحداً لكان عظيماً ،

فكيف وكان بين ظهور النبي عليه السلام ودعائه إلى أن هاجر إلى المدينة

١٥ ثلاث عشرة سنة ، في كلِّ ذلك أبو بكر وخبَّابٌ وأصحاب النبي صلى الله

عليه وسلم يتجرَّعون المرارَ وعليُّ وادعُ رافه ، غير طالبٍ ولا مطلوبٍ

وليس أنَّه لم يكن في طباعه^(٥) النجدة والشهامة ، وفي غريزته الدِّفع والحماية ،

(١) في الأصل : « وأخرى » ، تحريف . وعتيق : لقب أبي بكر .

(٢) في الأصل : « فيقول » .

(٣) ليست في الأصل .

٢٠

(٤) ابن أبي الحديد : « ولو لم يكن له غير ذلك لكان لحاقه عسيراً وبلوغ منزلته

شديداً » .

(٥) في الأصل : « لمن يكون في طباع » صوابه عند ابن أبي الحديد ٢ : ٢٦٧ .

ومن أكرم عنصر وأطيب مغرس ، ولكن لم تكن تمت له أدواته ، ولم تستجمع له قواه ولم تتكامل آدابه ، لأنَّ العقل وإن اشتدَّ مغرزه وثبتت أواخيه وجاد نَحْتُهُ^(١) فإنه لا يبلغ بنفسه درك الغاية ، دون كثرة السَّماع والتَّجربة ، ولأنَّ رجال الطَّلَب وأصحاب الثَّار وأهل السَّن والقَدْر يَغْمِطُونَ ذا الحداثة ، ويَزُرُّون على [ذى^(٢)] الصَّبَا والغَرارة إلى أن يباحق بالرجال ٥ ويصير من الأَكْفَاء* . (** حتى كان آخر^(٣)) ما لَقِيَ هو وأهله في أمر الغار ، وقد طلبته قريش وجعلت فيه مائة بعير كما جعلت في النبي صلى الله عليه وسلم ، فلقى أبو جهل أسماء بنت أبي بكر — وهي ذات النِّطَاقين — مُنْصَرَفَهَا من الغار ، فسألها فكتمته فطمها ، فقالت أسماء : لقد لطمني لطمَةً أُنْذِرَ منها قُرْطًا كان في أذني^(**) .

١٠

فصل : (***) ثم الذي كان من دعائه إلى الإسلام وحسن احتجاجه حتى أسلم على يديه طلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن وعثمان ، لأنه ساعة ما أسلم دعا إلى الله ورسوله^(***) ، وكان مألُفًا ، لأدبِهِ وعِلْمِهِ ورُحْبِ عَطْنِهِ .
(****) وقالت أسماء : « ما عرفتُ أبي إلَّا وهو يدين بالدين ، ولقد رجع إلينا يوم أسلم فدعانا إلى الإسلام فما رِمْنَا حتى أسلمنا وأسلم أكثر ١٥ جلسائه » ، ولذلك قالوا : لَمَنْ أسلم بدعاء أبي بكر أكثرُ ممَّن أسلم

(١) النحت : الأصل .

(٢) ليست في الأصل . وعند ابن أبي الحديد : « ويزدرون بنى العبا » .

(*) الكلام من « ثم الذي كان يلقي أبو بكر » إلى هنا مع الإيجاز وإفراد بعض العبارات

بالرد رقم (٧) موضع رد للإسكان سيأتي في رقم (٦) .

(٣) في الأصل « حتى أن أحر » ، صوابه في ح .

(**) النظر رد الإسكان في رقم (٨) .

(***) النظر رد الإسكان في رقم (٩) .

٢٠

بالسَّيف . ولم يذهبوا من قولهم إلى العدد بل عنوا الكثرة في القدر ، لأنَّ من أسلم على يده خمسةٌ من الشُّورى ، كلُّهم يَفِي بالخلافة ، وهم أكفاء علىِّ ومنازعوه الرِّئاسة والإمامة ، فقد أسلم على يده أكثرُ ممن أسلم بالسَّيف ، لأنَّ هؤلاء أكثر من جميع الناس^(١٠٠) .

٥ فصل : ومَن أسلم على يده بلال ، وهو الذي يقول فيه عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « بلالُ سيِّدنا ومولى سيِّدنا » . ورووا أنَّه قال : « أبو بكر سيِّدنا وأعتق سيِّدنا » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : بلالٌ سابقُ الحبش ، وبلال « مولى أبي بكر » ثلاث مرات . أسلم على يده فأعتقه من رقِّ الكفر ، وأعتقه من رقِّ العذاب حيثُ كان يُفتن في الله ١٠ ورسوله ، وأعتقه من رقِّ العبودية .

وكان من قصة بلالٍ أنَّه كان عبداً لبني مُجَمِّح وكانت دارُ أبي بكر ومسجده في حيِّ مُجَمِّح ، ولم يكن يبطن مكةَ مسجداً سواه ، فلما سمع دُعاهُ أبي بكر أسلمَ وحده^(١) فلما سمع^(٢) أميةُ بن خلف فسكان يخرجوه إذا حميت الظَّهيرة فيطرَّحُه على ظهره يبطِّحاه مكةَ ، ثم يضع صخرةً على صدره ، ثم يحلف بالله لا ينزعها عن صدره أو يكفرَ بمحمدٍ وإلهه ويؤمنَ باللات والعزى ! وبلالٌ يَأْبى وهو يقول : أَحَدٌ أَحَدٌ ! وكان يمرُّ به ورقةُ بن نوفل فيقول : نَعَمْ يا بلال ، أَحَدٌ أَحَدٌ ! فرَّ به أبو بكر وهو يريد دارَه في بني مُجَمِّح ، فرأى أميةَ وما يصنع ببلال ، فقال : ألا نَتَّقِي الله ؟

*** الكلام من « وقالت أسماء » إلى هنا موضوع رد الإسكافي رقم (١٠) .

٢٠ (١) في الأصل : « واحدة » .

(٢) لها « وسمع » .

إلى متى تعذب هذا المسكين ؟ قال : أنت أفسدتَه ! يعني أنت دعوتَه حتى أسلم — فأبقِذه ! قال أبو بكر : عندي غلامٌ أسود جلدٌ ، على دينك ، أعطيكَه وآخذُه . فأعتقه . فهو عتيقه ثلاثَ مرَّات (١) .

(*) ثم أعتق بعدَ ذلك من المذنبين في الله ستَّ رقاب ، منهم عامر بن فهيرة ، شهد بدرًا وهاجر مع رسول الله عليه السلام وأبي بكر ، لأنَّه كان في موضع الثقة ، حيثُ خرجا إلى النار هاريين من المشركين متوجَّهين إلى المدينة . واستشهدَ يوم بئر معونة .

وأعتق زينة (٢) ثلاثَ مرَّات ، فلمَّا اشتراها وأعتقها ذهبَ بصرُها ، وكانت تُعذب في الله فيمن يُعذب بمكة ، فقال المشركون : ما أذهبَ بصرَها إلاَّ اللَّاتُ والعُزَّى ! قالت : كذبوا ما يضرَّان ولا ينفعان ! فرد الله عليها بصرَها . فزعم الزُّهري (٣) أن موليين لابن النبطية (٤) أسلما حين ردَّ الله عليها بصرَها . وقالوا : هذا بلا شك (٥) من إله محمدٍ وابن أبي قحافة !

ثم أعتق النهدية وابنتها وقد كانتا تعذبان في الله ، وكانتا لامرأة من بني عبد الدار ، ومَرَّ بهما أبو بكر وقد بعثت العبديَّة (٦) معهما بطحينٍ وهي

(١) إشارة إلى ما سبق من أنه أعتقه من رق الكفر ، ومن رق العذاب ، ومن رق العبودية . انظر ما سبق في ص ٣٢ س ٩ — ١٠ .

(٢) زينة ، بكسر الزاى وتشديد النون المكسورة ، كما ضبط الحافظ في الفتح ٤٦٣ قسم النساء ، والسهمي في الروض الأنف ١ : ٢٠٣ . وكانت رومية .

(٣) في الأصل : « الزهري » .

(٤) كان ابن النبطية من أشد أعداء الرسول — والنبطية أمه ، كانت كاهنة من بني سهم في الجاهلية — واسمه الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم السهمي . انظر لإمتاع الأسماع ١ : ٢٢ وحواشيه .

(٥) في الأصل : « هذا بك شك » .

(٦) هي مولاتهما ، نسبة إلى بني عبد الدار .

تقول : والله لا أعتقكما أبداً . قال أبو بكر : ^(١) حِلًّا يا أمَّ فلانٍ ؟ قالت : حِلًّا ! أنتَ أفسدتَهُما فأعتقَهُما . قال : فبكأَيْنِ هُما ^(٢) يا أمَّ فلانٍ ؟ قالت : بكذا وكذا . قال : فقد أخذتُهُما ، وهما حرَّتَانِ ، أرجما إليها طحينها . قالت : أو تُفرِّغ منه يا أبا بكر ^(٣) ؟ قال : وذلك إن شئتما .

٥ ومَرَّ بِجَارِيَةٍ بَنَى مُؤَمِّلٌ — حَيٍّ مِنْ بَنَى عَدَى بْنِ كَعْبٍ — وَعَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَمْدُهَا لِتَتْرِكَ الْإِسْلَامَ ، وَهُوَ يَضْرِبُهَا فَإِذَا مَلٌّ قَالَ : أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ إِنِّي لَمْ أَتْرَكَ إِلَّا مَلَالَةً ^(٤) ! فَابْتَاعَهَا فَأَعْتَقَهَا . وَأَعْتَقَ أُمَّ عُبَيْسٍ ^(٥) .

فَقَالَ لَهُ أَبُو قُحَافَةَ : أَيُّ بُنَى ، أَرَأَيْكَ تَعْتِقُ رَقَابًا ضَعِيفًا ، فَلَوْ أَنَّكَ إِذْ فَعَلْتَ أَعْتَقْتَ رَجُلًا جُلْدًا ^(٦) مَذْمُوكٌ وَقَامُوا دُونَكَ ؟ قَالَ : يَا أَبَتِ

(١) في السيرة ٢٠٦ جوتنجن وهامش الروض ١ : ٢٠٣ : « حل » بالرفع في الموضعين ولكل وجه . حلا ، أى تحللى من يمينك . انظر الرياس النضرة ١ : ٨٩ .

(٢) أى بكم هما . وفي السيرة : « فكم هما » . قال ابن هشام في المفضى عند الكلام على « كأين » : « لا تقع بجرورة ، خلافاً لابن قتيبة وابن عصفور ، أجازا : بكأين تبيع هذا الثوب » . فما أورد الجاحظ شاهد لمذهبهما . ١٥

(٣) في السيرة : « أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليها » ، كأنهما أرادتا أن تتخففا من ثقل الحمل .

(٤) بعده في السيرة : « فتقول : كذلك فعل الله بك ! » .

(٥) في الأصل : « أم عيسى » تحريف ، صوابه في السيرة وإمتاع الأسماع ١٩ . ويقال فيها أيضاً « أم عيس » وكانت فتاة من بنى تيم بن مرة ، وهى أم عيسى بن كريز بن ربيعة ابن حبيب بن عبد شمس بن مناف . ٢٠

(٦) الجلد ، بالتحريك : الشدة والقوة ، وهو جلد وجليد ، من أجلاذ وجلداه وجلاد وجلد .

- إِنَّمَا أُعْتِقُ الْمُعْذِبِينَ ۚ فَأَنْزَلَ اللَّهُ : « أَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ^(١) . وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى » إلى قوله : « وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى . إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى . وَلَسَوْفَ يَرْضَى ^{*} » . فَتَفَهُمُ معنى قوله : « وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى . إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى » وَتَفَهُمُ معنى قوله : « وَلَسَوْفَ يَرْضَى » .
- وقد سمعت قول الله سبحانه حيثُ خاطب جماعة المسلمين وذكر
- الأموالَ وعظم قدرها في عُيُونِهِمْ ، وشدة إخراجها عليهم ، وأنه لو كلفهم ذلك لأخرجهم ثِقَلُ التَّكْلِيفِ إلى غاية البُخْلِ بها والشَّحِّ عليها ، والإِثَارِ لحبسها فقال : « لَا تَهِنُوا ^(٢) » وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ . إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَمَبٌّ وَلَهْوٌ ، وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ » ثم قال : « وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ . إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا ١٠ فَيُخْفِكُمْ تَبَخَّلُوا وَيُخْرِجْ أَصْفَانَكُمْ » . فَتَفَهُمُ معنى هذا الكلام وأنَّ الله لم يُنْزِلْهُ عَيْنًا ^(٤) . ثم قال : « هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ » . أَلَا تَرَاهُ خَاطَبَ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ : « وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُخْفِكُمْ تَبَخَّلُوا وَيُخْرِجْ أَصْفَانَكُمْ ^(٥) » . ١٥
- ^{*} ثم قد علمتم ما قد صنع أبو بكرٍ بماله ^(٦) ، وكان المالُ أربعين ألفاً

(١) التلاوة : « فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى » . وحذف الواو والفاء ونحوهما في مواضع الاقتباس من القرآن الكريم جائز . انظر ما كتبت في حواشي الحيوان ٤ : ٥٧ .

(٢) الكلام مع إيجاز شديد من قوله « ثُمَّ أُعْتِقَ بِعَدِّ ذَلِكَ مِنَ الْمُعْذِبِينَ » ص ٣٣ س ٤ إلى هنا موضع رد الاسكافي ، وسيأتي برقم (١١) .

(٣) التلاوة : « فَلَا تَهِنُوا » . سورة محمد ٣٥ . وانظر التنبيه السابق رقم (١) .

(٤) في الأصل : « عَيْنًا » .

(٥) بعده يبدأ الاختيار الثاني من نسخة المتحف البريطاني الرموز إليها بالرمز (ب) .

(٦) ب : « فِي مَالِهِ » .

فأنفقَه على نوائب الإسلام وحقوقه ، ولم يكن ماله ميراثاً لم يكده فيه فهو غزير^(١) لا يشعر بمُسَرِّ اجتماعه^(٢) وامتناع رجوعه ، ولا كان هبة ملك فيكونَ أَسْمَحَ لطبيعته وأخرقَ في إنفاقه ، بل كان ثمرة كدّه وكسب جَوْلَانِه وتعرُّضه . ثم لم يكن خفيف الظَّهر قليل النِّسل قليل العيال ، فيكونَ قد جمع اليسارين ؛ [لأن المثل الصحيح السائر : قلة العيال أحد اليسارين^(٣)] بل كان ذا بنين وبناتٍ وزوجة وخدم وأحشام^(٤) ، يقول مع ذلك أبويه وما ولدا ، ولم يكن فتى حَدَثًا فتهزّه أريحية الشَّباب وغرارة الحداثة ، ولم يكن بحذاء إنفاقه طمعٌ يدعوهُ ، ولا رغبة تحدوه ، ولم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم قبل ذلك عنده يدٌ مشهورة فيخاف العار في ترك مواساته^(٥) وإنفاقه عليه ، ولا كان من رهطه دُنْيَا^(٦) فيُسَبِّ بترك مكانفته ومعاونته وإرفاقه . فكان [إنفاقه^(٧)] على الوجه الذي لا نجد أبلغَ في غاية الفضل منه^(٨) ، ولا أدلَّ على غاية الصِّدق والبصيرة منه .

(١) في النسختين : « عزيز » .

(٢) في الأصل : « احتماله » ، صوابه في ب .

(٣) التكملة من ب . ١٥

(٤) أحشام : جمع حشم ، وهم خاصة المرء الذين بغضبون له من عبيد أو أهل أو جيرة .

ب : « وحشم » .

(٥) هذا ما في ب . وفي الأصل : « مواساته كعالي » . والكلمة الأخيرة مقحمة .

(٦) يقال هو ابن عمه دنيا ، بكسر الدال مع التنوين وعدمه ، وبضمها مع ترك الإجراء

٢٠ إذا كان ابن عمه لما لاصق النسب .

(٧) التكملة من ب .

(٨) الكلام من « ثم قد علمتم ما قد صنع » ص ٣٥ س ١٦ إلى هنا موضوع .

الرد رقم (١٢) .

* وقد تعلمون ما كان يلقى أصحابُ النبي عليه السلام يظن مكة من المشركين ، وقد تعلمون حُسنَ صنيع كثيرٍ منهم ، كصنيع حمزة حين ضربَ أبا جهلَ بقوسه ، فبلغ في هامته ، في نصرته النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبو جهلَ يومئذ أُمْنَعُ البطحاء ، وهو رأس الكفر .

ثم صنيع عمرَ حيث يقول يوم أسلم : « والله لا يُعْبَدُ (١) اللهُ سِوَا بعد اليوم ! » حتَّى قال بعد موته عبدُ الله بنُ مسعود : « ما صلَّينا ظاهرينَ حتَّى أسلم عمر (٢) » .

ثم كان الذي لقيَ في ذلك اليوم بعينه من المشركين ، ثم مضيه من فوره حتَّى يقرع على أبي جهل الباب ، فلما حَسَّ به أبو جهل خرجَ إليه وهو يقول : مرحباً بابنِ أختنا — وكانت أمُّه حَنْتَمَة بنت هاشمِ ذِي الرُّمَحِين ١٠ ابنِ المُغيرة — قال : أتدرى ما صرتُ بعدك يا أبا الحكم ! قال : خير ، فليكن . قال : إنَّه خير ، إمَّا آمنت بالله وبرسوله وخلعت الأنداد ، وجعلت (٣) اللات والعزَّى ، وصدقت محمداً . قال : فلا قرَّب الله قرابتك ! ألا ترى إلى قوَّة (٤) شهادته وجلَّده ، وصدق نيَّته في كشف القناع ، والمبادأة لرأس الكفر وسيِّد البطحاء عند نفسه ورهطه . ١٥

وقوله بعد ذلك لجميع المشركين : أمَّا والله لو قد (٥) صرنا مائة لتركتموها لنا أو تركناها لكم — يعني مكة .

(١) ب : « لا أعبد » بالنون .

(٢) إلى هنا ينتهى هذا الاختيار في ب الذى بدأ في ص ٣٥ س ١٦ .

(٣) كذا في الأصل .

(٤) في الأصل : « قوله » .

(٥) في الأصل : « لقد » .

ثم صنيع [الزبير^(١)] في سلّه السيف شاداً به مستقبل المشركين ، يريد .
خبط من لقيه منهم ، فتلقاه النبي صلى الله عليه مقبلاً فقال : مالك .
يا زبير ؟ قال : بأبي أنت وأمي ، سمعت قائلاً يقول : قد أخذ محمد
وأوذى ! فكان أول من شهر سيفاً في الإسلام .

ثم صنيع سعد^(٢) وضربه عظيماً من عظمائهم على أم رأسه بلحى بعير ،
فكان أول من أراق دماً في الإسلام . وهو الذي يقول لرسل على حين
أتوه يدعونه إلى بيعة : نيكلتني أمي ، لأن كنت مع رسول الله صلى الله
عليه سادس ستة^(٣) ما لنا طعام إلا ورق البشام ، ثم جاءني أعراب
الأوس تعلمني دين الله !

وإنما ذكرت لك هذا لتعلم أقدار القوم والذي لقوا من الجهد والخوف .
والذل والتطراد والضرب . ولم نسمع لعلي في جميع ذلك ذكراً .
ولم يكن ذلك المكروه سنة ولا سنتين ، ولكن ثلاث عشرة سنة ،
وهذا أمر لا يلحق ولا يدرك الفات من ، كما قال الله : « لا يستوى
منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا
من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى^(٤) » .

(١) تكملة يتضمنها السياق . وانظر الإصابة ٢٧٨٣ .

(٢) هو سعد بن أبي وقاص ، أحد العشرة المبشرين بالجنة وآخرهم موتاً ، وأحد الستة
أهل الشورى . الإصابة ٣١٨٧ . وفيها : « فبينما سعد في شعب من شعاب مكة في نفر من
الصحابة إذ ظهر عليهم المشركون فنافروهم وعابوا عليهم دينهم حتى قاتلوهم . فضرب سعد
رجلاً من المشركين بلحى جبل فشجه » . وذكر في السيرة ١٦٦ أنهم كانوا يصلون حينئذ .

(٣) في الإصابة : وقع في صحيح البخاري عنه أنه قال : « لقد مكثت سبعة أيام ولاني
لثالث الإسلام » . وانظر فتح الباري ٧ : ٦٦ — ٦٧ .

(٤) الآية ١٠ من سورة الحديد .

فإذا كانَ مَنْ أَنْفَقَ وَقَاتَلَ قَبْلَ الْفَتْحِ أَعْظَمَ دَرَجَةً ، لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ » ، فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ قَاتَلَ وَأَنْفَقَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ . وَمِنْ لَدُنْ^(١) مَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ إِلَى الْهِجْرَةِ أَعْظَمَ مِنْ الْقِيَامِ بِأَمْرِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْهِجْرَةِ ، [وَ] أَفْضَلُ مِنَ الْقِيَامِ بِأَمْرِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْفَتْحِ .

فَإِنْ قَالُوا : قَدْ عَرَفْنَا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَدْ أَنْفَقَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ وَلَا نَعْرِفُهُ قَاتِلَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ ، فَقَاتَلُ عَلِيٍّ بَعْدَ الْهِجْرَةِ أَفْضَلُ مِنْ إِنْفَاقِ أَبِي بَكْرٍ قَبْلَ الْهِجْرَةِ .

* قلنا : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَإِنْ لَمْ يِقَاتِلْ قَبْلَ الْهِجْرَةِ فَقَدْ قَتَلَ مَرَارًا وَإِنْ لَمْ يَمِتْ قَبْلَ الْهِجْرَةِ ، وَلِأَنَّهُ لَوْ جُمِعَ جَمِيعُ الْمَكْرُوهِ الَّذِي لَقِيَ أَبُو بَكْرٍ ثَلَاثَ عَشْرَةَ ١٠ سَنَةً لَكَانَ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِينَ قَتْلَةً^(٢) .

وَلَوْ كَانَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ الْقِتَالُ مُمْكِنًا وَالْوُثُوبُ مُطِيعًا لِقَاتَلَ أَبُو بَكْرٍ وَنَهَضَ كَمَا نَهَضَ فِي الرَّدَّةِ . وَإِنَّمَا قَاتَلَ عَلِيٌّ فِي الزَّمَانِ الَّذِي [قَدْ^(٣)] أَقْرَنَ [فِيهِ^(٣)] أَهْلُ الْإِسْلَامِ لِأَهْلِ الشَّرْكِ^(٤) ، فَطَمَعُوا أَنْ تَكُونَ الْحَرْبُ

- ١٥ (١) فِي الْأَصْلِ : « وَبَيْنَ إِذْنِ » ، صَوَابُهُ فِي ح ٣ : ٢٧٥ .
 (٢) بَعْدَهُ فِي ح : « وَإِلَى بَعْدِ الْهِجْرَةِ » . وَالْكَلَامُ مِنْ أَوَّلِ قَوْلِهِ : « وَقَدْ تَعْلَمُونَ مَا كَانَ يَلْقَى » فِي ص ٣٧ س ١ إِلَى هُنَا مَوْضِعَ الرَّدِّ رَقْمَ (١٣) .
 (٢) يَبْدَأُ بَعْدَهُ اقْتِبَاسٌ جَدِيدٌ فِي نَسْخَةِ (ب) سَنَنْبِهِ عَلَى نَهَائِهِ .
 (٣) التَّكْمِلَةُ مِنْ ب .
 (٤) يُقَالُ أَقْرَنَ لَهُ ، أَيْ أَطْلَقَهُ وَقَدَّرَ عَلَيْهِ ، وَأَقْرَنْتَ فَلَانًا ، أَيْ صَرَفْتَ لَهُ قَرْنًا . ٢٠
 وَفِي ح : « فِي الزَّمَانِ الَّذِي اسْتَوَى فِيهِ أَهْلُ الْإِسْلَامِ وَأَهْلُ الشَّرْكِ » . وَالنُّصُوصُ الَّتِي فِي ح يَكْثُرُ فِيهَا التَّصَرُّفُ .

سجالاتاً ، وقد أعلمهم الله أن العاقبة للمتقين ، وأبو بكر مفتون مفرد^(١) [ومطروود مشرد ، ومضروب معذب^(٢)] ، في الزمان الذي ليس بالإسلام وأهله نهوض ولا حركة . ولذلك قال أبو بكر بعد أن استفاض الإسلام وضرب بجراحه وظهر أمره : « طوبى لمن مات في نأنة الإسلام » ، يقول :
 • في أيام ضعفه وقلته* ، حيث كانت الطاعة أعظم ، لفرط الاحتمال ، والبلاء أغلظ ، لشدة الجهد ، لأن الاحتمال كلما كان أشد وأدوم كانت الطاعة أفضل ، والعزم فيه أقوى .

ولا سوا مفتون مشرد لا حيلة عنده ، ومضروب معذب لا انتصار به ولا دفع عنده ، ومباطش مقرن^(٣) [يشقى غيظه ويروى غليله ، وله مقدم يكتفه ويشجعه .

ولا سوا مقهور^(٤)] لا يئاث^(٥) ، ولم ينزل القرآن بعد بطفره ،

(١) في الأصل : « مقنول » صوابه في ب . وبديل « مفرد » في ب « معذب » .

(٢) التكملة من ب . و « معذب » هي في أصلها هنا « ومغرب » .

(٣) ساق الإسكافي الكلام من « قلنا إن أبا بكر » ص ٣٩ س ٩ إلى هنا على هذا الوجه : « قال الجاحظ : ولأبي بكر مراتب لا يشرك فيها على ولا غيره وذلك قبل الهجرة فقد علم الناس أن علياً عليه السلام إنما ظهر فضله وانتشر صيته وامتحن ولقي المشاق منذ يوم بدر ، وأنه إنما قاتل في الزمان الذي استوى فيه أهل الإسلام وأهل الشرك وطمعوا في أن تكون الحرب بينهم سجالاتاً ، وأعلمهم الله تعالى أن العاقبة للمتقين . وأبو بكر كان قبل الهجرة معذباً ومطرووداً مشرداً ، في الزمان الذي ليس بالإسلام وأهله نهوض ولا حركة ، ولذلك قال أبو بكر في خلافته : طوبى لمن مات في نأنة الإسلام . يقول : في ضعفه » . ثم عقب عليه بالرد رقم (١٤) في ملحقات الكتاب .

(٤) المباطشة : مفاعلة من البطش وهو السطوة والأخذ بالعنف . والمقرن : المطبق

القادر . ب : « مفرق » .

(٥) التكملة من ب .

(٥) في الأصل : « لا يعاب » صوابه في ب .

وقد هتك اليأسُ لِطُولِ ما لِقِيَ حِجَابَ قلبه ، ونَقَضَ قوَى طمعه حتَّى
بقي وليس معه إلَّا احتسابه ، ومقاتِلُهُ في عسكرٍ معه عِزُّ الرَّجَاءِ^(١) وقوَّة
الطَّمَعِ ، وطِيبَ نَفْسِ الْآمِلِ^(٢) .

- فليس لعلَّ موقفٌ من المواقف إلَّا ولأبى بكرٍ أَفْضَلُ منه إمَّا في ذلك
الموقف وإمَّا في غيره . ولأبى بكرٍ مواقفٌ لا يَشْرَكَ فيها على ولا غيره . ٥
وإنَّما مُحَضَّصٌ علىٍّ وامتُحِنٌ من لدن يوم بدر إلى آخر غزوات النبي
صلَّى الله عليه وسلم^(*) وبين المحنة في الدهر الذي كان أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم فيه مُقَرَّرِينَ لأهل مَكَّةَ ومشركى العرب ومعهم أهل يثرب أصحاب
النَّخِيلِ وَالْأَطَامِ ، وَالْإِرْبِ وَالْإِقْدَامِ ، وَالصَّبْرِ وَالْمَوَاسَاةِ ، وَالْإِثَارِ وَالْمَحَامَاةِ ،
وَالْعَدَدِ الدَّثْرِ وَالْفِعْلِ الْجَزْلِ ، وبين الدهر الذي كانوا فيه بِمَكَّةَ يُفْتَنُونَ ١٠
وَيُشْتَمُونَ وَيُضْرَبُونَ وَيُشْرَدُونَ ، وَيَجُوعُونَ وَيَعْطَشُونَ ، مَقْهُورِينَ لَا حَرَكَ
بِهِمْ ، وَأَذِلَّةً لَا دَفْعَ عِنْدَهُمْ ، وَفُقَرَاءَ لَا مَالَ لَهُمْ ، وَمَغِيظِينَ
لَا يُمْكِنُهُمُ السُّفَهَاءُ^(٣) ، وَمُسْتَخَفِينَ لَا يُمْكِنُهُمُ اللَّقَاءُ^(٤) — فَرَقٌ بَيْنَ .
ولقد كانوا في حالٍ أخرجت لوطاً — وهو نبيٌّ ، والنبيُّ خَيْرٌ من
جميع الناس — إلى أن قال لقومه حين لقي منهم مَالِقَ : « لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ ١٥
قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ » . [وقال النبي صلى الله عليه وآله :
« عَجِبْتُ مِنْ أَخِي لُوطٍ كَيْفَ قَالَ : أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ^(٥)] وهو يَأْوِي
إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ !

(١) في الأصل : « غير الرجا » ، وفي ب : « عز الرجال » ووجههما ما أثبت .

(٢) هذا نهاية الاختيار الذي بدأ في ص ٣٩ س ١٢ .

(٣) كذا . ولعل قبلها كلمة ساقطة .

(٤) عند ابن أبي الحديد : « لا يُمْكِنُهُمْ إظهار دعوتهم » .

(٥) التكملة من ح .

ثم لم يكن ذلك يوماً ولا يومين ، ولا شهراً ولا شهرين ، ولا عاماً ولا عامين ، ولكن السنين بعد السنين .

- وكان أغلظ القوم محنةً وأشدّهم احتمالاً بعد رسول الله صلى الله عليه .
 أبو بكر الصديق ، لأنه أقام ما أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ،
 وذلك ثلاث عشرة سنة . وإنما قلنا ذلك من أجل أن الناس اختلفوا
 في مقدار مبعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى هجرته ، فقال قائل : خمس
 عشرة سنة ، وقال آخرون : ثلاث عشرة سنة ، وقال قوم : عشر سنين ،
 فكان أعدل الأمور وأقسطها طرح الطرفين ، والأخذ بأوسط الروايات* ،
 كما صنعنا في عمر علي بن أبي طالب ، حيث وجدنا ولداه جعفر بن محمد
 ١٠ [و] هو دونه ، يخبر أن علياً استشهد وهو ابن سبع وخمسين . وقالت
 (علماء الرافضة) : نحن أعلم به من ولده إلا الأئمة منهم . ولم يقل هذا
 القول إمامٌ منهم قط ، ولكن علياً استشهد وهو ابن ثمان وخمسين سنة ،
 ثم روى الناس بعد أنه استشهد وهو ابن ستين وابن ثلاث وستين
 وابن أربع وستين ، أخذنا بأوسط ما قالوا فطرحنا سنيه وسني عمر وعثمان
 ١٥ وأبي بكر والهجرة ومقام النبي صلى الله عليه بمكة ؛ فحصل العدد الذي أثبتناه
 في صدر ذكرنا القضية .

- * فإن قالوا : قد صنع علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمكة أفضل
 من جميع ما ذكرتم ، ولقي أشدّ مما لقي أفضلهم ، وذلك أن النبي صلى الله عليه
 وسلم أباته في مضجعه وعلى فراشه والشركون يَرصُدونه ، وقد سقط إليهم
 ٢٠ أن النبي صلى الله عليه وسلم يُريد المدينة ، فقد تحزّموا واجتمعوا وقلّبوا

الرأى فرأوا أن يبيتوه على فراشه إن لم يظهر لهم . فقال لعلى : « نتم على فراشى وتغش بردى الحضرمي » ، فإنهم إن رأوا حجمك فوق الفراش ودون البرد لم يستريحوا ، وخفى لهم^(١) أمرى ، ولم يتبعوا أثرى . فنام على فراشه ينتظر وقع السيوف ، ويتوقع رضخ الحجارة ، باذلاً نفسه مصطبراً .
 وليس فوق بذل النفس درجة^٥ يلتمسها صابر ، ولا يبلغها طالب .

وإن كان أبو بكر قد أحسن في خروجه وهجرته وصحبته ، وهربه مع النبي صلى الله عليه وسلم ، واستخفائه في الغار ، فإن ذلك لن يبلغ من الاحتمال والخطار والخوف ، قدر ما كان فيه على رضى الله عنه ، لأن طمع النجاة في أحدهما أقوى ، والنفس له أرجى .

١٠ قيل لهم : لو كان الأمر كما تقولون في هذين الخوفين لم يقيم صرف^{١٠} ما بينهما^(٢) بقدر عشر ما لقي أبو بكر من جميع ما وصفنا وما صنع أبو بكر في ثلاث عشرة سنة ، من كثرة الإنفاق ، وإيثار الفقر على الغنى ، والوحدة على الأنسة ، والهوان بعد الكرامة ، والخوف بعد الأمن ، والضرب والافتتان بعد الإكرام والتعظيم ، مع عتق المعذنين وكثرة المستجيبين ، ومع صرف وزن ما بين الطاعتين ؛ لأن طاعة الشاب الغرير أو الحدث الصغير ، الذى فى عز صاحبه عزه ، ليس كطاعة الحكيم المحتنك الأريب ، الذى لا يرجع تسويده لمن سوّده [و] إلى رهطه^{١٥} .

(١) فى الأصل : « لى » .

(٢) صرف ما بينهما ، أى فضل ما بينهما . يقال : بين الدرهمين صرف ، أى فضل ،

٣٠ لجودة فضة أحدهما .

• الكلام من « فإن قالوا قد صنع » ص ٤٢ س ١٧ إلى هنا موضع رد الاسكافى سياتى برقم (١٦) .

*) وفرق آخر : أن أمر الغار وقصة أبي بكر وصحبته مع النبي صلى الله عليه وسلم وكونه معه فيه ، نطق [به] القرآن وصح به الإجماع ، كالصلوات الخمس ، والزكاة المفروضة ، والنسل من الجناة ، حتى إن من أنكر ذلك عند الأمة مجنون أو كافر . وأمر علي ونومه على الفراش أنما جاء بحجج الحديث ، وكما تجيء روايات السير وأشعارها . وهذا لا يوازن ذا ولا يكايله * .

وأول مراتب العالم أن يعرف المارضة والمقابلة ، والمنقوص والمتساوي . ولو أن رجلاً من أوساط الناس أظهر شكاً في قصة علي ومبته ، وقال : قد سمعت ذلك ولعلّه ، ولكنني مشفق للذي^(١) أعرف من أكاذيب الشيع ، وتوليد محال السير ، لم يكن عليه بأس من الإمام .

ولو قال رجل لك ، وهو رجل من أوسط الناس : والله ما أدري والله ، لعل الله إنما عني بقوله : « ثاني اثنين إذ هما في الغار » علي بن أبي طالب ، لوجد عند الإمام غاية التكبر .

*) وفرق آخر : أنه لو كان مبيت علي علي فراش النبي صلى الله عليه وسلم جاء بحجج كون أبي بكر في الغار مع النبي ، لم يكن في ذلك كبير طاعة ، فضلاً عن أن يساوي أبا بكر أو يبرز عليه ، لأن الذين نقلوا — كاذبين كانوا أو صادقين — أن النبي صلى الله عليه وسلم أبات علياً على فراشه ، هم الذين نقلوا أن النبي عليه السلام قال : « تغش بردي ،

(*) الكلام من « وفرق آخر أن أمر الغار » في أول هذه الصفحة إلى هنا موضوع

٢٠ الرد رقم (١٧) .

(١) في الأصل : « الذي » .

ونم في مضجعي ، فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه » ؛ وهكذا لفظ هذا الحديث ، لا يشك في ذلك أحد . ولم يُنقل إلينا أن النبي صلى الله عليه قال لأبي بكر : أنفق واحتمل ، ولن تعطب ولن يصل إليك مكروه* .

(*) فإن قالوا : إن علياً وإن كان حدثاً — كما تزعمون — أيام مكة فإنه قد لحق السابق له ثم برز عليه بصنيعه يوم بدرٍ وأحد والحنديق ، ويوم خيبر ، وفي حروب النبي صلى الله عليه وسلم ، إلى أن قبضه الله سبحانه إلى جنبه ، فجمع أمرين : كثرة التعرض للمنايا ، وعظم الغناء بقتل الأقران والفرسان ، والقادة والسادة ، لأن من له من قتل الأنجاد والأجناد ما ليس لغيره ، فله من التعرض والاحتمال والصبر والاحتساب ما ليس لغيره .

قلنا : إن كثرة القتل وكثرة المشى بالسيف لو كان أشدّ المحن وأعظم الغناء ، وأدلّ على الرياسة ، كان ينبغي أن يكون لعليٍّ والزبير ، وأبي دُجّانة^(١) ، ومحمد بن مسلمة ، وابن عَفْرَاء^(٢) ، والبراء بن مالك من عظم الغناء واحتمال المكروه بالقدر العظيم ما ليس للنبي صلى الله عليه وسلم ،

(*) الكلام من قوله « وفرق آخر أنه لو كان » ص ٤٤ س ١٤ إلى هنا مريض الرد رقم (١٨) .

١٥

(١) بضم الدال . واسمه سماك بن خرشة . الإصابة ٣٧١ من قسم الكنى .
(٢) لم يذكر لنا الجاحظ من يعنيه ابن عَفْرَاء ، وهم ثلاثة : عوف ، ومعاذ ، ومعوذ ، بنو الحارث بن رفاعه ، وأهم عَفْرَاء بنت هبيد بن ثعلبة . السيرة ٥٠٣ . وكلهم شهد بدرًا ، واستشهد منهم فيها عوف ومعوذ ابنا عَفْرَاء . السيرة ٥٠٧ والإصابة ٦٠٨٧ ، ٨١٥٧ وإمتاع الأسماع ٩١ . وشهد العقبة منهم معاذ . الإصابة ٨٠٣٤ ، وأظهرهم شجاعة في تلك الحروب هو عوف ، قال ابن إسحاق : « وحدثنني عاصم بن عمر بن قتادة أن عوف بن الحارث وهو ابن عَفْرَاء قال : يا رسول الله ، ما يضحك الرب من عبده ؟ قال : غمسه يده في العدو حاسراً . فزرع درعاً كانت عليه فتذفها ، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل » . السيرة ٤٤٥ .

٢٠

لأنَّ النبيَّ لم يقتل بيده إلاَّ رجلاً واحداً^(١) ، وقد علمنا أنَّه ليس أحدٌ أشدَّ احتمالاً ولا أعظمَ غناءً ، ولا أظهرَ فضلاً منه صلى الله عليه .

وقد تجد الرجلَ يقتل الأقرانَ والفرسانَ وهو لا يستطيع أن يرفع طرفه في ذلك العسكر إلى رجلٍ آخر ليس فيه من قتل الأقران قليلٌ ولا كثير ، لمانٍ هي عندهم أكثر من مَشَى ذلك المقاتل بسيفه ، وقتله لقرنه .

وإذا ثبتَ أنَّ رئيسَ العسكر وأشباهه قد ثبتت لهم الرئاسة واستحقوا التقديم بنير التقدم والمباشرة ، ثبتَ أنَّ قتل الأقران ليس بدليلٍ على الفضيلة والرئاسة . أو ما تعلم أنَّ مع الرئيس من الاكتراث والاهتمام وشغل البال ، والعناية والتفقد ، ما ليس لغيره ، لأنَّه المخصوص بالمطالبة ، وعليه مدار الأمر ، وبه يستنصر المقاتل وباسمه ينهزم العدو ، وبتمبئته ورايته ومعرفته يُفلَّ الحدد ، ولأنَّ اختيارَ الحكيم دليل على احتمال طبيعته واستقلال نفسه ، ولأنَّ فرته أو عردته أعظم في المأثم والعار من عردةٍ غيره وفرّة غيره^(٢) . [و] لو لم يكن من بليته وشِدَّة ما مُحَصَّ به^(٣) إلاَّ أنَّ القوم لو ضيعوا

١٥٠ (١) هذا الرجل هو أبي بن خلف . قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد . السيرة ٥٧٥ ، وعبون الأثر ٢ : ١٤ — ١٥ وإمتاع الأسماع ١٣٩ ، وأما أبو مزة الجحى فلم يقتله بيده ، بل أمر عاصم بن ثابت أن يقتله ، فضرب عنقه وقتله صبراً . إمتاع الأسماع ١٦٠

(٢) في الأصل : « ولأنَّ قره أو عورته أعظم من المأثم والعار من عورة غيره وقره غيره » . والعردة : اسم المرة من عرد الرجل ، إذا هرب . اللسان (عرد ٢٧٩) .

٢٠ (٣) التمهيس : الابتلاء . قال ابن عرفة : ليحص الله الذين آمنوا ، أى ليبليهم . اللسان (محس) . والكلمتان قبلها مهملتان في الأصل .

جميعاً وحَفِظَ ما أضيفت الهزيمةُ إلاَّ إليه^(١) ، ولا كان المطلوبُ غيره ، ولا كان الذَّليلُ المهان غيره . ولهذا وأشباهه يكون الرَّئيسُ أعظمَ غناءً ، وأشدَّ احتمالاً ، لأنَّك [لو] قذفتَ فضْلَ صبرِ المقاتل الواحد في خِصاله لم تجد له أثراً ولم تُحِسَّ له حسّاً^(٢) .

- ٥ * واعلم أنَّ المشى إلى القِرْنِ بالسَّيفِ ليس هو على ما يتوهمه الغمر من الشدَّة والفضل وإن كان شديداً فاضلاً . ولو كان كما يظنُّون ويتوهمون ما انقادت النفس ولا استصجبت للقتال ،^(٣) لأنَّ النفس المستطِيعَة المختارة التي قتالها طاعة وفرارها معصية قد عُدَّت كاليزان في استقامة لسانه وكِفَّتِيه ، فإذا لم يكن بحذاء سيفه إلى السَّيفِ ومكروه ما يأتي به ، ما يُعَادِلُه ويُوازِنُه لم يمكن النَّفْسُ أن تختار الإقدام على الكفِّ ، ولكنَّ معه في وقت مشيه إلى القِرْنِ أمور تنفِّحه مشجِّعة^(٤) ، وإن لم يُبصرها الناس وقَضَوْا على ظاهر ما أبصروا من إقدام . والسبب المشجِّع ربَّما كان الغضب ، وربَّما كان الشَّرَابُ^(٥) ، وربَّما كان الغرارة والحدائث ، وربَّما كان الإحراج ، وربَّما كان الغيرة ، وربَّما كان الحمِيَّة وحُبُّ الأُحدوثة^(٦) ، وربَّما كان طباعاً كطباع القاسي والرحيم ، والسَّخَى^(٧) والبخيل ، والجزوع من وقْع السَّوْطِ ١٥

٥ (١) بعده في ح : « فضل أبي بكر بمقامه في العريش مع رسول الله يوم بدر أعظم من جهاد على عليه السلام ذلك اليوم وقتله الأبطال » . والكلام من « فإن قالوا إن علياً » س ٥ : ٤ إلى هنا هو موضوع الرد (١٩) .

(١) يعني بذلك أن الصبر أضعف الخصال عند المقاتل . وكلمة « قذفت » مبهمة في الأصل .

٢ (٢) تنفِّحه : تدفعه . ولم يعجم من تلك الكلمة في الأصل إلا الفاء . وكلمة « مشجعة » رسمت في أصلها « مسجج » . وانظر سياق الكلام .

(٣) كذا جاءت الكلمة واضحة في الأصل .

(٤) ح ٣ : ٢٧٨ : « وربما كان لمحبة النفخ والأحدوثة » .

٢ (٥) الكلام من « واعلم أنَّ المشى » س ٤ إلى هنا موضع الرد رقم (٢٠) .

والصَّبْر ، وربما كان السَّبَبُ الدِّينَ ، ولكن لا يَبْلُغُ الرَّجُلُ بِقُوَّةِ الدِّينِ في قلبه ما لم يَشِيعْهُ بعضُ ما ذكرناه أن يَمْشِيَ إلى السَّيْفِ ؛ لأنَّ الدِّينَ مَكْتَسَبٌ مَحْتَلَبٌ ، وليس بأَصْلِيٍّ ولا طَبِيعِيٍّ ، ولأنَّ ثَوَابَهُ مُؤَجَّلٌ ، والخِصَالُ التي ذكرناها طَبِيعِيَّةٌ أَصْلِيَّةٌ ، وثَوَابُهَا مُعْجَلٌ .

• وقد يكون مع الإنسان أسباب محدِّرة مجبِّنة ، فيكون رُكُونُهُ ^(١) وجُلُوسُهُ طِبَاعاً لا يَمْتَنِعُ مِنْهُ . وربما كانت الأسباب من المشجَّعات والمجبِّنات سواءً ، فيكون جلُوسُهُ عن الحرب وقتالهِ فيها اختياراً . وربما فضلت قُوَى مشجَّعاته حتَّى يكونَ إقدامُهُ أَشْراً ومرحاً ، واهتزازاً وطِبَاعاً ، ولا يكون ذلك طاعةً وإن كان في الحُكْم طاعة . وكذلك الجُنُن إذا أفرطَ على صاحبه حتَّى يكونَ فِرَارُهُ ^(٢) طِبَاعاً لا يكون معصيةً وإن كان في الحُكْم معصية .

ولم نردِّ بهذا الكلام تنقُّصَ علىِّ رحمه الله ولا إخراجَهُ من الغِنَاء واحتمال المَكْرُوه ، كما لم نرد تنقُّصَ الزُّبَيْرِ وأبى دُجَانَةَ وابن عَفْرَاءَ ومُحَمَّدَ ابنِ مُسْلِمَةَ ، ولكن هكذا صِفَةُ المُسْتَطِيعِ المُكَلَّفِ ، والمُطِيعِ والمُعَاصِي .

١٥ وإذا كان مع صاحب الإقدام من الأمور المشجَّعة أمورٌ فاضلة على أسباب جُبْنِهِ وجُلُوسِهِ ، كان عندَ الله غيرَ مأجور وإن كان في الحُكْم الظَّاهِرِ مأجوراً .

(١) في الأصل : « رُكُوبُهُ » ، تحريف .

(٢) أوجز الإسكافي هذه العبارة وما ورد في صفحة ٤٧ س ٧ من قوله

« لأن النفس المستطية » على هذه الصورة ، كما ورد عند ابن أبي الحديد ٣ : ٢٧٨ -

٢٧٩ : « قال الجاحظ : فصاحب النفس المختارة المعتدلة يكون قتاله طاعة وفِراره معصية ،

لأن نفسه معتدلة كالميزان في استقامة لسانه وكفّتيه ، فإذا لم يكن كذلك كان إقدامه طِبَاعاً

وفِراره طِبَاعاً » . ثم رد عليها بالرد رقم (٢١) .

وإن كانت الأسباب المشجعة في وزن الأسباب المجبئة كان مطيعاً ولم يكن حيثُ وضعت القوم ، لأنهم توهّموا مع مشيه بالسيف إلى القرن احتمال المكروه كله ، ورفعوا من أوهامهم الأسباب التي لولاها لم يمكنه المشي إلى القرن بالسيف (١) .

٥ " ووجه آخر : أن علياً لو كان كما يقول شيعة ، ما كان له بكثرة المشي إلى القرن بالسيف وبقتله له كثير طاعة ، ولا احتمال مشقة ؛ لأن الشيعة [تزعم (٢)] أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعليّ : « إنك ستقاتل من بعدى الناكثين والقاسطين والمارقين » . والناس كثون : طلحة والزبير وأصحابهما ، والقاسطون معاوية وأصحابه ، والمارقون : عبد الله بن وهب وأصحابه .

١٠

فإن كانوا قد [صدقوا وما (٣)] كذبوا فما عسى أن يبلغ من احتمال من هو من البقاء والسلامة على ثقة . فالزبير وطلحة وأبو دجانة وابن عفرأ ومحمد بن مسلمة أعظم طاعة منه ، لأنهم أشد احتمالاً منه ، لأنهم يقدمون والمنايا شارة وهم يترجون ويخافون ، وعلى قلى ثقة من أمره ، ويقين من بقائه وسلامته . إلا أن يزعموا أن النبي ﷺ لم يقل هذا القول إلا قبيل وفاته . ولا سبيل لهم إلى علم ذلك . فيقال لهم : فذلك خصومكم يمكنهم أن يقولوا لكم : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال هذه الكلمة بُعِيدَ إسلامه ، وإذا لم يكن في قولكم إن النبي صلى الله عليه وسلم قالها له قبيل وفاته دليل ، ولا في قول خصومكم إن

١٥

٢٠ (١) في الأصل : « المشي إلى السيف » . وانظر ص ٦ .

(٢) تكملة يقتضيها السياق ، وبموضعها في الأصل علامة إلحاق .

(٣) بمثلها يستقيم الكلام .

النبي " قالها بُعِيدَ إسلامه دليل ، فأعدلُ الأمور وأنصفُها بينكم وبينهم أن تجعلوا الخبر في النصف ممّا بين إسلامه إلى وفاة النبي صلى الله عليه . فإذا كان ذلك كذلك فقد صار الزبير وطلحة وأبو دُجّانة ومحمد بن مسلمة وابن عفرأ أفضل منه* ، لأنّ الفضل في احتمال المكروه .

٥ وقد لمكم أن تزعموا أنّ النبي صلى الله عليه قال هذا الكلام لعلّ قبل وقعة بدر ، وأنتم إنّما تفخرون بوقعة بدر وقتاله بعد ذلك ، فما عسى يبلغ من قتال رجل قد وثق بالسلامة والبقاء إلى أن يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بدهر .

فإذا كان رئيسُ الجيش أعظم غناءً وأشدّ احتمالاً ، للذي وصفنا ، فأشبهه ١٠ القوم حالاً به أعظم غناءً وأشدّهم احتمالاً ، على قياس في الرئيس والكثير المشي بالسيف ولا أحد أشبه بالرئيس ممّن اختاره الرئيس وزيراً وصاحباً ، ومُكافئاً ومُعِيناً ، لأنّ الرجل إذا كان في رأى العين صاحب أمر الرئيس والمتولّى على الخاصّة والقربة منه في ظمّنه ومُقامه ، وخلواته ، وهرّبه واستخفائه ، وكان هو المبتدئ بالكلام عنده ، والفزع في الحوائج بعده ١٥ والثاني في الدعاء إلى الله ودينه ، ولا نعلم هذه الخصال اجتمعت في غير أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، لأنّه صاحبُه في كتاب الله سبحانه ،

(* الكلام من قوله « ووجه آخر » في ص ٤٩ س ٥ إلى هنا قد أوجزه الإسكافي على هذا الوجه عند ابن أبي الحديد (٣ : ٢٧٩) : « قال الجاحظ : ووجه آخر أن علياً لو كان كما يزعم شيعته ما كان له بقتل الأقران كبير فضيلة ولا عظيم طاعة ، لأنه قد روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال له : ستقاتل بمدى الناكثين والقاسطين والمارقين . فإذا كان قد وعده بالقاء بعده فقد وثق بالسلامة من الأقران ، وعلم أنه منصور عليهم وفاتلهم ، فعلى هذا يكون جهاد طلحة والزبير أعظم طاعة منه » . ورد عليه بالرد رقم (٢٢) .

قال الله عز وجل : « إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هَا فِي النَّارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا » ؛ فسمَّاهُ الله صاحباً في كتابه ثم سَمَّاهُ النبي صلى الله عليه صِدِّيقه من بين خلق الله ، حتَّى غلب على اسمه واسم أبيه ولقبه ونسبه ، حتَّى كان النَّاسُ أَيَّامَ رَسُولِ اللَّهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ يَقُولُونَ : قال عليٌّ وفعل عليٌّ ، وقال عثمانٌ وفعل عثمانٌ ، وقال عمرٌ وفعل عمرٌ ، وقال طلحةٌ وفعل طلحةٌ ، وقال الزُّبَيْرُ وفعل ، وجميع العشرة الذين هم في الجنة ، حتَّى إذا صاروا إليه قالوا : قال الصَّدِّيقُ وقال أبو بكرٍ الصَّدِّيقُ ، وفعل أبو بكرٍ الصَّدِّيقُ . ثم قول النبي صلى الله عليه وسلم فيه ، وهو القول الذي كان يُعِيدُهُ في كلِّ دارٍ ومنزل : « ما أَحَدٌ أَمَنَ عَلَيْنَا بِصُحْبَتِهِ وَمَالِهِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ » ١٠ وفي قوله : « ما أَحَدٌ أَمَنَ عَلَيْنَا بِصُحْبَتِهِ وَمَالِهِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ » ممانٌ كثيرةٌ ، فهمه الناس أم ذهبوا عنه . فهذا هذا .

ثمَّ كان النبي عليه السلام بِمَكَّةَ ثلاثَ عشرةَ سنةً ، في كلِّ يومٍ ذَرٌّ شارِقُهُ يَأْتِي مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ إِمَّا صَبَاحاً وَإِمَّا مَسَاءً ، حتَّى كان اليومُ الذي أذِنَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي الْهِجْرَةِ . وَإِنَّهُ أَتَاهُ مَهْجُراً^(١) فقال له أبو بكرٍ : ١٥ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، كيف جئتَ اليومَ في هذا الوقت ؟ ١٢ ونزل عن سريره وجلسَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم وجلسَ أبو بكرٌ بين يديه ، قال النبيُّ : هل عندك أحد ؟ قال : لا ، يا رسولَ اللَّهِ ، إِلَّا أَسْمَاءُ وَعَائِشَةُ . قال : « فَإِنَّ رَبِّي قَدْ أَذِنَ لِي فِي الْهِجْرَةِ » . فصانَ صُحْبَتَهُ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ غَيْرِهِ . ثم لم يُعْلِمْ بِخُرُوجِهِ غَيْرَ ابْنَتَيْهِ أَسْمَاءَ وَعَائِشَةَ ، وَغَيْرِ ابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ ٢٠ ابنَ أَبِي بَكْرٍ قَتِيلَ يَوْمِ الطَّائِفِ ، وكان هو الذي يتجسَّسُ لهما الأخبارُ ويأتِي بهما إليهما في النَّارِ ، لأنَّهما استخفيا في النَّارِ ثلاثاً ولم يُطْلَمَا على

(١) التهجير : السير في الهجرة ، وهي نصف النهار عند زوال الشمس .

أمرها غير عامر بن فهيرة مولى أبي بكر ، بدرى استشهد يوم بئر معونة ، فإنه كان يؤنسهما ويحدثهما ويخدعهما في تلك السفرة كلها . وكانت أسماء هي التي تأتيهم بأقواتهم في النار ، فكان صاحبته في النار ، وبمكة في طريقه إلى المدينة ، وعلى ظهره ركب النبي صلى الله عليه وسلم^(١) ، والثغفاني أجيره^(٢) ، وعامر بن فهيرة خادم النبي صلى الله عليه وسلم عتيقه ثلاث مرات^(٣) ومولاه ، والظاهر ظهره ، والمؤونة مؤنته ، وصحبة النبي صلى الله عليه وسلم مقصورة عليه ، محبوسة له ، مصونة عن سواء ، يُطلبان معاً ، وتجمل فيهما قريش شيئاً سواً .

وقالت الأنصار : لَمَّا سَمِعْنَا بِمَخْرَجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ وُهِمَ كُنَّا نَخْرُجُ إِلَى ظَاهِرِ حَرَّتِنَا نَنْتَظِرُهُ ، حَتَّى إِذَا لَمْ نَجِدْ ظِلًّا دَخَلْنَا ، وَذَلِكَ فِي أَيَّامِ حَارَّةٍ ، حَتَّى إِذَا كَانَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي قَدِمَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَلْنَا ذَلِكَ ثُمَّ دَخَلْنَا مَنَازِلَنَا ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَبْصَرَهُ رَجُلٌ مِنْ يَهُودٍ ، فَصَاحَ : يَا بَنِي قَيْلَةٍ^(٤) !! فَخَرَجْنَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) كان لأبي بكر راحلتان أعدهما للهجرة ، ركب إحداهما رسول الله . قال ابن إسحاق : « فلما قرب أبو بكر الراحلتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم له أفضلهما ثم قال له : اركب ، فذاك أبي وأمي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاني لا أركب بعيراً ليس لي . قال : فهي لك يا رسول الله بأبي أنت وأمي . قال : لا ، ولكن بالثمن الذي ابتعتها به ؟ قال : كذا وكذا . قال : أخذتها به . قال : هي لك يا رسول الله . » السيرة ٣٢٩ .

(٢) الثغفاني : نسبة إلى ثغفانة بن عدى بن الديل بن بكر . واسمه عبد الله بن أريقط ، وكان مشركاً يدهما على الطريق . قال ابن حجر في الإصابة ٤٥١٧ : « ولم أر من ذكره في الصحابة إلا الذهبي في التجريد . وقد جزم ابن عبد الغني المقدسي في السيرة له بأنه لم يعرف له إسلاماً » .

(٣) انظر ما سبق في ص ٣٢ س ٩ - ١٠ وص ٣٣ س ٣ .

(٤) قبيلة هي أم الأوس والخزرج ، وهي قبيلة بنت كاهل بن عذرة بن سمد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحلاف بن فضاعة . السيرة ١٤٠ . وفي السيرة ٣٣٤ : « يا بني قبيلة هذا جدكم قد جاء » . وفي إمتاع الأسماع ٤٥ : « هذا جدكم الذي تنتظرون » .

وسلم وهو في ظلّ نخلة ، ومعه أبو بكر ، في مثل سيّته وهيئته ،
وأكثرنا لم يكن رآه ، وركبته الناس وما نعرفه من أبي بكر حتّى
زال الظلّ عن النبيّ عليه السلام ، فقام أبو بكر فأظله بردائه ، فعرفناه
عند ذلك . فهذا هذا .

- ثم لما كان بعد ذلك في يوم بدر . وذلك أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم
لما عزم على محاربة قريش قال له سعد : يا نبيّ الله ، لنبنّ لك عريشاً
فتكون فيه وتقاتل بين يديك . فأذن لهم فبنّوه له ، فعدّل إليه بعد
أن عبّأهم وأقامهم على مصافهم وعلى مراتبهم ، فدخله وأدخل معه أبا بكر
وحده ، فلما استقرّ في العريش قال له أبو بكر : بعض مناشدتك
يا رسول الله^(١) فإن الله منجز لك ما وعدك . تحفّق النبيّ صلى الله عليه
عليه ١٠ خفقة في العريش فاتّبه وهو يقول : أبشّر يا أبا بكر ، أتاك نصر الله ،
هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده ، على ثنياه النقع^(٢) !

- فكان النبيّ صلى الله عليه وسلم وأبو بكر من بين يديه خلق الله
في العريش ، والناس موقوفون على مراتبهم ، فكانت هذه مرتبة أبي بكر .
ورتب لسعد بن معاذ بعد أن كان قائماً على رأسه على باب العريش متوشّحاً
١٥ السيف في نفر من الأنصار يحرسون العريش ومن فيه مخافة كسر
المدوّ والجولة .

فإذا كان النبيّ صلى الله عليه في ذلك اليوم في العريش ، وغير ما

(١) في السيرة ٤٤٤ : « بعض مناشدتك ربك » .

(٢) النقع : الفبار . وفي الروض الأنف ٢ : ٦٩ : « وفي حديث آخر أنه قال : رأيتني
على فرس له شعراء وعليه همامة حمراء ، وقد عصم بثنيتته الفار » .

إلى السيف ومعه صاحبه وصديقه ، وسيّد الأنصار وأفضلهم على باب العريش ، عُرِفَ أَنَّ عِظَمَ الْغَنَاءِ وَشِدَّةَ الْإِحْتِمَالِ وَالسَّبَبَ الدَّالَّ عَلَى الرِّيَاسَةِ غَيْرُ الَّذِي خَصَّهُ الْقَوْمُ وَجَعَلُوهُ دَلِيلًا . فَمَنْ أَوْلَى أَنْ يَكُونَ أَشْبَهُهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عِظَمِ الْغَنَاءِ وَاحْتِمَالِ الْمَكْرُوهِ ، وَالْحَالِ الرَّفِيعَةِ ، مَنْ كَانَ ثَانِيًا اثْنَيْنِ فِي التَّقَدُّمِ فِي الْإِسْلَامِ ، وَثَانِيًا اثْنَيْنِ فِي الدُّعَاءِ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَثَانِيًا اثْنَيْنِ فِي كَثْرَةِ الْمُسْتَجِيبِينَ وَالْأَتْبَاعِ ، وَثَانِيًا اثْنَيْنِ فِي الْغَارِ ، وَثَانِيًا اثْنَيْنِ فِي الْهَجْرَةِ ، وَثَانِيًا اثْنَيْنِ فِي الْعَرِيشِ ، وَفِي أَشْبَاهِ لِهَذَا كَثِيرَةٌ .

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمْ مِنْ يَوْمِ بَدْرٍ وَقَتْلِ عَلِيٍّ الْأَقْرَانَ وَفَضْلِهِ عَلَى مَنْ سِوَاهُ بِذَلِكَ ، فَقَدْ قَلْنَا فِي ذَلِكَ بِمَا قَدْ صَمَّمْتُمْ .

وَنَحْنُ ذَاكِرُونَ وَجْهًا آخَرَ لِيَزِيدَ فِي الْحُجَّةِ وَيَكْشِفَ مِنَ الدَّلَالَةِ .
تَزَعُمُ أَنَّهُ لَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [مِنْ لَهُ ^(١)]
مِثْلُ غَنَاءِ أَبِي بَكْرٍ وَنَبَاهَتِهِ وَكَرَمِ مَوْضِعِهِ ، لِأَنَّ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِثْلَ الزُّبَيْرِ ، وَطَلْحَةَ ، وَسَعْدٍ ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَعُمَانَ ، وَبِلَالٍ ، وَمِسْطَحٍ
ابْنِ أَنَاثَةَ ، وَعَامِرِ بْنِ فَهيرة . وَكَانَ فِي الْعَرِيشِ ، فَلَا أَحَدَ يَمْدُحُهُ
فِي النَّبَاهَةِ ، وَلَا فِي الْغَنَاءِ وَالرَّفْعَةِ ، وَالْإِحْتِمَالِ لَقَدْرُ الْخِلَافَةِ ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ
عَدَدْنَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ : رَجُلٌ أَسْلَمَ عَلَى يَدِهِ وَبَدُّعَانَهُ وَشَرَّحَهُ فَهُوَ سَبَبُ
حُضُورِهِ وَحُسْنِ بِلَاغِهِ ، وَرَجُلٌ أَسْلَمَ عَلَى يَدِهِ وَأَعْتَقَهُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ رِقِّ
الْعَذَابِ وَرِقِّ الْعُبُودِيَّةِ وَشَهِدَ بَدْرًا وَقَبِلَ ذَلِكَ بِمَوْتِهِ وَكُلْفَتِهِ ، وَإِمَارَتِهِ

- ونسبٌ وابن خالته كسطح بن أثاثه ، فقد كان ربيبته وابن خالته^(١) وعلى يده أسلم ، وبه استبصر ، ولم يزل في مؤونته قبل بدر وبعد ذلك وفي أيامه ، إلا ما كان من يمينه أيام حلف ألا يقربه ولا يُنفق عليه ولا يوطأ رحله ، للذي كان كبر^(٢) على عائشة مع حسان بن ثابت ، حتى أنزل الله سبحانه على رسوله براءة عائشة ، وأمر أبا بكر بالإِنفاق على مسطح^٥ وعياله ، وبالمغفرة عنه ، وأن يعيده إلى رحله ويحت جناحه ، فأنزل الله في محكم كتابه على نبيه يريد أبا بكر — وبين أن^(٣) يُفرد الله الآي ويخصه بمخاطبته وبين أن يريد في الجمهور فرق عظيم ، كما أثنى على جملة المهاجرين والأنصار — فقال الله وهو يريد أبا بكر : « ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤثوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعتفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم » . قال أبو بكر : بلى يا رب . فردّه إلى رحله وعفا عنه كما أمره الله ، وأجرى عليه وعلى عياله مثل الذي كان يُجرّيه .
- وإنما ذكر الله في هذه الآية القربى لأنه كان ابن خالته^(٤) ، وجعل أهله وعياله مساكين أبي بكر ، وهو أحد بني المطلب بن عبد مناف^(٥) ، وشأنه عظيم .

(١) التحقيق أنه ابن بنت خالته . الإصابة ٧٩٢٩ والسيرة ٧٣٣ وإمتاع الأسماع ٢٠٧ . ومسطح لقب له ، واسمه عوف .

(٢) كبر من الكبر بالكسر ، وهو الإثم . وفي الكتاب الكريم : « والذي تولى كبره » ، قيل الكبر الإثم . وفي الحديث أيضا : « أن حسان كان من كبر عيها » . السنن (كبر) . في الأصل : « كان كثر » .

(٣) في الأصل : « وبين مؤمن » .

(٤) انظر ما سبق في الحاشية الأولى .

(٥) في الأصل : « بني عبد مناف » ، تحريف . انظر المعارف ٣٣ والإنباء على قبائل الرواة ٧٠ مع السيرة ٧٣٣ .

وكان أول من حث على قتال المشركين بدير وتكلم فيه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر .

فإذا شهد بنفسه ورأيه وماله ومستجيبه وأتباعه الذين هم أكفاه
ضده عندكم ، مع أن بعضهم قد اختير عليه وهو عثمان ، والباقيون لم
يخايرهم ويوازنهم [نهم] فيعرف موضع أفضلهم ، وقد نخر عليه سعد فلم
يعارضه ، فأين مبلغ ما ذكرتم مما ذكرنا ، إذا كان^(١) مثل سعد من
مستجيبه — وهو المستجاب الدعوة ، وأول من أراق دماً في الإسلام ،
وأول من رمى بسهم يوم بدر ، وله يقول النبي صلى الله عليه وسلم :
« أرم فذاك أبي وأمي » ، فجمع له أبويه ولم يجمعهما لأحد قبله .
١٠ وفيه يقول النبي صلى الله عليه : « هذا خالي أباهي فيه فليات كل امرئ
بخاله^(٢) » . وهو أزال كسرى عن قصره ومملكته وعن مستقره — ومثل
حواري رسول الله صلى الله عليه وابن عمته^(٣) ، مع فروسيته وشدة
بأسه والذي عظم الله من شأنه بدير حين نزلت الملائكة في زيّه ، عليها
عمائم صفر .

١٥ ثم الذي كان منه بدير حين أتى الخبر النبي صلى الله عليه عن قریش
بمسيرهم ، فاستشار النبي صلى الله عليه ، فكان أول من قام أبو بكر ،

(١) في الأصل : « وإذا كان » .

(٢) في رواية الترمذي من حديث جابر : « هذا خالي فليزني امرؤ خاله » . الإصابة

٣١٨٧ في ترجمة سعد بن أبي وقاص . ووجه خؤولته أنه سعد بن مالك بن وهيب بن عبد

مناف بن زهرة ، وأم الرسول صلوات الله عليه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة .

قال ابن قتيبة في المعارف ٥٧ : « ولا يعلم أنه كان لآمنة أخ فيكون خال النبي صلى الله عليه

وسلم ، ولكن بني زهرة يقولون : نحن أخوال النبي صلى الله عليه وسلم ، لأن آمنة منهم » .

(٣) يعني الزبير بن العوام ، أمه صفية بنت عبد المطلب . الإصابة ٢٧٨٣ .

فتكلم وحث على الجهاد والنصرة ، ثم قام عمر ، ثم قام المقداد^(١) فقال :
يا رسول الله ، امض لما أراك الله ، فوالله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل
لموسى : « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون » ، ولكن اذهب
أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون . فوالذى بعثك بالحق أن لو سرت
بنا إلى برك ذات الغهاد^(٢) لجالدنا من دونه حتى نبغته .

فإن قالوا : إن أبا بكر لم يشهد [له] احتمال كاحتمال علي ، لأن
عليًا كان يمشى إلى السيف وأبو بكر وادع رافه في العريش ، ودونه
الحرس سعد بن معاذ وأصحابه ، والركاب له مناخة .

قلنا : قد طعنتم على النبي صلى الله عليه ، لأن الشان لو كان كما تقولون
لكان النبي صلى الله عليه وادعاً وكان علي محتيلاً صابراً . وهذا كلام قد
فرغنا منه مـرة^(٣) .

أوما علمت أن صاحب اللواء وإن كان لا يبارز ولا يمشى بالسيف
أنه يحتاج من المعرفة بالحرب وعورتها ، وإقبال أمرها وإدباره ، ويحتاج
مع اجتماع القلب واليقظة وقلة الحيرة ، والثبات عند الجولة ، والمعلم

(١) السيرة ٣٣٤ . وهو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك ، تبناه الأسود بن عبد يغوث
الزهرى فنسب إليه فقيل المقداد بن الأسود ، فلما نزلت : « ادعواهم لأبائهم » قيل له المقداد بن
عمرو . الإصابة ٨١٧٩ .

(٢) في الأصل : « برك ذات الغهاد » ، تحريف . وبرك بفتح الباء في الأكثر وكسرهما بعضهم .
والغهاد بكسر الغين في الأكثر وضعا . وكلمة « ذات » و « ذو » تزداد كثيرا في
أعلام البلدان ، كما قالوا : ذو أنيل ، وذو حسم ، وذو العرجاء ، وذات العلندي ، وذات
الإصا . انظر كتاب أسماء جبال تهامة ٣١ . وبرك الغهاد : موضع في أقصى هجر . والبرك :
حجارة مثل حجارة الحرة خشنة يصعب المسلك عليها وعرة ، كما ذكر ياقوت .

(٣) انظر ما سبق في ص ٤٥ — ٤٦ .

بموضع الشدة والانحياز^(١) إلى أكثر مما يحتاج إليه البارز ، لأن حفظ الجميع أشد من حفظ الواحد ، ولأن كل العدو يطالبه ويريد ختله ، وكل ذلك يعلمه وعينه ؛ لأن خطاه وضعفه أقرب إلى هلكة الجميع من ضعف البارز وخطئه .

٥ ولو كان الأمر كما تقولون ما كان أحد أسقط في الحرب ولا أصغر حظاً ولا أقل أجراً ومكاناً من الإمام الأكبر والرئيس الأعظم^(٢) لبعد ما بين بلاد عدوه من بلاده ، ولكان عامله أفضل منه .

١٠ * مع أنكم تزيدون في كثرة القتلى وتعظمون شأنهم لتعظموا به من شأن علي ، كصنيعكم في أمر علي ومرحبه ، حيث فخمتموه بالأشعار ونفختموه^(٣) بالبلاغات ، وسكنتم عن قتيل الزبير في ذلك اليوم . ومرحب ياسر أخوان شهدا الواقعة ، والنبأه ياسر^(٤) . فقصدتم إلى الأنخل فرفعتموه وشهرتموه إذ كان قتيل علي ، وقصدتم إلى الأرفع فأخملتموه^(٥) وأخفيتموه ، إذ كان قتيل الزبير . أو ما علمت أن الزبير وياسر التقيا فاضطربا بأسيا فهما فلم يغنيا شيئاً مراراً ، حتى لحجا في موضع^(٦) واعترضت

١٥ (١) في الأصل : « الانحياز » ، تحريف . والانحياز : أن يعدل عن المكان ويتركه إلى آخر . وفي اللسان : « يقال للأولياء انحازوا عن العدو وحاصوا ، والأعداء انهزموا وولوا مدبرين » .

(٢) بعده في الأصل : « أقل أجراً وأصغر حظاً » ، وهو تكرار .

(٣) في الأصل : « نفختموه » .

٢٠ (٤) مرحب اليهودي وأخوه ياسر ، قتلا في غزوة خيبر . السيرة ٧٦٠ - ٧٦١ .

وقد ذكر ابن إسحاق أن الذي قتل مرحباً هو محمد بن سلمة . قال ابن سيد الناس ١٣٤ : « هذه رواية ابن إسحاق في قتل مرحب . وروينا في الصحيح من حديث سلمة بن الأكوع أن علي بن أبي طالب قتله » .

(٥) في الأصل : « فاحتلمتموه » .

٢٥ (٦) لحج في موضع : نشب فيه ولزمه .

بينهما شجرة ، فجذبأها^(١) ضرباً وخبطاً ، ثم جمع الزئير نفسه ومكن سيفه فضرب رأس ياسر ضربة قد منها البيضة ومر السيف حتى عَضَ ثَنِيَّتَيْهِ ، فقليل له : يا أبا عبد الله ، ما أجود سيفك ! فغضب^(٢) .

وقصدتم إلى عمرو بن عبد ود ، فتركتموه أشد من عامر بن الطفيل ، وعُتَيْبَةُ بن الحارث ، وبسطام بن قيس .

٥

وقد سمعنا بأحداث حروب الفجار ، والذي كان بين المطيبين والأحلاف ، وما كان بين قريش ودوس وأمر خُزاعة وحلف الفضول ، وجميع أمر قريش من خير وشر ، فما سمعنا لعمرو بن عبد ود في شيء من ذلك ذكراً* .

١٠ ** وكذا قتيل^(٣) عليّ الوليد بن عتبة يوم بدر ، وما علمنا الوليد حضراً حرباً قط قبلها ولا بعدها ، ولا ذكر فيها بطائل** .

فلو ذهبتم إلى أن عليّاً قد بارز وقتل ، وأبلى واحتمل ، كان ذلك

(١) جذب المني وجذمه : قطعه .

(٢) في السيرة ٧٦١ : « كان إذا قيل له : والله إن كان سيفك يومئذ لصارماً مضياً ، قال : والله ما كان صارماً ولسكني أكرهته » .

١٥

(٣) أوجز الإسكافي — على ما أورده ابن أبي الحديد في ٤ : ٢٧٩ — عبارة الجاحظ من قوله « مع أنكم تزيدون في كثرة القتلى » في س ٥٨ س ٨ إلى هنا على هذه الصورة « قال الجاحظ : ثم قصد الناصرون إلى والقائلون بتفضيله إلى الأقران الذين قتلهم فأطروهم وغلوا فيهم وليسوا هناك . فمنهم عمرو بن عبد ود ، زكوه أشجع من عامر بن الطفيل ، وعُتَيْبَةُ

٣٠ ابن الحارث ، وبسطام بن قيس . وقد سمعنا بأحداث حروب الفجار وما كان بين قريش ودوس وحلف الفضول فاسمعت لعمرو بن عبد ود ذكراً في ذلك » . ورد عليه بالمناقضة رقم (٢٣) .

(٣) في الأصل : « ولو قيل » بالإهمال . وعند ابن أبي الحديد ٤ : ٢٨١ : « وقد أكثروا

في الوليد بن عتبة بن ربيعة قتيله يوم بدر » .

٥٥ هذه الفقرة موضع الرد رقم (٢٤) .

جِيلاً ، وكان قصداً مقبولا ، ولكنكم أخرجتموه من حدّ الشجاعة ،
وظننتم أنّ السّرّف أمثلُ وأجلّ .

وزعمتم أنّ الذي^(١) منع العربَ وقريشاً أن تجعله الخليفةَ بعد النبيّ
صلى الله عليه وسلم أنّه كان قتلَ أبناءها وإخوتها وأعمامها ، وما يُعلمُ موضعُ
رجلٍ واحدٍ يومَ توفّي النبيّ صلى الله عليه وسلم تسمع له الخاصّةُ والعامّةُ
وترى له طاعةً ، قتلَ عليّ أباه أو ابنه أو أخاه ، غير أبي سفيان بن
حَرْب ، فقد كان عليّ قتل ابنه حنظلة ، وما كان أحدٌ من عِليّة قريشٍ
والعربِ أقربَ إلى أن يُخالفه في الحقّ والباطل في ذلك الدّهر من
أبي سفيان ، وقد كان أكره الناسِ لأبي بكر حين قال لبني هاشم
وبني أميّة : « رضيتُم معشرَ بني عبد مناف أن يليَ أمورَكم رجلٌ من
بني تيم » . فإذا كان الذي قتلَ عليّ أنّه هو الذي أظهر كراهيةَ أبي بكرٍ
من بين الناس فكيف حولتم القضيّة وقلّبتُم المعنى ؟

فإن ذكروا أبا حذيفةَ بنَ عتبة لأنّ علياً قتل أخاه ، قيل : أيكونُ
أبو حذيفة ممّن أتى عليّاً بهذه الملة ، وأبو حذيفة شهد بدرًا فقاتلَ أباه
وأخاه وعمّه ، واحتملت نفسه وعزمه وصحّة إسلامه هذا الصّنيع ثمّ يجزّع
مِن أقلّ منه بعد الزّيادة في الاستبصار ، وبعد طول الدّهر وموت
الأحقاد ؟ ! وهذا ما لا يُشبه ولا يجوز . وكيف يجوز ذلك عليه وهو من
المهاجرين الأوّلين ، والسابقين الأوّلين ، وشهد بدرًا والمشاهد كلّها ،
وقبض النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو عنه راضٍ ، واستشهد يومَ البِمامة
ولواه المهاجرين في يده .

(١) في الأصل : « النبي » تحريف .

وكيف يُظَنُّ هذا بأبي حذيفة ولم يُرو عنه في كراهية عليٍّ حرفٌ قطُّ ، ولا قبضَ لذلك وجهاً ولا أظهرَ تعجباً ؟ !

وكيف يُظَنُّ هذا بالبدرين والمهاجرين الأولين ومنعُ عليٍّ القيامَ بأمر الناس على هذا الوجه وعلى هذا المعنى كُفِّرَ بالله ورسوله . وكيف يُضْطَفَنُ امرؤٌ على عليٍّ ويُسَلَمَ قلبه لرسول الله صلى الله عليه ؟ ! لأنه إن كان يعتدُّ صنيعَ عليٍّ ذنباً حتى يولَّد له حقداً والذي تفرد^(١) على بذلك أعظم ذنباً وأجدرُ أن يولَّد حقداً . وهذا أخش قبحاً ، وأبين خطأً من أن يُمَحَرَّجَنَا إلى^(٢) كشفه وتبيينه .

وكيف يجوز هذا على أبي حذيفة ولا نعلم رجلاً في الأرض أبعدَ من حمية الجاهلية منه ، ولا أسمحَ نفساً بما وافق كتابَ الله منه . ولقد بلغ من إخلاصه ورسوخ الإسلام في قلبه ، وحُبِّه عليه وبِغْضَتِهِ فيه أن طرَحَ كلَّ ما سواه ، وأخرجَه ذلك إلى أن زوَّجَ أخته فاطمة بنتَ عتبة ابن عبد شمس^(٣) ، من سالم مولى أبي حذيفة ، وقال له : والله إنِّي لأزوِّجُكِها وأعلم أنَّك خيرٌ . !! فعاتبه على ذلك بعضُ من نكَّره ذكره فقال : أفِي سالمٍ تعاتبني وقد سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ يَحِبُّ اللهَ بِكُلِّ قَلْبِهِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى سَالِمٍ .

(١) كذا وردت هذه العبارة .

(٢) في الأصل : « على » .

(٣) هذا اختصار في النسب ، وإنما هي فاطمة بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس . على أن الكلام خطأ تاريخياً ، فإن أبا حذيفة إنما زوج سالماً ابنة أخيه فاطمة الوليد بن عتبة ، كما في ترجمة سالم في الإصابة ٣٠٤٦ و ترجمة فاطمة في الإصابة ٨٥٢ من قسم النساء . وكان أبو حذيفة قد تبنى سالماً يرى أنه ابنه . وأما فاطمة بنت عتبة أخت أبي حذيفة بن عتبة فهي عمتها .

(٢٠) مع أن لأبي بكر من حُسن الأثر في حروب النبي صلى الله عليه ومن احتمال المكروه وتجرُّع المرار ما ليس لأحدٍ .

(٢١) من ذلك أن أبا بكر خرج إلى ابنة عبد الرحمن بن أبي بكر ليبارزه يوم أحد ، لأنَّ عبد الرحمن طلع يوم أحد على فرس وهو مُكفَّر في السَّلاح لا يُرى منه إلَّا عيناه وهو يقول : [هل (١)] مِن مبارز ! ثلاثاً ، كلَّ ذلك يقول : أنا عبد الرحمن بن عتيق . فهض أبو بكر يَسعى إليه بسيفه ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم حين رأى غضبه وحِدَّتَه ، وعرف الذي عليه من الشَّدَّة في قتل ابنة : « شِمَّ سيفك وارجع إلى مكانك ومتَّعنا بِنَفْسِكَ » .

١٠ (٢٢) وإنَّما يمكن أبا بكر بذلُ الجهد ، فإذا فعل ذلك فلا حالَ أفضلُ من حاله (٢٣) .

فاجتمع له في ذلك أمران : أحدهما الثَّواب على شِدَّة الاحتمال ، والثاني صيانة النبي صلى الله عليه وإشفاقه عليه .

(٢٤) نقل ابن أبي الحديد في ٣ : ٢٨١ نصاً من الثمانية لعل موقعه قبل هذا . وهو : ١٥ « قال الجاحظ : وقد ثبت أبو بكر يوم أحد كما ثبت على ، فلا نغر لأحدهما على صاحبه في ذلك اليوم » .

ثم رد عليه بالرد رقم (٢٥) .

(١) التكملة من ابن أبي الحديد ٣ : ٢٨١ .

(٢٥) شام سيفه يشيمه : رده إلى قرابه . والنظر رد الإسكافي على هذه الفقرة في ٢٠ رقم (٢٦) .

(٢٦) أورد الإسكافي هذه العبارة بهذه الصورة كما نقل ابن أبي الحديد ٣ : ٢٨١ . « قال الجاحظ : على أن أبا بكر وإن لم تكن آثاره في الحرب كما آثار غيره فقد بذل الجهد وفعل ما يستطيعه وتبلغه قوته . وإذا بذل المجهود فلا حال أشرف من حاله » . ثم رد عليها بالرد رقم (٢٧) .

وقوله « ارجع إلى مكانك وامتعنا بنفسك » ، فليس في الأرض معني شريف فاضل من معاني الدين والدنيا إلا وهو في هذه الكلمة .

وأبو بكر الذي لما رُمِيَ النبي صلى الله عليه وسلم في يوم أحد أقبل يسمى وإذا إنسانٌ قِبَلَ المشرق يطير طيراناً ، فلما رآه أبو بكر قال :
 اللَّهُمَّ اجعله طلحة ! فلما تَوَافَيَا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذا هو أبو عبيدة
 ابن الجراح ، فبدره أبو عبيدة وقال : أسألك بالله يا أبا بكرٍ إلا تركتني
 فوليتني نزعها — يعني حدائد الزرد اللواتي تَشِينُ في وَجْهِهِ [و] جبينه من المِغْفَر —
 فقال النبي صلى الله عليه وسلم : عليكم صاحبكم ! يعني طلحة .

وثرم أبو عبيدة يومئذٍ من نزع حلقة امتنعت عليه .

ولصنيع طلحة وأبي بكر وموقفهما قالوا : « يومُ أحدٍ لبني تيم » ؛ لأنَّ
 الذين صَبَرُوا مع النبي صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار سبعة : أبو بكر
 وطلحة من تيم ، وعبد الرحمن بن عوف من بني زهرة ، وعلى من بني
 هاشم ، والزبير من بني أسد ، وأبو عبيدة من بني عامر . وإنما قالوا « يومُ
 أحدٍ لبني تيم » لأنه لم يكن من كل قبيلة إلا رجلٌ واحد من المهاجرين ،
 وكان فيه رجالان من بني تيم كما ذكرنا .

وكان من الأنصار سبعة : الحَبَّاب بن المُنْذِر بن الجُوح ، وأبو دُجَانة ،
 وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، والحارث بن الصَّمَّة ، وسَهْل بن حُنَيْف
 وأَسِيد بن حُضَيْر ، وسعد بن مُعَاذ .

وأبو بكرٍ أوَّلُ من تكلم يوم بدرٍ وحثَّ الناس على الجهاد .

وأبو بكر الذي لما قال النبي صلى الله عليه وسلم الحديبية : « كيف ترون »

يا معشر المسلمين في هؤلاء الذين قد^(١)... إلينا مَنْ أَطَاعَهُمْ لِيَصُدُّوَنَا عَنِ
المسجد الحرام « قام أَوَّلَ النَّاسِ فقال : نرى — والله ورسوله أعلم — أن
نمضى لوجهنا ، فَمَنْ صَدَّنَا عَنِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ قَتَلْنَاهُ .

وأبو بكر الذي لما أتى بُدَيْل بن ورقاء الخزاعي يوم الحديبية في نفرٍ
من أصحابه ، فأقبل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، لقد اغتررت
بقتال قومك وإنَّ قريشاً ستقاتلكم عن ذراريهم وأموالهم ، قد استنفروا
الأحابيش وخرجوا إلى بلدح^(٢) ، معهم العوذ المطافيل ، والله ما أرى معك
أحدًا له وجه ، مع أنني أراكم قومًا لا سلاح لكم ، ولو قد عضَّ هؤلاء
الحديد لقد أسلموكم . قال أبو بكر : عضضتَ ببظر اللات ، أنحن نُسليه ؟
قال له بُدَيْل : أما والله لولا يدك لك عندي لأجبتك ، والله إنِّي وقوى
لنحبُّ أن يظهرَ محمد !

وأقبل عُرْوَةُ بن مسعودٍ في نفرٍ من قومه حتَّى أناخ راحلته عند النبي
صلى الله عليه وسلم وقال : إني تركتُ كعباً وعامراً على أعداد الحديبية^(٣)
معهما العوذ المطافيل ، وما أرى معك أحدًا أعرفُ وجهه ونسبه ، وإنهم
لَخُلُقَاءُ أَنْ يَخَذُلُوكَ — والقومُ سُكُوتٌ — فغضب أبو بكر وقال : امصصْ
ببظر اللات^(٤) ، أنحن نخذله ؟ قال عُرْوَةُ : أما والله لولا يدك لك عندي

(١) كذا ورد في الأصل .

(٢) بلدح : واد قبل مكة من جهة الغرب . وانظر إمتاع الأسماع ٢٧٩ — ٢٨٠ .

(٣) أعداد : جمع عد بالكسر . وفي اللسان : « وفي الحديث : نزلوا أعداد مياه

الحديبية ، أي ذوات المادة كالعيون والآبار » . في الأصل : « عداد » تحريف .

(٤) في السيرة ٧٤٤ وعيون الأثر ٢ : ١١٦ : « بظر اللات » .

لأجبتك ! وكان عروة قد استعان في سمالة ، فكان الرجل يُعِينُهُ بالفريضة الثلاث ، فمضى إلى أبي بكرٍ فأعطاه عشر فرائض^(١) .

ألا ترى كثرة أياديهِ ونُبَلَه وامْنَمًا^(٢) ، وَحَدَّه وشهامته ورياسته ؟ فهذا وأشباهه يعرف قدز الرجل بمكة وفي قومه ، وعند النبي صلى الله عليه وسلم وجماعة أصحابه .

٥

ولو لم يُعَلِّمْ من شدة قلبه وصواب رأيه وقوة عزمه وقلة وخشيتِه ويُعْنِ بركته إِلَّا أَنَّ كبار المهاجرين دخلوا عليه ، منهم عمر وعثمان وأبو عبيدة ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل في جمع كثيف من المهاجرين ، فقالوا بأجمعهم : يا خليفة رسول الله ، إِنَّ العرب قد انتقضت عليك ، وإليك لن تصنع بتفريق هذا الجيش المنتشر شيئاً ، ١٠ اجعلهم عُدَّةً لأهل الرِّدَّة ترمي بهم نُحُورَهُمْ ، وأخرى أنا لا نأمن على المدينة أن يُنْغَارَ عليها وفيها الذَّرَارِيُّ والنِّسَاء ، فلو استأنيت بغزو الروم حتَّى يَضْرِبَ الإسلامُ بجرانه ويعودَ أهلُ الرِّدَّة إلى ما خرجوا منه [أ] وَ يُفْنِيَهُم السَّيْفُ ، ثم تَبَعَتْ أُسَامَةُ حينئذٍ ، فتكون قد أنفذت الجيش كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم وقد دفعت بهم أهل الرِّدَّة ، ولأننا نخاف ١٥ الروم أن تزحف إلينا يومنا هذا .

فلما استوعبَ أبو بكرٍ كلامهم قال : هل منكم أحدٌ يريد أن يقول شيئاً ؟ قالوا : قد سمعتَ مقاتلنا . قال : والذي نفسي بيده لو ظننتُ أَنَّ السَّبَاعَ تَأْكُلُنِي لَأَنْفَذْتُ هذا البعث ، ولا بدأتُ بأولى منه ، والنبي صلى الله عليه وسلم ينزلُ عليه الوحي من السماء وهو يقول : أَنْفِذُوا جيشَ أُسَامَةَ . ٢٠

(١) أصل الفريضة البعير المأخوذ في الزكاة ، ثم اتسع فيه فسمى كل بعير فريضة .

(٢) كذا وردت هذه الكلمة .

فلما رأى إبطاءهم عن ذلك وتلكؤهم خرج وحده مغضباً نحو أهل الرِّدَّة حتَّى لحقه المهاجرون والأنصارُ في المسلمين ، فقالوا : تُكفَى يا خليفة رسول الله ، وننفذُ لأمرِكَ ، والصَّوابُ ما رأيت .

فلو لم تعلم من شدَّة قلبه واجتماع رأيه وقلة وحشته إلَّا هذا ٥ كان كافياً .

وأبو بكرٍ الذي ولَّاه النبيُّ صلى الله عليه يومَ حُنينٍ مَيمنتَه ، وولَّى عُمرَ ميسرتَه . فلم يكن النبيُّ صلى الله عليه ليستكفِيهما أُمُّ الموضع إليه وهما لا يكفِيانه .

ولقد انكشفَ النَّاسُ وثبتا في مواضعهما ، وكان أقربَ القوم إلى النبي صلى الله عليه وسلم يومئذٍ - إذ كان لا بدَّ لصاحب الميمنة والميسرة ١٠ من أن يكون أبعدَ ممَّن يكون في القلب - أبو سفيان بن الحارث ، والعبَّاس بن عبد المطلب ، والفضل بن عباس ، وربيعة بن الحارث ، وأُيَمن بن عُبيد^(١) أخو أسامة بن زيدٍ لأمِّه وصَبَرَ مع النبي صلى الله عليه عليه وسلم بعد هؤلاء مائةٌ وثلاثة وثلاثون من المهاجرين ، وسبعة ١٥ وستون من الأنصار .

ومما نعرف به شدَّة شكيمته وصدقَ وصرامته رأيه قوله للمسلمين يومَ توفَّى النبي صلى الله عليه وسلم حيث قامَ خطيباً وبالمدينة منافقون لا يألونهم خبالاً يَعْضُونَ عليهم الأناملَ من الفيظ ، وقد انتقض ما حول المدينة ، فكان ممَّا قال في خطبته :

٢٠ (١) في الأصل : « أُيَمن بن عبد الله » ، صوابه في السيرة ٨٤٥ والإصابة ٣٩١ وإمتاع الأسماع ٤٠٧ . ويسمى أيضاً « أيمن بن أم أيمن » .

- مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، فليعبده . وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ
مُحَمَّدًا أَوْ يَرَاهُ إِلَهًا فَقَدْ هَلَكَ إِلَهُهُ . فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا النَّاسُ ، وَاعْتَصِمُوا
بِدِينِكُمْ ، وَتَوَكَّلُوا عَلَى رَبِّكُمْ ، فَإِنَّ دِينَ اللَّهَ قَائِمٌ ، وَكَلِمَةُ اللَّهِ قَائِمَةٌ ،
وَاللَّهُ نَاصِرٌ مَنْ نَصَرَهُ ، وَمُعِزٌّ دِينَهُ . وَإِنَّ كِتَابَ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ،
وَهُوَ النُّورُ وَالشِّفَاءُ ، وَبِهِ هَدَى اللَّهُ مُحَمَّدًا ، وَفِيهِ حَلَالُ اللَّهِ وَحَرَامُهُ .
- ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ مَا نُبَالِي مَنْ أَجْلَبَ عَلَيْنَا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ . إِنَّ سَيْفَ
اللَّهِ الْمَسْلُوكَةَ مَا وَضَعْنَاهَا عَنْ عَوَاتِقِنَا ، وَلَنُجَاهِدَنَّ مَنْ خَالَفَنَا ، فَقَدْ جَاهَدْنَا
مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ؛ فَلَا يُبْقَيْنَ مُبْقٍ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ .
- وَأِنَّمَا قَالَ : « مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا أَوْ يَرَاهُ إِلَهًا فَقَدْ هَلَكَ إِلَهُهُ » لِأَنَّهُ
كَانَ سَمِيعَ مَنْ عَثَانَ بْنِ عَفَّانَ وَعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي ذَلِكَ كَلَامًا قَبِيحًا
- ١٠ حَتَّى مَاجَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ وَقَالُوا : وَاللَّهِ مَامَات ، وَلَكِنْ اللَّهُ رَفَعَهُ كَمَا رَفَعَ
عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ ، فِي كَلَامٍ سَنَذْكُرُهُ بَعْدَ هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ (١) .
- وَمَا يَدُلُّ عَلَى خَاصَّةِ مَكَانِهِ وَتَقْدِيمِ النَّاسِ لَهُ ، وَمَعْرِفَةِ الْجَمِيعِ لِفَضْلِهِ ،
الَّذِي كَانَ مِنْ صَنِيعِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ صَنِيعِ جَمِيعِ
المُسْلِمِينَ ، وَمِنْ صَنِيعِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ بِهِ ، حَيْثُ فَرِغَتْ إِلَيْهِ فِي أَمْرِ أُسَارَى
- ١٥ بَدْرٍ دُونَ غَيْرِهِ ، لِأَنَّهُمْ لَمَّا حُبِسُوا يَبْدُرُ وَاقْتَرَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِمْ طَمِعُوا
فِي الْحَيَاةِ ؛ فَقَالُوا بِأَجْمَعِهِمْ : لَوْ بَعَثْنَا إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَإِنَّهُ أَوْصَلُ قُرَيْشٍ
لَأَرْحَمُنَا ، وَلَا نَعْلَمُ أَحَدًا آثَرَ عِنْدَ مُحَمَّدٍ مِنْهُ ؛ فَبَعَثُوا إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَأَتَاهُمْ
فَقَالُوا : يَا أَبَا بَكْرٍ ، إِنَّ فِينَا الْآبَاءَ وَالْأَبْنَاءَ ، وَالْإِخْوَانَ وَالْعَمُومَةَ ، وَبَنِي
الْأُمِّ ، وَأَبْعَدُنَا قَرِيبَ ، فَكَلِّمْ صَاحِبَكَ يَمُنْ عَلَيْنَا أَوْ يُفَادِينَا . قَالَ : نَعَمْ
- ٢٠ لَا آلُوكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ خَيْرًا ؛ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ .

- فقالوا : ولو بعثنا إلى عمر ، فإننا لا نأمن أن يُفسد علينا ، فلعلّه أن يكفّ عنا شرّه ! فأرسلوا إليه فجاءهم ، فقالوا مثل قولهم لأبي بكر ، فقال : لا آلوكم إن شاء الله شرّاً ! ثم انصرف إلى النبيّ صلى الله عليه ، وإذا الناسُ حولَ النبيّ ، وأبو بكر يفتّوه^(١) ويلينّه وهو يقول : يا رسول الله ، بأبي أنت وأُمّي ، قومك فيهم الآباء والأبناء ، والعمومة والإخوان ، وبدو العمّ ، وأبعدهم منك قريب ، فامننّ عليهم منّ الله عليك ، أو فادهم يستنقذهم الله بك من النّار ، فما أخذت منهم فهو قوّة للمسلمين ، ولعلّ الله أن يُقبل بقلوبهم !! ثمّ قام فتنحّى ناحيةً وسكت النبيّ صلى الله عليه وجاء عمرُ جلسَ مجلسَ أبي بكر فقال : يا نبيّ الله ، هم أعداء الله كذبوك وقاتلوك وأخرجوك ، اضرب أعناقهم فإنهم رؤوس الكفر ، وأئمة الضلالة ، يمزّ الله بذلك الإسلام ويذلّ الشّرك !! فسكت النبيّ صلى الله عليه وسلم وعادَ أبو بكر إلى مجلسه وإلى مثل ذلك الكلام ، ثمّ تنحّى وقام عمرُ جلسَ مجلسَ وأعاد مثل الكلام الأوّل ، ثمّ تنحّى عمر وجلس أبو بكر ، ثلاث مرّات . فسكت النبيّ عليه السلام ، ثمّ قام فدخلَ قُبُورَهُ فسكت ساعةً وخرجَ والنّاسُ يخوضون ، يقولُ بعضهم : القولُ ما قال أبو بكر ، وبعضهم يقول : القول ما قال عمر . فخرجَ النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال : ما تقولون في صاحبكم ؟ دعوها فإنّ لها مثلاً : مثلُ أبي بكر في الملائكة مثلُ ميكائيل ينزل بالرضا والمغفوّ ، ومثله في الأنبياء مثلُ إراهيمَ كان ألينَ على قومه من العسل ، أوقدَ له قومه النّارَ فطرحوه فيها ، فما زاد عليّ أن قال : « أفـ لَكُمْ

(١) يفتّوه : يسكن غضبه . ورسمت في الأصل « يفتّوه » .

وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ . وقال : « فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » . ومثله كمثل عيسى إذ يقول : « إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » . ومثلُ عمرَ في الملائكة مثلُ جبريلَ ينزلُ بالسُّحُطِ من الله والنُّقْمَةِ . ومثله في الأنبياء مثلُ نوحٍ كان أشدَّ على قومه من الحجارة إذ يقول : « رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا » . فدعَا عليهم دعوةً أغرقَ الله بها الأرضَ جميعاً . ومثله مثلُ موسى إذ يقول : « رَبَّنَا اطْمِسْ كُلِّي أَمْوَالَهُمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ » . فهذا يدلُّ على أنَّه كان المَفْزَعُ والشَّفِيعُ ، والخاصَّةُ والثَّقَّةُ وموضعُ الفضيلة .

١٠

وقبلَ ذلكَ لما قصَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم على أهلِ مَكَّةَ كيف أُسْرِيَ به ، قالت قريشٌ على التكذيب له صلى الله عليه : والله إنَّ العيرَ لتطردُ شهراً من مَكَّةَ إلى الشامِ ثمَّ يكون إقبالها شهراً^(١) ، وزعم محمد أنَّه مضى إلى بيت المقدس ورجعَ من ليلته ١١ فأتوا بأجمعهم أبا بكرٍ ليحتجُّوا بذلك عليه وليعترفوه خطأه في اتِّباعه عند أنفسهم ، وظنُّوا أنَّ ١٥ الجواب في ذلك يمتنعُ إذ كان قد امتنعَ عليهم . فأتوا أبا بكرٍ فقالوا : هَلَكَ صاحبُك ! — ألا ترى أنَّه المذكور بالصُّحبة ، وموضعُ الحاجة ، وأنَّه المبتدأ والمَفْزَعُ — زعم أنَّه أتى بيتَ المقدس في ليلته وغداً علينا ١١ قال أبو بكرٍ : إنَّكم تكذبون عليه ، ولئن كان قاله لقد صدق ، فما تمجَّبون من ذلك ؟ ! فوالله إنَّه ليخبرنا أنَّ الخبر يأتيه من السماء ٢٠

(١) في السيرة ٢٦٤ : « إن العير لتطرد شهراً من مكة إلى الشام مدبرة وشهراً مقبلة » .

إلى الأرض في ساعة من ليلٍ أو نهار فأصدقته . فهذا أبعد من مصر^(١) .
ثم نهض أبو بكرٍ إلى النبي صلى الله عليه وآله ليسأله عن القضية ، فأقبل
النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصِف له وهو يقول : صدقتَ صدقتَ ! أشهد
أنك رسول الله ! قال النبي صلى الله عليه وآله : وأنت الصديق ! وقد كان
أبو بكرٍ الصديق أنى الشامَ وعرفَ طرقها وأمورها ، وقلَّتها وعرفَ
جميع ما فيها .

ثم الذي كان من تقديم النبي صلى الله عليه وآله له والمسلمين في قضية
الحديبية . وذلك أنهم كتبوا كتاباً :

هذا ما اصطاحَ عليه محمدُ بنُ عبد الله وسهيلُ بن عمرو . اصطاحا على
١٠ وَضَعَ الحربَ عَشْرَ حِجَجٍ يَأْمَنُ فِيهَا النَّاسُ وَيَكْفُ بِمَعْضِهِمْ عَنْ بَعْضٍ .
على أنه لا إسلالَ ولا إغلالَ^(٢) ، وعلى أن مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ
محمد وعهده فَعَلَّ ، ومن أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهَا فَعَلَّ ،
وعلى أنه من أَتَى مِنْهُمْ مُحَمَّدًا بِغَيْرِ إِذْنٍ رَدَّه ، ومن أَتَى قُرَيْشًا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ
لَمْ تَرُدَّه ، وعلى أَنَّ مُحَمَّدًا يَرْجِعُ عَامَهُ هَذَا بِأَصْحَابِهِ ، وَيَدْخُلُ عَلَيْهِمْ قَابِلًا^(٣)
١٥ فِي أَصْحَابِهِ فَيَقِيمُ ثَلَاثًا ، لَا يُدْخِلُ عَلَيْنَا السَّلَاحَ إِلَّا سِلَاحَ الْمَسَافِرِ ، السُّيُوفِ
فِي الْقُرْبِ . شهد أبو بكر بن أبي قحافة ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ،
وأبو عبيدة بن الجراح ، ومحمد بن مسلمة^(٤) . وشهد حُوَيْطِب بن عبد المزني
وَمِكْرَزُ بن حَفْص بن الأخيف .

(١) في الأصل : « أتعد من مصر » . وفي السيرة : « أبعد مما تعجبون منه » .

(٢) الإسلال : الغارة الظاهرة بسل السيوف ، والإغلال : الحيازة والغدر .

(٣) أى في العام القابل .

(٤) وكذا في إمتاع الأسماع ٢٩٨ . وفي السيرة ٧٤٩ وعيون الأثر ٢ : ١٢٠ » محمود

ابن مسلمة » . وهما أخوان .

- ألا تَرَى أَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ شَاهِدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي صَدْرِ الْكِتَابِ ، وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ بَعْدَهُ .
- وَنَحَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجَمَلَ عَنْ سَبْعَةٍ^(١) . فَأَوَّلَ خَلْقِ اللَّهِ سَمَّى أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ عُمَرُ ، ثُمَّ فُلَانٌ ثُمَّ فُلَانٌ . فَهَذَا هَذَا .
- ٥ ثُمَّ لَمَّا تَحَاجَزَ النَّاسُ يَوْمَ أُحُدٍ وَأَرَادَ أَبُو سَفْيَانَ الْإِنْصِرَافَ أَقْبَلَ يَسِيرُ عَلَى فَرَسٍ لَهُ أَنْثَى قَدْ أَشْرَفَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فِي عُرْضِ الْجَبَلِ يُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهِ : أَيْنَ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ ؟ يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . أَيْنَ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ ؟ أَيْنَ ابْنُ الْخَطَّابِ ؟ يَوْمَ بَيْتِ بَدْرٍ .
- أَلَا إِنَّ الْإِيَّامَ دَوْلٌ وَالْحَرْبَ سِجَالٌ ، وَحَنْظَلَةُ بِحَنْظَلَةٍ^(٢) قَالَ عُمَرُ :
- أَلَا أَجِيبُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : بَلَى . قَالَ أَبُو سَفْيَانَ : أَغْلِرَ هَبِلَ^(٣) ١٠
- قَالَ عُمَرُ : اللَّهُ أَغْلَى وَأَجَلٌ . قَالَ أَبُو سَفْيَانَ : لَنَا عَزْزٌ وَلَا عَزْزٌ لَكُمْ ١٥
- قَالَ عُمَرُ : اللَّهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ .
- فَلَوْلَمْ يَكُنْ أَبُو بَكْرٍ أَفْضَلَ مَنْ شَهِدَ أَحَدًا وَأَنْبَهَ ، أَوْ أَغْيَظَ لِأَبِي سَفْيَانَ وَالْمُشْرِكِينَ ، مَا جَعَلَهُ أَبُو سَفْيَانَ — وَهُوَ رَئِيسُ الْقَوْمِ — ثَانِيًا ، وَالَّذِي
- يَتْلُو النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فِي النَّدَاءِ وَالْمُخَاطَبَةِ ، حِينَ يَقُولُ : أَيْنَ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ ؟ ١٥
- ثُمَّ يَقُولُ : أَيْنَ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ . فَهَذَا هَذَا .

(١) هذا الجمل هو جل أبي جهل ، كان قد غنمه يوم بدر . إمتاع الأسماع ٢٧٥ ، ٢٩٩ — ٣٠٠ والسيرة ٧٤٩ وعبون الأثر ٢ : ١٢١ .

(٢) يشير إلى ما كان من مقتل ولده حنظلة بن أبي سفيان في وقعة بدر ، ومصرع حنظلة ابن أبي عامر غسل الملائكة حين لقيه في غزاة أحد ، فلما استعلاء حنظلة بن أبي عامر لمح شداد ابن الأسود فضربه شداد فقتله . فهو يذكر تأريه لولده . انظر السيرة ٥٠٧ ، ٥٦٧ — ٥٦٨ وإمتاع الأسماع ١٥٨ ، ١٤٩ .

(٣) هبل : صنم مشهور . أهل هبل ، أي أظهر دينك . السيرة ٥٨٢ والميسر والأزلام لمحقق الثمانية ص ٦٨ .

وفي نزول أبي بكر قبر حمزة قبل كل نازل بأمر رسول الله صلى الله عليه
دليل على الفضيلة والنباهة ، والقدر والوزارة .

ولما دخل أبو سفيان المدينة أتى النبي صلى الله عليه وقال : يا محمد
إني كنت غائباً في صلح الحديبية فاشدد العهد وزدنا في المدة . قال
أو لذلك قدمت يا أبا سفيان ؟ قال : نعم . قال : فهل كان فيكم من حدث ؟
قال : مآذ الله . قال النبي صلى الله عليه وسلم : فنحن على مدتنا وصلحنا ،
لا تبدل ولا نغدر . فلما خرج من عنده بدأ بأبي بكر^(١) فقال له : هل لك
إلى أن تجير بين الناس ؟ قال أبو بكر : رجواى فى رجوار رسول الله .
ثم خرج من عنده فأنى عمر فكلّمه بمثل ذلك ، قال عمر : إني لو وجدت
الذرّ تقاتلكم لأعنتها عليكم ! قال أبو سفيان : جربت من ذى رحمٍ شرّاً !
ثم أتى عثمان ، ثم أتى فاطمة ، ثم أتى علياً .

ألا ترى كيف جعلوه المقصد والمعتمد قبل الناس وبعد رسول الله
صلى الله عليه . ولو لم يكن حال عند أبي سفيان من النبي صلى الله عليه
فوق كل حال ما بدأ به قبل جميع من نزع إليه . فهذا هذا .

ثم الذى كان من تقرب النبي صلى الله عليه السلام ، وإكرامه له يوم فتح
مكة ، وهى الدار التى خرجا منها هاربين معاً ثم رجعا إليها آمنين معاً ،
يتسايران ويتحدثان ، حيث طلع النبي صلى الله عليه وسلم على العباس
وأبي سفيان ، والنبي صلى الله عليه السلام بين أبي بكر وأسيد بن حضير ، أبو بكر
عن يمينه . وقبل ذلك فى الطريق كان بين أبي بكر وعمر ، أبو بكر عن يمينه

٢٠ (١) كان قد دخل قبل ذلك على ابنته أم حبيبة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فلما ذهب ليجلس على فراش الرسول طوته دونه . إمتاع الأسماع ٣٥٨ . وفى السيرة ٨٠٧ .
أنه دخل أول الأمر على ابنته ، ثم أتى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم بأبي بكر .

وعمر عن يساره . فلما صارت الخيلُ بذِي طُوًى بين الخندمة إلى الحجون ،
مرَّ النبي صلى الله عليه وأبو بكر يُسَارِره وَخَدَهُ ، وإذا بناتُ أبي أحيحة
قد نَشَرْنَ شُعُورَهُنَّ يَلْطَمْنَ وجوهَ الخيل بألْخَمُر ، فنظر النبي صلى الله عليه
إلى أبي بكر وتبسَّم وقال : كيف كان قال حسان :

* يَلْطَمُهُنَّ بِالْخَمُرِ النِّسَاءُ *

قال أبو بكر :

* تَظَلُّ جِيَادُنَا مَتَمَطَّرَاتِ *

فهذه حاله وخاصته ومكانه وارتفاع قدره . ألا تراهما خرجا من مكة
هَارِبِينَ مُسْتَخْفِيَيْنِ مُصْطَحِبَيْنِ ، ثمَّ رجعا آمِنَيْنِ ظَافِرَيْنِ مُعَلِّينِ مُصْطَحِبَيْنِ .
وصعد أبو قُحَافَةَ الجبلِ بصُغْرَى بناته وهو يومئذٍ مكفوف ، فسكت
بنته فقال لها : لا تخافي فإنَّ أخاك عتيقاً أ كبر النَّاسِ عهدُه ! فلما دخلوا
مكة أقبل أبو بكر بأبيه وهو يومئذٍ شيخٌ مكفوف له غَدِيرَتَانِ ، كأنَّ
رأسَه ثَغَامَةً^(١) حَتَّى هَجَمَ به على النبي صلى الله عليه وقال : أُنَيْتَكَ يَا
يا رسولَ الله لِيُسَلِّمَ . قال النبي صلى الله عليه : هَلَّا تَرَكْتَ الشَّيْخَ فِي رَحْلِهِ
حَتَّى آتِيَهُ .. فَمَسَحَ النبيُّ صلى الله عليه يَدَهُ على صدره ، ودعاه إلى
الإسلام فأسلم .

وهذا كله يدلُّ على تقديم النبي صلى الله عليه له .

كما نَقَلَ الفقهاء أنَّ النبي صلى الله عليه أُتِيَ بِعُسٍّ من لبنٍ وهو
في أصحابه ، وأبو بكر عن يساره ورجلٌ من الأعراب عن يمينه ، وأصحابه
قد أَحَبُّوا سُورَهُ^(٢) ، فشرب النبيُّ وأهوى بالقَدَح نحو الأعرابي . قال عمر :

(١) الغديرة : الذؤابة . والثغام ، ما فتح : ابت أبيض يشبه به الشيب .

(٢) رسمت في الأصل : « قد أحبو سورة » .

أبو بكر يارسول الله ! قال النبي صلى الله عليه : الأيمن فالأيمن^(١) .
ولم ينقلوا هذا الحديث ليُخبروا عن فضيلة أبي بكر ولا عن قرب
مَقَمِهِ ولا عن تقديم عمر له ، ولا أن عادة النبي صلى الله عليه وسلم كانت
التَّقديم له ، ولا قال عمر ذلك على التذكير له ، وإنما أرادوا أن يخبروا
عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم في الشرب ، وعن فضيلة اليمين على
اليسار ، وعن التعريف لحرمة المجلس .

ولو كان هذا الخبر في عليٍّ وعثمان ما كان الأمر إلا كما أخبروا أنهم
لم يقصدوا في الحديث إلا تفضيل اليمين على اليسار .

فإن قالوا : فإن عليًّا كان أفقه من أبي بكر وأعلم بالحرام والحلال
منه . والدليل على ذلك أن كثرة ما نقلوا إلينا من اختياراته وأقواله
في الحوادث ، من الحلال والحرام ، وأبواب الفقه والفتيا والتأويل ، مع
كثرة الرواية المسندة ، وكان يُسأل ولا يسأل ، ولم يرجع عن شيء قط
وليس أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلا وله رجعة وأكثر
من ذلك ، ولم يُسمع لأبي بكر بفتيا كثير ولا كثير رواية ، ورأس
الدين الفقه فيه والعلم به . فلما كان أبو بكر وعليُّ بن أبي طالب على
ما وصفنا وذكرنا ، علمنا أن أفقهما أفضل فضلا وأولى بالإمامة ، لأن
عمل الفقه أفضل من غيره ، لأن أولى الناس بالمسلمين أعلمهم بدينهم ،
لأن من علم الدين لم يجهل أمر الدنيا ، لأن أمور الدنيا مياسرة أو شبيهة
بعلم المياسرة ، وعلم الدين مستنبط ، وتأويله غامض .

٢٠ قالت (العثمانية) عند ذلك : أمّا العدل والقسط فأن ننظر يوم توفى
النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر وعليُّ حيَّان ظاهرٌ أمرهما ، معروفٌ قدرهما

(١) روى من حديث أس بن مالك في صحيح البخاري فتح الباري ١٠ : ٦٦ ، ٧٥ .

واحتمالها للعلم والعمل . فلمعمرى لئن كان لعليٍّ من طول الصُّحبة وكثرة السَّماع ومفاوضة الرسول الأ [مر] ، والعرفة ، وكثرة الإرشاد للأمة وصحة الرأي وكثرة الصَّواب ، وكان النَّاسُ إليه أشدَّ فزعاً ، [و] ظَهَرَ من روايته وحاجة الناس إلى فقهه في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيام وفاته وأيام أبي بكر ، أكثر مما ظهر من أبي بكر في ذلك الدهر ، إِنَّهُ ٥ لأفقه منه في الدِّينِ وأعلم بأبواب الدُّنيا .

[و] لئن كان لئنما أكثر ممَّا نقل النَّاسُ عنه لأنه عاش والحادثات تحدث ، وبقي حتَّى كان يُستفتى ويُفتى ويُسأل ويُجيب ، ويروى عنه في الزمان الذي كان يُستفتى فيه مثلُ أبي هريرة ، وأنس بن مالك ، وابنِ عمر ، وابنِ الزُّبَيْر ، وعبد الله بن عمرو ، فكان ذلك منه أيام أبي بكر وهي سنتان ، وأيامُ عمر ١٠ وهي عشر سنين ، وأيام عثمان وهي اثنتا عشرة سنة ، وأيام نفسه وهي خمس سنين ، فليس في ذلك حُجَّةٌ ولا دليل ؛ لأنَّك تُحصي ما يقول الرَّجُلُ في الدهر الطويل مع كثرة الحادثات ، وما يقول الرَّجُلُ في الدهر القصير مع قلة الحادثات ؛ وإنَّما ينبغي أن ننظر يومَ توفِّي النَّبيِّ صلى الله عليه عليه مَنْ كان أفضلَ المسلمين وأفقهَ في الدِّينِ ، وأعرفَ بالأمور ، وأصوبَ رأياً وأشدَّ احتمالاً ، في ذلك الوقت الذي اختير فيه للخلافة . ونحن نعلم أنَّ عليّاً لو عاش إلى دهر الحسن وابن سيرين لكان قد ازداد فقهاً وعلماً وتجربةً على قَدَره يوم استشهدَ رضى الله عنه .

ولا يجوز أن نقدر الرَّجُلَ بقدر^(١) طول الزَّمان وكثرة الحادثات ، وبقدرِ قِصر الزَّمان وقلة الحادثات . فلئن صحَّ^(٢) عندنا وعندكم أنَّ أموراً ٢٠

(١) في الأصل : « وإنما يجوز أن نقول الرَّجُلُ بعد » .

(٢) في الأصل : « فليس صح » .

حدثت ، وبلايا نزلت في زمن أبي بكر وأيام وفاة النبي صلى الله عليه ،
 من حلالٍ وحرامٍ أو سياسةٍ جندٍ أو سدٍّ ثغرٍ أو تدبيرٍ حربٍ ، أو استصلاح
 عوامٍ ، أو ترتيبٍ خواصٍّ ، فظهرَ فيه من رأى على وصوابه وحُسن
 نظره وإرشاده ما لم يظهر من أبي بكر — فقد أفلح من زعم أن عليًّا كان
 أفقه منه فقهاً ، وأصوبَ رأياً ، وأشدَّ للأمور احتمالاً ٥ مع أنا قد نجد
 عنده من دقائق الفتيا وغامضيه وعويصه (١) ما لم يُبتَل به أحدٌ ولا يبتلى به
 أحدٌ أبداً . ولعلَّ ذلك لا يُصاب عند الإمام إلا في مُجلة الأمور وأصولها ،
 ثمَّ لو دهمَ النَّاسَ عدوٌّ ، أو حَزَبَهم أمرٌ ، أو أعْضَلَ بهم مَلَمٌ من فائقٍ
 يختطب الملكَ بتأويلٍ قد زخرَفه ، ومن انتشارٍ (٢) جُنْدٍ أو اضطراب
 عوامٍ ، أو بدعةٍ شاملةٍ ، لم يكن عنده من الغناء والاحتمال والمعرفة
 ١٠ بعلاج أدوائها والناتئ لاستصلاحها قليل وكثير . وإنما مدار الأمور على
 أصالة الرأى ، واتِّساع الصدر ، وقوَّة العزم .

فإن كنا لم نجد لعليٍّ ممَّا ذكرنا شيئاً يفضُل به أبا بكرٍ في ذلك
 الدهر فإننا نستدلُّ على صواب رأيه واتِّساع صدره ، وأنه كان المفزع
 ١٥ والمرشد بعد رسول الله في المضلات وعند الشُّبهات والحادثات ، والنَّاسُ
 في ذلك الدهر بين مستمعٍ مرشدٍ وبين مستمعٍ مسلمٍ ، وبين مُطْرِفٍ واجمٍ
 وبين خائضٍ قد رنَّحه (٣) الحادثات ، واستبهم عليه وجهُ السَّواب ، كالذي
 كان من المسلمين لما اصطلحوا على القضية يوم الحديبية ، لأنَّهم لما
 صاروا إلى الكتاب وتراضى النبيُّ صلى الله عليه وسلم وسُهَيْلُ بن عمرو

٢٠ (١) أى غامض ذلك وعويصه .

(٢) أى تفرقهم وخروجهم على القواد ؛ وأصله في الإبل والغنم أن تفرق عن عزة من راعيها . في الأصل : « انتشار » تحريف ، وانظر ص ٦٥ س ١٠ .

(٣) الكلمة خالية من النقط في الأصل . رنحته : دارت به وميلته .

على أن يُكتب في الكتاب : « وعلى [أن] من أتى قريشاً ممن كان على دين محمد بغير إذنٍ لم تردّه إليه » ، فبلغ من أمر الناس والذي دخل عليهم أن اضطربت قلوبهم ، حتّى إنّ النّبيّ صلى الله عليه قال لأصحابه بعد انصراف سهيل بن عمرو : « قوموا فأنهروا وأحِلُّوا واحلِّقُوا » ، يقولها ثلاثاً ، كلّ ذلك ينظرون في وجهه ويسمعون قوله ولا يطيعون أمره ، حتّى غضب النّبيّ صلى الله عليه وسلم فدخل على أمّ سلمة فأخبرها بذلك متمجّباً ، وكانت معه في تلك السّفرة ، قالت أمّ سلمة : « انطلق أنت يا رسول الله إلى الهدى فانهروهم ، فإنهم سيقتدون بك » . فكان أوّل من وثب عند الكتاب عمرٌ وهو يقول : يا رسول الله ، ألسنا بالمسلمين ؟ قال النّبيّ صلى الله عليه : بلى . قال : ١٠ فعلامٌ تُعطى الدّنية في ديننا ؟ قال النّبيّ صلى الله عليه : أنا عبدُ الله ورسوله ، ولن أخالف أمره . فأقبل أبو بكرٍ على عمر فقال : يا عمر ، الزم فرزه^(١) فإنّي أشهد أنّ رسول الله ، وأن الحقّ ما أُمِر [به^(٢)] ، ولن يضيّع الله !

ثمّ إنّ عمر بن الخطاب عاد إلى أبي بكرٍ فسأله فقال أبو بكر : سلم ١٥ لله ورسوله وأتّهم رأيك .

وقال أبو عبيدة : لا تُعطى الدّنية أبداً ! فقال أبو بكر ، يا عمّ إنّها ليست بدّنية ، ولو كانت دنيّة ما أعطاه النّبيّ صلى الله عليه وتأبأها أنت ، وما كان الله ليرضى بذلك .

(١) يقول : اعتلق به وأمسكه واتبع قوله وفعله ، ولا تخالفه . وأصل الفرز للجمل مثل ٢٠ الركاب للفرس .

(٢) التّكلمة من إمتاع الأسماع ٢٩٣ .

أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الْجَمِيعِ أَشَدُّ فِي ذَلِكَ مِنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي
طَالِبٍ وَعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ؟ وَذَلِكَ أَنَّ عَلِيًّا هُوَ كَانَ كَاتِبَ كِتَابِ الْقَضِيَّةِ ،
فَلَمَّا كَتَبَ : « هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ » قَالَ الْمُشْرِكُونَ :
لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُهُ مَا حَارَبْنَاكَ ، وَلَكِنْ أَكْتَبَ : « مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ » ،
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ائْتِهَا يَا عَلِيُّ . فَقَالَ عَلِيٌّ : وَاللَّهِ لَا تَحْوَتْهَا أَبَدًا ! قَالَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَرِني مكانها . فَأَرَاهَا فَمَحَاهَا وَكَتَبَ « مُحَمَّدُ بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ » . قَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا أَبِى أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ هَذَا كُلُّهُ
حَدَّثَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَغَضَبْتُ لَهُ ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَطْلَمُوا مِنَ الْأُمُورِ
مَا تَطْلَمُهُ الرُّسُلُ . فَهَذَا مَوْقِفٌ لِأَبِي بَكْرٍ مَشْهُورٌ .

١٠ وَإِنَّمَا عَظُمَتِ الْفِتْنَةُ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُمْ خَرَجُوا
لَا يَشْكُونَ فِي الْفَتْحِ ، لَرُؤْيَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ حَلَقَ رَأْسَهُ وَدَخَلَ
الْبَيْتَ وَأَخَذَ مِفْتَاحَ الْكَعْبَةِ وَعَرَّفَ مَعَ الْمَعْرِفِينَ^(١) ، ثُمَّ تَجَهَّزَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ
وَهُوَ يَرِيدُ مَكَّةَ عِنْدَهُمْ وَقَدْ كَانَ تَلَا عَلَيْهِمْ : « لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ » الْآيَةَ . فَلَمَّا رَأَوْا الصُّلْحَ وَالشَّرْطَ ،
١٥ وَعَايَنُوا الرُّجُوعَ اضْطَرَبُوا لِذَلِكَ ، مَعَ الَّذِي كَانَ فِي نَفْسِهِمْ مِنْ قَوْلِهِ :
« إِنْ أَتَى قَرِيشًا أَحَدٌ مِمَّنْ كَانَ عَلَى دِينِ مُحَمَّدٍ لَمْ تَرُدَّهُ ، وَمَنْ أَتَى مُحَمَّدًا
مِمَّنْ هُوَ عَلَى دِينِ قَرِيشٍ رَدَّهُ » . فَأَخْرَجَهُمْ مَا ذَكَرْتُ لَكَ إِلَى مَا ذَكَرْتُ قَبْلَ .
وَأَقْبَلَ عُمَرُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ ، أَلَيْسَ قَدْ أَخْبَرَنَا النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللَّهَ وَتَلَا عَلَيْنَا الْقُرْآنَ : « لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ
٢٠ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ » ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ : نَعَمْ .

(١) التعريف : الوقوف بعرفات .

قال عمر : فما بالله رجّع بنا ولم ندخلها ؟ قال له أبو بكر : وهل قال لك مَسْتَى ؟ إنما قال : لتدخلنَّ ؛ وأنتم داخلوها لا محالة . وإنما كان لك مقالاً لو ضرب لك أجلاً فرأيتَ خلافه . واعلم أن الحق ما قال وصنع .

فلم يُبقِ في قلبِ مخلصٍ جهلاً بموضع الحجّة في ذلك ، ولا في قلبِ مستريبٍ دخله الشك شيئاً إلا أصلحه . فهذا وشبهه نعرف إخلاصَ الرَّجُل وقدره ، وسعة صدره ، وكثرة علمه .

ثم أخرى ، أنقذ الله به من الضلالة ، والناسُ بين ساكتٍ لاغناء عنده ، أو خائضٍ مستريبٍ يحتاج إلى التعريف ، أو موقنٍ يحتاج إلى المادّة وتلقين الحجّة .

١٠ من ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما توفّي اقتحم الناسُ عليه في منزل عائشة ، فلما نظّروا إليه مسجّي دخلهم أمر عظيم أذهلهم وحيرَ ماثمهم ، حتّى قالوا : لم يمت ، وكيف يموت وهو شهيدٌ علينا ونحنُ شهداءُ على الناس ؟ وكيف يموت وقد قال الله : « يُظهره على الدين كله » ولم يُظهر بعد ؟

١٥ وكان عثمان بن عفّان وعمر بن الخطاب يردّدان هذه الآيات ، وتوعّدا أصحابَ النبي صلى الله عليه عليه : مَنْ قال إنّه مات . وثاروا في حُجرة عائشة وعلى الباب : لم يمت !

وكان أوّل مَنْ رآه مسجّي فأنكرَ موته عثمان ، وقال : إنّه والله ما مات ، ولكنّ الله رفعه إليه كما رفع عيسى بن مريم ! والله لا نسمعُ أحداً يقول مات إلا قطعنا لسانه !

٢٠

واضطرب الناس وماجوا وقام عمر في الناس خطيباً فقال :

لا أسمع أحداً يقول إنَّ محمداً مات ! وإنَّ محمداً لم يمت ، ولكنَّ الله رفعه . أرسل إليه كما أرسل إلى موسى عليه السلام فلبث عند قومه أربعين ليلة^(١) . وإنى لأرجو أن يقطع الله أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنَّ محمداً مات !

• فبينما الناس هكذا إذ أقبل أبو بكر ، على فرس له ، من الشَّيْخ^(٢) فسمع مقالة عمر وما يقوله الناس وما خاضوا فيه ، فبدأ بالنبي صلى الله عليه وسلم فدخل عليه وهو مسجى ، فكشفت عن وجهه فقبَّله ، ثم أقبل نحو المنبر وقال : أيُّها . . . الخالف^(٣) على رسلك ! فلما رآه عمر قعد ، وقام أبو بكر خطيباً ثم قال : أيُّها الناس اجلسوا وأنصتوا ، ثم حمد الله وأثنى عليه ١٠ وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

أيُّها الناس ، إنَّ الله قد نعى نبيكم إلى نفسه وهو حيٌّ بين أظهركم ونعاكم إلى أنفسكم ، فهو الموت حتى لا يبقى أحد . ألم تعلموا أنَّ الله قال « إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ » .

قال عمر : بأبي أنت وأُمِّي ! فسكت الناس وأظهروا التسليم ، وعرفوا الحق وبكوا ، كأنهم لم يكونوا سمعوا بهذه الآية قط . ١٥

ثم تلا : « وما محمد إلاَّ رسولٌ قد خلت من قبله الرُّسُلُ أفإنَّ مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم » ثم تلا : « كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ

(١) في السيرة ١٠١٢ : « واسكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات » . ونحوه في سيرة ابن سيد الناس ٢٠ : ٣٣٩ .

(٢) الشيخ ، بالضم : إحدى محال المدينة في طرف من أطرافها . كان بها منزل أبي بكر حين تزوج مليكة ، وقيل حبيبة بنت خارجة .

(٣) بين هذه الكلمة وسابقتها في الأصل بياض بقدر كلمة ، لعلها « أيهاذا » .

الموت « ثم تلا : « كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ » ، ثم مرَّ في خطبته المشهورة المعروفة^(١) . فهذا هذا .

ثم أقبل على عمر وعثمان فقال : قال الله : « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا » ، يقول . إنكم شهداء على مَنْ تَلْقَوْنَ مِنْ لَمْ يَلِقَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، كما كان النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عليكم شهداء . وقال الله : « لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ » ، وإنما أراد دينه ، والله مُتِمُّ نُورِهِ ومظهر دينه . فإذا أظهر دينه فقد أظهره^(٢) .
فهذا علمه وقدره وفهمه وحاجة الناس إليه .

ثم الذي كان مِنْ مَشَى المهاجرين والأنصار إليه وكلامهم له ، ليَقْبَلَ الصَّلَاةَ مِنَ الْعَرَبِ وَيَتْرَكَ الزَّكَاةَ ، وقالوا : إنهم لو قد صَلَّوْا لَقَدْ زَكَّوْا . قال : والله لو مَنَعُونِي عَقَالًا مِمَّا أُعْطَوْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ لَجَاهَدْتُهُمْ عَلَيْهِ ! فقال له المهاجرون والأنصار : أو ليس قد قال النبي عليه السلام : « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَإِذَا قَالُوهَا حَقْنُوا بِهَا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ » . قال أبو بكر : إنَّ فيها « إِلَّا بِحَقِّهَا^(٣) » . قالوا : صدقت . ألا تَرَى إِلَى أَنَّهُ قَدْ عَلَّمَ الْجَمِيعَ مَا لَمْ يَعْلَمُوا ، أَوْ صَيَّرَهُمْ إِلَى رَأْيِهِ بِقَدْرِ الْخَالْفَةِ لَهُ .

(١) انظر خطبة أبي بكر في السيرة ١٠١٢ — ١٠١٣ وابن سعد ٢ : ٥٤ والطبري

٣ : ١٩٨ وزهر الآداب ١ : ٣٥ . (٢) كذا في الأصل .

(٣) في الأصل : « إِلَّا لِحَقِّهَا » . يشير إلى ما ورد من تنمة الحديث فيما سيأتي في الصفحة

التالية ، وفيما رواه الحب الطبري ١ : ٩٨ وأما : « فَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَصِمَ مِنْ مَالِهِ وَنَفْسِهِ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابِهِ عَلَى اللَّهِ » .

وقلوا إلينا أن الأنصار قالت : يا حليفة رسول الله ، أليس قد قال النبي صلى الله عليه : « أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَإِذَا قَالُوهَا حَجَبُوا بِهَا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ » قال أبو بكر : فهذا من حقها ، والله لو كنت وحدي لجاهدتهم حتى أقتل أو يظهر الله الحق ويذهب الباطل ، إن الباطل كان زهوقا .

ثم مضى نحو أهل الردة يريدكم مغضبا حتى لحقه المهاجرون والأنصار ، فنعوه وكفوه وتقدموا أمامه .

وهذا خبر نقله أصحاب الأخبار مَرَّحُهُمْ وَشِيعَتُهُمْ^(١) إِلَّا الرُّوَافِضَ ، فَإِنَّهُمْ لَا يُطَاقُونَ ؛ لِأَنَّ مِنْ يَجْحَدُ الْمُسْتَفِيزَ الشَّائِعَ بِالْأَسَانِيدِ الْمُخْتَلِفَةِ فِي الدَّهْرِ الْمُتَفَاوِتِ ، وَيُوجِبُ عَلَى خَصْمِهِ لَهُ تَصْدِيقَ الشَّاذِّ^(٢) الَّذِي لَا يُعْرَفُ وَلَا يَدَّعِيهِ إِلَّا أَهْلُ الْغُلُوِّ مِنَ الرُّوَافِضِ ، مَمْتَنِعِ الْجَانِبِ ، عَسِيرِ الْمَطْلَبِ ، لَا يُطَاقُ وَلَا يُجَارَى .

ثم رأينا عليا يروى عنه ، ويزكيه ويفضله ، ولم نسمعه روى عن علي شيئا ولا زكاه ولا فضله . على أن عليا قد كان عنده فاضلا عاليا ، مالا وجيها .

ثم الذي كان من قول عثمان بن عفان له . وذلك أن عثمان حزن على النبي صلى الله عليه عليه حزنا لم يحزنه أحد ، فأقبل أبو بكر يُمَزِّيه للذي يرى به من عظيم ما فدحه وفقره ، فقال عثمان : ما آسى على شيء ، إنما آسى على أنني لم أسأل النبي صلى الله عليه عما فيه نجاتي

٢٠ (١) في الأصل : « مرحهم وسعيهم » بدون نقط .

(٢) في الأصل : « الساذ »

- هذه الأمة ١ قال أبو بكر : قد سألتُ النبي صلى الله عليه عن ذلك : فقال : « مَنْ قَبِلَ الكلمةَ التي عَرَضْتُهَا على عَمِّي فَأَبَاهَا » .
- ألا ترى إلى حاجة الجميع إليه واستغنائه عنهم .
- ولو لم يُعَلِّمْ من سمة علمه إلا قوله للمهاجرين والأنصار حين أشاروا عليه بأن يقبل الصلاة وقالوا إنهم لو قد أقاموا الصلاة لآتوا الزكاة . ٥
- قال أبو بكر : إن تيمماً إن أذن لها من الإسلام في نقض عروة لم ترض بمثله بكر بن وائل ، ولو أعطيت كنانة وألفافها وأحايشها أمراً لم ترض قيس حتى تزداد ، وأين سمعت قولكم لأنقضن الإسلام عروة عروة .
- وفي مشيهم إليه في تأخير جيش أسامة يشيرون عليه ويقولون ما كتبنا في صدر الكتاب^(١) ، وفي قوله : « لو بقيت وحدي حتى تأكلني الكلاب ما أخرت جيشاً أمر رسول الله صلى الله عليه بإنفاذه والوحي ينزل عليه » ، فلئن كان ما وصفنا لا يدلُّ على جودة الرأي وحيَّة العزم وكثرة العلم ، وعلى الشَّهامة والصَّرامة ، واليمن والبركة ، فما في الأرض دليلٌ على فضيلة رجلٍ ونقصه .
- ومما يدلُّ على سمة علمه وأنه كان المَفْزَعَ دون غيره أن المهاجرين ١٥ عامة وبني هاشم خاصة اختلفوا في موضع دفن رسول الله صلى الله عليه ، فقال قائل : خير المدافن البقيع ، لأنه كان كثيراً ما يستنفر لأهله^(٢) . وقال آخرون : خير المواضع موضع مصلاه . وقال آخرون : عند المنبر . قال لهم أبو بكر : إنَّ عندي فيما تختلفون فيه علماً . قالوا : فقلْ يا أبا بكر . قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول : « مات ٢٠

(١) انظر ما مضى في ص ٦٥ .

(٢) انظر السيرة ٩٩٩ — ١٠٠ وامتاع الأسماع ١ : ٤١ .

نبي قطُّ إلا دُفِنَ حيث يُقَبَّضُ « . فخطُّوا حول فراشه ثم حوَّلوا رأسَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بالفراش في ناحية البيت . فلم نجد النَّاسَ احتاجوا مع خبره إلى شاهد ، ولم يختلف عليه في ذلك رجُلان ، ولا أظهرَ الشُّكَّ في خبره إنسان واحدٌ قريب ولا بعيد . هذا والمنزل منزل ابنته ، وهو في موضع جرٍّ منفعةٍ وكما تكون المنفعة ، وهي المأثرة العظمى والشرف الأعلى .

فمن لم يُنَبِّه في خبره على هذه الحال ومع هذه العِلَّة حتى قُبِلَت شهادته وحُدِّثه ، لجديرٌ ألا يتقدَّمه أحدٌ في القدر والعلم ، والأمانة والصدق . ومما يدلُّ على أنه كان ثابتاً عندهم قولُ علي بن أبي طالب رضي الله عنه وروايته عنه ، وذلك أنَّ عليًّا قال : كنتُ إذا سمعتُ من النبي عليه السلام حديثاً يفهمني الله بما شاء منه ، فإذا حدَّثني غيره استحلقتُهُ^(١) ، فإذا حلفَ لي صدَّقته ، وإنَّ أبا بكرٍ حدَّثني — وصدق أبو بكر — أنَّ النبي صلى الله عليه وآله قال : « ما من رجلٍ يُذنبُ ذنباً فيتوضأُ فيحسن الوضوءَ ثم يصلي ركعتين ويستغفر الله إلا غُفِرَ له^(٢) » . وهذا حديثٌ ناسبت له برادٍ إلا أهلَ الغلوِّ من الروافض . وقد قال قومٌ منهم : إنما كان هذا من عليٍّ قَلَى التَّقِيَّةِ للعوام^(٣) ، لطاعة العوامِّ لأبي بكرٍ وعمر . وما في هذا من التَّقِيَّةِ ؟ أن يصدق رجلاً على خبره وأن يكذبَ غيره^(٤) أو يؤمِّن غيره . وإنَّ هذا من أخلاق الناس

(١) في الرياض النضرة ١ : ١٤٣ : « يفهمني الله بما شاء ، فإذا حدَّثني عنه غيره استحلقتُهُ » .

(٢) قال المحب الطبري في الرياض : « خرجته النساءُ والحافظ في الأربعين البدائية » .

(٣) في الأصل : « للفرام » .

(٤) في الأصل : « وأن يكون عنده » .

- لموجود : أن يزكّي بعضاً ويفضل . فزى علياً يحمل عنه ويروى عنه ويزكيه ويفضله ، ولم نره صنع بعلى من ذلك شيئاً .
- ولقد بلغ من تبطنه^(١) لأمر النبي صلى الله عليه أن النبي صلى الله عليه لما حاصر أهل الطائف قال عمر لأبي محجن : إنما أنت ثعلب في جحر يوشك أن يخرج ! قال أبو محجن : هل هو إلا أن قطعتم حبلات عنب^(٢) ، وفي الماء والتراب ما يُميده . قال عمر : لا تقدر أن تخرج إلى ماء وتراب ، ولا تبرح باب جحر حتى تموت جوعاً . قال أبو بكر : يا عمر لا تقل هذا فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤذن له في فتح الطائف . فسأل عمر النبي صلى الله عليه فقال : نعم لم يؤذن لي .
- قالوا : ولم يكن علم ذلك من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم غير أبي بكر . ولو علمه أحد غيره لكان عمر .
- قالوا : في خطبة النبي صلى الله عليه في شكاته التي توفى فيها والمسلمون شهود ، وفي معرفته بالذي أراد النبي صلى الله عليه وسلم بكلامه دون جميع الناس ، دليل على أنه المخصوص بحسن المعرفة ، وفضيلة الدراية .
- وذلك أن أول ما تكلم به النبي صلى الله عليه على المنبر أن قال :^{١٥}
- « والذي نفسي بيده ، إني لقائم على الحوض الساعة » . ثم تشهد فلما قضى شهادته كان أول ما تكلم به أن استغفر للشهداء الذين قتلوا بأحد ، ثم قال « إن عبداً من عباد الله خير بين الدنيا والآخرة فاختار ما عند الله » . فبكى أبو بكر . قالوا : فتمجّبنا من بكائه . وقال : بأبي أنت وأمي وبآبائنا

(١) في اللسان : « تبطن الأمر : علمت باطنه » .

(٢) الحيلة ، بالتحريك وبالفتح : شجرة العنب . وكان النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقطع أعناب ثقيف ، فوقع الناس فيها يقطعون . السيرة ٨٧٣ وعبود الأثر ٢ : ٢٠١ .

٢٠

وأمهاتنا وأنفسنا وأموالنا . قالوا : فتمجَّب الناسُ من كلام أبي بكر وبكائه
وقالوا : أخبر النبيُّ صلى الله عليه وسلم عن رجل !

قالوا : وكان أبو بكرٍ أعلمنا^(١) برسول الله .

ولو لم يكن من صواب رأيه وصحة فراسته ، وتوفيق الله إياه إلا توليتهُ
٥ خالد بن الوليد حرباً مُسَيِّمةً وطليحةً وأهل الردة ، وقد عُوتِبَ فيه من
كلِّ جانب - وعمر تناوَلَه - وهو يقول : لا أشيم سيفاً سلَّه الله على أعدائه
ثمَّ اختياره عمرَ وفراسته فيه ، حيثُ حمَلَ له الأمرَ من بعده ، وعُوتِبَ
فيه ونُوزِعَ في أمره .

وكذلك قالَ عبد الله بنُ مسعودٍ ، الذي قال فيه النبيُّ صلى الله عليه
١٠ « رَضِيتُ لأُمِّي مَارِضِي لَهَا ابْنُ أُمِّ عَبْدٍ ، وَكَرِهْتُ لَهَا مَا كَرِهَ لَهَا ابْنُ
أُمِّ عَبْدٍ » ، قال : أفرسُ الناسُ ثلاثة : المرأةُ التي جاءت على استحياء حين
قالتُ لأبيها في موسى : « يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ
الْأَمِينُ » وامرأةُ العزيز ، وأبو بكر في عمر .

فهل رأيتُهُ ضامَّ قومًا قطُّ وجامعهم^(٢) فكان لهم الرأى دونه ، وهل
١٥ عُوتِبَ في شيء قطُّ إلا والصواب ما عمِلَ به دون رأى المعاتب له . وهل أشير
عليه برأى قطُّ إلا وهو المصيب دون المشيرين عليه ؟

فأئى فقهٍ وأئى علمٍ أصحَّ وأئى مذهبٍ أحمَدَ ممَّا عدَّدنا وكثَّرنا
ثم أنتم لا تستطيعون أن تُخبروا عن عليِّ بن أبي طالب بموقف واحد
من هذه الآراء ، وكلِّمةٍ واحدةٍ من هذا الكلام ومن الصوابِ الذي حكينا

٢٠ (١) في الأصل : « وكان أبو علمنا » . وانظر صفة الصفوة ١ : ٩١ .

(٢) في الأصل : « وجاء بهم » .

عن أبي بكرٍ في حياة النبي صلى الله عليه ، وعند وفاته ، وفي أيام خلافته ، حتى كأنَّ عليًّا ورجلاً من عُرض المسلمين في ذلك الدهر سوا . وما يُخَيَّلُ إلينا إلا أنَّ الذي قطعَه عن كثير من ذلك حدائهُ سنهُ ، وتقديمه للمشيخة على نفسه .

٥

فإن قالوا : إنَّ عليًّا قد أشار على عُمرَ بكذا ، وقال له يوم كذا وكذا : كذا .

قلنا : إنَّا لم نكنْ في عُمرَ وعلى ، ولو قد صرنا إلى الإخبار عنهما تقدّمنا بالذي يُعرّفكم فضيلةَ عمر ، كما حكينا ووصفنا وتقدّمنا في الإخبار عن فضيلة أبي بكر .

ولقد بلغ من محبة فكره وصدق ظنّه وقوّة حسّه أنه كان يظنُّ الأمرَ فيقع به أو قريباً منه . ولذلك قال عمر : إنَّك لن تنتفع بمقل المرء حتى تنتفع بظنّه .

فمّا يدلُّ على صدق ظنِّ أبي بكر وحسِّ نفسه أنَّ عائشة لما دخلت عليه في شكاته التي قبضه الله إليه فيها ، أنشدت عنده شعراً تذكّر فيه ما رأت في أبيها . قال أبو بكر : لا تقولى هذا يا بُنَيَّة ، ولكن قولى : « وجاءتُ سَكْرَةُ المَوْتِ بالحقِّ ذلك ما كنتُ منه تَحِيدُ » ، أى بُنَيَّةُ إِنِّي كُنتُ نَحَلْتُكَ جَدَادَ عَشْرِينَ وَسَقّاً من مالى بالعالية ، وإنَّك لم تحوزيه ولم تقبضيه ، وإنّما هو مال الوارث ، وإنّما هما أخواك وأختاك . قالت عائشة : إنّما هى أسماء^(١) . قال : إنّهُ ألقىَ في رُوْعِي أنَّ ذا^(٢) بطن بنتِ

(١) في الحيوان ٦ : ٥٠ - ٥١ : « قالت : ما أعرف لى أختا غير أسماء » .

(٢) في الأصل : « أردا » صوابه في الحيوان .

خارجة [جارية^(١)] . فوضعت جاريةً فسميت أمّ كلثوم .
 وله مما كان يقع في خَلده ويَصْدُق فيه ظَنُّه وتَصِحُّ فيه فِرَاسَتُهُ أمورٌ عجيبة .
 ولو قالوا : إنَّ عليًّا كان من فقهاء أصحاب النبي صلى الله عليه وآله لقد كان
 ذلك عدلاً وقصداً ، وحسناً جميلاً ، كما قال إبراهيم^(٢) والشَّعْبِيُّ : الفقيه من
 أصحاب النبي صلى الله عليه وآله في ستة : في عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ،
 وعبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب ، ومُعَاذ بن جَبَل ، وزيد بن ثابت .
 وقد زاد قومٌ أبا الدرداء ، وأبا موسى . وقد قال مسروق : انتهى علمُ
 أصحاب رسول الله إلى هؤلاء الستة : عمر ، وعلي ، وعبد الله ، وأبي ،
 ومعاذ ، وزيد .

١٠ وقال الشعبي : كانت القضاة أربعة : عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب
 وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الأشعري .

فلو أنهم كانوا يرضون بقول الفقهاء ورأى التابعين ، ولم يُسْرِفوا
 وقصدوا ، كان ذلك قصداً . ولقد تعدوا فيه الحق حتى قالوا : لم يقل قطُّ
 قولاً يُمكن أحسن منه ، ولا قال قولاً قطُّ فرجع عنه . وقد علمنا أن له
 ١٥ غيرَ رَجْمَةٍ ، لا اثنتين ولا ثلاثاً^(٣) ، وأفاديل لا يحوزها أصحاب الفتيا .
 وما كان إلَّا كـبعض فقهاءهم الذين يكثُر صوابهم ويقلُّ خطأؤهم . ولم
 تكن لتُجمع جميع هفوات إنسان وأخطاءه حتى نقرأه^(٤) مجموعاً إلَّا ظننت به

(١) التكملة من الحيوان . وبلت خارجة هي حبيبة بلت خارجة زوج أبي بكر . انظر
 حواشي الحيوان في الموضع السابق والظرالرياض النضرة ١٢٩:١ وصفة الصفوة ١٠١:١ .

(٢) هو إبراهيم بن يزيد النخعي .

(٣) أي بل أكثر من ذلك . في الأصل : « ولا اثنين ولا ثلاث » .

(٤) في الأصل : « ولم يكن ليجمع جميع هفوات إنسان وخطأه فبقرأه » .

المعجز . وليس ذلك كذلك ، لأنك لو قذفت بجميع ذلك في محاسنه لخفي عليك موضعه ، ولصغر خطره وقدره .

وإنما حكينا هذا لأهم جموعاً لعمر وعثمان أموراً أرادوا بها عيوبهم ونقصهم ، ولعمرى إن الخطأ لخطأ حيث وقع ، ولكن ربما كان خطأ لا يخرج صاحبه من الحكمة . والخطأ^(١) أمرٌ لكل بني آدم فيه حظٌ ونصيب ، وهو أمرٌ لم يسلم منه نبيٌ ولا صديق ولا شهيد ولا أحدٌ من العالمين .

ومما نقرّهم به مما رَوَاهُ سُجَّالُ الآثار من رجوعه وما لا يجوز من فتياه ، قوله : أجمع رأيي ورأي عمر على عتيق أمهات الأولاد ، ثم رأيتُ أن أُرَبِّهَنَ^(٢) . ونقلوا جميعاً أن عُمرَ وعليّاً اختلفوا في الجدة ، فقال عليٌّ بقول ، وقال عمرُ بقول ، ثم رجع عمرُ إلى قول عليٍّ ورجع عليٌّ إلى قول عمر .
ونقلوا جميعاً أن زیدَ بن ثابتٍ قال لعليٍّ وهو يحاجُّه في المكاتب : أَرَأَيْتَ إِنْ زَنَيْتُ أَكُنْتَ رَاجِحَهُ ، قال : لا . قال : أَرَأَيْتَ إِنْ شَهِدْتُ أَتَقْبَلُ شَهِادَتَهُ ؟ قال : لا . قال زید : فهو إذن عَبْدٌ مَا بَقِيَ عَلَيْهِ دِرْهَمٌ . فَسَكَتَ عَلِيٌّ .

وزعم أصحابُ داودَ بن أبي هِنْدٍ^(٣) ، عن داودَ عن الشَّعْبِيِّ ، أنَّ عليّاً رجَعَ عن قوله : « في الحرام ثلاثٌ^(٤) » .

(١) في الأصل : « والخطابة » .

(٢) ربه يربه ربا : ملكه وصار سيده . والباء مهملة في الأصل .

(٣) داود بن أبي هند — واسمه دينار — بن عذافر القشيري البصري ، كان ثقة من

الحفاظ . توفي سنة ١٤٠ تهذيب التهذيب .

(٤) ورد نحوه في اللسان (حرم) قول عمر : « في الحرام كفارة يمين » . قال :

« هو أن يقول : حرام الله لا أفعل ، كما يقول يمين الله لا أفعل » . ثلاث ، أي صيام ثلاثة أيام . فن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلقتم » .

وكلم علي^٥ عثمان أن يحجر علي عبد الله بن جعفر في شيء كان اشتراه ، وقد كان الزبير قال لعبد الله : خذهُ فأنا شريكك . فقال له عثمان : كيف أحجر علي إنسان شريكه الزبير ؟ فسكت علي^٥ . وقال في المكاتب ، إذا أدى من ثمنه شيئاً : إنَّه يُسترقُّ بحساب ويُعتَق بحساب .

وقال في النصرانية تُسلم وهي تحت النصراني قال : هو أحقُّ بها ما لم يُخرجها من دار الهجرة .

وقال في رجل قال لامرأته : « اختاري » واختارته ، ثم قال : « اختاري » فاختارته ، ثم قال الثالثة : « اختاري » فاختارته ؟ قال : أفرِّق بينهما ، فإن^(١) أنا فعلت كذا وكذا .

وقال في أعور فقاً عين صحيح ، فأراد الصحيح أن يفقأ عين الأعور الذي فقاً ؟ قال : لا يفقؤها إلا أن يؤدَّى نصف الدية .

وقال في الجلد : إنَّه سادس ستة ، وسابع سبعة . وكتب إلى عبد الله بذلك ، وقال : قطع الكتاب واجعله سابعا .

وقال في جارية وثبت عليها امرأة رجل غائب فافتضت عُذرتها بإصبعها ، ثم قذفها لتسقطها من عين بعلها ، وكانت خافت أن يتزوجها ، فرُفع ذلك إليه فقال لبعض بنيهِ : قل في هذه المسألة . قال : عليها صدق مثلها . قال : لو كلفت الإبل الطحن^(٢) طحنت ! فاشتدَّ تعجب أصحاب عبد الله من هذه المقالة .

وكان يرى حك أصابع الصبيان إذا سرقوا .

(١) كذا في الأصل . (٢) في الأصل : « الطحين » .

وكان إذا قَطَعَ الرَّجُلَ قَطَعَ الْقَدَمَ وَتَرَكَ الْعَقِبَ لِيَمْشِيَ عَلَيْهِ
الْمَقْطُوعُ ، وَلِيَعْتَمِدَ بِهِ . وَكَانَ يَقْطَعُ الْيَدَ مِنْ أَصُولِ الْأَصَابِعِ
وَيَدْعُ الْكَفَّ .

وَزَعَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَمَةَ^(١) وَغَيْرُهُ ، عَنْ الْأَعْمَشِ ، عَنْ الشَّعْبِيِّ
أَوْ عَنْ غَيْرِهِ ، أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ رَجُلٍ قَالَ لَامِرَاتُهُ : أَنْتِ طَالِقٌ أَلْفَ
تَطْلِيقَةٍ ، وَلَهُ أَرْبَعُ نِسَوَةٍ ؟ قَالَ : تَبَيَّنُ ثَلَاثٌ وَتُقَسَّمُ الْبَاقِيَةُ عَلَى نِسَائِهِ .
وَيُقَالُ لَهُمْ : هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ آدَمَ وَهُوَ أَوَّلُ النَّبِيِّينَ فَقَالَ :
« فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا »^(٢) .

وَذَكَرَ مُوسَى وَقَتْلَهُ النَّفْسِ . وَذَكَرَ يُونُسَ بْنَ مَتَّى فَقَالَ :
« وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ » . فَالدَّلِيلُ عَلَى
أَنَّ يُونُسَ قَدْ كَانَ ضَيِّعَ وَأَسَاءَ قَوْلُهُ : « سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ »
وَقَوْلُ اللَّهِ : « فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ » .

وَذَكَرُوا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ فِي قِصَّةٍ وَاحِدَةٍ ذَهَبَ عَنْهَا دَاوُدُ وَأَصَابَهَا
سُلَيْمَانُ ، حَيْثُ يَقُولُ اللَّهُ : « فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ » فَلَمْ يَكُنْ ذَاهِبُ دَاوُدَ
بِمُخْرِجِهِ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ : « وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ » . وَقَدْ
كَانَ مِنْهُ مَا قَدْ عَلِمْتَ ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةَ يَكْنِيَانِ عَنْ

(١) عبد الله بن سلمة البصري الأفيطس ، يروى عن الأعمش وغيره ، وليس بثقة .
لسان الميزان . وفي الرواة عبد الله بن سلمة بكسر اللام — المرادى الكوفي . وهذا
تابع من الثقات . تهذيب التهذيب .

(٢) الآية ١١٥ من سورة طه . في الأصل : « فلم نجد له » ، تحريف . انظر كتاب
تحقيق النصوص من تأليفنا ص ٣٨ — ٣٩ .

قِصَّتُهُ ، وَزَيْدَانِ وَعَظَمَهُ فِي قِصَّةٍ : « وَهَلْ أَنْتَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمَحْرَابَ » .

وَقَدْ عَاتَبَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ نَبِيَّهٖ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ فَقَالَ : « عَبَسَ وَتَوَلَّى » ،
وَقَالَ : « لَقَدْ كَذَبْتَ تَزَكَّىٰ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا » ، وَقَالَ : « لِيَغْفِرَ
لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ » . ٥

وَعَاتَبَهُ فِي الْأَسْرَى وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ أَمْرُهُ فِي إِطْلَاقِهِمْ حَتَّى قَالَ :
« لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ^(١) » .
وَقَالَ اللَّهُ وَهُوَ يَرِيدُ جَمْعَ الْمَأْمُورِينَ وَالْمَنْهِيِّينَ : « وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ
النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهَرِهَا مِن دَابَّةٍ ^(٢) » .

١٠ فَإِذَا كَانَ اللَّهُ قَدْ أَخْبَرَ بِمَا تَرَىٰ عَنِ الْمَعْسُومِينَ فَلِمَ يَتَّبِعْ قَوْمٌ عَلَى
عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ خَطَايَاهُمْ وَهَفَوَاتِهِمْ ، وَلِلْمُؤْمِرَةِ وَالْمُتَمَنِّئَةِ
أَنْ يَمُودُوا عَلَيْهِمْ بِمَثَلِ ذَلِكَ وَأَكْثَرَ مِنْهُ ؟

وَمَنْ أَجْهَلُ مِنْ رَجُلٍ زَعَمَ أَنْ عَلَيْهِ لَمْ يُخْطِ قَطُّ وَلَمْ يَمِصْ قَطُّ ،
وَلَمْ يَضِغْ شَيْئًا قَطُّ ، وَقَدْ سَمِعَ اللَّهَ يَحْكِي أُمُورَ أَنْبِيَائِهِ ، وَيَذْكُرُ
١٥ أَحْوَالَ رُسُلِهِ ؟ وَلَسْنَا نَحْتَاجُ فِي هَذَا الْبَابِ إِلَى أَكْثَرَ مِنْ هَذَا .

وَكَيْفَ يَقُولُونَ : عَلَىٰ قُوَّةِ النَّاسِ كُلِّهِمْ فِي صَوَابِ الرَّأْيِ ، وَالْفِقْهِ
فِي الدِّينِ ، وَلَا يَكُونُ كَالرَّجُلِ مِنْ عُظَمَاءِ السَّلَفِ لَضَرْبِ يَخْصُهُ فِيهِمَا ،
وَنَحْنُ إِذَا سَأَلْنَا الْفُقَهَاءَ وَأَصْحَابَ الْآثَارِ وَالْعُلَمَاءَ ، عَنْ أَصْحَابِ الْقُرْآنِ الَّذِينَ
كَانُوا مَخْصُوصِينَ بِحِفْظِهِ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، قَالُوا : زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ

(١) الْآيَةُ ٦٨ مِنْ سُورَةِ الْأَنْفَالِ .

(٢) مِنَ الْآيَةِ ٤٥ فِي سُورَةِ فَاطِرٍ .

وأبو زيد^(١) ، وفلان وفلان . ولم يذكره في باب المخصوصين بحفظ القرآن أيام حياة رسول الله صلى الله عليه .

فإن سألناهم عن أصحاب الحروف والقراءات والوجوه ، الذين بقراءتهم يقرأ الناس ، وبقدر اختلافهم اختلف الناس ، قالوا : زيد بن ثابت ، وأبي بن كعب ، وعبد الله بن مسعود . ولم يذكر معهم . لأننا شاهدنا الناس يقولون : هذا في قراءة عبد الله بن مسعود^(٢) ، وهكذا هو في مصحف عبد الله . وهذا في قراءة أبي ، وهكذا هو في مصحف أبي . وهذا في قراءة زيد ، وهكذا هو في مصحف زيد . ولم نرهم يقولون : هذا في قراءة علي ، وهكذا هو في مصحف علي .

وإن سألناهم عن أصحاب التأويل والتفسير قالوا : عبد الله بن عباس ، والحسن ، وفلان وفلان . ولم يذكره في هذا الباب .
وإن سألناهم عن أصحاب الرواية ، والمشهورين بكثرة الإسناد عن رسول الله صلى الله عليه قالوا : ابن عمر ، وعبد الله بن عمرو ، وجابر بن عبد الله ، وعائشة ، وأبو هريرة . ولم يذكر معهم في هذا الباب .

وإن كان الدليل على فقه المتبوع فقه أتباعه فعبد الله بن مسعود وعائشة أفقه منه ، لأن أصحاب عبد الله وعائشة أفقه من أصحابه ، فكيف صار أفقه خلق الله كلهم والقصة على ما أنبأناكم ووصفنا لكم .
على أنه كان فقيها عالماً ، قد أخذ من كل باب بنصيب ، ولا نقول

٢٠ (١) في الإصابة ٤٥٨ : من باب الكنى : « أبو زيد الذي جمع القرآن ، وقع في حديث أس في صحيح البخاري غير مسمى . وقال أس : هو أحد عمومي . واختلفوا في اسمه ، ف قيل : أوس ، وقيل : ثابت بن زيد ، وقيل : معاذ ، وقيل : سعد بن هبيل ، وقيل : قيس بن السكن وهذا هو الراجح » . والظر الإصابة ٧١٧٥ .

(٢) في الأصل : « هذا في قراءة أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود » .

فيه — إذ كنا عثمائيةً وعمريةً — قولكم في عمر وعثمان.. أوما تعلم أن الخبر مستفيض بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أقرؤكم أبي » ؟! فترى أياً^(١) كان أقرأ منه . وقال : « أفرضكم زيد » فترى زيدا كان أفرض منه . وقال : « وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ » فترى معاذاً كان عند النبي صلى الله عليه أعلم منه . وقال : « وأقضاكم علي » فينبني أن يكون علي^٥ أفضى منهم . وأنتم لا ترضون أن يكون زيد أفرض منه ، ولا أبي أقرأ منه ، مع أن « أقضاكم علي » ليس هو في حديث البصريين ، فإن كان كما رواه البصريون فهو لاء النفر أعلم منه . وإن كان كما رواه غيرهم فكل واحد أفضى من الآخرين فيما ذكرته . فهذا هذا .

١٠ فإن صرتَ إلى أن تسأل الناس عن الاختيار ، وجودة الرأي ، والقوة في السلطان ، والضبط للعدو والعوام قالوا : أبو بكر وعمر .

وإن سألتَ عن الفتوح قالوا : أبو بكر وعمر وعثمان ، لأن أبا بكر رد الإسلام في نصابه برد أهل الردة ، وهو الفتح الأكبر ، وقتل مسيلمة ، وأسر طليحة ، وغزا^(٢) العدو ومنع الخوذة .

١٥ ولأن عمر دون الدواوين ، وفرّض الأعطية وجند الأجناد ، ومصر الأمصار ، وجبى الفى^(٣) ، وبلغت خيلهُ إفريقية ، وأوطأ خيلهُ خراسان وأقصى كرمان ، وأزال ملك بني ساسان .

ولأن عثمان هو الذى افتتح الثغور كلها : افتتح إرمينية ، افتتحها حبيب بن مسلمة الفهري وافتتح أذربيجان ، افتتحها المغيرة بن شعبه ، وقد

٢٠ (١) في الأصل : « أبى » .

(٢) في الأصل : « وعدا » .

(٣) في الأصل : « وجبا الفى » . والننى : الغنيمة والحراج .

كان الأشعث معه فيها . وافتتح إفريقية ، افتتحها له عبد الله بن سعد بن أبي سرح . وافتتح سجستان ، افتتحها له عبد الله بن سمرة .
فهذا باب المخصوصين بالفتوح .

وإن سألت عن الدهاة وأصحاب الإرب^(١) والمكائد قالوا : عمرو ابن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، ومعاوية بن أبي سفيان . ولم نذكر فيهم زياداً لأن زياداً لا صُحبة له . فهذا باب الدهاة .
وروى الناس عن قبيصة بن جابر الأسدي^(٢) وكان علامة داهية حَكَمًا ، أنه قال : « ما رأيت رجلاً قط أخوفَ لله من أبي بكر ، ولا أقوى في دين الله من عمر ، ولا أصدق حياءً من عثمان ، ولا أوصلَ لرحم ولا أعطى من تلاد مالٍ من طلحة ، ولا أكثرَ تخارجٍ في الأمور من معاوية ولا أخضرَ جواباً ، ولا أكثرَ صواباً من عمرو » . ولم نره ذكره .
ثم الذي كان من أسماء بنتِ عميس ، ومن قولها — وعلى بن أبي طالب شاهدٌ ، لما تفاخر عندها بنوها من جعفر وأبي بكر وعلي ، قال لها علي : اقضى بينهم — قالت : ما رأيتُ شاباً أطهرَ من جعفر ، ولا رأيتُ شيخاً أفضلَ من أبي بكر ، وإن ثلاثة أنت أحسُّهم لفضلاء .

فهذه قضيتُها^(٣) ؛ ولم يُروَ عن علي في ذلك إنكار .
فإن قلتم : إن قولها ليس بحجة . قلنا : قد صدقتم لو كان ليس بحجة إلا قولها فقط ، ولكن الأمور إذا جاءت من هاهنا وهاهنا كان اجتماعها دليلاً على أنه لم يكن عندها مع فضله وسلاحه وسابقته وقرابته ذا رأى .

(١) الإرب ، بالكسر : الدهاء والفكر .
(٢) مما يذكر أنه كان أخاً لمعاوية من الرضاع . تهذيب التهذيب .
(٣) القضية : الحكم والقضاء .

ولقد بلغه ذلك عن قريش حتى قام خطيباً معتذراً فقال في خطبته :
« حتى قالت قريش : ابن أبي طالب شجاعٌ ولاكن لا علم له بالحرب ،
لله أبوهما وهل منهم ^(١) أحدٌ أشدُّ مراساً لها ولا أطولُ تجربةً مني . لقد نهضتُ
فيها وما بلغتُ العشرين ، فما أنا الآن ^(٢) قد ذرَّفتُ على الستين ، ولكنه
لا رأى لمن لا يُطاع . »

وقال الأحمد بن قيس لما قدم عبيد الله ^(٣) بن عليّ بن أبي طالب — وهو
قتيل ^(٤) المختار بن أبي عبيدٍ في أيام فتنة ابن مُخرَّبَة العبدي ^(٥) : ما هذا
الذي أنتم فيه ؟ قالوا : قدِم عبيد الله بن عليّ يدعو الناس . قال : إن كان
لا بُدَّ فنجبُوها حسناً وأباً حسن ، فإننا لم نجدُ عندهم علماً بالحرب ، ولا إنالةً للمال .
وقيل لأبي بَرزَة الأسلمي ^(٦) : لم آثرتَ صاحب الشام على صاحب العراق ؟
قال : وجدته أطوى لِسِرِّه ، وأملكَ لِمَنان جيشه ^(٧) ، وأنظرَ لما في نفسه .
وفي قول العباس بن عبد المطلب ، وهو حلیمُ قريش — وإذا كان حلیمُ

- (١) في الأصل : « وهم امنهم » ، صوابه من البيان ٢ : ٥٥ حيث تجد مراجع الخطبة .
(٢) في البيان وابن أبي الحديد ١ : ١٤١ : « فهأنذا » .
(٣) في الأصل : « عبيد الله » ، تحريف ، انظر الطبري ٦ : ٨٩ / ٧ : ١٥٣ ومقال
الطالبين ٨٧ . وفي الطبري : « لما قتله من يزعم أنه لأبيه شقيقة » . أما لأنهم قتلوه
وهم يعرفونه .
(٤) في الأصل : « قتل » .
(٥) هو المثنى بن مخزبة . الطبري ٧ : ٩٣ والقاموس (خرب) .
(٦) في الأصل : « أبو بردة » ، تحريف . وهو أخوة بن عبيد أبو بَرزَة الأسلمي ؟
صاحب رسول الله الإصابة وتهذيب التهذيب ١٠ : ٤٤٦ والمعارف ١٤٦ . وفي تاريخ
الإسلام للذهبي ٢ : ٣٢٨ : « وكان مع معاوية بالشام ، وقيل : شهد صفين مع علي رضي الله
ويبدو أنه كان مرة مع علي ، ومرة مع معاوية . انظر أيضاً وقعة صفين ٢٤٦ .
(٧) وردت الكلمة مهملة في الأصل هكذا : « حبسه » .

قريش فهو حلم العرب ، والحلم اسم جامع للعلم والحزم — وذلك أنه لما قبض
عمر وصلى صهيب^(١) بالناس دعا العباس^(٢) علياً فقال : هل أحدثتم شيئاً ؟
فقال : فاحفظ عني ، فإنني لم أقدمك في شيء إلا رأيتك مستأخراً . من ذلك
أنني قلت لك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيل^(٣) : اذخل عليه فسله ،
فإن يكن هذا الأمر فينا أعلمه الناس ، وإن يكن في غيرنا أوصي بنا ٥
فتركت ذلك وقد منيت^(٤) بدهاة قريش ، وقد حيل دوني ، فلا يمرضن^(٥) عليك
شيء إلا قلت : لا لا ، ولا يا أبتى ، تمصر عينيك وتمحك قفاك ، بعد
فوت الأمر .

ففيما ذكرنا دليل^(٦) أنه كان لا يساوي أبا بكر ولا يجاريه ، ولا يدانيه
ولا يقاربه ، وأنه في طبقة أمثاله طلحة والزبير ، وعبد الرحمن وسعد . ١٠
فإن قالوا : فإن علياً كان أزهد فيما تناحر الناس عليه ، ولأن
أزهد الناس في الدنيا أرغبهم في الآخرة ، ولأن أرغبهم في الآخرة
أعلمهم بأحوال الآخرة .

قلنا : قد صدقتم في صفة الزهد ، ولكن أبا بكر كان أزهد منه .
وسندكم على ذلك . ١٥

فمن ذلك أن أبا بكر كان ذا مال كثير ، ووجه عريض ، وتجارته
واسعة ، فأنفق ذلك في سبيل الخير وعلى أهله ، إيثاراً لله ورسوله ،
وطلب ما عنده ، حتى لقي^(٧) [الله] ، وما كانت تركته يوم مات غير
بمير ناضح ، وعبد صيقل^(٨) ، مع الخلافة وكثرة الفتوح والغنائم
والخرج والصدقة . ٢٠

(١) أي أنقله المرض وأشرف على الوفاة .

(٢) في الأصل : « عصب » بالإهمال .

(٣) في الأصل : « ثق » بإهمال الحرف الأول .

(٤) الصيقل : شحاذ السيوف وجلاؤها .

وكان عليُّ بنُ أبي طالبٍ مُقِلًّا مُخَفِّقًا^(١) يُمال ولا يعول ، فاستفاد الرباع^(٢) والمزارع ، والعيون والنخيل ، ومات ذا مالٍ وأوقاف ، وما يحسب ماله ووقفه بينبع^(٣) إلا مثل كلِّ شيءٍ ملكه أبو بكر منذ كان في الدنيا إلى أن فارقها . وتزوج فأكثر ، وطلق فأكثر ، حتى عابه بذلك معاوية ، وجعله طريقاً إلى تنقصه ، وسبيلاً إلى الطمن عليه ، فقال وهو يكنى عن ذكره ويُريده ؛ ليكون أسدَّ لسهمه ، وأوقع في^(٤) قلب من سمعه : « إنني والله ما أنا بنسكحة ولا طلقة » .

والآثارُ أنَّ عليًّا رحمةُ الله عليه ، استشهدَ وعنده تسع عشرة سُرِّيَّةً مطهَّمة^(٥) وأربع نسوةٍ عقائل .

١٠ ولا سواها من كان ذا مال فأنفقَه ، ومن كان مُقِلًّا فكسبه . ولم يتزوج أبو بكر في خلافته امرأة ولا اتَّخذ سُرِّيَّةً ، ولا تفكه بشيء ، ولا آثرَ لذَّةً^(٦) إن كان له طلقاً مباحاً .

ثم الذي كان من أبي بكر في عمالته^(٧) : أنَّه كلف بني تيم ومن عنده أياديه ومينئه أن يردوا ما أخذ من بيت المال فيه ، لكي يجعل أعماله لله . وعلى ذلك احتذى عمر . وقد كان عليٌّ يأخذ أعماله ، ولم يُخبرنا أصحابُ الآثار أنَّه ردَّها في بيتِ المال ، ولا كلف ذلك بني هاشم

(١) أخفق الرجل : قل ماله .

(٢) الرباع : النازل ، جمع ربيع .

(٣) موهلة في الأصل « تسع » . وانظر معجم البلدان .

(٤) في الأصل : « فأوقع من » .

(٥) السرية : الجارية المتسراة . المطهَّمة : الحسناء الجميلة .

(٦) في الأصل : « ارلده » بالإهمال .

(٧) العمالة ، بتثنية العين : أجر العامل .

في وصية . وهذا ما لا يختلف فيه رجال من أصحاب الآثار ،
وَحَمَالُ الْأَخْبَارِ .

وقد كان أَخَذَ لَقُوحًا وَحَبَشِيَّةً لِرَضَاعِ بَعْضِ وَلَدِهِ فَرَدَّ ذَلِكَ^(١)
فِي بَيْتِ الْمَالِ .

ولما بايعَ النَّاسُ أَبَا بَكْرٍ غَدَا عَلَى سَوْقِهِ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ ، فَقَالُوا :
فَلَا بَدَّ أَنْ نَجْعَلَ خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا يُقِيمُهُ . قَالُوا :
مُرَدِّيهِ إِذَا أَخْلَقَهُمَا وَضَعَهُمَا وَأَخَذَ مَكَانَهُمَا ، وَظَهَرَ إِذَا سَافَرَ ، وَنَفَقْتَهُ
عَلَى أَهْلِهِ كَمَا كَانَ يُنْفِقُ قَبْلَ خِلَافَتِهِ . قَالَ : رَضِيت . فَجُمِعَ ذَلِكَ كُلُّهُ
وَحَفِظَ ، ثُمَّ أَمَرَ ابْنُ تَيْمٍ فَرَدُّهُ فِي بَيْتِ الْمَالِ . فَخَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا
خَفِيفَ الظَّهْرِ ، خَمِصَ الْبَطْنِ . فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ قَالَ عُمَرُ : رَحِمَ اللَّهُ
أَبَا بَكْرٍ ، لَقَدْ شَقَّ عَلَى مَنْ بَعْدَهُ !

فَإِنْ قَالُوا : أَوَلَيْسَ قَدْ كَانَ عَلَى^٢ يُنْضَحُ بَيْتَ الْمَالِ فِي كُلِّ مُجْمَعَةٍ
وَيُصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ؟

قُلْنَا : إِنَّا لَمْ نَكُنْ فِي ذِكْرِ الْأَمَانَةِ وَالْخِيَانَةِ ؛ لِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعَلِيًّا
يَرْتَفِعَانِ عَنْ هَذَا الضَّرْبِ مِنَ الدِّيحِ ، وَعَنْ هَذَا الضَّرْبِ مِنَ الثَّنَاءِ ،
وَإِنَّمَا كُنَّا فِي ذِكْرِ الزُّهْدِ فِي الْمَبَاحِ ، وَفِي الْإِثَارِ وَالرَّفْضِ لِلْفُضُولِ ،
لِأَنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ يُعْطَى مَالَهُ وَعَلَيْهِ ، وَبَيْنَ مَنْ يُعْطَى مَا عَلَيْهِ وَلَا يُعْطَى
مَالَهُ فَرْقٌ .

وَمَا يَدُلُّ عَلَى فَضْلِهِ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ فِيهِ مِنَ الْقُرْآنِ مَا لَمْ يُنَزِّلْهُ فِي أَحَدٍ

من المهاجرين والأنصار . كل ذلك يخبر عن فضله ، ويدل فيه على مكانته منه ، ويثني عليه ويزكيه ويمظّمه . وليس من أفرد الله فيه الآي ، وأفردته بالذّكر كمن ذكره في جملة المؤمنين ، وجمهور الأنصار والمهاجرين .

- ٥ ولا سبيل إلى المعرفة بأنّ الله عني بآية كذا وآية كذا فلاناً دون غيره إلا بضرابين : إما أن يكون اسمه وخاصةً نسبه ونمته^(١) مسطوراً في الآية ، كما ذكر فرعون وأبا لهب ، وفلاناً وفلاناً ، وكما ذكر آدم ونوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً صلى الله عليه وعليهم . أو يكون المراد بالآية وإن لم يذكر اسمه ، كما ذكر لقمان ، وزيد^(٢) .
- ١٠ [وزيد] مشهور النسب معروف القصة أنّه المراد بالآية ، وبشهرة القصة والنسبة حتّى لا يكون بين أهل ذلك الدهر في ذلك تنازع ، ولا بين أصحاب التأويل والأخبار في دهرنا هذا ؛ فيكون كأنّه مسمّى وإن لم يُسم . وقد كانت تحدث بين الناس أمورٌ فينزل القرآن عقيب ذلك ، فيعلم المهاجرون والأنصار من المراد بهذا التنزيل . كالذي كان من شأن عائشة وما قرّفت به ، حتّى أنزل الله لذلك السبب آياً كثيراً ، وإن لم يكن الله سمّى عائشة ولا من قرّفها . وكالذي نزل من القرآن في قصة الغار وهجرة النبي صلى الله عليه وأبي بكر ، وهرّبهما من قريش ، ونصرة الله لهما .

- فكان ممّا أنزل الله في أبي بكر من تفضيله وتزكيته وإن لم يُسمّه
- ٢٠ قوله لجميع المؤمنين : « إلا تنصروه فقد نصره الله » إذ أخرجه الذين

(١) في الأصل : « له » .

(٢) أي ولو لم يذكر اسمها في القرآن لكان معروفاً أيضاً أنهما المرادان .

كَفَرُوا ثَانِيَّ اثْنَيْنِ إِذْ هَا فِي النَّارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ
مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَمَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ
كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ^(١) .

فلا يخلو قوله : « إِلَّا تَنْصُرُوهُ » من أحد وجوه : إمّا أن يكون
خاطباً به المشركين عامّةً ، أو خصّاً به الخاذلين العادين والباغين ،
أو يكون مخاطباً به المؤمنين .

ولا يجوز أن يكون عنيّ به المشركين ، لأنّه لا يجوز في الحكمة
وفي المعروف من البيان أن يقول الرجل الحكيمّ المبين ، للعدوّ المكاشف
بعداوته ، المظهر لضعفه ، الباذل لرأيه وماله ، المعاند في فعله : إِلَّا تَنْصُرُنِي
فقد نصرني فلان ! لأنّ النصر لا يُلْتَمَسُ من العدوّ المكاشف ، وإنما
يُلْتَمَسُ من الوليّ أو من الخاذل .

وكيف يقول هذا وإنما غايته الانتصارُ منه بغيره .

وفي قول الله عز وجل : « إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا » دليلٌ أن
المخاطبَ بالكلام غيرُ الذين كفروا به وجحدوه وأخرجوه . ولا يجوز
أن يكون عنيّ الخاذلين له من قُرَيْشٍ ومُشْرِكِي مَكَّةَ إِلَّا والخاذلون
قد كانوا هناك معروفين ، بائنين من العادين التوثيين المُبَادِينَ بالعداوة ،
المظهرين للمحاربة . ولا نعلمهم كانوا يبطن مَكَّةَ صِنْفَيْنِ متمايزين ،
[و] فريقين متباينين ، حتّى يكون كلُّ حزبٍ مشهوراً بالذى هو عليه
من الخذلان والعداوة . وليس بطنٌ من بطون قُرَيْشٍ إِلَّا وقد لقي النبي
صلى الله عليه وسلم منه أعظمَ المكروه وإن كانوا في ذلك على طبقات :
من مجتهدٍ لا يُبْقَى ، ولا يَفْتَر ولا يَسْأَم ، ومن رجُلٍ مائلٍ معهم بضلّعه ^(٢)

(١) الآية ٤٠ من سورة التوبة .

(٢) الضام ، بالفتح : الميل .

مُبِيدٌ مَعَهُمْ لَضَرَّةٌ^(١) وَإِنْ كَانَ لَا يَبْلُغُ غُلُوَّ الْآخِزِ وَتَصْمِيمِهِ وَقِلَّةُ إِغْفَالِهِ .

وَلَقَدْ كَانَتْ مُخْزَاعَةٌ وَثَقِيفٌ عَلَى بَعْدِ أَنْسَابِهَا وَأَرْحَامِهَا أَحْسَنَ تَقِيَّةٍ

مِنْ قَرِيشٍ فِي إِظْهَارِ الْمَدَاوَةِ ، وَالْإِرْصَادِ بِالْمَكْرُوهِ ، وَالثَّبَاتِ عَلَى الْبَغْيِ ،

كَالَّذِي بَلَغَكَ عَنْ الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيقٍ وَمُعْرُوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَبُدَيْلَ بْنِ

وَرْقَاءَ ، مِنْ رُكُونِهِمْ إِلَى الصُّلْحِ وَحُبِّهِمْ لِلْسَّلَامَةِ ، مَعَ قِلَّةِ التَّسَرُّعِ ٥

وَالْتَوَثُّبِ . عَلَى أَنَّهُمْ قَدْ أَجْلَبُوا وَطَعَسُوا ، وَكَفَرُوا وَكَذَّبُوا ، بَعْدَ

الْإِفْصَاحِ لَهُمْ بِالْحُجَّةِ ، وَالْإِبَانَةِ لَهُمْ عَنِ الْمَحْجَّةِ .

وَلَقَدْ كَانَ أَبُو لَهَبٍ عَلَى قَرْبِهِ وَقَرَابَتِهِ ، شَبِيهًا بِأَبِي جَهْلٍ فِي الْغِلَظَةِ

وَالْقَسْوَةِ وَالْجَفَاءِ ، وَكَثْرَةِ التَّدْرِىِّ^(٢) ، وَقِلَّةِ السَّامَةِ .

١٠ وَلَمْ يَكُنْ أَبُو طَالِبٍ يَوْمَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ حَيًّا مُقِيمًا فَيَكُونَنَّ اللَّهُ جَلَّ

ذِكْرُهُ عَنْهُ فَيَمْنَأُ أَطَاعَهُ مِنْ رَهْطِهِ بِهَذَا الْكَلَامِ . عَلَى أَنَّهُ لَوْ كَانَ حَيًّا

لَقَدْ كَانَ مَعْلُومًا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَحَدٌ أَحْسَنَ ذُبًّا ، وَلَا أَشَدَّ نَصْرًا ،

وَلَا أَظْهَرَ مَعُونَةً ، وَلَا أَشَدَّ حِمَايَةً مِنْهُ .

وَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ لِيُعَرِّفَ قَوْمًا مَوْضِعَ الْخِلَّةِ فِي النَّصْرَةِ ، وَالتَّقْصِيرِ فِي الْمَدَافَعَةِ ،

١٥ إِلَّا وَأَدْنَى مَنَازِلِهِمْ أَنْ يَكُونُوا مُقَرَّنِينَ^(٣) لِمَنْ نَاوَأَهُمْ ، مُضْطَلَمِينَ بِدَفْعٍ مِنْ

شَاقِّهِمْ^(٤) .

وَلَا نَعْلَمُ يَوْمَ كَانَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ ، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ، وَبِمَكَّةَ رَجُلٌ

(١) فِي الْأَصْلِ : « لَضَرَّةٌ » .

(٢) التَّدْرِى : الْحَنْتَلُ .

(٣) الْمَقْرَن : الْمُطَبَّقُ . وَفِي الْكِتَابِ : « وَمَا كُنَّا لَهُ مُقَرَّنِينَ » .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « مُضْطَلَمِينَ » . يُقَالُ هُوَ مُضْطَلَمٌ بِالْفَيْءِ ، أَيُّ قَوًى عَلَيْهِ قَادِرٌ .

من بني هاشم مطاع متبوع غير العباس بن عبد المطلب . ولا يجوز أن يقول الله للعباس ومن كان في ذراه ممن يسمع له وينفذ لأمره : « إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ » ، وقد علم أن العباس وأشباهه من مشيخة بني عبد مناف لا أعوان لهم يومئذ من بني عبد مناف ، لأن بني عبد مناف دنيا^(١) على قربهم وقرباتهم ، كانوا أشد الخلق على رسول الله ، كابي سفيان بن حرب ، وعقبة بن أبي معيط ، والحكم بن أبي العاص ، وأبي أحيحة ، ومعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وفلان وفلان . ولم تكن أمة انمازت في ذلك الدهر من هاشم ، وكان يقال للحيين : عبد مناف . [و] كان من أمر عثمان الذي بَلَغَكَ .

١٠

فقد دلّ الكلام على أن الله إنما عني بالآية المؤمنين دون الكافرين ؛ إذ كانت مخاطبة العادي والخاذل على ما وصفنا . وليس أنه أراد تأنيب المؤمنين وتقريع المهاجرين ، ولكنه أخبر عن تقصيرهم عن فضيلة أبي بكر إذ ظعنوا وأقام . وليس النقص في الفضل كالتقص في الفرض . فكأنه تعالى وعز قال : لو كنتم صبرتم مع نبيكم ، ما أقام ، إلى وقت الإذن^(٢) كصبر أبي بكر معه ، ولم تخرجوا هاربين جازعين ، ولدار نبيكم مهاجرين ، كان أشد لصبركم ، وأكل لرغبتكم ، وأتم لتقيتكم . وليس أنكم عصيتم في خروجكم ، ولكن بعض الصبر والاحتمال أفضل من بعض ، وكذلك الطاعة تطوعها وفرضها . كما قد علمتم أن بلالاً وخباباً وعماراً حين فضهم^(٣) المشركون عن دينهم جزع عمار وأعطاهم الرضا ، مع انطواء قلبه

٢٠

(١) يقال هو ابن عمه دنيا ، أي لما . (٢) أي الإذن بالخروج والهجرة .

(٣) كذا في الأصل مع شدة فوق الضاد . و « فتنهم » أولى بهذا المقام .

على الإخلاص ، وتلج صدره بالإيمان ، ولكن عزمه كان منقوصاً عن التمام ، من غير أن يكون ذلك عصياناً ولا خلافاً . ويدلك على ذلك قول الله : « **إِلَّا مَنْ أَكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ** » . ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **إِنْ عَادُوا فَمُدَّ** » ، يريد به التوسعة والرخصة والإطلاق ، وليس على الأمر والترغيب . ٥

وكما بلغك عن الرجلين الواردين على مسيئمة ، حين قال لأحدهما : أتعلم أنني رسول الله ؟ قال : نعم . قال : أفتعلم أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم . قال : فأمر به فقتل . وقال للآخر : أتعلم أنني رسول الله ؟ قال : نعم . قال : فتعلم أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم . فأمر بتخلية سبيله . فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال : **أَمَّا الْأَوَّلُ فَمَضَى عَلَى عَزْمِهِ وَيَقِينُهُ فَهَنِيئاً لَهُ ، وَأَمَّا الثَّانِي فَأَخَذَ بِرُخْصَةِ اللَّهِ فَلَا تَبِعَةَ عَلَيْهِ** . ١٥

فملى هذا المثال كان تقصير القوم ، لا على وجه الخلاف والمعصية . وذلك أن أبا بكرٍ أقام بمكة ما أقام النبي صلى الله عليه وسلم ، وهاجر الناس الأول فالأول ، فبعض أتى المدينة ، وبعض أتى الحبشة ، حين اشتد عليهم البلاء وطال الدلّ وقلّ الناصر ، وقويت الضغائن ، فكان النفر بعد النفر ، والرجل بعد الرجل ، يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة فيأذن له . وأقام أبو بكرٍ وحيداً لا أنيس له ، وذليلاً لا ناصر له ، وخائفاً لا أمان معه ، في كل يوم يزدادون عليه قوة ويزداد عنهم ضعف ، فإذا بلغ^(١) وبلغ المجهود ، ولم يبق في قواه فضل يستعين به على الصبر ، استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في المضي إلى إخوانه والأحقق بهم ، ٢٥

(١) الكلمة مهملة في الأصل . وبلغ بليحاً : أهباً .

فيقول له : « لعلَّ الله أن يجعل لك صاحباً » فيزداد بها أبو بكر قوة ، وتحدث له بها همّة . وهذه كلمة ما قالها النبي صلى الله عليه وسلم لمستأذنٍ قبله ، فيعلم أبو بكر عند ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما عناه ؛ فيشجع من نفسه ، ويشدُّ من مُنتَهيه ، طمعه في شرف الصُّحبة ، وإكرامه إِيَّاه بفضيلة المرافقة .

٥

وقد استأذن النبي صلى الله عليه وسلم الناس [قبله ^(١)] بسنين ، فكان أولهم أبو سلمة بن عبد الأسد ^(٢) ، وآخرهم عمر بن الخطاب ، لقرب حال عمر في الفضل والصبر من حال أبي بكر . فكأنَّه خاطب المهاجرين ، على التعريف لهم بفضيلة ^(٣) صبر أبي بكر على صبرهم ، مشحذة لهم على إعطاء الجهد ، وترغيباً لهم في غاية الصبر في مستقبل الأمور وحوادث الامتحان . فكأنَّه قال : إذا لم تستتمروا الصبر ، ولم تبلغوا غاية الجهد ، ولم تصبروا ما أقام ، فقد نصرته أنا إذ أخرجته ثانی اثنين .

والدليل على ما قلنا قول عمر لقريش حين بادأهم المداوة ، ونصب لهم الحرب ، وأحسن من نفسه بالجلد وشدة الشكيمة ، وقوة المزيمة : « أمّا والله أن لو قد صيرنا مائة تركتموها لنا إن تركناها لكم » ١٥
يعنى مكة .

فلو كان جميع من هاجر إلى الحبشة وأتى المدينة على مثل هذا المزُم

(١) تسكّلة يفتقر إليها الكلام .

(٢) اسمه عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم الخزومي ، أسلم بعد

عشرة أناس ؛ وكان أخا النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاع . الإصابة ٤٧٧٤ . ٢٠

(٣) في الأصل : « فضيلة » .

والاحتمال والدفع ، وهم جميع ، لكانَ ذُلُّ من أقام ووحشته أقل ،
ونفوسهم أطيب .

والدليل على فضيلة مقام أبي بكرٍ على ظَنِّهم أنهم حيثُ هاجروا
ونزَلُوا بالنَّجَاشِيِّ والأنصار فزَلُوا بأكرم منزولٍ به ، فكانوا في ذَرَاهُ
آمنين ، رافعين وادعين ، إلَّا ما كان من قِصَّة جعفرٍ ، وسماية عمرو ،
وإحاش النَّجَاشِيِّ وتهيبجِه^(١) . فما كان ذاك إلَّا صَدَرَ نَهارٍ حتَّى جعلَ
اللهُ العاقبة للمتقين . وأبو بكر والنبي من الوَحْدَةِ والقِلَّةِ ، والجفوة والوَخْشَةِ ،
وخِفَّةِ ذات اليد ، والسَّبِّ والإهانة ، والخوف بالقدر الذي لا يأتى عليه قولٌ
وإن كثر ، ولا يبلغه وهم وإن اتَّسع .

وهكذا روينا عن الضَّحَّاك وقتادة وأبي بكر الهذلي في تأويل هذه
الآية : أنَّ الله عَاقَبَ جميعَ المؤمنين بها غير أبي بكر . ولو لم يَكُنْ رواية^(٢)
لم يفسِّر ذلك صاحبُ تأويل ، لم يَجُزْ أن يكون تأويلُه غيرَ الذي قلنا ؛
للدِّي شَرَحْنَا وفَصَّلْنَا .

ولو كانت هذه المخاطبةُ وقعتْ على الخاذلين والمادين ، أو على الخاذلين
دون المادين والمؤمنين ، لقد كان لأبي بكر في الآية ما ليس لأحد ، فكيف بها

(١) أما جعفر بن أبي طالب ، فكان سبباً في إسلام النجاشي حين أبان له حقيقة الدين
وشرح له ما يدعو إليه . وأما عمرو بن العاص — وهو أحد رجلين كانت قريش أرسلتهما
إلى النجاشي ليرد عليهم المؤمنين المهاجرين ليفتنوهم كما فتنوهم من قبل . والآخر هو عبد الله
ابن أبي ربيعة — فإنه سعى سعيًا حثيثاً لدى النجاشي في ذلك ، وحاول أن يفسد نجاحهما في دعوة
النجاشي إلى الدين ، وكان مما قاله في تهيبج النجاشي : « أيها الملك إنهم يقولون في عيسى بن
مريم قولاً عظيماً » . ولكنه أخفق في ذلك وتم إسلام النجاشي . السيرة ٢١٥ — ٢٢٥ .
(٢) في الأصل : « ولم كان يكن » مع خط على « كان » .

إن كانت في المهاجرين ؛ لأنَّ في قوله « ثانی ائین » معنی عظیم ، وفي قوله :
« فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ » معنی عظیم .

فإن قالوا : كلُّ ما عظمتُم فَعِظِم ، ولكنَّ بعضَه لا يجوز إلا للنبيِّ
صلى الله عليه دون أبي بكر ، وهو قوله : « فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ » .

قيل لهم : استكرهتم التأويل ، وصرفتم الكلام عن سَنِيهِ ،
وغيرُ تأويلكم أشبهُ بكلام العرب ، وأظهر في بيان الخطباء ، ومراجعة
الحكماء . وذلك أن النبيَّ صلى الله عليه كان هو الرابطة الجاش ، الثابت
الجنان ، الساكن النفس ، وهو العزى لأبي بكر ، والمسهلُّ عليه شدة حُزنه ،
والطيبُّ لِنَفْسِهِ ، والمسكنُ لحركة قلبه ، للذي^(١) رأى وعائِنَ من اكترائه
ومن اضطرابه ، وقلة سكينته . وهذه الحالُ التي فيها قلبُ النبيِّ صلى الله عليه
وخليفته ، وأبو بكر على ما وصَفْنَا وِفَرَقْنَا ، هي الفاصلة بين النبيِّ صلى الله
عليه وبين خليفته ، إذ كان الخليفة قد شارك النبيَّ صلى الله عليه في حضوره
واحتماله ، وبأن منه النبيَّ صلى الله عليه بشدة عزمه وسعة صدره ، وسكون
قلبه ، كالفصل الذي بين الخليفة ووليَّ عهده .

وكذلك^(٢) تمجِّلُ عمرُ الهجرة قبل أبي بكر ، فكان بذلك أنقصَ
فضلا منه . وتأخَّرَ بعد المهاجرين ، فكان بذلك أتمَّ فضلا منهم .

* وفي قول الله : « إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ
اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ » دليلٌ على أنَّ السَّكِينَةَ نَزَلَتْ على صاحبه ، وأنَّ
الهاء التي في « عليه » مضمرة فيها صاحبه . ولا يشبه أن تكون

السَّكِينَةُ نَزَلَتْ عَلَى مَنْ لَمْ يَخْلُ مِنْ السَّكِينَةِ وَقِلَّةِ الاضطراب ، وعلى السَّهْلِ عَلَى صَاحِبِهِ وَالطَّيِّبِ لِنَفْسِهِ^(١) وَالْبَشْرِ لَهُ بِالنَّصْرِ ، حِينَ يَقُولُ : « لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا » . وهو كما أَخْبَرَ أَبُو مُعَاوِيَةَ الضَّرِيرُ ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ سَيَّاهَ ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ : فِي قَوْلِ اللَّهِ : « فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ » قَالَ : عَلَى أَبِي بَكْرٍ ؛ فَأَمَّا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فَقَدْ كَانَتْ السَّكِينَةُ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ* .

فَإِنْ قَالُوا : فَكَيْفَ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَلَى نَسَقِ الْكَلَامِ : « وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا » ، وَالْمُؤَيَّدَ بِالْجُنُودِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ إِلَّا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، لِأَنَّ الْجُنُودَ الَّذِينَ عَنِ اللَّهِ مَلَائِكَتُهُ .

١٠ قِيلَ لَهُمْ : وَمَا تَتَكَبَّرُونَ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ أَيْدٍ رَجُلًا بِالْمَلَائِكَةِ ، بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَبِإِشَارَتِهِ وَبِحَقِّ مَحَبَّتِهِ ، كَمَا أَيْدَى اللَّهُ جَمِيعَ أَهْلِ بَدْرِ بِالْمَلَائِكَةِ ، وَكَمَا زَعَمُوا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ نَزَلَتْ فِي زِيِّ الزُّبَيْرِ ، وَلَيْسَ أَنَّ اللَّهَ حِينَ أَيْدَى أَبَا بَكْرٍ بِالْمَلَائِكَةِ أَنَّهُ أَرَاهُ جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ ، وَلَكِنْ

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَالطَّيِّبُ لِنَفْسِهِ » . انْظُرْ مَا مَضَى فِي الْمَنْفَعَةِ السَّابِقَةِ ص ٩ .
١٥ * الْكَلَامُ مِنْ « وَفِي قَوْلِ اللَّهِ » ص ١٠٧ س ١٧ إِلَى هُنَا هُوَ مَوْضُوعُ الرَّدِّ (٢٨) الَّذِي سَيَأْتِي فِي نَهَايَةِ الْكِتَابِ . وَالنَّصُّ عِنْدَ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ ٣ : ٢٧١ :
« قَالَ الْجَاهِلُ : وَمَنْ جَعَلَ كُونَ أَبِي بَكْرٍ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ ، لِأَنَّهُ جَعَلَ نَفْسَ الْكِتَابِ . ثُمَّ انْظُرْ إِلَى مَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا » ، مِنْ الْفَضِيلَةِ لِأَبِي بَكْرٍ ، لِأَنَّهُ شَرِيكَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي كَوْنِ اللَّهِ تَعَالَى مَعَهُ ، وَإِنْزَالِ السَّكِينَةِ . قَالَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ :
٢٠ لَأَنَّهُ فِي الْآيَةِ مَخْصُوصٌ بِأَبِي بَكْرٍ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ عَاجِزًا إِلَى السَّكِينَةِ لَمَّا تَدَاخَلَهُ مِنْ رِقَّةِ الطَّبِيعِ الْبَشَرِيِّ وَالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ غَيْرَ عَاجِزٍ إِلَيْهَا ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ مُحَرَّرٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ؛ فَلَا مَعْنَى أَنْزُولِ السَّكِينَةِ عَلَيْهِ . وَهَذِهِ فَضِيلَةٌ ثَالِثَةٌ لِأَبِي بَكْرٍ . » . وَقَدْ جُمِعَ فِي هَذَا النَّصِّ بَيْنَ مَا وَرَدَ فِي ص ٤٤ ، ٥٠ ، ٥١ .

ليعلمه^(١) النبي صلى الله عليه أن بحضرته ملائكة قد أرسلهم الله لينموه من المشركين ، ليسكن بذلك رُوعه ، وتهداً نفسه ، وليثق بحضور النصر وتمجيل الدَّفْع .

وقد علمنا أن الله لم يجعل مع كل مؤمن مَلَكَيْنِ يكتبان خيره وشره استذكّاراً ، ولكن المؤمنين إذا شَمَرَ بمكانهما كان أقطع له عن ركوب الأدناس ، وأدعى له إلى الاستحياء ، وليعلم أن الأمر جدٌّ وليس بهزل .

فكذلك إحضار الملائكة لأبي بكرٍ ، ليكون إشارة النبي صلى الله عليه له بذلك تسكيناً لنفسه ، وتمجيلاً لبعض ما استحق بالاحتمال والمواساة والصبر ، من الثواب المعجل دون المؤجل .

ولقد بلغ من ظهور قصة أبي بكر وصحبته ومُرافقته وكونه مع النبي صلى الله عليه في الغار ، أن الرِّوافض مع شدة الإقدام ، والجُرأة على تكذيب النّاقلين ، لم تقدر على دفعه وردّه ، حتّى قال منهم قائلون : إنّما أخرجّه النبي صلى الله عليه خوفاً من أن يدلّ عليه ويسمى بأمره إلى أعدائه ، لأنّه كان حسّاً من النبي بالهجرة ، وعرف ميقاته الذي عزم عليه .

وكيف يجوز أن يخاطب الله الناس فيقول : « إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجّه الذين كفروا ثانی اثنین » والذي به كان النبي صلى الله عليه بائناً قد أبرّ على الأعداء^(٢) وأربى على الكُفّار ، لأنّ النِّفاق أعظم من التّصریح .

(١) في الأصل : « يعلمه » .
(٢) أبر عليهم : غلبهم . وكلمة « أبر » مبهمة في الأصل .

وهذا ما لا يجوز في عقل ، ولا يَسْنَح في فكر ، ولا يجوز في التعارف ،
ولا يليق بالبيان .

وكيف والله يقول على اتّصال اللَّفْظ بِاللَّفْظ والمعنى بالمعنى ، وتركيب
الآية الأخرى على الأولى : « وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ
الله هي المُلْكَا » .

ولا كافر أعظمُ كفرًا ، ولا أشدُّ عنودًا من ثارنيه وصاحبه في النار ، ورفيقه
في الطريق ، والمزمي لشدة حزنه ، إن كان الشأن على ما قالوا وكما وصفوا .
وإنما المناققة^(١) أن يكون الرجل معتقدًا لجحد الرسول وعداوته
ولكن الرسول هو الغالب على داره القاطع لمن بادأه بالعداوة ، وناوَاهُ
في الفضيلة ، فإنما يستبقى نفسه بنفاقه ، وبترميل حقه ، وإخفاء ضيقه .
فأما رجلٌ مقيم بمكة قليلٌ مفرد ، وذليل مطرّد ، وخائف مشرّد ، بين
استخفاء يمدل الموت ، أو هرب يقطع الأحشاء ، والذي هرب معه مقهور
مخدول ، والغالب على داره عدوه ، فكيف كان أبو بكر مناققًا والحال
على ما وصفنا ١٢

١٥ ولولا كثرة الفساد وما عمّ النَّاسَ من الغلط وفُحُش الخطإ ما كان
لذكر هذا وشبهه معنى .

والأثر المجتمِع عليه من أصحاب السّير والأشعار والأخبار ، أن النبي
صلى الله عليه قال لحسان : أما قلتَ في أبي بكر شيئًا^(٢) ؟ فأنشأ يقول :

(١) في الأصل : « المناقون » .

(٢) في البيان ٣ : ٣٦١ أن الأبيات رثاء في أبي بكر . والنظر ما كتبت هناك في حواشيه
وكذا جهرة أشعار العرب ص ١٣ وصلة الصفوة ١ : ٨٩ .

إذا تذكرت شجواً من أخى ثقةً فاذكر أخاك أبا بكرٍ بما فعلا
التالى الثانى المحمود مشهده وأولُ الناسِ منهم صدقُ الرُسلا
وثانى اثنين فى الغارِ النيفِ وقد طاف العداةُ به إذ صعد الجبلا
خير البرية أتقاها وأطهرها إلا النبيُّ وأوفاها بما حملا

فجمله تالياً ، وثانياً ، وصاحباً .

وقال أبو محجن :

وسميتَ صديقاً وكلُّ مهاجر سِوالكُ يسمي باسمه غير منكر^(١)
سبقتَ إلى الإسلامِ واللهُ شاهدُ وكنتَ جليساً بالعريشِ المشهرِ
وبالغارِ إذ سميتَ بالغارِ صاحباً وكنتَ رفيقاً للنبيِّ المطهرِ

فجمله سابقاً وصديقاً ، وجليساً وصاحباً .

وقال كعب بن مالك :

بقتَ ، أختا تيم ، إلى دينِ أحمد وكنتَ لدى الغيرانِ فى الكهفِ صاحباً
فجمله سابقاً ، وجمله صاحباً .

وقال النجاشي :

داعة أتى بدرأً وحرّاً يجلاذهم وكان جليساً بالعريشِ مُؤازراً^(٢)
فلو لم تكن له مأثرةٌ إلا ما دلّت عليه هذه الآية ، وإلا شرفَ
هذه الصُّحبة ، وموقع هذه الخاصة ، ونُبُل هذه المرافقة ، ومُشاهدِ
الثقة ، لكان فوق الجميع فى المكانة والفضيلة ، وفى مُرافقة النبي صلى
الله عليه .

(١) هذه الأبيات مما لم يروى فى ديوان أبي محجن .

(٢) حرير ، من باب ضرب وقعد وعلم : اشتد حره .

سمع أهل مكة الهاتف بالليل على قرن الجبل^(١) وهو رافع عقيرته ، يقول :
جزى الله رب الناس خيراً جزائه خليلي صفاء طردا كل مطرد
هما نزلا في الصبح نمت هجرا وأفلح من أمسى رفيق محمد
ليهنى بنى كعب مكان فتاتهم ومعهدها المؤمنين بمحصد^(٢)

وقال الحارث بن هشام :

رفيقان في المحييا وفي الموت ضمنا بأكرم مثنوى منزل ومكان

فهذا هذا .

ثم الذي كان من قصة مسطح بن أثاثة وقضيته^(٣) ، وكان ربيبه وابن
خالته^(٤) ، وفي مؤوته وتحت جناحه ، فلما عرفت عائشة بالذي قُرفت به
وبلغتك ، آلى أبو بكر ألا ينظر في وجهه ، ولا ينفق عليه ولا يكفله
ولا يَمُون عياله ، فلما أنزل الله عذر عائشة وبراءتها ، ولم يرض لها بالطهارة
والعفة حتى جعلها غافلة ، فضلا على أن يكون خطر ذلك على بالها فتدفيه ،
إشاراً للحلال على الحرام . وأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وآله في آية^(٥) يأمر
أبا بكر بالصفح عن مسطح ، والتجاوز عن ذنبه ، وتعهد ما كان منه ، وأن
يُميده في كنفه وعياله ، فقال : « ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة » .
فاظنك بأمرى يقول الله له وفيه هذا القول ، ويصفه بهذه الصفة حتى
يقول : « ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى
والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر

(١) هو جبل أبي قبيس ، كما في هيون الأثر ١ : ١٨٨ .

٢٠ (٢) انظر السيرة ٣٣٠ وابن سيد الناس ١ : ١٨٧ - ١٨٩ والرياض النضرة ١ : ٧٧ .
والفتاة هي أم معبد بنت كعب ، من بني كعب بن خزاعة .

(٣) في الأصل : « وقضيته » .

(٤) الصواب أنه ابن بنت خالته ، كما في الإصابة والسيرة ٧٣٣ .

(٥) في الأصل : « من آية » .

اللهُ لكم والله غفورٌ رحيم^(١) » ، فتلاها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر ، فلما انتهى إلى قوله : « أَلَا تَحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ » قال أبو بكر : بلى ياربِّ افْعَلْ عَنِّي ، فوجبت له المغفرة ، وأعادته إلى نعمته ، وجعل عياله في حَشَاءٍ وَتَحْتَ ظِلِّهِ .

٥ فَمَنْ أَعْظَمُ قَدْرًا مَنْ رَجُلٌ يَفْرِدُ اللَّهُ لَهُ الْآيَ فِيهِ مَعْظَمًا لَشَأْنِهِ ، ذَاكَ كَرَأِ لِفَضْلِهِ عَلَى لِسَانِ جَبْرِيلَ وَمُحَمَّدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ . فِهَذَا هَذَا .

وقد أجمع أهلُ التَّأْوِيلِ على أنَّ الله عَنَى بِقَوْلِهِ : « وَالَّذِي قَالَ لَوْلَا أُفٍّ لَكُمْ أَنْ تُعَذِّبُونِي أَنْ أُخْرِجَ » وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهِيَ يَسْتَفْهِثَانِ اللَّهَ وَيَلْكَ آيَمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ^(٢) » أبا بكره ، وعبدَ الرحمن بن أبي بكر ، وأُمُّهُ . ١٠

وكان أبو بكر وأهلُ بيته أهلَ بيتِ إسلام : كان هو مسلمًا ، وامرأته مسلمة ، وأبواه مسلمان ، وبناته مسلمات . وليس في العشرة الذين قال لهم النبي صلى الله عليه إنَّهم في الجنة ، ولا في قريش قاطبةً رجلٌ مؤمنٌ مؤمنٌ الأيوين غيرَ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ ، ولا في قريشٍ خاصَّةً والمهاجرين عامة صاحبُ ابن صاحبِ ابن صاحبٍ غيرَ عبد الله قتيل الطائف ابن أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ ، ابن ١٥ أبي قُحَافَةَ الْمُسْلِمِ يَوْمَ مَكَّةَ^(٣) ، والقائل فيه رسول الله صلى الله عليه لأبي بكر : « فَهَلَّا تَرَكْتَ الشَّيْخَ فِي مَنْزِلِهِ فَأَتَيْنَاهُ ! » . وله صحبة .

واجتمع أهلُ التَّأْوِيلِ على أن قوله : « أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ

(١) الآية ٢٢ من سورة النور .

(٢) الآية ١٧ من سورة الأحقاف .

(٣) الظاهر خبر إسلام أبي قحافة في السيرة ٨١٥ — ٨١٦ .

أَهْدَى أَمْ مَنْ يَمْشَى سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ « نزلت في أبي بكر
وأبي جهل . ألا ترى أن أبا جهل رأس الكفر فلم يُقَرَّنْ به ولم يُوضَعَ
بإزائه من المسلمين إلا رأسٌ مثله .

وقال الله : « فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى « الآية ،
يعنى أبا بكر . في إنفاقه المال وعنته الرقاب والمذنبين وقوله : « كَذَّبَ
وَتَوَلَّى » يعنى أبا جهل . وليس في الأرض صاحبٌ تأويل . خالف
تأويلنا^(١) ولا ردّ قولنا إن هذه الآية نزلت في أبي بكر .

وأما قوله : « قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى
بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا
وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يَمْدُبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا^(٢) » . فزعم
ابن عباس أن القوم الذين ذكروهم بنو حنيفة ، وأبو بكر استنفر إليهم
العرب ، وضمهم إلى المهاجرين والأنصار ، حتى أظفر الله يده وأظهر حكمه .
وأما غير ابن عباس فزعم أنهم فارس والروم .

فإن كان [ذلك^(٣)] كذلك فإن أبا بكر هو المستنفر إلى قتال
الروم . وإن كان عمر هو المقاتل لكسرى فإن ذلك راجع إلى أبي بكر
بتأسيسه لعمر واختياره له .

وقد زعم جُوَيْر^(٤) عن الضحَّاك في قوله : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ » . قال : أبو بكر وعمر .

(١) في الأصل : « تأويلا » .

(٢) الآية ١٦ من سورة الفتح .

(٣) زدتها مساوغة لأسلوب الجاحظ الذي يلتزم هذا التعبير .

(٤) جوير بن سبيد الأزدي البلخي . مات ما بين ١٤٠ و ١٥٠ . تهذيب التهذيب .

وقد زعم وَكَيْعٌ عن الفضل بن دَلْهَمٍ^(١) ، عن الحسن في قوله :
« فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ » ، قال : هم والله أبو بكر
وأصحابه .

ومثل هذا كثير ، ولم يجرى المجيء الذي يحتج به النصف والمرشد ،
ولكن الحجة القاطعة في إجماع^(٢) المفسرين في الآيات التي ذكرناها^٥
قبل في قصة النار ، والنصرة ، وفي قصة مسطح ، والمغيرة عنه والإنفاق
عليه ، وفي قصة عبد الرحمن بن أبي بكر وأبويه ودعائهما له إلى الإسلام
ورده عليهما ، وقصة أبي بكر وأبي جهل .

وقالت (الثمانية) : فإن زعمت الرافضة أن الله أنزل في عليٍّ آياتاً
كثيراً ، فكان مما أنزل فيه وفي ولده قوله : « أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا^{١٠}
الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ »^(٣) . فأولى الأمر عليٌّ وولده . فلم يرد
لأن كان أصحاب الأخبار قد أطبقوا على أنها نزلت في عليٍّ وولده إن
طاعتهم لواجبة . وإن كان هذا شيئاً تقوله متقولاً ، أو جاء من وجه
ضعيف ، فهو مع ضعفه شاذٌّ ، وليس في ذلك لكم حجة ؛ لأن الحديث
قد يحتمله الرجل الواحد الثقة عن مثله ، فيكون شاذّاً ، ما لم يكن^{١٥}
مستفيضاً شائعاً قد نُقِلَ عن المستفيض الشائع وقد يكون الحديث
يحتمله الرجلان والثلاثة وهم ضعفاء عند أهل الأثر فيكون
الحديث ضعيفاً لضعف ناقله ، ولا يسمونه شاذّاً ، إذا كان قد جاء من

(١) الفضل بن دلهم البصري ، كان قصاباً شاعراً معتزلياً . ذكره في تهذيب التهذيب .

(٢) في الأصل : « إجماع » .

(٣) الآية ٥٩ من سورة النساء .

ثلاثة أوجه . وإنما الحجة في الحجى الذى يمتنع فيه العمد والاتفاق .
وهذا الجنس من الخبر هو الإجماع .

وليس يكون الخبر إجماعاً من قبيل كثرة عدد الناقلين ، ولا من قبيل
عدالة المحدثين ، وإنما هو العدد الذى نعلم أنهم لم يتلاقوا ولم يتراسلوا
ولا تتفق ألسنتهم على خبر موضوع ، مع اختلاف علمهم وأسبابهم ،
ثم يكون معلوماً عند سماع ذلك الخبر من ذلك العدد ، أنهم قد نقلوه
عن مثلهم في مثل أسبابهم وعلمهم .

فإذا كان معلوماً أن فرعه كأصله كان ذلك موجباً لليقين ، وناظراً لعرو
الشك واسترابة التقليد .

١٠ وهو كندحور ما نقلوا من قصة النار ، وقصة مسطح .
فأما ما قالوا وادّعوا أن الله عني بقوله : « أطيعوا الله وأطيعوا
الرسول وأولي الأمر منكم » علياً وولده دون جميع المهاجرين ، فليس
من شكل ما اشتَرَطْنَا ، ولا من فنّ ما بيننا ؛ لأن أصحاب التأويل زعموا
أنها نزلت في عمّال النبي صلى عليه وسلم وولاته ، وفي المسلمين ،
١٥ وفي أصحاب سراياه وأجنادهم كالعلماء بن الحضرمي ، وأبي موسى الأشعري ،
وعتّاب بن أسيد ، وخالد بن الوليد ، ومعاذ بن جبل ، يأمر الناس بطاعة
الأمراء والتسليم لولاة أمورهم .

حديث عيسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي قال : حسدنا
عبد الملك بن أبي سليمان قال : سألت أبا جعفر محمد بن علي عن تأويل
٢٠ قول الله : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » فقلت :
من أولو الأمر ؟ فقال : هم أصحاب محمد . قلت : إنهم يزعمون أنه علي .
فقال : عليّ منهم .

وهذا من أثبت وأحسن ما يروون في تأويل هذه الآية ، ومن
أخرى ما جمع الفريقين على تقبله^(١) والرضا به ، إذ قائله العالم
المقبول عند الفريقين ، والرئيس الذي لا أحد فوقه في عصره عند الرافض .
وزعم محمد بن السائب الكلبي ، عن أبي صالح^(٢) ، عن ابن عباس ،
أن الله أنزلها في عبد الله بن خذافة السهمي^(٣) .

فإذا كان تأويلها مشهوراً بما ذكرنا من الاختلاف ، فليس فيها
للمتشيع حجة .

وزعموا أيضاً أن الله أنزل في عليّ : « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا
في السلم كافة^(٤) » يقول : في طاعة علي .

والكلام في هذا كالكلام فيما قبله ؛ لأن أصحاب الأخبار والتأويل
لا يعرفون ذلك .

والخبر المشهور عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وغيره أن الله أنزلها
في ناس من مسلمي أهل الكتاب ، كانوا بعد إسلامهم يقيمون السبت^(٥) ،
ويعافون الذبيحة ، لرسوخ العادة ، وغلبة الإلف^(٦) ، فأنزل الله فيهم :
« يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة » يقول : ادخلوا في جميع الشريعة ،
« ولا تتبعوا خطوات الشيطان » وزينته لكم الحكم بآلئكم له ، ونشؤكم كان فيه .

(١) في الأصل : « نفعه » .

(٢) هو أبو صالح باذام ، أو باذان ، مولى أم هانئ بنت أبي طالب . تهذيب التهذيب .
١ : ٤١٦ / ٩ : ١٧٨ .

(٣) ورد في صحيح البخاري . الإصابة ٤٦١٣ .

(٤) الآية ٢٠٨ من سورة البقرة .

(٥) في الأصل : « السب » . والمراد صنعة اليهود في سبتهم .

(٦) في الأصل : « وعليه الألف » .

وزعموا أن الله أنزل : « إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ^(١) » .

٥ قيل لهم : أمّا ظاهر الكلام فيدلّ على ما قال أصحاب التأويل ، كابن عباس وغيره ، حين زعموا أنها نزلت في عبد الله بن سلام ^(٢) ، ورهط من مشركي أهل الكتاب ، وذلك أنهم أتوا النبي صلى الله عليه عند الظهر فقالوا : يا رسول الله ، إن بيوتنا قاصية ولا نجد مسجداً دون هذا المسجد ، وإن قومنا لما صدّقنا الله ورسوله عادونا وتركوا نخائطتنا ، وأقسموا ألا يكلمونا .

١٠ فبينما هم يشكون عداوة قومهم لهم إذ نزلت : « إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ » . فلما قرأها النبي صلى الله عليه قالوا : رضينا بولاية الله ورسوله والمؤمنين . وأذن بلال للصلاة ^(٣) ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى المسجد وهم معه ، والناس من بين راکع وساجد ، وقائم وقاعد ، فتلا النبي صلى الله عليه : « وَمَنْ يَقُولُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ^(٤) » الآية . فإن تكن هذه الآية كما قال ابن عباس ومجاهد ، فليس لعل فيها ذكر . وإن يكن الأمر ليس على ما قال ابن عباس فليس تأويل الرافضة بأقرب التأويل .

(١) الآية ٥٥ من سورة المائدة . كذا في الأصل ، والظن أن في الكلام بعده سقطا .

(٢) سلام ، بتخفيف اللام . أسلم عبد الله قبل وفاة الرسول بعامين ، وكان قبل من

٢٠ أخبار يهود . توفي سنة ٤٣ . الإصابة ٤٧١٦ .

(٣) في الأصل : « الصلاة » .

(٤) هي الآية ٥٦ من سورة المائدة .

- وقد عرفنا أن تأويل ظاهر هذا الكلام يُشبه غير الذى قالوا ،
وليس لنا أن نجعله كما قالوا إلا بخبر عن النبي صلى الله عليه ، أو بإجماع
من أصحاب التأويل على تفسيره . وذلك أن قوله . « إنما وليكم الله
ورسوله والذين آمنوا الذين يُقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون »
يدلُّ على العدد الكبير وأنتم تزعمون أنه عَنِ عليٍّ وحده ؛ وليس
لأحد أن يجعل « الذين » لواحدٍ إلا بخبرٍ مُجمَعٍ عليه ، فإن لم يقدر
على ذلك فليس له أن يحوِّل معنى الكلام عن ظاهر لفظه ، والذى
عليه التَّماعُل والتَّعارُف . ولفظ الجميع معروف من لفظ المفرد . لأنَّ
الرافضة تزعمُ أن سائلاً دخل المسجد فسأل النَّاسَ وعلىٌّ راكع ، فلم
يُمِطَ شيئاً ، فنزعَ علىٌّ خاتمه فأعطاه ، فأنزل الله فيه : « إنما وليكم
اللهُ ورسوله والذين آمنوا الذين يُقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم
راكعون » . وأنت إذا سمعتَ بتأويلِ ابن عباسٍ وتأويلهم علمتَ أن
تأويلهم بعيدٌ من لفظ التنزيل ، قُرْبَ (١) تأويل ابن عباس منه .
- ولو كان الأمر كما قالوا ما كان أحدٌ أعلمَ به من ابن عباسٍ
ولا أشعرَ (٢) به منه .
- وأنتم تزعمون أن عليًّا كان أزهَدَ من أن يحوِّلَ عليه الحولُ وعنده مالٌ
راهنٌ يجبُ عليه فيه الزكاة .
- ولو كان ذلك كذلك ما كان بلغ من قدر صنيع رجل في إعطاء درهم
ودرهين من زكاته الواجبة ما إن يبلغ به إلى هذا القدر الذى ليس فوقه قدر ،
أو يكون كان علىٌّ مشهوراً بإعطاء الزكاة وهو يسئلى .

٢٠

(٢) فى الأصل : « أسعد » .

(١) فى الأصل : « وقرب » .

ولو كان هذا هكذا لكان مشهوراً مستفيضاً . وكيف اتفق له ألا يزكى
إلا وهو يصلي ؟!

وإن كان تطوع بإعطاء الخاتم على جهة الإيثار والمواساة فليس بمعروف
في الكلام أن يكون الرجل إن صدق بالدرهم والدرهمين مُتَنَفِّلاً ومتطوعاً
أنه معطر زكاة ، لأن الزكاة عندنا ما وجب إخراجُه وكان تطهيراً لساير ماله ،
وسبباً للنماء والبقاء . إلا أن يُحمل الكلام على الشاذ ، وعلى أبعد المجاز .
وليس هكذا كلام الحكمير يريد أن يدل الأمة على إمامته ، ويوجب
عليهم طاعته .

ولابد في هذه الآية من أحد ضربين : إما أن يكون لفظها يدل على
ما قالوا دون ما قال غيرهم ، وإما أن تكون قد نزلت في قصّة مشهورة لعل
كقصّة النار حين كانت لأبي بكر .

فإن لم تجدوا إلى واحد من هذين سبيلاً فلم يبق إلا أن تزعموا أن
الرسول صلى الله عليه قال للناس : إن هذه في عليّ فاعرفوا له حقّه
وفضيلته . ولو كان ذلك كذلك ما اختلف فيه أصحاب التأويل ، ولا قال
فيه ابن عباس الذي قال .

قالت (العثمانية) : قد زعمت الرّوافض أن الله أنزل هذه الآية في
عليّ فاعرفوا له حقّه وفضيلته .

ولو كان ذلك كذلك ما اختلف فيه أصحاب التأويل ، ولا قال فيه
ابن عباس الذي قال^(١) .

قالت (العثمانية) : وقد زعمت الرّوافض أن الله أنزل فيه : « قل كفى

(١) كذا وردت هذه العبارة . ولعلها تكرر لما سبق .

- بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ^(١) .
- ولا يجوز أن يقول : « ومن عنده علم الكتاب » وهو يعنى علياً
إلا وعلى قد كان أشهر مَنْ هُناك بعلم الكتاب .
- وكيف يكون ذلك وقد تُوَفَّقَ النبيُّ صلى الله عليه وهو لم يَجْمَعِ الكتابَ
بعد ؟ ١ ؟ وقد زعم الشعبيُّ أنه لم يجمعه إلى أن مات . ٥
- وكيف يكون من المشتهرين بعلم الكتاب وأنت إذا سألت أصحابَ
الأخبار والتأويل عن أسماء أصحاب التأويل ذكروا ابنَ عباسٍ وَمَنْ دُونَ
ابنِ عباسٍ بطبقاتٍ كالحسن البصري ، ومجاهد ، والضحاك ، وعكرمة ،
وفلان وفلان وفلان ، ولا يذكرونه في هذا الصنف ، كما لا يذكرون
فيه أبا بكر وعمر وعثمان ؛ لأنهم لم يكونوا بالمشتهرين بالتأويل وحفظ
القرآن ومعرفة معانيه ؛ لأنَّ غير ذلك كان أغلبَ عليهم منه ، وقد أخذوا
منه بنصيب . ولم يكونوا كمن تجرَّدَ لمعرفة التأويل حتَّى غلبَ عليه
كما غلب على زيد بن ثابت الفرائض ، وكما غلب علمُ التأويل على ابنِ عباس ،
وكما غلب كثرةُ الأسانيد وعددُ الآثار على ابنِ عمر وجابر وعائشة ، وكما
غلب على أبيٍّ وعلى عبد الله القراءات . ١٥
- ولو كان للناس أن يقولوا في هذه الآية على الظنِّ وما هو أشبهه لكانَ
أولى الناس بها عبد الله بن عباس ، لأنه كان أعلم الناس بالقرآن . ولو
لم يكن عرفنا فضله فيه بالذي ظهرَ منه ، لعرفنا فضله وإن بطنَ وغاب
عن العيان لقول النبي صلى الله عليه فيه : « اللهم فقِّههُ في الدين وعلمهُ
التأويل » . فكيف وقد ظهرَ مِنْ علمه بمعانيه وغريبه ، وإعرابه وقصصه ٢٠

(١) الآية ٤٣ من سورة الرعد ، وهي خاتمتها .

ومحكمه ومتشابهه ، وخاصه وعامه ، وناسخه ومنسوخه ، ومكثيه ومدنيه ،
مالم تجد عند أحد شطره ولا قريباً منه .

وقالت (العثمانية) : إنه لا يميز أحد أن يعمد إلى كل آية في
القرآن فيدعى أنها في أبي بكر وعمر كما ادّعيت ذلك في علي ، وإنما الشفاء
والبیان في صحة الشهادة ، وظهور الحجة . ٥

وزعمت العثمانية أن من الدليل على فضيلة أبي بكرٍ على عليٍّ أن النبي
صلى الله عليه سماء « الصديق » دونه ، وليس بعمد اسم النبي اسم أنبه
من الصديق ، حتى كان لا يقال قال أبو بكر وفعل أبو بكر إلا والصديق
متصل به ، وحتى ربما قالوا قال الصديق وفعل الصديق ، استغناء عن
اسمه وكنيته . ١٠

ولقد قال النبي صلى الله عليه : « الزبير حواري وابن عمتي ، وطليحة
حواري » وقال : « عثمان ذو النورين » فلم يقر المسلمون : قال عثمان
ذو النورين ، وقال الزبير الحواري ، وقال ذو النورين ؛ استغناء عن
أسمائهما وكناهما .

١٥ فإن كان المسلمون أشاعروا اسم أبي بكر وتركوا أن يشيعوا اسم غيره
أبي بكر ، لفضل رأوه في أبي بكر ، فهو الذي قلنا وادّعينا . وإن كان ذلك
منهم شيء رأوه في وجه رسول الله صلى الله عليه وفي صنيعه بأبي بكر ،
فلا^(١) شيء أدل على الفضيلة والمباينة منه .

ولم يسمه النبي صلى الله عليه علياً باسم ينسبه به ، لأن ذلك لو كان

لظهر كما ظهر اسم من ذكرنا . ولا سماء أحد من أصحاب رسول الله باسم .
بأن به كما سمي أصحاب رسول الله أبا بكر خليفة رسول الله .

ولأبي بكر اسمان يدلان على الفضيلة والمباينة : أحدهما لم يسم به قط
إلا نبي أو من يتلوه ، والآخر لم يسم به أحد من الناس .

- فأما الاسم الذي لم يسم به إلا نبي فقله « الصديق » بإجماع من
المسلمين على هذا الاسم أنه لأبي بكر دون غيره . وأما الاسم الذي لم
يُسم به مؤمن قط ، ولا بعده ، فقول جميع الأمة : يا خليفة رسول الله .
فإن كان الذي نُقِل إلينا أنه [كان] يكتب في دهر النبي صلى الله عليه :
« من خليفة رسول الله » ويكتب إليه « إلى خليفة رسول الله » وكما
كان الحسن يحلف بالله أن النبي صلى الله عليه [عليه] هو تولى استخلافه ،
فلا منزلة أعظم منها قدراً ، ولا أرفع منها شأنًا .
وإن كان المسلمون أجمعوا له على ذلك لخاصة رأوها فيه ، فكفى به
شرفاً وقدراً ، ومزيةً وذِكراً .

- وإن زعم قوم أن الأسماء التي ارتضاها الرسول صلى الله عليه وحباً
بها أصحابه لا تدل على فضيلة ولا على خاصة كرامة ، وجسروا على أن
يقولوا إنه ليس في قول النبي صلى الله عليه لحمة إنه أسد الله ، وأسد
رسوله ، فضيلة ؛ وليس في قوله « الزبير حوارى » فضيلة — فليس عندنا
في ذلك إلا مثل ما لهم في صدور أهل القبلة من الإسقاط والإهانة .
فإن قالوا : إن اسم الصديق مؤلف موضوعٌ مُحدث ، أحدثه
العثمانية والحشوية^(١) .

٢٠

(١) انظر لهذه الكلمة حواشي الحيوان ٦ : ٦٢ ، وكذا دائرة المعارف الإسلامية

قيل لهم ، فعمل قوتهم : إِنَّ حمزة أسدُ الله ، وأسدُ رسوله ، وإن جعفرًا الطيّارَ في الجنة ، وإن الزبيرَ حواريُّ رسولِ الله ، مولدُ موضوع صنعتِه الشيعة ، وأحدثه أتباع الزبير يوم الجمل ، لافرقَ بين ذلك .

وكيف يكون اسمُ الصديق مولدًا محدثًا ، وأكثرُ من تكلم به ليسوا بذوى نحلة فيتقدروا^(١) له ، ولا بذوى معرفة فيعرفوا فضلَه ، ولا ذوى قرابة فيطلبوا السبق به ، مع الذى نجمه فى الأسماء الصحيحة القديمة . وليس بين الأسماء والأخبار فرق إذا جاءت بحجى الحجاج .

وإنما ذكرنا الأسماء مع الأخبار ليعرفوا ظهور أمره ، ووجوه دلائله وقهر أسبابه ، وليكون آنس للقلوب ، وأسكن للنفوس ، وأقطع لشغب الخصم ، وإيجد^(٢) المنازع .

فمما جاء من الأسماء فى ذلك قول شريح بن هانىء الحارثى^(٣) ، وكان ميمراً وكان شيعياً ، وهو يرتجز فى بعض حروبه :
أصبحت ذا بثٍ أقامى الكبرا قد عشتُ بين المشركين أعضراً^(٤)
نمت أدركتُ الرسولَ المنذرا^(٥) وبمده صديقه وغمرا

١٥ (١) فيتقدروا ، مهملٌ فى الأصل . والتقدير : التقدير ، والتهيو .

(٢) فى الأصل : « ويججد » .

(٣) أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، وبثه على فى التحكيم على أربعائة رجل ، وقتل غازياً بسجستان مع عبد الله بن أبى بكر فى ولاية الحجاج بن يوسف سنة ٧٩ . وطاش مائة وعشر سنين ، أو عشرين ومائة سنة . الإصابة ، وتهذيب التهذيب ، والمعبرين للسجستانى

٢٠ ٣٨ والطبرى ٧ : ٢٨٢ .

(٤) الإصابة : « وعشت » .

(٥) الإصابة والمعبرين والطبرى : « التى المنذرا » .

ويوم مِهْرَانِ ويوم تُسْتَرَا وبِأَجْيَرَاوَاتٍ وَالْمَشَقَرَا^(١)
والجمع من صِفَيْنِهِمِ وَالنَّهْرَا^(٢) هَيَّاتَ مَا أَطْوَلَ هَذَا مُعْمَرَا
أَلَا تَرَى أَنَّ هَذَا شُرَيْحَ بْنِ هَانِيٍّ سَمَّى أَبَا بَكْرٍ صَدِيقًا عَلَى مَا لَمْ
يَزَلْ يُسَمَّى بِهِ .

وقال المجاج بن رُوْبَة ، وهو أعرابي ليس بندي نَحْلَةٍ وَلَا صَاحِبِ
خَصُومَةٍ ، وَقَدْ أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ :

عَهْدَ نَبِيٍِّّ مَا عَفَا وَمَا دَعَّرَ وَعَهْدَ عُثْمَانَ وَعَهْدًا مِنْ عَمْرِ^(٣)
وَعَهْدَ صَدِيقٍ رَأَى بَرًّا قَبْرُ وَعَهْدَ إِخْوَانٍ هُمْ كَانُوا الْوَزَرَ
وقال الحارث بن هشام بن المغيرة ، حين بلغه وهو بمكة أَنَّ الْأَنْصَارَ
قَدْ كَانُوا اجْتَمَعُوا وَقَالُوا لَقْرِيشٍ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ : مَنَّا أَمِيرٌ وَمَعَكُمْ أَمِيرٌ : ١٠
* قُبِضَ النَّبِيُّ وَبُورِيَ الصَّدِيقُ *

فِي قَصِيدَةٍ لَهُ طَوِيلَةٌ ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ فِيهَا :

* وَأَرَادَ أَمْرًا دُونَهُ الْعَيُّوقُ *

وإِنَّمَا أُرَدْنَا مِنْهَا الْمَعْنَى .

وقال أَبُو عَجْجَنٍ فِي ذَلِكَ :

١٥

سُمِّيتَ صَدِيقًا وَكُلُّ مُهَاجِرٍ سِوَاكَ يُسَمَّى بِاسْمِهِ غَيْرَ مَنْكَرٍ

(١) بَاجِرَاوَاتٍ ، وَهِيَ بَاجِرِيٌّ ، وَهُوَ مَوْضِعٌ دُونَ تَكْرِيتَ ، وَسَمَاءُ أَبُو النَّجْمِ « الْجَهْرَاتِ »
فِي قَوْلِهِ :

* بَيْنَ الْجَهْرَاتِ الْمُبَارَكَاتِ *

مَعْجَمٌ مَا اسْتَعْجَمَ ٢٢٠ . وَلَمْ يَرِدْ هَذَا الْبَيْتُ فِي الْمَعْرِينِ . وَفِي الْإِصَابَةِ : « وَيَاجِرَاتُ » ٢٠
وَفِي الْأَصْلِ هُنَا : « وَيَاجِرَاتُ » بِإِهْمَالِ الْجِيمِ وَالْيَاءِ الثَّانِيَةِ . وَعِنْدَ الْعَلْبَرِيِّ : « وَيَاجِرَاتُ »
مَعَ الْمَشَقَرَا .

(٢) الْعَلْبَرِيُّ وَالْإِصَابَةُ وَالْمَعْرِينُ : « فِي صَفَيْنِهِمْ » .

(٣) هَذَا الْبَيْتُ مُتَأَخِّرٌ عَنْ تَالِيهِ فِي دِيْوَانِهِ ١٥ .

وقال طريف بن عدي بن حاتم :

أبيدوا قُرَيْشًا بالسُّيُوفِ ليظهروا معاهدَ دينِ الله بعد محمد
وصديقه التَّالِي المَعينِ بِمالِه طَوْرِي البَطْنِ محمُودِ الضَّرِيبَةِ مَذُودِ^(١)
وأولِ مَنْ صَلَّى وصاحبِ حِكْمِ^(٢) أَصاخَ لقولِ الصَّادِقِ المَطرُودِ
وبعد قَتيلِ المَرْمُزَانِ ، وبارَكْتَ يَدُ الله في ذاكَ الأديمِ المَقْدَدِ^(٣)
أقاموا مُطْغاةً حائرينَ عن الهدى وليس يَقُومُ الدِّينُ إلا بِمُهْتَدٍ
فلما تَوَلَّوْا طامِنَ الحقُّ جأشَه وثاب إليهم كلُّ غايٍ مُطرُودِ
أما قوله : « وثاب إليهم كلُّ غايٍ مُطرُودِ » فإنَّ « النّاي » مَرْوان
ابن الحكم ، « والمطرُودِ » : أراد أباه الحكم بن أبي العاص طريد رسول الله
١٠ صلى الله عليه .

وقال حسانُ بن ثابتٍ في ذلك أيضاً ، وهو يهجو بعض الشعراء^(٤) :
لو كنتَ من هاشمٍ أو من بني أسدٍ أو عبدِ شمسٍ أو أصحابِ اللّوا الصَّيِّدِ
أو في الذُّؤَابَةِ من تيمٍ وقعت بهم أو من بني مُجَمِّحٍ الخُضِرِ الجَلاميدِ^(٥)
أو من سَرارةِ أقوامٍ أُولي حسبٍ لم تُصْبِحِ اليومَ نَكْساً مائلَ العودِ^(٦)

١٥ (١) في الأصل : « قوى البطن » تحريف . انظر الحماسة بشرح المرزوقي
١٦١٦ - ١٦١٧ .

(٢) حكمة ، كذا وردت مهمله وبكاف مستطيلة « ك » .

(٣) قتيل الهرمزان ، يعني به عمر بن الخطاب ، وكان الهرمزان متهماً في قتل عمر ، هو
وأبو أوازة ، وجفينة . انظر لسب قريش ٣٥٥ .

(٤) هو مسافع بن عياض التيمي . الكامل ١٤١ لبيسك وديوان حسان ١٣٣ .

(٥) الكامل والديوان : « رضيت بهم » . الجلعَد والجلاعد : الصلب الشديد . في
الأصل : « الجلاعيد » صوابه من الديوان والكامل .

(٦) هو من سرارتهم ، أي صميمهم . النكس : الدنيء المنصر .

- لولا الرسولُ وروح القدس يحفظهُ وأمرُ ربِّك حتمٌ غير مردودٍ^(١)
 وأننى أحفظ الصديق مجتهداً وطلحة بن عبيد الله ذا الجود
 أتسكنم خيلنا كاللؤذ كالحة تطوى السباسب بالشَّم المناجيد^(٢)
 من كل خيفانة طال الأجسام بها وكل مختطف الأقارب كالسيد^(٣)
 وقال طليحة الأسدي في ذلك :
 ندمتُ على ما كان من قتل ثابت وعكاشة النعمي يا أمّ معبد^(٤)
 وأعظم من هذين عندي مُصيبة رُجوعى عن الإسلام رأى المقيّد
 وتركى بلادى والخطوب كثيرة طريداً وقديماً كنتُ غير مطرّد
 فهل يقبل الصديق أنى تائب ومُعط بما أحدثتُ من حدث يدي
 وقال البارقي في ذلك أيضاً :
 بكر النعمي بخير كندة كلهما وابن الأشجّ وخاله الصديق ا
 هؤلاء الذين ذكرنا : شريح بن هاني ، والمجّاج بن روبة ، والحارث
 ابن هشام بن المغيرة ، وطريف بن عدي بن حاتم ، وحسان بن ثابت ،
 وطليحة الأسدي ، ومن أشبههم ، ليسوا بأصحاب خصومات ولا نظير
 في الفاضل والمفضول .

١٥

(١) الكامل والديوان :

لولا الرسول فإني لست عاصيه حتى يغيبني في الرمس ملعودي

(٢) اللؤذ : حزن الجبل وجانبه . في اللسختين : « اللؤذ » .

(٣) مختطف ، من الخطف ، وهو الضمر وخفة لحم الجنب . وفي الأصل : « مختلف » ،

ولا وجه له . والأقارب : جمع قرب بالضم ، وهو الحاصرة . والسيد : الذئب . وهذا البيت
 وسابقه لم يرويا في ديوان حسان .

(٤) هو عكاشة بن محسن بن حريث بن قيس بن مرة بن بكير بن غنم بن دودان بن أسد .

الإصابة ٥٦٢٦ .

وإنما قدّموه وسمّوه صديقاً على ما لم يزل يُسمّى به . وهذا أكثر من أن نأتى عليه في كتابنا ونستقصيه .

والمعجب من الروافض حين ترى ما قال رشيد الهجرى^(١) والسيد الحميرى ، ومنصور النمرى حجة في أثمارها إذا كان ذلك القول في ٥
على بن أبى طالب . وإذا قال حسان بن ثابت ، والمجاض ، والحارث بن هشام ، وأشباههم ممن ذكرنا في القدم والقدر ، في أبى بكر وعثمان وعمر وتقديمهم ، لم يكن حجة .

وفي قول عبد الله بن عباس لعائشة بعد الجمل في دار بنى خلف الخزاعى حين أرسله على بن أبى طالب إليها : « لِمَ تقولين إنه ليس ١٠
في الأرض موضع أبض إلى من موضع أنتم به ، ونحن جعلنا أباك صديقاً وجعلناك أم المؤمنين » ، حجة في أن تسميته بالصدق قد كان مستعملاً في ذلك الدهر .

وإذا أحببت أن تعلم قدر هذا الاسم الذى سمى به النبي صلى الله عليه ١٥
أبا بكر فانظر في كتاب الله . قال الله جل ثناؤه : « واذكروا فى الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً . ورفعناه مكاناً علياً^(٢) » وقال : « واذكروا فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً^(٣) » ، فذكر صديقيته^(٤) قبل أن يذكر نبوته .

(١) ذكره فى لسان الميزان ٢ : ٤٦٠ والأسباب ٥٨٨ ، وكان ممن يؤمن بالرجعة ، وقد قطع زياد لسانه وصلبه على باب دار عمرو بن حريث .

(٢) الآية ٥٦ ، ٥٧ من سورة صريم . ٢٠

(٣) الآية ٥٤ من سورة صريم .

(٤) فى الأصل : « صديقه » ، وانظر الرياض النضرة ١ : ٢١ ، ٤٠ .

وقال في كتابه : « ما المسيحُ بنُ مَرْيَمَ إلَّا رسولٌ قد خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نَبِّئُ لَهِمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنِّي يُؤْفَكُونَ^(١) » .

ولكن انظر كيف نُبِّئُ للروافض الحُجَجَ بِالآيَاتِ والإجماعِ ثُمَّ انظر أَنِّي يُؤْفَكُونَ ، أَيِ يَسْخَرُونَ^(٢) بهذه الفضيلة له على عليّ .

ثم الذي كان مِنْ تَأْمِيرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ أَبا بَكْرٍ عَلَيْهِ حِينَ وَلَّاهُ الْمَوْسِمَ وَبَعَثَهُ أَمِيرًا عَلَى الْحَاجِّ سَنَةَ تِسْعَ ، وَبَعَثَ عَلِيًّا يَقْرَأُ عَلَى النَّاسِ آيَاتِ مِنْ سُورَةِ بَرَاءَةِ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ الْإِمَامَ وَعَلِيٌّ الْمَأْمُومَ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ الدَّافِعَ بِالْمَوْسِمِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَعَلِّيَّ أَنْ يَنْدَفِعَ حَتَّى يَدْفَعَ أَبُو بَكْرٍ ، وَلَا يَسْتَطِيعُ خَلْقٌ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَزْعِمَ أَنَّ سَنَةَ تِسْعَ دَفَعَ بِالنَّاسِ غَيْرُ أَبِي بَكْرٍ ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَزْعِمَ أَنَّ سَنَةَ تِسْعَ لَمْ يَبْعَثْ^(٣) النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِصَدْرِ سُورَةِ بَرَاءَةِ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لِيَقْرَأَ عَلَى النَّاسِ إِذَا فَرَّغَ أَبُو بَكْرٍ .

فإنَّ قَائِلَ : أَلَا تَرَى أَنَّهُ كَانَ لَعَلِّيَّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ مِنَ الْفَضْلِ مَا لَيْسَ لَهُ لَخَصْلَتَيْنِ : إِحْدَاهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بَعَثَ مَعَهُ بِصَدْرِ بَرَاءَةِ ، وَقَالَ : « لَا يَبْلُغُ عَمَّنِّي إِلَّا رَجُلٌ مَنِّي » . وَالْأُخْرَى فَرَطَ الْإِحْتِمَالِ وَشِدَّةِ الْخِطَارِ الَّذِي احْتَمَلَهُ عَلِيٌّ حِينَ يَقُومُ بِالْبَرَاءَةِ وَقَطَعَ الْعَهْدَ وَقَدْ وَافَى الْمَوْسِمَ مِنْ قِبَائِلِ الْعَرَبِ وَمِنَ الْمُتَوَرِّينَ وَالنَّاقِضِينَ وَالْحَنِيقِينَ ، الْعَدُوَّ الَّذِي لَا يُحْصَى ، وَالْقُوَّةَ الَّتِي لَا تُدْفَعُ ، فَشَمَّرَ عَنْ سَاقِيهِ وَأَبْدَى

(١) الآية ٧٥ من سورة المائدة .

(٢) كَذَا . وَفَسَّرَتْ بِمَعْنَى يَصْرِفُونَ ، وَيَصْدُونَ ، وَيَخْدَعُونَ .

(٣) فِي الْأَصْلِ ، « لَوْ يَبْعَثُ » .

صفحته . ففي هاتين الخصلتين دليلٌ على أن له في ذلك ما ليس لأبي بكر ،
والحنة عليه أشد .

قيل له : إن كان الشأن في شدة الخطار والتغريض والتعرض على
ما قلتم ، فنصيب أبي بكر في ذلك أوفر ، والأمر عليه أخوف ، وهو إليه
أسرع ؛ لأن أبا بكر كان هو الأمير والوالى والمتبوع ، وعلى هو المؤتم
والرعية والسمع والطيع . وبين التابع والمتبوع والأمر والمأمور فرق .
وأما قولكم : إن النبي صلى الله عليه قال حين بعث بصدر سورة
براءة مع علي بن أبي طالب : « إنه لا يبلغ عني إلا رجلٌ مني »
فإنما (١) قال هذا وليس بحضرته أبو بكر ليكون علي قد قدم عليه ،
لأن النبي صلى الله عليه قد كان وجهه أبا بكر قبل ذلك ، ثم بعث علياً
بعده فالحقه في الطريق .

وقد زعم ناس من (العثمانية) أن النبي صلى الله عليه لم يقل ذلك
لعلي تفضيلاً منه له على غيره في الدين ، ولكن النبي صلى الله عليه
عامل العرب على مثل ما كان بعضهم يتصرفه من بعض ، وكما دأبهم
في عقد الحلف وحل العقد ، فكان السيد منهم إذا عقد لقوم حلفاً
أو عاهد عهداً لم يحل ذلك العقد غيره ، أو رجلٌ من رهطه دنياً كآخر
أوابن ، أو عم ، أو ابن عم ، فلذلك قال النبي صلى الله عليه ذلك القول .
ثم الذي كان من تفضيله عليه وعلى الناس جميعاً أيام شكائهم ،
حيث أمره أن يؤم الناس ويقوم مقامه في صلواته وعلى منبره ،
حتى أن عائشة وحفصة أرادتا صرف ذلك عنه لعل سذكراها في

(١) في الأصل : « وإنما »

موضعها إن شاء الله ، فقال النبي صلى الله عليه : « إِيكُنْ عَنِّي صَوَّاحِبَ يُوسُفَ ، أَبِي اللَّهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا أَنْ يَصَلِّيَ أَبُو بَكْرٍ » .

ولم يستطع أحدٌ من الناس أن يقولَ إِنَّهُ صَلَّى بالناس في تلك الأيام غَيْرُهُ ، ولا استطاع أحدٌ أن يقولَ إِنَّ الْمَأْمُورَ بِالصَّلَاةِ كَانَ غَيْرَهُ ، حَتَّى قَالُوا بِأَجْمَعِهِمْ : اخْتَارَهُ رَسُولُ اللَّهِ لِدِينِنَا فَاخْتَرْنَاهُ لِدُنْيَانَا . وَحَتَّى قَالُوا : وَلَآءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَاتِنَا ، وَزَكَاتُنَا تَبِعَ لَصَلَاتِنَا وَهِيَ مَعْظَمُ أَمْرِ الدِّينِ .

ولا يستطيع أحدٌ أن يقولَ : إِنَّهُ لَمَّا تَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ بالناس ليصَلِّيَ بِهِمْ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ مُسَجِّجِي قَالَ لَهُ رَجُلٌ وَاحِدٌ : وَمَالِكَ تَصَلِّيَ بِنَا عَلَى غَيْرِ عَهْدٍ وَلَا سَبَبٍ . وَلَا قَالَ رَجُلٌ مِّنْ خَلْفِهِ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَلَا قَالَ رَجُلٌ مِّنَ الْأَنْصَارِ : مِمَّنَّا مَصَلَّى وَمِنْكُمْ مَصَلَّى ، كَمَا قَالُوا : مِمَّنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ .

فَإِنْ كَانَ النَّاسُ مَعَ كَثْرَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فِيهِمْ تَرَكَوا مَجَارَاتِهِ وَمُدَافَعَتَهُ فِي قِيَامِهِ فِي مَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِتَبْرِيْزِهِ ، كَانَ ، عَلَيْهِمْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ فَكَفَى بِذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى الْفَضْلِ ، وَحُجَّةً عَلَى الْإِسْتِحْقَاقِ .

وَإِنْ كَانَ رِضَاهُمْ بِذَلِكَ وَتَسْلِيمُهُمْ^(١) ، لِلَّذِي ثَبَتَ عِنْدَهُمْ مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَتَقْدِيمِهِ إِيَّاهُ ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِي ذَلِكَ مَتَكَلِّمٌ ، وَلَا لِشَاغِبٍ^(٢) فِيهِ مَتَعَلِّقٌ ، وَلَا لَوَاقِفٍ فِيهِ مُعْذِرٌ ، وَالْقَوْمُ جَمِيعٌ ، وَمُصَلَّاهُمْ وَاحِدٌ ، وَتَقَدُّمُهُ ظَاهِرٌ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَتَسْلِيمُهُمْ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَلَا سَاعِبٌ » .

ولم تكن صلاة واحدة فيكون خلسة^(١) . والقوم كانوا أشدّ تقدماً
لذلك المقام من أن يدعوا رجلاً لم يقهرهم بسيفه ، ولم يمتنع عليهم
بعشيرة ، ولم يُفيض فيهم الأموال ، وليس معه فضل بائن ، ولا سبب من
من قرابة ، ولا أمر من النبي صلى الله عليه .

٥ فإن صاروا إلى الاعتلال بالأحاديث وذكر الآثار قالوا^(٢) : إنما نحتاج
إلى المقابلة بين أفعال عليّ وأفعال غيره ، لو كنّا لا نجد له غير الأفعال .
فإذا كنّا قد وجدنا له من غير الأفعال ما هو أدلّ على الفضيلة من
الأفعال ، لم يكن لنا أن نتخطى الأفضل إلى الأتقص في دفع المتغلب ،
 وإقامة المستحقّ عند ظهوره وزوال التقيّة فيه . لا أنهم^(٣) قابلوا بين
١٠ جميع المهاجرين في القرب والبعد ، ولا أنّهم صنعوا العلم بفضله بعد موت
النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكنهم قوم قد كانوا من قبل ذلك بثلاث
وعشرين سنة يرى بعضهم بعضاً ويعرف بعضهم أمر بعض ، يفتنون
معاً ويُقيمون معاً ، ويسمعون من النبي صلى الله عليه القول بعد القول ،
ويرَوْنَ أحوال الرجال عند النبي صلى الله عليه ، وفي المسلمين وفي أنفسهم ،
١٥ فعلوا بذلك فضل أبي بكر ، فلمّا توفّي النبي لم يحتاجوا مع علمهم الأوّل
إلى أن يضموا علماً ثانياً .

ولو أنّ رجلاً منّا شاهد النبي صلى الله عليه وأصحابه سنة واحدة
ماخفياً عليه من المقدّم عنده وعند المسلمين ، ومن أشبههم به هدياً

(١) في الأصل : « خلسة » .

(٢) في الأصل : « وقالوا » .

(٣) في الأصل : « ولأنهم » .

وعملًا ، وطريقةً وعزمًا . فما ظَنُّكَ بالسَّلف الطَّيِّب ، والخيار المُتَخَبِّين ،
وَأُسَّ الإسلام ومُرُوسَى قواعيده .

وذلك أَنَّ أبا بكر لا يخلو حيث أسلمَ أن يكون أسلمَ قبل الناس ،
أو ثانيًا ، أو ثالثًا . فإن كان إسلامُهُ قبل الناس فقد تبيَّن للثاني تقدُّمُهُ ،
وللثالث تقدُّمُهُما عليه . فإذا كانوا ثلاثة لم يخفَ عليهم أيُّهم أفضل . ٥
ثم إنَّ أسلمَ بعدهم نفرٌ لم يخفَ أيضًا قصَّةُ الثلاثة المتقدمين . وكلُّما
أسلمَ قومٌ لم يخفَ عليهم حالُ الأفضل بالذي يرون عند من أسلمَ قبلهم .
فكانوا كذلك ثلاثًا وعشرين سنة .

فقد أيقنَّا أَنَّ القومَ لم يُؤْتَوْا في تقديم أبي بكر من الجهل بموضع
الفضل ، أطاعُوا الله في إقامته أم عصَّوه . وكذلك لو كانوا قدَّموا غيره ١٠
ما كانوا إِلَّا متعمدين . وذلك أَنَّ الأفعالَ إنما تدلُّ على ظاهر عدالة
الرَّجل وفضيلته ، ولا تدلُّ على باطن طهارته^(١) وإخلاصه .

وقولُ الرَّسول صلى الله عليه في الرَّجل ومديحه له وإخبارُهُ عن
فضله ومنزله ، والوحيُّ ينزل عليه صباحَ مساءً ، أدلُّ على طهارته
وإخلاصه . ١٥

وإذا كان العبد كذلك كانت النَّفوس إليه أسكن ، وكان من
التَّبدُّل^(٢) أبعد ، مع السلامة من التَّفاق ، والدَّخَل في الاعتقاد ؛ لأنَّ^(٣)
الغلطَ في خبر الرَّسول صلى الله عليه ونصِّه وتبيينه وإقراره للرَّجل^(٤)

(١) في الأصل : « طاهرته » .

(٢) التبدل : ترك التصاون . في الأصل : « التبديل » .

(٣) في الأصل : « ولأن » .

(٤) في الأصل : « الرجل » .

بالفضيلة والاستحقاق، أقلُّ من الغلط فيما بين أقدار الناس، من الموازنة بين أفعالهم وعقولهم، وعلومهم وتجاربهم، وصلاح الناس عليهم، مع كثرة عدد الأفعال المتساوية والتقاربة، ومع كثرة عدد المتساوين والتقاربين من الرجال.

- فما يدلُّ على تفضيل النبي صلى الله عليه له قوله يوم غدیر خم^(١) وهو قابضٌ على يده وقد أشخصه قائماً لمن بحضرته : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَى مَوْلَاهُ . اللَّهُمَّ عَادِ مَنْ عَادَاهُ ، وَوَالِ مَنْ وَاَلَاهُ » . وقوله : « أَنْتَ مَتْنِي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ مِنْ بَعْدِي » . وقوله : « اللَّهُمَّ آتْنِي بِأَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْكَ يَا كُلُّ مَيِّ مِنْ هَذَا الطَّيْرِ » ١٠ ثلاثاً ، كُلُّ ذَلِكَ يَحْجِبُهُ أَنْسٌ ، طمعاً أَنْ يَكُونَ أَنْصَارِيًا ، فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَهُ الْآ كَلَّ ، وَالْآ تَى ، وَالْأَحَبَّ .

ومن ذلك أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه حين آخَى بين أصحابه فَقَرَنَ بين الأشكال ، وَقَرَدَ^(٢) بين الأمثال ، جملة أخا من بين جميع أمته وعِلمية أصحابه .

- ١٥ قيل لهم : إِنَّ الْأَخْبَارَ لَا بَدَّ فِيهَا مِنَ التَّصَادُقِ كَمَا لَا بَدَّ فِي دَرَكِ الْمُقُولِ مِنَ التَّعَارُفِ ، فَإِنَّ فِي عَدَمِ التَّعَارُفِ فِي حُجْجِ الْمُقُولِ ، وَالتَّصَادُقِ فِي حُجْجِ السَّمْعِ ، عَدَمَ الْإِنْصَافِ ، وَيُطْلَانُ الْكَلَامُ .

وليس لكم أن ترفعوا خبراً له ضرب من الإسناد وتوجبون^(٣) تصديق مثله ؛ لأنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْخَصَمِينَ لَا يُعْجِزُهُ دَفْعُ الْمُسْتَفِيزِ بِلِسَانِهِ ،

(١) هكذا وردت العبارة في الأصل . ولعل الكلام : « فَإِنْ قَالَتِ الرَّافِضَةُ : مَا يَدُلُّ عَلَى تَفْضِيلِ . . . » الخ .

(٢) فرد : جمع . وفي الأصل : « فرد » .

(٣) أي وأتم توجبون .

فضلاً عن دفع الشاذ وإن كان ناقله عدلاً في ظاهره . فإذا كان ناقله ذلك كذلك فأولى الأمور بكم وبهم الصدق . وليس كل من أراد الصدق في مثل هذا قدر عليه إلا بالتقدم في كثرة السماع وانساع الرواية . وليس لأحد ، وإن حسن عقله وصح فكره ، أن يقول فيما لا يضاف علمه إلا من طريق الخبر حتى يكون صاحب خبر ، وطالب أثر . فإذا صح عقله وكثر سماعه ، خفت^(١) مؤوته على نفسه وعلى خصمه .

أو ما علمتم أن خصوصكم وهم أكثر منكم عدداً ، وأكثر فقيهاً ومحدثاً ، يروون أن النبي صلى الله عليه قال : « ليس أحدٌ آمنٌ علينا بصحبته وذات يده من أبي بكر ، ولو كنت متخذاً من هذه الأمة خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، لكن وداً وإخاء إيمان^(٢) » . فإن كان هذا الحديث كما نقلوا لم يجز أن يكون النبي صلى الله عليه أخاً أحيد إلا أن يكون الأخ غير الخليل ، ولا نعلم الخليل إلا أخص منزه وأقرب مودة . مع أن قوله « ولكن » دليل على أنه قد كان أخاه .

وأعجب من هذا يروون أن النبي صلى الله عليه قال في شكاته وقبيل وفاته : « إنه لم يكن نبياً قبلي فيموت حتى يتخذ من أمته خليلاً ، وإن خليلى منكم ابن أبي قحافة^(٣) » .

ويروون أن النبي صلى الله عليه قال : « اقتدوا بالذين من بعدي : أبي بكر وعمر » .

(١) في الأصل : « وخفت » .

(٢) في الأصل : « وذا واخا اسان » صوابه من الرياض النضرة ١ : ٨٥ . وانظر فتح الباري ٧ : ١٥ .

(٣) الرياض النضرة ١ : ٨٤ .

وقد تعلمون أنَّ إسناده بمبد الملك^(١) ، عن ربمي^(٢) عن حذيفة^(٣) ،
والآخر سلمة بن كهيل ، عن أبي الزعراء^(٤) ، عن عبد الله^(٥) .
ويروون أنَّ النبي صلى الله عليه ، نظر إلى أبي بكر وعمر مُقبِلين .
فقال : « هذان سيِّدا كهول أهل الجنة من الأوَّلين والآخرين ، إلَّا
الأنبياء والرسلين . يا عليُّ لا تُخبرهما » . ٥

فزعموا جميعاً أنَّ عليًّا قال : ولو كنا حيَّين ما حدَّثتكم .
ويروون جميعاً أنَّ عليًّا قام في الناس خطيباً فقال : « إلَّا إنَّ خير
هذه الأمة بعد نبيِّها أبو بكر ، والثاني عمر ، ولو شئت أن أخبركم
بالثالث فعلت » . فكسَى عن ذكر عثمان .
ويروون أنَّ النبي صلى الله عليه لما أسَّس مسجد المدينة جاء بحجر
فوضعه ، ثم جاء أبو بكر بحجر فوضعه ، ثم جاء عمر بحجر فوضعه ،
ثم جاء عثمان بحجر فوضعه ، فسئل النبيُّ صلى الله عليه عن ذلك فقال :
« هم الأمر بالخلافة^(٦) مِن بعدى » . ١٠

وقالوا : لما قدِم المدينة رسولُ الله صلى الله عليه خطَّ لأهل قُباء مسجدهم
بعنزة^(٧) ، فوضع النبيُّ صلى الله عليه حَجْرًا ، ثمَّ قال : يا أبا بكر ضع ١٥

(١) في الأصل : « عند الليل » . وهو عبد الملك بن عمير بن سويد بن حارثة القرشي
الكوفي . المتوفى سنة ١٣٦ . تهذيب التهذيب .
(٢) ربمي بن حراش الكوفي . المتوفى سنة ١٠٤ . تهذيب التهذيب .
(٣) حذيفة بن اليمان ، الصحابي الجليل ، وكان صاحب سر رسول الله . توفى سنة ٣٦ .
الإصابة وتهذيب التهذيب . ٢٠
(٤) هو خال سلمة بن كهيل . واسمه عبد الله بن هاني السكندى الكوفي ، وهو
أبو الزعراء الكبير ، كان من كبار التابعين . تهذيب التهذيب .
(٥) عبد الله بن مسعود .
(٦) كذا في الأصل .
(٧) العنزة ، بالتحريك : عصا في قدر نصف الرمح في طرفها الأسفل زج كزج الرمح . ٢٥

حَجَرًا إِلَى جَنْبِ حَجَرِي ثُمَّ قَالَ : يَا عُمَانُ خُذْ حَجَرًا قَضَعَهُ إِلَى جَنْبِ عُمَرَ .
ثُمَّ التَفَتَ إِلَى سَائِرِ النَّاسِ فَقَالَ : وَضَعَ رَجُلٌ حَجَرَهُ حَيْثُ أَحَبَّ .
وَيُرْوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ : « مَثَلُ أَبِي بَكْرٍ
فِي الْمَلَائِكَةِ مَثَلُ مِيكَائِيلَ يَنْزِلُ بِالرَّحْمَةِ ، وَمَثَلُهُ فِي الْأَنْبِيَاءِ مَثَلُ إِبْرَاهِيمَ ،
وَمَثَلُ عَمْرِو بْنِ الْعَدَسِ مَثَلُ جِبْرِيلَ يَنْزِلُ بِالسُّخْطِ ، وَفِي الْأَنْبِيَاءِ مَثَلُ
مُوسَى » . وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ وَلَكِنِّي أَخْتَصِرُهُ .

وَيُرْوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَضَعَ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ وَالْأُمَّةَ
فِي السَّكَّةِ الْآخَرَى ، فَرَجَحَ بِهِمْ ، ثُمَّ أَخْرَجَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَوَضَعَ
أَبُو بَكْرٍ مَكَانَهُ فَرَجَحَ بِالْأُمَّةِ ، ثُمَّ أَخْرَجَ أَبُو بَكْرٍ وَوَضَعَ عَمْرُ مَكَانَهُ فَرَجَحَ
بِالْأُمَّةِ ، ثُمَّ أَخْرَجَ فَرَفَعَ الْمِيزَانَ ^(١) .

١٠

وَقَالُوا : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ
بِعَمَلِي إِلَيْكُمْ جَمِيعًا فَقَاتِمٌ : كَذِبْتُ ، وَقَالَ لِي صَاحِبِي : صَدَقْتَ ، فَهَلْ
أَنْتُمْ تَارِكِيَّ وَصَاحِبِي ؟ » .

وَمِمَّا يُوَكِّدُ هَذَا قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : « مَا دَعَوْتُ أَحَدًا إِلَى
الْإِسْلَامِ إِلَّا وَقَدْ كَانَ لَهُ تَرَدُّدٌ وَكِبْرَةٌ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ فَإِنَّهُ
لَمْ يَتَلَمَّشْ » .

وَقَالُوا : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ : « إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمْ يَسُوْنِي
قَطُّ ، فَاعْرِفُوا ذَلِكَ لَهُ » ، فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ .

فَإِنْ كَانَ مَا رَوَيْتُمْ فِي فَضِيلَةِ عَلِيٍّ حَقًّا ، وَمَا رَوَوْا فِي فَضِيلَةِ أَبِي بَكْرٍ
حَقًّا ، فَأَبُو بَكْرٍ خَيْرٌ مِنْ عَلِيٍّ ، وَعَلِيٌّ خَيْرٌ مِنْ أَبِي بَكْرٍ . وَهَذَا هُوَ

٢٠

التناقض ، والحق لا يتناقض . وفي هذا دليل أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتكلم بذلك ولا قاله ، لأن الخبر إذا خرج مخرج العام في تفضيل أبي بكر ، وكذلك في تفضيل علي ، فليس له وجه إلا ما قلنا ، إلا أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد قال أحد القولين وصحت به الشهادة ، ولم يقل الآخر وإنما ولده الرجال ، وصنعتهم حكمة السير . ولا سبيل لنا إلى معرفة ذلك إذا كان الإسناد متساوياً ، وعند الرجال متقارباً . وليس في هذه الأحاديث كلها حديث يضطر خصمه إلى معرفة صحته ، أو يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد تكلم بكثير من هاتين الروايتين وكان معناه وقصده فيها معروفاً عند من كان بحضرته ، حتى كان الجميع يعرفون خاصته من عامته . ولكن الناقلين احتملوها عن السلف مجردة^(١) بغير تأويل معانيها ، فأدوها على اللفظ العام ، فصار السامع يتناقض عنده إذا قابل بعضها ببعض ، لجهله بأصول مخارجها ، وكيف كان موقعها .

والذي فسرت لك مثل تعرف به سميت الحجة ، وقصد السبيل . وهو كما نقلوا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر » . ولم يكن بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى استثناء نفسه حاجة ؛ لمعرفته باستثناء الناس عن ذلك .

وقد عرفنا بوجه آخر أن حديث أبي ذر كان يخرج مخرج العام وأنه خاص وإن لم تكن خصوصيته موجودة في لفظ الحديث ؛ لأنك إذا سألت الشيعة فقلت : أي الرجلين كان أصدق عند النبي صلى الله عليه وسلم :

(١) في الأصل : « مجرد » .

أبو ذرٍّ أو عليّ ؟ قالوا بأجمعهم : عليّ وإنما تَرَكَ^(١) النبيُّ صلى الله عليه
لعلمه بمعرفة المسلم بذلك من رأيه .

وكذلك لو سألت العثمانية فقلت : أيُّ الرجلين كان أصدقَ عندَ النبي
صلى الله عليه : أبو بكر أو أبو ذرٍّ ؟ قالوا : أبو بكر ، كقول الشَّيخ
في عليّ .

٥

فقد أجمعَ الصُّنْفَانِ جميعاً أنَّ غيرَ أبي ذرٍّ أصدقُ من أبي ذرٍّ .
ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه : « منَّا خير فارسٍ في العرب »
قالوا : من هو ؟ قال : عكاشة بنِ مِخْصَن .

وليس بين الأُمَّة تنازعٌ أنَّ زيدَ بنَ حارثة ، وجعفر بنَ أبي طالب الطَّيَّار ،
والزُّبير ، خيرٌ من عكاشة .

١٠

ومن ذلك قولُ النبي صلى الله عليه : « يأتِيَكُم خَيْرُ ذِي يَمَنٍ ،
[عليه^(٢)] مَسْحَةٌ مُلْكٌ » . فأتاهم جَرِير بن عبد الله .

فلو كان هذا اللفظ العامَّ عامًّا في معناه ، ولم يكن النبيُّ صلى الله عليه
اتَّكَل فيه على معرفة القوم ، فترك لذلك الاستثناء والتَّفسير ، لكان
واجباً أن يكون جريرٌ خيراً من سمد بنِ مُعَاذ ، ومن حَمِيَّة الدَّبر^(٣) ،

١٥

(١) في الأصل : « نزل » .

(٢) انظر اللسان (مسح ٤٣٤) .

(٣) هو عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري ، وكان قد قتل مسافِعاً والجلال ابن
طلحة ، من عظام المشركين ، يوم أحد ثم قتل ، فأرسلت قريش ليؤثروا بقىء من جسده ،
فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر ، غمته منهم فارتدعوا عنه حتى أخذه المسلمون فدفنوه .
الإصابة ٤٣٤٨ والسيرة ٦١٠ ، ٦٣٩ واللسان (دبر) . والدبر ، بفتح الدال
وكسرهما : النحل .

٢٠

ومن غسيل الملائكة^(١) ، ومكّام الذّئب^(٢) . وهذا ما لا يقوله مسلم .
ومن ذلك قولُ النبي صلى الله عليه لأبي سفيان بن الحارث^(٣) : « أبو سفيانَ
خير أهلٍ » . وقد علمنا أن حمزةَ والعبّاسَ وعليّاً وجعفرأ خيراً من
أبي سفيان .

٥ ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه : « خير أهل الله عمر بن الخطاب »
وقد أجمع المسلمون أن غيره خيراً منه ؛ لأنّ الناس إمّا عُمرى وإمّا علوى ،
فالعلوىّ يقدم عليّاً ، والعمرىّ يقدم أبا بكر .

والجملة أنّه لم يقل أحدٌ قطّ : إنّ عمر خيراً الناس . فهذا بابٌ قد
فرغتُ [منه] ، تعرف به أنّ النبي صلى الله عليه قد يتكلّم بالكلام
١٠ المعروف المعنى عند مَنْ حضّره ، فإذا نقلوا الكلامَ وتركوا المعنى التّبس
على العابرين^(٤) وجهُ المعنى فيه .

فمن ذلك ما يُعرف ، كالذى حكينا من حديث أبي ذرّ ، وعُكاشة
ابن محصن ، وجريّر ؛ ومنه ما يُجهل كحديث عليّ ، وأبي بكر .
وقد نقلوا عن النبي صلى الله عليه في رجال كلاماً وتفضيلاً ما نقلَ
١٥ مثله في أبي بكر وعليّ ، اللّذين فيهما التّنازع .

(١) هو حنظلة بن أبي عامر بن صيفي الأنصاري ، وكان أبوه في الجاهلية يعرف بالراهب
وكان حنظلة استأذن رسول الله في قتل أبيه فنهأ عن ذلك ، وفيه قال صلى الله عليه وسلم
بعدما قتله شداد بن شموب : « إن صاحبكم تفسله الملائكة » . الإصابة ١٨٥٩ .

(٢) هو أهيان بن أوس أو ابن الأكوع ، أحد الصّعابة ، زعموا أن الذّئب كله وبصره
٢٠ بالرسول . انظر حواشي الحيوان ٣ : ٥١٣ .

(٣) أبو سفيان ، اسمه المنيرة ، وقيل اسمه كنيته ، وهو أخو الرسول من الرضاع ، وأبوه
الحارث بن عبد المطلب هم رسول الله . الإصابة ٣٥٥ . باب الكفى .

(٤) العابر : المفسر .

من ذلك أنهم نقلوا عن النبي صلى الله عليه أنه قال : « كم من دى طمرين^(١) لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره ، منهم البراء بن مالك » . وهذا كلام عظيم إن كان حقاً ، وليس عندنا فيه إلا أن نرده إلى الله ورسوله .

- وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في رجال كلاماً لو كان قاله في أبي بكر وعلى لكان أصحابهما سيجعلونه في أول ما يحتججون به في الإمامة والتفضيل مثل قول النبي صلى الله عليه : « رضيت لأمتي ما رضى لها ابن أمّ عبد ، وكريهت لها ما كره^(٢) » .

ومن ذلك قوله : « لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة » .

- ١٠ وقوله في طلحة يوم أحد ، حين واتاه السهم فوق النبي صلى الله عليه فقال ، حين أصابه السهم : حس^(٣) ! فقال النبي صلى الله عليه : « لو قال باسم الله لرفعت الملائكة » .

ومن ذلك دخول عثمان عليه وهو مكشوف الفخذ ؛ فنظاها ، فقيل له : يا رسول الله ، لم تُغطها من أبي بكر وعمر وغطيتها عند دخول عثمان . فقال : « كيف لا أستحي ممن تستحي منه الملائكة » . ١٥ وقال : « اهتزّ العرش لموت سعد بن معاذ^(٤) » .

(١) الطمر : الثوب الخلق . يقول : رب ذى ثوبين خلقين أطاع الله حتى لو سأل الله تعالى أجابه . ويروى : « رب أشمت أغبر لا يؤبه له » .

(٢) انظر ما سبق في ص ٨٦ .

(٣) حس : كلمة يقال عند الوجع .

(٤) وفيه يقول حسان « الكامل ٧٧٨ » :

وما اهتز عرش الله من موت هالك سمعنا به إلا لسعد أبي عمرو

فهذا أيضاً بابٌ يُعرَف به أنَّ الرَّجُلَ ليس يستحقُّ التَّقديمَ بالرواية والحديث ، إذْ كان هؤلاء دونَ أبي بكرٍ وعليٍّ في الفضل ، وقد جاء فيهم ما لم يجيئ فيهما .

٥ ولقد رَوَوْا في رجلٍ لم يُهاجر ، ولم يَصْحَبْ ، ولم يشهد المَشهد ، ولم يُنفق ، ولم يتمرِّضْ ، ولم يَدْعُ إلى الله ورسوله ، إلَّا أنَّهم زعموا أنَّه كان يطلب الحنيفية قبل مبعث النبي صلى الله عليه ، وهو زيد بن عمرو ابن نفيل . فزعموا أنَّ النبي قال : « يُبعث يومَ القيامة أمةٌ وَحْدَهُ » . وأيُّ شيء أدلُّ على كلِّ فضيلةٍ من قولِ النبي صلى الله عليه لعمَّار : « لا تُؤذُوا عماراً فإنَّما عمارٌ جِلْدَةٌ ما بينَ عينيَّ » .

١٥ ما أعطت الرافضة الطاعة أبداً ، ولا رَضُوا من النَّاسِ بالإِنصافِ ! وقد علمنا أنَّ حمزةً وجعفرًا وعليًّا ، كانوا أفضلَ من سميد بن مُعاذ ، ولم يهتزَّ لموتهم عرشُ الرَّحمن ، وقتلوا شُهَداءَ ، ولم تَحْمِ لِحُومَهُم الدَّيْرُ ، ولا غَسَلَتْهَا الملائكةُ (١) .

١٥ فالله أعلمُ بِمعاني هذه الأحاديث . ولعلَّ النبي صلى الله عليه قال في كلِّ رجلٍ قولاً عدلاً ، وكان ذلك قولاً معروفاً مفهوماً عند الحاضر ، ولكنَّه أدنى اللفظ وتركَّ المعنى (٢) .

فإذا كانت الأحاديث في أسلافنا وأئمتنا على ما حكيتُ لك لا تمنع من معرفةٍ وتدافعٍ ما وصل إلينا منه ، كان واجباً أن يكون المَفْزَعُ في أمرهم إلى الخبر الذي يجيئ بحجَّة الحجة ، وترك ما سِوَى ذلك مما لا يُبري من

٢٠ (١) انظر ما سبق في ص ١٣٩ — ١٤٠

(٢) في الأصل : « أدنى اللفظ وتركَّ المعنى » وانظر ما سبق في ص ١٤٠ س ١٠ .

سَقَمَ وَلَا يُعْرِدُ مِنْ حَيْرَةٍ . وَإِنَّمَا الْخَبْرُ الصَّحِيحُ الَّذِي لَا يَعْتَمِدُ^(١) بِضَعْفِ
الْإِسْنَادِ ، وَلَا يُتْرَكُ لَضَعْفِ الْأَصْلِ ، وَلَا يُوقَفُ فِيهِ لَكَثْرَةِ الْمَعَارِضِ
وَالْمُنَاوِي^(٢) ؛ كَنَحْوِ مَا رَوَيْنَا مِنْ مَآثِرِهِمْ فِي مَقَامَتِهِمْ وَمَشَاهِدِهِمْ ، وَكَصْنِيعِ
عَلِيٍّ وَمُؤَازَرَتِهِ بِيَدِهِ ، وَكَكَوْنِ أَبِي بَكْرٍ فِي الْعَرِيشِ . وَهَذَا مَا لَا يَتَدَافَعُ
وَلَا يَتَنَاقِضُ ؛ لِأَنَّ قَتْلَ عَلِيٍّ الْأَقْرَانَ بِيَدِهِ لَيْسَ بِنَاقِضٍ لِكَوْنِ أَبِي بَكْرٍ
فِي الْعَرِيشِ ، وَلِأَنَّ مَوْقِفَ عَلِيٍّ بِأَحَدِهِ لَا يَدْفَعُ كَوْنَ أَبِي بَكْرٍ فِي الْغَارِ ،
وَلِأَنَّ صْنِيعَ عَلِيٍّ بِخَيْبَرٍ لَا يَدْفَعُ إِنْفَاقَ أَبِي بَكْرٍ الْأَمْوَالَ ، وَعَتَقَهُ الرَّقَابَ .

فَهَذَا وَمَا أَشَبَّهُهُ مِمَّا لَا تَجِدُ لَهُ رَادًّا وَدَافِعًا ، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ شَكْلِ
مَا قَالُوا : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ : « اقْتَدُوا بِالَّذِينَ مِنْ بَعْدِي
بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ » وَنَقَلَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ لِعَلِيٍّ : « أَنْتَ مَنِّي
بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى » ، وَكَمَا نَقَلُوا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ أَخَى
بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ عَلِيٍّ ، وَأَنَّ النَّبِيَّ قَالَ : « لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا
لَاَتَّخِذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا » فِي أَشْبَاهٍ لِهَذَا قَدْ حُكِّيتُ لَكَ فِي صَدْرِ
الْكِتَابِ ، لَتَعْرِفَ مَجْرَى الْكَلَامِ فِي السَّلَافِ .

فَإِنْ قَالُوا : فَلَعَلَّ النَّبِيَّ قَالَ : « اقْتَدُوا بِالَّذِينَ مِنْ بَعْدِي » وَقَدْ كَانَ
مَعْلُومًا فِي [ذَلِكَ] الْوَقْتُ أَنَّ عَلِيًّا كَانَ مُسْتَشْنَى فِي هَذَا الْقَوْلِ .

قِيلَ لَهُمْ : وَلَعَلَّهُ قَالَ : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَى مَوْلَاهُ » [وَ] قَدْ كَانَ
مَعْلُومًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ مُسْتَشْنَى .

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « الْمَسَاوِي » .

فإن قالوا : الفرق في ذلك أنكم لا تُنكرون روايتنا في عليٍّ ،
ونحن نُنكر روايتكم في أبي بكر .

قيل لهم : إنَّ المعجزَ كلَّ المعجز أن نعيدَ على خصمك بشيء
لا يُعجزه . فإن أبوا إلا جحدَ الأخبار وتكذيبَ الآثار والإيجابَ على
الناس ما لا يُوجبون لهم مثله فإنَّ الذين نقلوا أنَّ النبي صلى الله عليه
قال : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيَ مَوْلَاهُ » لم ينقلوا معه في الحديث :
« اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ » .

وإنما سمعنا هذه الزيادة من الشَّيخ ، ولم نجد له أصلاً
في الحديث المحمول .

١٠ روى الأعمشُ — وكان رافضياً — عن سعد بن عُبَيْدة ، عن ابن بُرَيْدة^(١)
عن أبيه قال : بعثَ النبيُّ صلى الله عليه علياً في سرية واستعمله عليهم ،
فلما جاء قال : كيف رأيتم صاحبكم ؟ قال : فإما شكوتُه وإمّا شكاه
غيري ، وكنت رجلاً مكباباً^(٢) ، فرفعتُ رأسي فإذا النبيُّ صلى الله عليه
قد احمرَّ وجهه وهو يقول : « مَنْ كُنْتُ وَلِيَّه فَعَلِيَ وَلِيَّه^(٣) » .

١٥ فواحدة أن الذي رَوَى هذا الأعمش ، وهو ظنينٌ في عليٍّ مضعفٌ
عند أهل الحجاز . وسعدُ بن عُبَيْدة ليس هناك .

وثانية^(٤) أنه لم يقلْ من كنت مولاه ، وقال : « من كنت وليه »

(١) هو عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسدي . تهذيب التهذيب .

(٢) في اللسان : الرجل مكب ومكباب : كثير النظر إلى الأرض .

٢٠ (٣) في الأصل : « مَوْلَاهُ فَعَلِيَ مَوْلَاهُ » ثم كتب تحت « مَوْلَاهُ » : « وَلِيَّه » في
الموضعين ، وهو ما يتطلبه الكلام فيما بعد .

(٤) في الأصل : « وثالثة » .

فإذا اختلفت الألفاظ دلّ ذلك على الوهن . ولم يقل : « اللهم عادٍ من عاداه ووالٍ من ولاة » . ونحن نشهد أن من كان النبي صلى الله عليه وليّه فسمد بن مُعاذ وليّه . وعلى أنّهم قد رَوَوْا في شكايّة أقوام^(١) في تلك الفزاة لعلّ كلاماً قبيحاً .

- ووجه آخر مما يدلّ في هذا الحديث على الاختلاف والوهن : أنّهم نقلوا أن هذا القول في عليّ كان أن عليّاً جارٍ زيد بن حارثة^(٢) في بعض الأمر ، ولا حاد فيه ، لأنّه أغلظ له^(٣) ، فردّ عليه زيدٌ مثل مقالته ، فقال له عليّ : تقول هذا القول لمولاك ؟ فقال زيد : إنّما ولّاني رسول الله صلى الله عليه ، ولست لي بمولّى . فأتى عليّ النبي صلى الله عليه ، فشكا إليه زيداً ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من كنت مولاه فعليّ مولاه » . وصدق النبي صلى الله عليه أن عليّاً مولى زيد ، إذ كان النبي صلى الله عليه مولاه ، وكذلك العباس والفضل ، وعبد الله ، وُقُثم ، وتَمّام ، ومُعبد .

- وإذا كانوا هؤلاء موالى زيد لأنّ النبيّ صلى الله عليه مولاه ، فليعلم النبيّ صلى الله عليه من ذلك ما ليس لهم جميعاً^(٤) فإنما أراد النبيّ صلى الله عليه أن يعلم زيداً غلطه في ذلك القول ، حين ظنّ أن ابن عم النبيّ صلى الله عليه ليس مولاه .

فإذا كان أمرُ عليّ وزيد مشهوراً عند أصحاب الآثار ، فإنما عني

(١) في الأصل : « أقوم » .

(٢) في الأصل : « زيد ثم حاربه » ، وهو من عجيب التحريف .

(٣) في الأصل : « غلط له » .

(٤) في الأصل : « ما ليس لهم بهم جميعاً » .

- مولى النعمة ، وليس في هذا إخبارٌ عن فضل عليٍّ في الدين .
- ولو كان النبي صلى الله عليه قال كما زعمت الروافض : « اللهم عادِ من عاداه ووال من والاه » ، كان هذا القول يدلُّ على أنَّ زيدا قد أتى جُرماً عظيماً ؛ فلم^(١) يكن ليتخطى دعاه النبي صلى الله عليه على من عادى عليّاً إلى غيره إلّا بعد وقوعه به ، لأنَّ زيدا هو المشتكى ، ومن أجل صنيعه خَرَجَ النبي صلى الله عليه إلى مثل هذا القول الشديد ، وهذا اللُّطاء القاصم ، ومن قوله ومذهبه غَضِبَ عليه ، وعليه نصٌّ وإيَّاه عَنَى .
- وإنما يقول هذا ويجوزُه مَنْ لا علمَ له بقدر زيدٍ عند النبي صلى الله عليه . أو ما علمتَ أنَّ زيدا أحدُ مَنْ رَوَى النَّاسُ عنه ونقلوا أنَّه كان أقدمَ النَّاسِ إسلاماً . وقد دَلَّلنا على فضيلة إسلامه على إسلام عليٍّ في صدر كتابنا ، في كلام النهاية^(٢) .
- وقد بلغَ مِنْ قدره عند النبي صلى الله عليه وتفضيله إيَّاه أنَّه لم يكن في سَرِيَّةٍ قط إلّا كان أميرَها ، ولا أقامَ ببلادٍ إلّا وهو أميرُها .
- ويدلُّك على ذلك أنَّ النبي صلى الله عليه عليه أمرُهُ على جعفر الطيّار ، وعقد له يومَ مؤتة ، ثم عقد لابنه أسامة على كبار المهاجرين والأنصار ، منهم عمر بن الخطاب ، وسعيد بن زيد ، وأبو عُبَيْدة بنُ الجراح ، وسعد ابن أبي وقاص . حتّى قال رجالٌ من المهاجرين — وكان أشدَّهم في ذلك عِيَّاش بن أبي ربيعة^(٣) — : يولّى علينا هذا الغلام ا فغضبُ عمرُ وردَّ

(١) في الأصل : « ولم » .

(٢) انظر ما سبق في ص ٢٢ - ٢٤ .

(٣) في الأصل : « عباس بن أبي ربيعة » تحريف . الإصابة ٦١١٨ وإمتاع الأسماع

٣٧٠ وفتح الباري ٧ : ٦٩ / ٨ : ١١٥ - ١١٦ .

عليهم ، ثم أتى النبي صلى الله عليه فقال : أَلَا أُعْجِبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ
من رجالٍ يقولون كذا وكذا ؟ ! فمَشَى النبي صلى الله عليه إلى المنبر
في شَكَاتِهِ التي تُوَفِّي فيها فقال :

مامقالةٌ بلغتني عن بَعْضِكُمْ في أُسامَةِ وتأميرِهِ ؟ ! ولئن طعنتم في إمارته
لقد طعنتم في إمارة أبيه . وإيْمُ اللَّهِ إِنْ كَانَ خَلِيقًا لِلإِمَارَةِ ، وَإِنْ ابْنَهُ
خَلِيقًا لَهَا ، وَإِنْ كَانَ كَيْنَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ ، وابنه كَيْنَ أَحَبُّ
النَّاسِ إِلَيَّ .

فهو الْحَبُّ وأبو الْحَبِّ ، وهكذا يقال بالدينَةِ : أُسامَةُ الْحَبُّ .
ولذلك قال عُمر لابنه عبد الله حين زَادَ في فريضة أُسامَةَ على فريضته ،
فقال له عبد الله : لِمَ فَضَّلْتَهُ عَلَيَّ وَنَحْنُ سَيَّانٍ ؟ فقال عمر : إِنْ أَبَاهُ
كَانَ أَحَبُّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ أَيْبِكَ ، وَكَانَ هُوَ أَحَبُّ إِلَى النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْكَ .

وقالت عائشةُ عند وفاة النبي صلى الله عليه : لو كان زيدٌ حيًّا
لاستخلفه النبي صلى الله عليه عليكم .

هذا وأبوها الخليفةُ والمجمول إليه الإمامة . ٥١

ومما يدلُّك على فضيلةِ أَبِي بَكْرٍ ومكانته وخاصَّته من النبي صلى الله
عليه وسلم وعِظَم شأنِهِ عنده ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [لَمَّا] آخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ آخَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَمْزَةَ ، وَإِلَيْهِ أَوْصَى حَمْزَةُ يَوْمَ أَحُدَ . وقد
تعلَّمون أَنَّ حَمْزَةَ اسْتَشْهِدَ وَهُوَ أَجَلُّ النَّاسِ فِي صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَعْظَمُ
فِي أَنْفُسِ الْمُهَاجِرِينَ . وَإِنْ أَمْرًا يَكُونُ كُفْتًا لِحَمْزَةَ فِي الْإِخَاءِ ، وَحَمْزَةُ عَلَيَّ
مَا وَصَفْنَا ، لَمَظِيمُ الشَّانِ ، رَفِيعُ الْمَكَانِ . ٢٠

ولو لم يُعرَف من قدره إلا أن ذكره الله باسمه في كتابه ، كما ذكر لقمان ، ولم يفعل هذا لغيره من هذه الأمة ، لقد كان ذلك دليلاً على المنزلة والقربة ، فكيف يجوز أن يكون في الحديث : « اللهم هادِ مَنْ عاداه ووال من والاه » وحال زيدٍ وصفته على ما ذكرنا وفسرنا ؟ مع أن اللفظ في الحديث لو كان : اللهم هادِ مَنْ عاداه ووال من والاه ، لم يكن فيه دلالةٌ تضطرُّ إلى إمامته ، وحُجَّةٌ تقهر العقولَ وتحملها على معرفة خاصته ، ولكنَّه لفظٌ يدلُّ على الفضل والقدر ، وليس بالترفضيل الذي لا بعده ، والتقديم الذي لا فوقه .

وإنما الكلام الذي لا بعده قول النبي صلى الله عليه : « ما أحذثُ أَمَنٌ علينا بصحبته من أبي بكر » ، وقوله : « لو كنتُ متَّخِذاً خليلاً لاتَّخَذْتُ أبا بكر خليلاً » ، وقوله : « أبو بكرٍ وعمر سيِّدا كهولِ أهل الجنة من الأولين والآخرين ، إلا النبيَّ والمرسلين » .

فإذا كان هذا الحديثُ مختلفاً في أصله وفي رِصَّة مخرجه ، ومختلفاً في تأويله وفرعه ، والحجَّةُ في أصله متدافعة ، والحجَّةُ في فرعه متكافئة ، فكيف يكون جَعْد على إمامته واستحقاقه وفضيلته على نظرائه .

ولو كان هذا الحديثُ مجتمِعاً على أصله ورِصَّة مخرجه ، ثمَّ كان لفظه محتملاً لضروب التأويل ، ما كان للرافض فيه حُجَّة تقطع الخصم ، وتُظهر البَيَّنة .

ولو كان هذا الحديثُ مجتمِعاً على أصله ورِصَّة مخرجه وكان لا يحتمل من التأويل إلا معنى واحداً ما اختلفت في تأويله العلماء ، ولا اضطربت فيه الفقهاء ، ولكن ذلك ظاهراً لكلِّ مَنْ صحَّ لُبُّه ، وحسُن بَيَّانه ،

ولا سيما إذا كان الحديث ليس مُفْصِحاً عن نفسه ، ومعرباً عن تأويله ، إلا
عن قصد الرسول وإرادته لأن يكفيهم مَوْثُوقَةُ الرَّوَايَةِ والأسباب المشكَّكة
فينبني على هذا القياس أن يكون علماء العثمانية وفقهاء المُرْجِئة تعرف من
ذلك ما تعرف الروافض ، ولكنها تجحد ما تعرف ، وتنكر ما تعلم .

ولو كان هذا الحديث مجتمعا على أصله ولكنه غامض التأويل ،
وعويص المعنى ، لا يكاد يُدرَكُ إلاّ الراسخ في العلم ، البارِع في حُسن
الاستخراج ، كان المُدر في جهل إمامته وفضيلته على غيره واسما مبسوطة
لأكثر المسلمين ، وجُلُّ الناقلين ، وإكبراء المتكلمين .

ولمّا سارت الروافض إلى إكفار الأنصار والمهاجرين ، بزعمهم^(١)
أنَّ النبي صلى الله عليه نصَّ على إمامته ، ودلَّ على فضيلته ، فإنه لا بدَّ
للناس في كلِّ عصرٍ من إمام من ولده ، لأنَّ ذلك الموضع إذا كان مقنعا
ومعلما كان أخفَّ على الناس في المحنة ، وأبعدَ من الخطأ والزَّال ، ولأنَّ
اختيارَ الله لهم لأنفسهم ، لأنه لو كان ذلك لا يكون إلا بالنظر دون النصِّ
لم يصلوا إلى إقامته ، لكثرة عدد الناس ، ولكثرة عدد الفضل^(٢) ولمّا
في ذلك من الإشكال عند الموازنة ، والشغل عن العدو .

فإذا كان السببُ في الإمامة^(٣) هو الذي قالوا ، فلا بدَّ من حديثٍ
لا يحتمل التأويل ، ولا يمنع من معرفة صحَّة أصله وصِدْق تخرجه .
فإن قالوا : فإننا سنأتيكم بمثل اللفظ الذي أتيتمونا به حتّى لا يكون
لفظٌ أدلُّ على الغاية منه . من ذلك قولُ النبي صلى الله عليه عند طائري^(٤)

٢٠ (١) في الأصل : « وهو » .

(٢) « عدد الفضل » كذا في الأصل - ويصح أن تقرأ « الفضل » جمع فاضل . أو لعلها
عدد ذوي الفضل .

(٣) في الأصل : « وزعمهم » . (٤) انظر ما سبق في ص ١٣٤ س ٩ - ١٠ .

أَتَيْ بِهِ فَأَرَادَ أَكْلَهُ فَأَحَبَّ أَنْ يَشْرَكَهُ فِي أَكْلِهِ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ
فَقَالَ : « اللَّهُمَّ آتِنِي بِأَحَبِّ عِبَادِكَ إِلَيْكَ يَا كُلُّ مَعَى هَذَا الطَّائِرِ »
ثُمَّ قَالَ لَأَنْسٍ : أَخْرِجْ فَانْظُرْ مَنْ تَرَى بِالْبَابِ ؟ فَخَرَجَ فَوَجَدَ عَلَيْهِ فَلَمْ
يَأْذَنْ لَهُ ، وَلَمْ يُعَلِّمْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ مَكَانَهُ طَمَعًا أَنْ يَكُونَ أَنْصَارِيًّا .
فَفَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ذَلِكَ ثَلَاثًا ، كُلَّ ذَلِكَ يَحْجُبُهُ أَنْسٌ ، ثُمَّ أَدْخَلَهُ ،
فَلَمَّا طَلَعَ قَالَ : « اللَّهُمَّ وَالْ (١) » .

قِيلَ لَهُمْ : أَمَّا وَاحِدَةٌ فَإِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ سَاقِطٌ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ ،
وَلَوْ كَانَ صَحِيحًا عَنْهُمْ فَلَمْ يَجِبْ إِلَّا مِنْ قَبْلِ أَنْسٍ فَقَطْ ، وَأَنْسٌ وَحْدَهُ
لَيْسَ بِحُجَّةٍ ، فَلَمْ (٢) يَكُنْ فِي ذَلِكَ مَقَالٌ وَلَا مَتَكَلِّمٌ .

١٠ وَثَانِيَةٌ : إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ إِلَّا يَحْتَجُّ بِخَبَرِ أَنْسٍ لِأَنْتُمْ مَعَشَرَ الشَّيْعَةِ ،
لَأَنَّ أَنْسًا عِنْدَكُمْ كَافِرٌ كَذَّابٌ .

وَلَقَدْ بَلَغَ مِنْ سُوءِ قَوْلِكُمْ فِيهِ أَنْتُمْ زَعَمْتُمْ أَنَّهُ كَذَبَ عَلَى عَلِيٍّ ،
كَذَبَهُ وَبَهَّتَهُ بِأَمْرٍ ، فَدَعَا اللَّهَ عَلَيْهِ ثُمَّ بَصَقَ فِي وَجْهِهِ فَبَرَصَ مِنْ قَرْنِهِ
إِلَى قَدَمِهِ . وَأَنْتُمْ تَكْفُرُونَهُ بِمَعْلَةٍ لِلْحِجَّاجِ ، وَتَزْعُمُونَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ
١٥ أَكْفَرُ بِاللَّهِ وَلَا أَجَحَدُ لِإِمَامَةِ عَلِيٍّ وَلَا أَنْقَضُ لِأَمْرِهِ ، وَلَا أَقْتُلُ لِشَيْعَتِهِ
مِنَ الْحِجَّاجِ وَلَا مَنْ وَلَّاهُ ، وَأَنْ مَنْ وَلِيَ لَهَا فِي طَرِيقَهُمَا وَحَكَمَهُمَا .

وَأُخْرَى أَنَّهُ إِنْ كَانَ هَذَا الْحَدِيثُ كَمَا تَقُولُونَ وَقَدْ صَدَقْتُمْ عَلَى أَنْسٍ ،
فَقَدْ زَعَمَ أَنْسٌ بِزَعْمِكُمْ أَنَّهُ كَذَبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فِي مَوْقِفٍ وَاحِدٍ
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . وَقَدْ أَمْسَكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَنِ الطَّعَامِ وَهُوَ يَشْتَهِيهِ ،

(١) كَذَا وَرَدَ الْحَدِيثُ مَبْتُورًا إِلَى الْأَصْلِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « لَمْ » .

فأحبَّ لشهوته له أن يَشْرَكَ فيه أَشْبَهُ النَّاسِ به فدعا ربَّه ؛ وأَنَّهُ
إِذْ دعا ربَّه ثلاثَ مِرَارٍ كُلَّ ذلكَ يَسْتَجِيبُ له ، وكلَّ ذلكَ يراه أَنَسٌ
وَيَكْذِبُ له وَيَصُدُّهُ عن حاجته ، ويمنعه سرعةَ الاستجابة ، وتمجيلَ
قضاء الحاجة ، وتسويغَه أَكْلَ الشُّتْمَى من طعامه . كُلَّمَا دعا دَعْوَةً قال
اخرج يا أَنَسُ فانظُرْ مِنِّي بالباب ، ثقةً منه بربِّه ، واتِّكالاً على الذي
عنده له ، ويرجع وقد كَتَمَهُ وحجَّبه عنه ، ومنعه سرور تعجيل الدُّعاء ،
وأَكْلَ شَهْيِ الغِذاء .

فإنَّ كان أَنَسٌ كما تقولون فقد ركبَ أَمراً عظيماً ، وذهبَ مذهباً قبيحاً
وكيف يَصْدُقُ على النبي صلى الله عليه مِن خُلُقِهِ بهذا^(١) ، وكَذَبَهُ في وَجْهِهِ
ثم لا تمنعه الأولى من الثانية ، والثانيةُ من الثالثة . هذا والوَحْيُ ينزِلُ
بأسرع من الطَّرفِ بِلَعْنِ قَوْمٍ وَمَدْحِ آخَرِينَ .

وإنَّ أَمراً احتملت نفسُهُ وشاع في طبعه أن يواجهَ النبيَّ صلى الله عليه
بالكَذِبِ ثلاثَ مراتٍ في أحبِّ الناسِ وأوجبهم حقاً عليه ، لحَرْيٍّ أَلَّا يَصْدُقَ
عليه في مُعْظَمِ أَمْرِ الدِّينِ ، مع أنَّ الحديثَ نَفْسَهُ هو أضعفُ حديثٍ عند
أصحاب الأثرِ مِن^(٢) أن يحوِّجَنَا إلى الإطْئابِ فيه ، والإِخْبَارِ عنه .
ومتى ادَّعَيْنَا ضَعْفَ حديثٍ وفسادَه فاتَّهَمْتُم رَأْيَنَا ، وخِفْتُم مَيْلَنَا
أَوْ غَلَطْنَا فاعْتَرَضُوا مُحْتِمَالَ الحديثِ وأصحاب الأثرِ ، فإنَّ عِنْدَهُم الشِّفاءُ فيما
تنازعْنَا فيه ، والعِلْمُ بما التَّبَسَّ عَلَيْنَا مِنْهُ .

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ . وَلَعَلَّهُ وَجْهٌ .

(٢) كَذَا وَرَدَ الْأَسْلُوبُ ، وَفِيهِ اسْتِعْمَالُ « مِنْ التَّافُضِيَّةِ » مَعَ أَفْعَلِ التَّفْضِيلِ الْمُخَالَفِ ،

كَقَوْلِ قَيْسِ بْنِ الْخَطِيمِ :

نَحْنُ بِفَرَسِ الْوَدِيِّ أَهْلُنَا مِنْ بَرَكَةِ الْجِيَادِ فِي السَّدْفِ

ولقد أنصف كلَّ الإنصاف مَنْ دعاكم إلى المَقْتَسَعِ مع قُرْبِ داره
وقلَّةِ جَوْرِهِ وأصحاب الأثرِ مِنْ شأنهم روايةُ كلِّ ما صَحَّ عندهم ، عليهم
كانَ أولَهُمْ . مع أنَّ هذا الأمرَ ليس يُعرَفُ من قِبَلِ الحديثِ ، وإنَّما
يُعرَفُ من الوجه الذي به يُقْضَى على جميع الدِّينِ .

وإنَّما احتججنا عليكم في أنسِ بالذي سمعتم ، لأنَّنا وجَدناكم تكفُّرونه
حتَّى إذا جرى سببٌ يؤكِّد ما تقولون جعلتم كفرَه إيماناً ، وكذبَه
تصديقاً ، وعداوتَه ولايةً . ثُمَّ لم تَرْضَوْا بأنَّ الحَقَّموه بالأولياءِ وأخرجتموه
من حدود الأعداءِ ، حتَّى أقنم خبره وحدَه مقامَ خبرٍ من يكذِّبُ
آيَا^(١) به ، أو مقامَ خبرٍ يمتنع الكذب في مجيئه لاختلاف عللِ أهله .

فأما نحنُ فإنَّنا نرى أنَّه رجلٌ عظيمُ الحرمةِ واجبُ الحقِّ^(٢) ،
إذْ كان قد خدم النبي صلى الله عليه صغيراً واعتصم به كبيراً ، وكان
من رهطِ سِدِّقٍ .

وأما ما حكيتُم من ولايته للحجَّاج فقد ولى للحجَّاج وصَلَّى خلفَه
مَنْ كان يرى إكفارَه فضلاً عن مَنْ يرى تفسيقَه ، وفي البراءة منه وفي
التَّقِيَّةِ سَمَةً ، وفي الخوفِ عُذْرٌ .

فأما الذي حكيتُم من البياض الذي أصابه فإنَّ المؤمنَ بمرَضِ مصائبِ
ما كان في دار الدنيا . وما كان الذي أصابه في جَنَبِ الذي كان فيه أيوبُ
النبي صلى الله عليه ؟ وقد كان شُعيبٌ مكفوفاً ۝

ولو كان عليٌّ كما يقولون فأرادَ أنَّه كان إذا بصق على إنسانٍ فأرادَ

(١) في الأصل : « مقام حبرن للذب امامه » .

(٢) في الأصل : « فاحب الحق » .

أَنْ يَرِصَ بَرِصَ ، لَمَّا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فَرَقَ .

وَالْمَجْبُؤُ إِن كَانَ كَمَا تَزْعُمُونَ ، كَيْفَ لَمْ يَبْصُقْ عَلَى أَبِي مُوسَى فَيُجْذِمَهُ ، أَوْ عَلَى جَيْشِ صَفِيْنٍ فِيهِزَمَهُ ١٩ بَلْ كَانَ عَلَى أَظْهَرِ سَلَامًا ، وَأَرْجَحَ حِلْمًا وَأَشَدَّ وَرَعًا ، وَأَكْثَرَ فِقْهًا ، وَأَبْيَنَ فَضْلًا ، مِنْ أَنْ يَدَّعَى هَذَا وَشِبْهَهُ .

وَلَيْسَ يَمْدَحُ عَلِيًّا بِمَا لَا يَلِيْقُ بِهِ إِلَّا هَازِلٌ أَوْ جَاهِلٌ .
وَأَمَّا قَوْلُكُمْ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ : « أَنْتَ مَتَّى كَهَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي » ، وَإِنْ (٢) النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ أَرَادَ بِهَذَا أَنْ يُعْلِمَ النَّاسَ أَنَّ عَلِيًّا وَصِيَّهُ وَخَلِيفَتُهُ ، فَإِنَّا سَنَقُولُ فِي ذَلِكَ ، وَبِاللَّهِ وَحْدَهُ نَسْتَعِينُ .

نَقُولُ : إِنَّ خِلَافَةَ الرَّجُلِ لَا تَكُونُ إِلَّا فِي إِحْدَى مَزَلَتَيْنِ : إِمَّا فِي حَيَاةِ الْمُسْتَخْلَفِ وَإِمَّا بَعْدَ مَوْتِهِ . وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ اسْتَخْلَفَ عَلِيًّا فِي غَزْوَةٍ مِنْ غَزَوَاتِهِ ، فِي كَثْرَةِ مَا غَزَا ، وَكَثْرَةِ مَا وَلَّى .

قَالُوا بِأَجْمَعِهِمْ : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ خَلَفَهُ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ . وَقَالَ قَوْمٌ : الْمُسْتَخْلَفُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ . وَهُمْ إِنْ اخْتَلَفُوا فَلَمْ يَخْتَلَفُوا أَنَّ عَلِيًّا كَانَ مُقِيمًا بِالْمَدِينَةِ وَالْأَمِيرُ غَيْرُهُ ، وَالْإِمَامُ سِوَاهُ .

ولولا أن خلفاء النبي صلى الله عليه في غزواته يُصاب عليهم^(١) بكل مكان ، وفي كل سيرة ، لقد كتبته لك في كتابي الذي رددت فيه على من صغر قدر الإمامة وزعم أنها غير واجبة ، وأنها تصلح في العدد الكثير . وأما غير ذلك من كتبتي فلم أتحجل فيه قولي ، وجعلت الكتاب هو الذي عبّر عن نفسه ، وقت مقام جميع الخصوم ، وجعلت نفسي عدلاً بينهم . ولو لم أكن على ثقة من ظهور الحق على الباطل لم أستهجل كتابته مع زوال التقيّة ، وصلاح الدهر ، وإنصاف القيم .

ثم رجعنا إلى كلامنا الأول فقلنا : لا بدّ لخلافة الرجل من إحدى منزلتين : إمّا في الحياة أو بعد الموت : فأما في الحياة فلا يستطيع أحد أن يقول : إن النبي صلى الله عليه استخلف عليّاً في حياته . وليس يضع ذلك من عليّ ؛ لأنّ أبا بكرٍ وعمرَ الذين هما عندنا أولى بالأمر منه لم يستخلفهما النبي صلى الله عليه قطّ في حياته . أو تكون الخلافة بعد الموت فلا يجوز أيضاً أن يكون النبي صلى الله عليه عني بقوله « أنت مّني بمنزلة هارون من موسى » الخلافة لعليّ بعده والذي قد علم أنّ هارون قد مات قبل موسى : لأنّ هارون وموسى وأمهما ماتوا جميعاً في شهر واحد ، وكان موسى صلى الله عليه آخراًهم موتاً . ولذلك قالت بنو إسرائيل لموسى : أنت قتلت هارون^(٢) .

فإن قالوا : ومن يقول : إنّ هارون مات قبل موسى ؟
قيل لهم : إنّ شئتم فاعترضوا أصحاب التفسير والسيرة ، والتمسوا علم

٢٠ (١) أي بوقع عليهم . وفي اللسان : « سابوا بهم : وقعوا بهم » .
(٢) انظر كامل ابن الأثير ١ : ١١١ ففيه قصة وفاة هارون . وانظر كذلك سفر العدد . ٢٠ : ٢٨ ، ٢٩ .

ذلك من قِبَلِ أصحابِ ابنِ عَبَّاسٍ ، وإن شِئْتُمْ فأهل الكتاب يهودهم
ونصاراهم الذين ليس لهم في ذلك دَفْعُ مَضَرَّةٍ ولا اجْتِلَابُ منفعة ، ولو
آثَرُوا أن يَجْحَدُوا ما عَرَفُوا ، وأن يُطَبِّقُوا على إنكار ما علموا ، وكان
ذلك ممكناً في القُدرة ، سائماً جائزاً ، لجحدوا أن بني إسرائيل أخذت
موسى بقتل هارونَ تَمَنُّتاً وبنياً ، أو غلطاً أو جهلاً .

وهذا مشهورٌ عند أهل الكتاب وأهل التفسير .
وليس أحدٌ أحقَّ بأن يُصِيبَ في الأمثال إذا ضَرَبَهَا ، ولا أولى بِحُسْنِ
التَّشْبِيهِ إذا شَبَّه ، مِن خَيْرَةِ اللَّهِ وَصَفْوَتِهِ مِن رِسلِهِ ، فكيف يجوزُ أن يقول
النبي صلى الله عليه وعلى : « أنت متي بمنزلة هارونَ من موسى » وهو
يريد الخلافة ، وهارونُ لم يكن من موسى خليفةً من بعد موته ، ولم يكن
على خليفة النبي صلى الله عليه وعلى في حياته . ففي أيِّ المنزلتين وعلى أية
الحالين يكون على خليفةً إذ لم يكن استخلفه النبي ^(١) أيام حياته . بل
كيف يجعله من نفسه بمنزلة هارونَ من موسى وهو يُريد الخلافة من
بعده ، وهارونُ لم يكن خليفة موسى بعده .

ولا بدَّ للحديث مع سوء تأويلكم واضطراب حُجَّتِكُمْ من ضربين : ١٥
إمّا أن يكون باطلاً لم يتكلم به النبي صلى الله عليه وعلى . وإمّا أن
يكون حقاً ومعناه غير ما قلتم ، وتفسيره غير ما ادَّعَيْتُمْ .
ولو أن النبي صلى الله عليه وعلى أراد أن يجعلَ عليّاً خليفةً من بعده إذ لم
يكن جعله خليفةً أيام حياته ، لَقَالَ ^(٢) : أنت متي بمنزلة يوشعَ بن نونٍ

(١) في الأصل : « استخلفه موسى » ، وكلمة « موسى » مفعلة .
(٢) في الأصل : « فقال » .

إلا أنه لا نبي بعده ، لأن يوشع كان خليفة موسى في بني إسرائيل بعده ، وكان نبياً قبل موت موسى وبعده .

فإن قالوا : إن النبي صلى الله عليه لم يقصد إلى الخلافة ولم يُرد الإمامة ، ولكنه عني الوزارة .

٥ قلنا : إن وزارة هارون من موسى لا بد فيها من أحد أمرين :

إما أن يكون موسى هو جعل له ذلك وهو وزيره على جهة ما يتخذ الإمام وزيراً والملك وزيراً على معنى الاختيار والاستكفاء والثقة .

أو يكون وزيره على جهة المؤازرة والمكاتفة والتعاون ، على أن كل واحد منهما وزير صاحبه ومعاون ومكاتفه ، إذا غاب عن قومه كان الآخر خليفته ، لا على أن موسى الجاعل ذلك له . ١٠

ولا منزلة لهارون من موسى إلا هاتين المنزلتين في جهة الخلافة والوزارة ، لأن نبوة هارون لا تكون من قبل موسى ، والنبوة لا تكون إلا من قبل الله .

وليس يخلو قول موسى لهارون : « اخلفني في قومي » عن ضربين :

١٥ إما أن يكون هو جعله خليفته على جهة الاختيار والاستكفاء والثقة به ، وإما أن يكون خليفة على أن يكون كل واحد منهما إذا غاب عن قومه كان الآخر خليفته .

فإن كانت وزارة هارون وخلافته لموسى إنما كانت منزلتين أنزله فيهما

موسى ، وليست لهارون من موسى منزلة غيرها ، فقال النبي صلى الله

٢٠ عليه : « أنت متي بمنزلة هارون من موسى » فكأنما قال : لك خلافتي

ووزارتي^(١) ، فكيف يقول : إلا أنه لا نبي بعدى . والنبوة منزلة من الله لهارون وليست منزلة لهارون من موسى . فإذا كان ذلك كذلك فكيف يستثنى الحكيم المرشد الشيء من [غير] شكله ؟ ! وهل يكون بعض من غير كلاً ؟ !

- وكيف يقول : قد جعلتك خليفتي ووزيراً ، إلا أنى لم أجمعك نبياً مثلى ، ومنزلة النبوة ليست إليه كما كانت منزلة الخلافة والوزارة إليه . وإنما قوله : « أنت منى بمنزلة هارون من موسى » يريد به : إن لك منى مثل الذى كان لهارون من موسى ، وهو الخلافة والوزارة . فكيف يقول : « إلا أنه لا نبي بعدى » فيستثنى ما لا يملكه ولا يجوز أن يملكه ، مما قد ملكه ويجوز أن يملكه من هو دونه من خلفائه ومن خلفاء خلفائه .

- أو يكون هارون كان وزير موسى على جهة المؤازرة والمعاونة ، وعلى أن يكون كل واحد منهما وزير صاحبه وخليفته عند الغيبة وحضور الآخر ، ليس أنه قد كان خليفة ووزيراً . وإن كان ذلك كذلك فليست لهارون من موسى منزلة من الوزارة والخلافة إلا ولموسى من هارون مثلها . وإذا كان ذلك كذلك فقد صارت خلافتهما ووزارتهم كنبوتهم أو رسالتهم . وإذا كان ذلك كذلك فكيف يجوز أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم : أنت منى بمنزلة هارون من موسى ، وليست لهارون من موسى منزلة إلا ولموسى مثلها من هارون ؟ ! . وكيف يجوز أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم : ومنزلة هارون من موسى منزلة النبي من

(١) فى الأصل : « فإنا قال ذلك خلافتى ووزارتى » .

النبي ، والشكل من الشكل ، والمثل من المثل ، وهي منزلة من الله كما أن نبوة موسى منزلة من الله ؟

وكيف يقول : إلا أنه لا نبي بعدى ، وسبيل النبوة سبيل منزلة هارون من موسى على ما حكيناه من التماون والتآزر ؟

٥ وإذا كان هذا الحديث لو صح في أصله وأوّل مخرجه ، وسليم من الزيادة والنقصان وحاء مجيء الحجّة ، لم يقدر القوم على أن يجعلوه دليلاً موجباً وشاهداً صادقاً على^(١) خلافته وإمامته دون غيره ؛ فما ظنك به إن كان قد دخله من الخلل والضعف والاحتمال في الفساد ما يوجب تكذيبه وردّه .

١٠ وأقل ما للمثانيّة في هذا الحديث أن يُساوؤكم في تأويلكم ، وفي ذلك الخلاف بطلان حجّتكم .

وقد زعم ناس من المثانيّة أن هذا الحديث باطل من أجل أنه لا يحتمل من التأويل إلا ما حكيت لك ، وأن النبي صلى الله عليه لا يُعلن ولا يُظهر غير ما يُضمر ، ولا يتكلّم بالفساد ، ولا يستكبر الممانى ، ولا يتكلّم بالتمقّد^(١) ، ولا يضرب مثلاً ولا يشبه شيئاً بشيء إلا وذلك الشيء وفق ما قال ، لا يزيد عليه ولا ينقص عنه .

١٥ ووجه آخر : أن هذا الحديث لم يُرو إلا عن عامر بن سعد^(٢) . فواحدة إن عامر بن سعد هذا لو كان بالفقه والحديث والفضل معروفاً

(١) في الأصل : « وعلى » .

(٢) يقال عقد كلامه تعقيدا : عوصه وعماه .

(٣) عامر بن سعد بن أبي وقاص ، تابعي ثقة توفي سنة ١٠٤ . تهذيب التهذيب .

وكان كأمثاله من بنى الصحابة كعبد الله بن عباس ، وابن عمر ، وابن الزبير ، وأبي سلمة بن عبد الرحمن^(١) وغيرهم ، ما كان ليكون وحده حجة في تأخير أبي بكر عن مقامه ، فكيف وهو في غير سبيلهم وطريقهم . ولو سمعنا هذا الخبر من سعيد وحده ما كان إلا حجة على نفسه كالحجة على علي في روايته أن النبي صلى الله عليه قال في أبي بكر ٥ وعمر : « هذان سيّدا كهول أهل الجنة » .

وكيف يروى هذا سعد مع قوله في الإمامة : « ما أنا بقميصي هذا أحقّ مني بها » وهو يدعو علياً إلى الشورى والخيرة والمكاثرة بالחסن ، ويقول : « أعيدوها شورى كما كانت » ، ويعيب علياً بالاستبداد ، ويقول : « كنتُ سابعَ سبعةٍ مع النبي صلى الله عليه ، ١٠ ما لنا طمامٌ إلا ورق الشجر ، ثمّ جاءني أعرابيٌّ يعلمني دينَ الله ، ما أنا بقميصي هذا بأحقّ مني بها » .

وإنما نخر بأنّه كان سابعَ سبعةٍ على علي لأنّ علياً لم يكن فيهم عنده ، وكان إما حدّثاً صغيراً وإما على أمر غير ذلك . وسعدٌ من العشرة ، ومن السّعة ، ومن السّبعة^(٢) ، والمستجاب ١٥

(١) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، قيل اسمه عبد الله ، وقيل إسماعيل ، وقيل اسمه كنيته . تهذيب التهذيب ١٢ : ١١٥ — ١١٨ .
(٢) أي العشرة المبشرين بالجنة ، وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد ، وأبو عبيدة بن الجراح وفي شأنهم ألف أبو الطيب كتابه «الرياض النضرة» في مناقب العشرة . ٢٠
وأما الستة فهم أهل الشورى ، الذين اختارهم عمر بعد أن طعن ليختاروا من بينهم رجلاً للخلافة ، وهم علي ، وعثمان ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير ، وطلحة . ثم ضم إليهم عبد الرحمن بن عمر سابقاً على ألا يكون له شيء من الأمر . الطبرى —

الدَّعْوَةُ . وقال له النبي صلى الله عليه : « ارمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي » .
ومن كان لهذه الأمور مستحقاً لم يجمع بين طلبِ خائفة رجلٍ ومكاثرتِهِ
بالحاسن وهو مُقَرَّرٌ أَنَّ النبي صلى الله عليه عليه جعلَ خصمه منه بمنزلة
هارون من موسى ، إِلَّا أَن يكون تأويلُ الحديث عند سعيدٍ وعند من
شهد سعيداً على غير معناكم .

وحديثُ عامرٍ على غير ما يَرَوُون ، وإنَّما قال : « أنت مَنِّي بمنزلة
هارون من موسى ، إِلَّا أَنَّهُ ليس معي نبيٌّ » ، هكذا رَوَاهُ عن عامر
ابن سعيدٍ على غير معناكم .

وفي قول النبي صلى الله عليه : « هذا خالي أباي به فليأت كلُّ
أمرئٍ بخاله^(١) » تفصيل له على كلِّ خالٍ في الأرض ، وقد كان عليٌّ خالَ
جمدة بن هُبيرة . ولم يستثن أحداً .

فإن قالوا : الدليل على ما قلنا أن النبي صلى الله عليه لما آخى بين
المهاجرين والأنصار آخى بينه وبينه ، فلولا أَنَّهُ كان أشبهَ الناس به
هَذَا ، وعلماً وفضلاً ، لم يجعله عدلاً نفسه دون غيره .

١٥ قيل لهم : أنتم ليس لكم علمٌ بالأثر ولا بالخبر . وكيف يعرف الآثار
والأخبار من يكفِّرُ الأسلاف ، ويبرأ من التَّابِيعِينَ ، ويبيِّد كلَّ ما لم

— ٣٤ : ٣٥ . وأما السبعة فهم السابقون إلى الإسلام من الرجال : زيد بن حارثة ،
وأبو بكر ، وعثمان ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة .
الرياض النضرة ٢ : ٢٩٢ وعيون الأثر . ١ : ٩٣ - ٩٥ .

٢٠ (١) يقول هذا في شأن سعيد بن أبي وقاص . الإصابة وصفة الصفوة ١ : ١٤٠ ،
والرياض النضرة ٢ : ٢٩٦ . قال أبو الطيب : « وكان سعيد من بني زهرة ، وأم النبي صلى
الله عليه وسلم من بني زهرة ، فلذلك قال : خالي » .

يوافق هواه ، ويدّعى ماوافق هواه وإن كان باطلا ، بل لا يرضى حتى يتقوّل الزور ويولّد الباطل .

وليس شيء أيسر من أن يقول قائل : إنّ النبي صلى الله عليه لما آخى بين أصحابه آخى بين نفسه وبين أبي بكر . ولكن الحقّ أحقّ ما حُضِعَ له واحتُمِلَ مافيه . وهذه الفقهاء وأصحاب الآثار عُرْضَةٌ لكم ، فإن لم يقولوا إنّ النبي صلى الله عليه لما آخى بين المهاجرين والأنصار آخى بين عليّ وسهل بن حنيفة فنحن أولى بمحمد المعروف منكم . وقد قال الله : « فاسألوا أهل الذّكر إن كنتم لا تعلمون ^(١) » .

وأنتم لستم ^(٢) أصحاب آثار ، فاسألوا أصحاب الآثار إن كنتم لا تعلمون ؛ فإن ذلك أمر مشهور لا خفاء به ، ولا دافع له ، أعني المؤاخاة بين عليّ وسهل بن حنيفة .

ولثقة عليّ به استعمله على المدينة حين خرج عنها . ومن أجل سهل بن حنيفة امتنع الزبير وطلحة أن يركبوا عثمان بن حنيفة وإلى عليّ على البصرة بأكثر مما كانوا ركبوه به . ولذلك السبب صلى أبو أمية بن سهل بن حنيفة بالناس في مسجد الرسول صلى الله عليه ١٥ وعثمان محاصر ، لرأي عليّ كان في ذلك ، وانغلبته على الدار ، وأنه كان يطاع بأكثر من طاعة الزبير وطلحة وسعد

، وإنما آخى النبي صلى الله عليه بينه وبين سهل بن حنيفة الأنصاري كما كان آخى بين عثمان بن عفان وأوس بن ثابت ^(٣) . ولذلك قال

(١) الآية ٤٣ من سورة النحل .

(٢) في الأصل : « ليس » .

(٣) هو أخو حسان بن ثابت .

حَسَّانَ يَحَامِي دُونَهُ وَيَنْصُرُهُ بِالْكَلَامِ وَالشُّعْرِ ، وَيُظْهِرُ الْمِيلَ عَلَى عَلِيٍّ
حِينَ قَالَ :

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَلَيْتَ الطَّيْرَ تُخْبِرُنِي مَا كَانَ شَأْنُ عَلِيٍّ وَابْنِ عَفَّانَا^(١)
لَنَسْمَعَنَّ وَشَيْكَأً فِي دِيَارِكُمْ اللَّهُ أَكْبَرُ يَا ثَارَاتِ عُمَانَا
ولذلك قال في كلام له وهو يعتمد رأى عليٍّ واختياره : ثكلت أم نزال
حَرْبَ لُقِي ابْنِ أَبِي طَالِبٍ كِفَاحًا ، وَسَمِعْتُ أُمَّ نَزَالٍ رَأَى لُقِي ابْنَ أَبِي طَالِبٍ
سَهْوًا . فِي كَلَامٍ كَثِيرٍ ، وَشُعْرٍ كَثِيرٍ .

وَمَا أَخَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بَيْنَ أَبِي الدَّرْدَاءِ وَسَلْمَانَ ، وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
ابْنَ عَوْفٍ وَسَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ ، وَبَيْنَ حُذَيْفَةَ وَعُمَارَ^(٢) ، وَبَيْنَ كَحْزَةَ وَزَيْدَ^(٣) ،
وَبَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ١٠

فَإِنْ قَالُوا : فَلَعَلَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ أَخَى بَيْنَ عَلِيٍّ وَبَيْنَ نَفْسِهِ ، وَبَيْنَ
عَلِيٍّ وَبَيْنَ سَهْلِ بْنِ حُثَيْفٍ ، وَهَذَا مَا لَا يَتَدَافَعُ ، كَمَا كَانَ يُوَافِقُ بَيْنَ الرَّجُلِ
الْمُهَاجِرِيِّ وَبَيْنَ الْأَنْصَارِيِّ ، وَقَبْلَ ذَلِكَ مَا أَخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ بَعْضِهِمْ
فِي بَعْضٍ ، فَكَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ تَصِيرَ^(٤) الْمُوَافَاةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اثْنَيْنِ :
مُهَاجِرِيٍّ وَأَنْصَارِيٍّ . ١٥

قُلْنَا لَهُمْ : أَمَّا وَاحِدَةٌ فَإِنَّا^(٥) لَمْ نَجِدْ لِقَوْلِكُمْ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
أَخَى عَلِيًّا إِسْنَادًا يَثْقُ بِهِ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ جَاءَ مَجِيءُ

(١) ديوان حسان ٤١٠ .

(٢) حذيفة بن اليمان ، وعمار بن ياسر .

(٣) زيد بن حارثة . عيون الأثر ١ : ٢٠١ .

(٤) في الأصل : « نصير » .

(٥) في الأصل : « فإذا » .

الحديث . ولو كان النبي عليه السلام حيث آحى بين المهاجرين ولم يرض
لعليّ إلا بنفسه لفضل عليّ على غيره وأنه أشبه الأمة به وأقربهم حالاً
من حاله ، ثم آثر أن يؤاخى بينه وبين رجل من الأنصار كفعله بغيره
من المهاجرين — كان ينبغي له أن يؤاخى بينه وبين أفضل الأنصار ؛
إذ كان الذي يمنعه من أن يؤاخى بينه وبين بعض المهاجرين طلب
أفضلهم ، وكان ينبغي على هذا المذهب أن يؤاخى بينه وبين سعد
بن مَعاذ .

فإن قالوا : سهل بن حنيف أفضل من سعد ومن حمي الدبر ومن
غسيل الملائكة ، ومن مكلم الذئب^(١) ومن غيره ، لم يكن هذا منكراً
من مكابرتهم وجهلهم .

فإن قالوا : إنه جاز أن يؤاخى بين غير الأشكال في الفضل ، وجاز
ألا يؤاخى بين المتساويين والمتقاربين .

قيل لهم : فلم أيضاً النبي صلى الله عليه لم يؤاخ بين نفسه وبين
عليّ — إن كان آخاه كما زعمتم — من قبل تقارب الحال والمشاكلة
في الأفعال . ولعل النبي صلى الله عليه لم يؤاخ عليّاً رأساً إذا أجاز ألا
يؤاخى بين الأشكال ، ولا يقارب بين الأمثال . وأدنى ما فيه أن يكون
ذلك قد كان جائزاً .

فإن تركوا هذا أجمع وقالوا : كيف يجوز أن يكون أبو بكر هو الإمام
وقد كان النبي صلى الله عليه جملة في جيش أسامة ، وما زال يقول في شكاته :
« أنفذوا جيش أسامة » يُعيد ذلك ويكرّره ، إلى أن قبضه الله إلى جنته .

(١) انظر ما سبق في ص ١٣٩ — ١٤٠ .

قيل لهم : إن في أمر النبي صلى الله عليه له أن يقوم مقامه في الصلاة بالمسلمين . وعائشة وحفصة قد اعتونت^(١) ليصرفا ذلك إلى عمر ، ويقولان : إنَّ أبا بكر رجل رقيق لا يستطيع أن يقوم مقامك .

وهو قد ودَّع المسلمين في خطبته التي خطبها في شكاته حين قال :
 « إن عبداً من عباد الله خيرة الله بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة »
 فبكى أبو بكر ، فمجبَّ الناس منه وقالوا^(٢) : قال رسول الله صلى الله عليه :
 إن عبداً من عباد الله ! قالوا : وكان أبو بكر أعلمنا برسول الله صلى الله عليه .
 هكذا الخبر ثم جاء جبريل في شكاته فقال : يا محمد ، هذا ملك الموت
 يستأذنُ عليك ولم يستأذنْ على آدمي قبلك . قال : ائذنْ له . فأذنَ له
 جبريل حتى وقف بين يدي النبي صلى الله عليه ثم قال : يا محمد ، إنَّ الله
 أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك فيما أمرتني به ، فإن أمرتني قبضَ نفسك
 قبضتها ، وإن كرهت ذلك تركتها . قالوا : فسمع النبي صلى الله عليه
 يقول : « الرقيق الأعلى » . فعلم أنه قد خيَّرَ صلى الله عليه .

ثم كان عند كل صلاة لا يجد عندها إفاقة يقول : « مروا أبا بكر
 يصلي بالناس » ويقول : « أباي الله إلا أبا بكر » ، وفي قوله أباي الله
 أن يصلي إلا أبو بكر ، دليل أن ذلك من قبل الوحي . مع قوله لعائشة
 وحفصة حين أرادتا صرف ذلك إلى عمر : « أنتن صواحبات يوسف ،
 أباي الله ورسوله أن يصلي إلا أبو بكر » بالغلظ . فلو كان الخطبُ
 في ذلك صغيراً ما أعلظ النبي صلى الله عليه لهما ، ولا اشتدَّ عليهما .

٢٠ (١) اعتونتنا ، مثل تعاوننا . وفي الأصل « اعتونا » .

(٢) في الأصل : « وقال » .

فإن قالوا : ومادعا عائشة إلى صرفِ هذا الأمرِ العظيم والمقام الشريف إلى صهر ؟

قيل : فإنه ليس عندنا في ذلك إلا ما اعتذرتُ هي به لنفسها ؛ فإنها قالت : إني والله ما أردتُ صرفَ ذلك على أني لم أعرفُ شرفه وخطره ، ولكنني خفتُ أن يتشام المسلمون به ، وألاَّ يحبُّوا رجلاً قام مقامه أبداً .

فأمّا حديث الربيع بين صابيح^(١) عن الحسن فإنه زعم أنها قالت : خِفْتُ ألاَّ يطبقَ حملَ الخلافةِ ، وظننتُ أنَّ الناسَ سيُريدون منه مثلَ ما مُودوا من النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلمتُ أن أحداً لا يكون كالنبي . فإن كان النبي صلى الله عليه وسلم جعله في جيش أسامة فقد استثناه حين اشتكى ، من جميع الجيش ، إذا استخلفه في مقامه ، وأمره بالصلاة لأُمته ؛ لأنَّ من صلَّى في مقام النبي صلى الله عليه وسلم وفي مسجده ومُصلَّاه ، في أعياده وسائر أ أيامه ، فقد صلَّى بجميع الأمة ، وتأمر على جميع البرية .

وإنما أدخلنا فيها صلاة الجمعة والعيد لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم حين قال : « أبى الله ورسوله إلاَّ أن يصلَّى أبو بكر » لم يستثن صلاة دون صلاة . فإذا كان الكلامُ عاماً والنبيُّ صلى الله عليه وسلم على يقينٍ من فراق الدنيا ، والوحيُ ينزل عليه ، فقد دخلَ في ذلك صلاةُ العيد والجمعة ؛ لأنَّ النبيَّ يتكلمُ كلاماً عاماً^(٢) .

(١) بفتح الصاد وكسر الباء ، كما في حواشي تهذيب التهذيب .
(٢) بعده في الأصل : « وهو على يقين من فراق الدنيا والوحي ينزل عليه » .

وقد علم الله ورسوله أن الكلام العام يتخذُه الناسُ حجةً فيما يدلُّ عليه العام .

وقد علم الله أن أبا بكرٍ سيصلي بالناس في أعيادهم وسائر صلاتهم وأنه سيُحتجُّ في استحقاق أبي بكر بقول النبي صلى الله عليه وسلم : « أبي الله ورسوله أن يصلي إلا أبو بكر » ؛ فكان ذلك دليلاً على أن الله قد أراد ذلك وأوجبه ، وعناه وأحبه .

فهذا دليلٌ على أن أبا بكرٍ لم يُخالف أمرَ الله بتخلفه عن جيش أسامة إن كان أبو بكرٍ ممن كان في ذلك الجيش قبل شكاة النبي صلى الله عليه وسلم وأمره له بالسلامة .

١٠ ووجه آخر يدلُّ على ما قلنا . وهو أننا لم نجد أحداً من المسلمين ولا من الأنصار والمهاجرين ذكروا عنه في ذلك الدهر حرفاً واحداً من ذكر تخلف أبي بكرٍ ، لا عاباً زارياً ، ولا مستفهماً مسترشداً ، ولا متعجباً ناظراً ، ولا مصوباً عاذراً ؛ ولم يذكر أحدٌ حديثاً — ضعف إسناده أم قوی — أن أحداً احتجَّ لأبي بكرٍ ولا عليه^(١) .

١٥ ولا يكون رجلٌ في مثل نباهة أبي بكر وقدره ، وفي مثل نباهة ماصار إليه ، لأنه لا موضع أولى بشدة^(٢) الحسد وكثرة الطعن منه ، وقد كان منه التخلف الذي لا يخفى موضعه ، مع تأكيد النبي صلى الله عليه وسلم وشدة على ذلك ، ثم لا يلجأ في تخلفه إلى حجة ولا أمر

(١) في الأصل : « علا عليه » .

(٢) بين هذه الكلمة وسابقتها بياض في الأصل بقدر كلمة واحدة .

من النبي صلى الله عليه وسلم ثم يُطبق^(١) جميعُ الخلق في ذلك على السُّكوت والرضا والاستحسان أكثرَ مما صارُوا إليه .

هذا وبنو عبد منافٍ شهودٌ ، وخالد بن سعيد^(٢) قد تركَ بيعةَ سَقةٍ أشهر ، وقال : أَرْضَيْتُمْ معشرَ بني عبد مناف أن يَلَىَ عليكم رجلٌ من تيم ؟! وقال أبو سفيان بن حربٍ مثلَ ذلك . وقالت الأنصار : مِنَّا أميرٌ ومنكم أمير . وقد سمع أبو قُحافة رجلاً وهو بمكة ، وهو مكفوف ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : مات النبي صلى الله عليه وسلم قال : فما صنع الناس ؟ قالوا : أقاموا ابنك . قال : فرضيتُ بنو عبد منافٍ بذلك ؟ قالوا : نعم : قال : وبنو الغيرة ؟ قالوا : نعم . قال : فلا مانعٌ لما أعطى الله ، ولا معطى لما منع^(٣) .

١٠

وفي إطباق الجميع على السُّكوت عن التخلُّفِ بيمينه ، مع قول خالدٍ وأبي سفيان ، دليلٌ على أنهم لو وجدوا غمِزةً أو خلافاً أو معصيةً لم يدعُوا الاحتجاج به ، والخوض فيه . ولو كانت القية قطعهم عن ذلك لقطعتمهم عن ذكر الطَّعن في إمامته ، كما قطعتمهم عن ذكر الطَّعن في تخلُّفه .

١٥

وفي رضا أسامة وتسليمه وسكوته وقناعته حتى لا يحكي عنه في ذلك كلمةً واحدةً ، دليلٌ على ما قلنا .

فإن قالوا : إنَّ أسامة قد عَرَفَ صنيعه في تخلُّفه ولكنه كان في تقيّةٍ منه ، لأنَّ أبا بكرٍ لو لم يكن هو المطاع في العوام ، والمقتنع

(١) في الأصل : « ثم يلجأ في يطبق »

(٢) خالد بن سعيد بن العاص .

(٣) في الأصل : « معطى » .

في الدُّهَاءِ ، مَا تَقَدَّمَ بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ وَكَانَ أَسَامَةُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُبَدِيَ
فِي دَهْرٍ عَمَرَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ، لَشِدَّةِ عُمَرُ فِي تَعْظِيمِ أَبِي بَكْرٍ ؛ لِأَنَّ
الطَّمَنَ فِي أَبِي بَكْرٍ رَاجِعٌ عَلَى عَمْرٍ ، وَأَنْ رَعِيَّةَ عَمْرٍ رَعِيَّةُ أَبِي بَكْرٍ
وَكَذَلِكَ كَانَ أَسَامَةُ فِي دَهْرِ عُمَانَ ، لِأَنَّهُ نَسَقَ وَاحِدَ وَسَبِيلَ وَاحِدَةٍ .

قِيلَ لَهُمْ : فَمَا مَنَعَهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي دَهْرِ عَلِيٍّ وَمَعَ عَلِيٍّ يَوْمَئِذٍ مِائَةَ
أَلْفِ سَيْفٍ يُطِيعُهُ . وَهَلْ عِنْدَكُمْ فِي أَسَامَةَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تَدَّعُوا عَلَى
ضَمِيرِهِ غَيْرَ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ عَمَلِهِ ؟ إِنْ أَوْلَى النَّاسِ إِلَّا يَحْتَجُّ
بِأَسَامَةَ لِأَنَّهُمْ ؛ لِأَنَّ أَسَامَةَ هُوَ الشَّاهِدُ لَطَلْحَةَ عَلَى عَلِيٍّ ، حِينَ قَالَ عَلِيٌّ :
بَايَعْتَنِي وَنَكَثْتَ بَيْعِي . قَالَ طَلْحَةُ : « بَايَعْتُكَ وَاللَّيْجُ عَلَى قَفَى ^(١) » .
وَاسْتَشْهَدَ أَسَامَةَ ، فَقَالَ أَسَامَةُ : أَمَّا السَّيْفُ عَلَى قَفَاءِ فَلَمْ أَرَهُ وَلَكِنْ
بَايَعَ وَهُوَ كَارِهِ . فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَسَامَةَ كَانَ عَمْرِيًّا ،
لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ ذِكْرِهَا . فَهَذَا هَذَا .

وَفِي إِطْبَاقِهِمْ جَمِيعًا يَدْعُوْنَهُ خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ تَلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ ،
لَا مَكْرَهِينَ وَلَا مَقْهُورِينَ ، لَمْ يُرْفَعْ عَلَيْهِمْ سَوْطٌ وَلَا شُورٌ ^(٢) سَيْفٌ ،
وَلَا سَمِعُوا وَعِيدًا ، وَلَا رَأَوْا لَذَلِكَ أَثْرًا ، وَلَا رَأَوْا مِنْهُ إِمْرَةً لِبَعْضِ
الْمَشَائِرِ ، فَيَخَافُونَ أَنْ يَتَقَوَّى بِهِمْ عَلَيْهِمْ ، مَعَ كَثْرَةِ الْعَدَدِ وَاخْتِلَافِ
الْأَنْسَابِ وَتَفَرُّقِ الْأَهْوَاءِ ، وَ[فِي] الَّذِي قَبْلَهُ ، دَلِيلٌ عَلَى مَا قُلْنَا ، وَحُجَّةٌ
عَلَى الَّذِي ادَّعَيْنَا .

(١) اللَّيْجُ : السَّيْفُ . قَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ : وَأُظْهِرُ أَنَّ السَّيْفَ لَمَّا سَمِيَ لَنَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَحْدَهُ .
قَفَى ، أَيْ قَفَايَ . وَهِيَ لَفْظٌ هَذِيلٌ ، يَمْلِكُونَ أَلْفَ الْمَصْصُورِيَاءِ عِنْدَ إِضَافَتِهِ لِلْيَاءِ ، وَمِنْهُ قَوْلُ
أَبِي ذُؤَيْبٍ :

سَبَقُوا هَوًى وَأَعْنَقُوا لَهْوَائِهِمْ فَتَخَرَّمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعٌ
أَيُّ هَوًى . وَانْظُرِ الطَّبْرِيَّ : ١٧٤ : ٢٠٤ فِي حَوَادِثِ سَنَةِ ٣٦ .
(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَلَا يَسْهَرُ » .

ومما يُقَرَّب من قولنا قولُ النبي صلى الله عليه : « أُنْفِذُوا جَيْشَ أُسَامَةَ » . فقد يعلم المستدلُّ أنَّ النبي صلى الله عليه إنما قصَّد بذلك الأمر في خاصَّته والمُطَاعِينَ ، لأنَّ قولَه : « أُنْفِذُوا » دليلٌ أنَّه قد كان هناك مَنْ ينفِذُ أمرَه ، وإليه قصَّد بالأمر مُقْنَعِينَ^(١) غير سَاخِطِينَ .

ولو كان الأمرُ إنما كان لأُسَامَةَ وأصحابه كان اللفظُ على غير هذا .
فإذا كان ذلك كذلك فمنَّ أولى بأن يكون من المخاطَبِينَ المُطَاعِينَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَخَلِيلِهِ^(٢) وَصَفِيِّهِ ، على ما كتبتُ لك في كتابي هذا ، مع أنَّنا لم نبلغه ولم نَسْتَقْصِهِ ، إمَّا بالخوف مِنَّا والكرَاهَةِ لِإِطَالَةِ الْكِتَابِ ، وإمَّا بالتقصير مِنَّا في معرفةِ جميع محاسنه .

١٠ ووجهٌ آخر : أنَّكَ لو جَهِدْتَ أَنْ تَجِدَ لِحَدِيثِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كان في جيش أُسَامَةَ أصلاً لم تَجِدْ ، وإنَّما أتى عامَّةُ ذلك^(٣) من قِبَلِ كَوْنِ عُمَرَ في ذلك الْجَيْشِ ، لأنَّ عُمَرَ وَأَبَا عُبَيْدَةَ^(٤) كانا من أوَّلِ مَنْ انْتَدَبَ في ذلك الجيش .

ولمَّا كان النَّاسُ كَثِيراً ما يروْنَ عُمَرَ يَجْرِي مَعَ أَبِي بَكْرٍ غَلِطُوا في ذلك في مواضع كثيرة ، حتى جرَّ ذلك على أَبِي بَكْرٍ فِرَارَ عُمَرَ يَوْمَ أُحُدٍ ، فقال مَنْ لا علم له : وفرَّ يَوْمَ أُحُدٍ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ . وموقفُ أَبِي بَكْرٍ وَالتَّفَرُّقُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ في يَوْمِ أُحُدٍ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يَطْمَسَ عَلَيْهِ جَاهِدُ .
ومن ذلك أَنَّ عُمَرَ كان في جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ ، فَأَلْحَقُوا بِهِ أَبَا بَكْرٍ .

(١) مقنعين ، أى راضين . أقنعه الشيء : أَرْضَاهُ . وفي الأصل : « مقنعين » .

(٢) في الأصل : « وخاله » .

(٣) في الأصل : « عامه في ذلك » .

(٤) في الأصل : « وابن عمه » . وانظر عيون الأثر ٢ : ٢٨١ وإمتاع الأسماع ١ : ٣٧ .

فإن أبوا إلا أن يكون قد كان في ذلك الجيش فالجواب على ما قلنا .
فإن قالوا : قد سمعنا مقاتلكم ، ولكن ما الدليل على أن النبي
صلى الله عليه أمر أبا بكر بالصلاة بالناس ؟

قلنا لهم : إنه ليس لأنه كان مأموراً بالصلاة فقط ، ولكنه صلى
بالناس سبع عشرة صلاة إلى أن توفى النبي صلى الله عليه وذلك
أن النبي عليه السلام بدي^(١) يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من صفر ،
ويوم الاثنين لاثنتي عشرة مضت من ربيع الأول . وهذا هو السبب عندهم .
وزعم أصحاب السير والأخبار أن النبي صلى الله عليه كان يأمر بلالاً
بالأذان ، فإذا وجد إفاقة خرج يصلي بالناس ، وإن اشتد ما به قال :
« مروا أبا بكر يصلي بالناس » ؛ فكان النبي وأبو بكر يصليان على
هذه الصفة .

فإن أنكروا أن يكون النبي صلى الله عليه أمر أبا بكر أن يصلي
و [ادعوا^(٢)] أن هذه الأخبار كلها باطل ، وأن السلة في هذه الأيام
كلها لم تمنع النبي صلى الله عليه من الصلاة حتى مات .

١٥ قيل لهم : رأيتم هذا الذي قلتموه وادعيتهموه ، أم لا استخرجتموه
أو سمعتموه ؟

فإن زعموا أنهم سمعوا قلنا لهم : فأتوا بفتية واحد أو محدث يقول
كما تقولون ، ويحدث كما تزعمون ، وجميع ما يدعى باطل .

(١) في عيون الأثر ٢: ٢٨١ : « فلما كان يوم الأربعاء بدي برسول الله صلى الله عليه

٢ . وسلم وجهه غم وصدح » .

(٢) يمثل هذه الكلمة يتم القول .

وإن كان إذا اعترضوا المحدثين والناقلين لم يجدوا أحداً إلا وهو يُخبر بما قلنا فالحقُّ أحقُّ أن يتَّبَعَ . ولا يجوز أن يقولوا : إنَّا استخرجنا معرفةً هذا المعنى ؛ لأنَّ الاستخراج لا يكون إلا من عيانٍ أو خبر .
أو ليس قد كان النبيّ موضوعاً على سريره حين زاغت الشمسُ يوم الاثنين إلى حين زاغت من يوم الثلاثاء ، يصليُّ الناسُ عليه وهو على شفير قبره^(١) وأبو بكر يصليُّ بالناس ؟ ٥

فإن أتوا بحديثٍ واحدٍ أنه صلى بالناس في غير ذلك الوقت غير أبي بكرٍ فالقول كما قالوا . وإن أتوا بحديث واحد أنه صلى بالناس غير أبي بكرٍ أوَّلَ صلاةٍ صلاها المسلمون [حين] اختلفوا في تأمير الأمراء واستخلاف الخلفاء عليهم ، كما قالت الأنصار : منا أمير ومنكم أمير ١٠ فالقول كما قالوا .

وهل يستطيعون أن يزعموا أنهم قالوا : منّا مصلٍّ ومنكم مصلٍّ .
والمعجب^(٢) كيف لم يقولوا : إنَّ عليّاً لم يزل هو المصليُّ بالناس ، والمأمور بالصلاة ، فنصيب حقه وظلم مقامه ؟ ١٥

وكيف يجوز أن يجيء رجلٌ من أرضه وسماه من غير نسب ولا سبب ، حتّى ينفذ من أشرف المقامات ، بحضرة القرائة والعشيرة ، من عمِّ وابن عمِّ ، وقريبٍ ونسيب ، ورجلة المهاجرين والأنصار ، والعظماء وعلية قريش ، ودَهْماء العرب ، ثم لا يتكلّم في ذلك رجلٌ واحد ؟ ! فإنما

(١) في إمتاع الإسماع ١: ٥٥١ : « فصل عليه وسريته على شفير قبره » .

(٢) في الأصل : « والمعجب » .

يقول هذا من لا يعرف قَدَرَ ذلك المقام في الصدور ، وكيف طبائع قريش وأئمة العرب .

فإن قالوا : كيف يكون أبو بكر إماماً ولم يجتمع المسلمون على إمامته والرضا به ؟ ! وقد قالت الأنصار : منّا أمير ومنكم أمير ، وقال سلمان : « كَرْدَاذْ وَنَسْكَرْدَاذْ^(١) » . وقال خالد بن سعيد : أرضيتكم معشر بني عبد مناف هذا . وقال أبو سفيان بن حربٍ مثل مقالته ، وخرج الزبير بسيفه شاداً^(٢) ، فلما رآه عمر قال : دُونَكُمْ الْكَلْب . وجلس عليٌّ [في] منزله واعتلّ بأنه آلي ألا يبرح حتى يجمع القرآن .

قبل لهم : ليس الأمر على ما تقولون . ولو كان الأمر على ما تقولون ١٠ ما كان خلافٌ هؤلاء ناقضاً لأمره ، لأن الرجل إذا كان أفضل الناس وأكمله وأنفعه للمسلمين وأردّه عليهم^(٣) ، فعليهم إقامته والتسليم له ، والرضا به ؛ لأنّ كلّ ما عدتُ لك من فضله هم كانوا أعلم به ، إذ كانوا يسافرون معاً ويُقيمون معاً ، وكانوا أغنى بمعرفة الخير ، وأسرع إلى العلم به منّا ومن أهل دهرنا .

ولو كان أبو بكرٍ تنتقضُ إمامته ، وكان عليه اعتزال ذلك المقام ، ١٥ بخلاف^(٤) رجلٍ أو رجلين أو ثلاثة ، كان أولى الناس بأن يكون له في الإمامة^(٥)

(١) كلمتان فارسيتان معناهما « صنعتم ولم تصنعوا » . كرداد بمعنى التشييد والتأسيس وإقامة الشيء . والنون علامة للنفي في الفارسية . انظر ماسيأتى في الكلام ص ١٧٩ وكذا معجم استينجاس ١٠٢٢ .

(٢) في الأصل : « شاذاً » . وفي الطبري ٣ : ١٩٨ : « مصلتا بالسيف » :

(٣) أي أكثرهم نفعاً . وفي اللسان : « هذا الأمر أرد عليه ، أي أنفع له » .

(٤) في الأصل : « خلاف » . وانظر ماسيأتى في صفحة ١٧٧ .

(٥) « بأن يكون له في الإمامة » . هكذا وردت في الأصل ، والوجه بأن لا يكون له في الإمامة .

سببٌ ولا حقٌّ ومتعلقٌ على بن أبي طالب ، لأن^(١) سعد بن أبي وقاص كان أحد الشورى وأحد الأَكفاء ، وقد أباه وقال قولاً أيّين من قول خالد وأبي سفيان وسلمان ، قال : « ما أنا بقميصي هذا أحقّ منّي بها ، أعيدها شوري ، أمّا بالسيف فلا أريدُها » . وقال لرسول عليّ حين أرادوه على بيعته : « كُنتُ أمّ لم تلدني ، لئن كُنتُ سادسَ سِتّةٍ ما لنا طعامٌ إلّا ورقُ البشام ، وقد جاءني أعرابُ الأوس تعلّمني دينَ الله ؟ » في كلام كثير^(٢) .

وخالفه طلحة والزبير وهما شريكاه ، وأحدهما فارس النبي صلى الله عليه ، والآخر وقايته ، فقال عليّ : « بايعتاني ؟ » قال : الزبير : « ما بايعتك قطّ ، إن كُنتَ على يقين أنك أولى بها فاجعلها شوري ، بيعة وحقّ دعواك من باطله^(٣) » .

١٠

وقال طلحة : « بايعت واللّج على قفّ^(٤) » حين رقى^(٥) إليه المساكر وطمنت عليه عائشة واستحدثت محاربتَه . ثمّ اجتمع على حربهِ أهلُ الشام قاطبةً فيهم عبد الله بن عمر ، وكعب بن مرة البهزي^(٦) ، وكان من فضلاء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي قال حيث قال النبي صلى الله عليه : « ستكون فتنةٌ هذا فيها يومئذٍ على الحقّ » ، وأوماً إلى رجلٍ مقنّع ، فكشف عن رأسه فإذا هو عثمان ، فلما قُتل عثمان وهو يكفّ عن القتال استنصر ، فكان يحدث هذا الحديث .

٢٠

(١) في الأصل : « ولأن » .

(٢) انظر ما سبق في ص ١٥٩ .

(٣) كذا في الأصل .

(٤) انظر ما مضى في ص ١٦٨ .

(٥) كتبت في الأصل : « رقا » .

(٦) الإصابة ٧٤٢٨ .

ومنهم وائلة بن الأسقع الليثي ، وله صحبة ونُسك^(١) ، والثَّعْمَان بن بشير ، ومَسْلَمَة بن مَخْلَد ، وجَبِيب بن مَسْلَمَة ، وذو الكَلَّاع ، ومُعاوية ابن حُدَّيْج^(٢) .

ومن التابعين أبو مسلم الخولاني ، وشُرَحْبِيل بن السَّمْط ، وعمرو بن وائد الغامدي^(٣) الذي قال [فيه] مكحول : كَأَنَّهُ قد مات ودخلَ القَار وخُوسِب^(٤) ثم رُدَّ إلى الدُّنْيَا ، فمعه خَوْفُ المَجْرَبِ .

ثم خالف عليه خاصَّةُ إخوانه ونُسَّاك أصحابه ، وأهل البصائر من جُنْدِهِ وحدث^(٥) حتَّى أَكْفَرُوهُ وخلصوا^(٦) إمامته وولايته .

وفيه مع نسكهم وجِدَّتْهم نَفَرٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم فروة بن نوفل الأشجعي ، وخرقوص بن زهير . وفيهم من التابعين مثلُ رئيسهم عبد الله بن وهب الراسبي ، وزيد بن حصن الطائي^(٧) .

ولقد دعا مُحمَّد بن مَسْلَمَة إلى عَوْنِهِ ، واعترضَ آخِذاً بسيفه ، ثم كسره وقال : أَضْرِبُ المُسْلِمِينَ بسيفٍ ضَرَبْتُ بِهِ الكَافِرِينَ ؟ !

١٥ (١) الإصابة ٩٠٨٨ وصفة الصفوة ١: ٢٨٠ . والأسقع بالقاف .

(٢) الإصابة ٨٠٥٧ .

(٣) تهذيب التهذيب ٨: ١١٥ .

(٤) وردت هذه الكلمة في الأصل في نهاية هذه الفقرة .

(٥) كذا في الأصل .

٢٠ (٦) في الأصل : « وجعلوا » .

(٧) الإصابة ٢٨٨٧ وذكر أنه كان عامل عمر بن الخطاب . قال ابن حجر : « وقد قدمت غير مرة أنهم كانوا لا يؤثرون في ذلك الزمان إلا الصحابة » . ولم يذكره بذلك في تهذيب التهذيب

فدعا زيد بن ثابت إلى عونه فأبى وقال : أنت والله تعلم أن لو شحنا أسدناه^(١) لألقمته كفى دونك ؛ فأما أن أضرب بسيفي لأؤكد لك ملكاً فلا .

ودعا عبد الله بن عمر فقال حين أراد على بيعته : إني لن أنزع يدي من جماعة وأضعتها في فرقة . وكذلك قال حين قيل له بعد ذلك : لو بايعت أخاك عبد الله بن الزبير . قال : إن أخي وضع يده في فرقة ، وإني لن أنزع يدي من جماعة وأضعتها في فرقة .

وطعن عليه سعد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعلى طلحة وقال : « فتنة عميائهم يخبط أهلها » . قال طلحة : ابن عمك كان أعلم بي وبك حين جعلني في الشورى وأخرجك منها . قال : إن ابن عمي خانك وأمنني .

ودعا^(٢) إلى بيعته وعونه أسامة بن زيد فقال : إني إذن لمفتون وأسامة هو الذي كان طلحة استشهده على قوله : « قد بايعت والليج على قفى » فستل أسامة عن ذلك ، فكلمه طلحة بكلام غليظ .

وقول صهيب أيضاً ، وسلمة بن سلامة بن وقش ، كل هؤلاء السبعة [ما منهم^(٣)] إلا من شهد بداراً .

وزعم ابن سيرين والشَّعْبِيُّ أنَّهما قالا : وقعت الفتنة بالمدينة وأصحاب النبي صلى الله عليه وآله أكثر من عشرة آلاف ، فقال : فما يعدُّون من خف فيها عشرين رجلاً . فسَمِّيًا حرب عليٍّ وطلحة والزبير وصيِّفُين فتنة .

(١) شحنا فاه يشحوه ويشحاه : فتحه .

(٢) في الأصل : « ودعاك » .

(٣) يمثِّلها يمثِّلُ الكلام .

وكما قال الشَّعْبِيُّ : من حدَّثك أنَّه شهد الجبل ممن شهد بدرًا أكثرُ من أربعة نفر فكذبُه . كان عليٌّ وعمَّار في ناحية ، وطلحة والزُّبير في ناحية .

وقد تعلمون أنَّه لم يكن في الأرضِ عُمانيٌّ إلاَّ تعلمون أنَّه مُنكرٌ لإمامته . وهم أكثر عددًا وأكثرهم فقيهاً ومحدثًا . ولقد كان الرَّجلُ من أصحاب الآثار يُظنُّ به التشيُّع فيترك ويضعف ويُبتهم عند أهل العلم ، حتَّى أنَّه كان يطويه ويسُتره أكثر مما يسُترُ الشَّيء يكون بجُلده .

فلو كان الفاضلُ الكامل تَنَقَّضُ إمامته وتفسدُ عدالته من قَبَل خلاف أربعة أو خمسة ، لما كان في الأرض أشدُّ انتقاصاً من إمامة علي .

١٠ وأما قولكم : إنَّ الأنصار قالت لقريش والمهاجرين : منَّا أميرٌ ومنكم أمير ! فهذا إلى أن يكون حجةٌ عليكم أقرب ، لأنَّ النبی صلی الله عليه وعلى آله لو كان أقامَ عليًّا وجعله خليفةً ووصيًا ونَصَّ على ذلك بِغَيْرِ خُفٍّ ، أو في بعض المغازي ، ما كان بَلَغَ من حَرَبِهِمْ^(١) وعُتُودِهِمْ أَنْ يَقُولُوا هذا الكلامَ والإمامُ قائمُ الحجة ، معروفُ المكان .

١٥ وكيف حاز أن يُلغُوا ذِكْرَهُ حتَّى لا يذكروَنه في شيء من مُخاطباتهم ومنازعاتهم ، إلاَّ والقومُ لم يكن عندهم فيه عهدٌ ولا سبب . فهذه حجةٌ قاطعة .

وأخرى : الذي رأينا من قِلَّةِ مبالاتهم مَنْ أقامه المهاجرون كائناً من كان ؛ لأنَّ قولهم : منَّا أميرٌ ومنكم أمير ، قولُ قومٍ كأنَّهم قالوا :

(١) الحرب ، بالتحريك : الحصومة والغضب .

لا بدّ لنا ممشرّ الأنصار من أميرٍ على حال ، وأنتم بَعْدُ أعلمُ بشأنكم فأمرُوا عليكم مَنْ بدا لكم . وليس في هذا طمَنٌ على خاصّة أبي بكر ، كما أنّه ليس فيه تأكيدٌ لإمامته دون غيره .

وهذا قولٌ كان من نفرٍ من الأنصار في سقيفة بني ساعدة ، قبل أن يقومَ فيهم أبو بكرٍ خطيباً وواعظاً ، ومبيناً ومحتجاً . فلا يستطيع أحدٌ أن يقول : إنّ أحداً منهم ردّ على أبي بكرٍ خاصّةً كلمةً واحدة . فليس في قولهم : منّا أميرٌ ومنكم أميرٌ ، خلافتٌ على أبي بكرٍ ؛ وإن كان خلافاً فإنّما هو على الجميع .

وإن كان هذا الكلامُ منهم حجةً ما كان إلّا على مَنْ زعم أنّ الإمامة غير واجبة ، أمّا على مَنْ زعم أنّها لأبي بكرٍ دونَ عليٍّ فإنّها غير لازمة .

ولعمري لو كان القوم حيث قالوا : منّا أميرٌ ومنكم أميرٌ قالوا : ولا يكون أميركم إلّا عليٌّ أو فلانٌ أو فلانٌ ، أو قالوا : الرأي لكم أن تجعلوا أميركم عليّاً أو فلاناً أو فلاناً ، كان في ذلك مايتعلق به متعلق ، ويشغّب به شاغِب . وهذا مالا يحتاج به عالمٌ ، لأنّ الحجة فيها للرافضة ألزم ، وعليها أوكد .

أمّا قولهم أن سلمان قال ما قال^(١) ، فإنّما سلمان رجلٌ من عُرُض المسلمين ، لا يصلح أن يكون خليفة ، ولا يجوز أن يكون في الشورى ومع الأكفاء ، فتنتقض به مريّة أو تبرّم به ؛ لأسباب :

منها أنه ليس من المهاجرين ، ولا ممن شهد بدرًا ولا أحدًا ، ولا
لقي في الله مالتى نظراؤه عند الناس كبلالٍ وصُهب ، وخبَّاب وعمار ؛
ولا كان من الذين آووا ونصروا ، وذكروا في القرآن وقدّموا .

وكان حديث الإسلام قليل المشاهد ، وإنما أسلم حين انحسرت الشدة
وانتكشف عنهم معظم الكربة ، ولكنه كان من الصالحين ومن الفضلاء
المخلصين ؛ وكان عند النبي صلى الله عليه وسلم وجيها ، وعند خلفائه
مقرَّبًا . وقد قال النبي فيه قولاً حسناً ، ولكنه ليس من الأكفاء في
الإمامة وموضع الشورى والخلافة ، فيكون قوله حجةً تنتقضُ به الإمامة ،
وطمئنه عليه يصرف الخلافة .

١٠ ثم آخر : أنا قد وجدناه وليَ لعمر بن الخطاب على الدائن ، يُقيم له
الحدود ويحسب له الخراج ، ويدعو له على المنبر ، ويؤكد له خلافته ،
وينفذ أمره ، مطيعاً غير مكره ، ومُخَلَّى غير مقصور ، فولايته لعمر
دليلٌ على تصويب أبي بكر ، ومطيعٌ عمرٍ أذعن لأبي بكر ، ومعظمٌ عمرٍ
أشدَّ تعظيماً لأبي بكر .

١٥ ولقد كان يخرج آذنُ عمر والناسُ بيابه فيجمله في الفوج الأول .
حتى روى عن أبي سفيان بن حربٍ وسهيل بن عمرو في ذلك كلامٌ
مشهور : من ذلك أنهم كانوا يباب عمر في جلةٍ من قريش والعرب ،
مثل عيينة بن حصنٍ وغيره ، إذ خرج آذنُ عمر فقال : أين بلال ؟ أين
سلمان ؟ أين صُهب ؟ أين عمار ؟ ادخلوا . فتغيَّرت وجوههم واستبان
٢٠ الجزعُ فيهم ، فأقبلَ عليهم سهيلُ بن عمرو وإعظا ، ومُمرَّباً^(١) ومذكراً ،

(١) التعريب : التبيين والإيضاح .

فقال : دُعُوا وَدُعِينَا ، فَأَسْرِعُوا وَأَبْطَأْنَا ، [وَلَئِنْ حَسَدْتُمُوهُمْ ^(١)] عَلَى بَابِ
عَمْرِ لَمَّا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ أَعْظَمَ .

فَمَا فِي الْأَرْضِ عَاقِلٌ يَظُنُّ أَنَّهُ يَأْذَنُ لِسَلْمَانَ قَبْلَ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ
وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو ، وَيُوَلِّيهِ بِلَادَ كَسْرَى وَآلَ كَسْرَى ، وَسَلْمَانُ عِنْدَهُ
ظَنِينَ فِي بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ وَنَاقِمٌ عَلَيْهِ .

وَقَدْ بَارَكَ عَمْرٌو أَبِي بَكْرٍ ^(٢) ، فِي خَالِدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ ، حِينَ
عَقَدَ لَهُ عَلَى أَجْنَادِ الشَّامِ ، لِكَلِمَتِهِ الَّتِي كَانَتْ فِي بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ ،
حَتَّى عَزَلَهُ .

فَكَيْفَ يَحْتَمِلُ سَلْمَانُ الطَّمَنَ وَالْخِلَافَ ثُمَّ لَا يَرْضَى لَهُ إِلَّا بِالْوِلَايَةِ
عَلَى بِلَادِ كَسْرَى ، وَسَلْمَانُ لَا يَجْرِي عِنْدَ عُمَرَ مَجْرَى خَالِدٍ وَلَا قَرِيبًا ١٩ ١٠
فِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ سَلْمَانَ لَمْ يَقُلْ : « كَرْدَاذٌ وَنَسَكْرَدَاذٌ ^(٣) » . وَإِنْ
كَانَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ حَقًّا كَانَتْ تَرْجُمَتُهَا بِالْعَرَبِيَّةِ : صَنَعْتُمْ وَلَمْ تَصْنَعُوا .
يَقُولُ : قَدْ أَقْتَمَ فَاضِلًا مُجْزِيًّا وَلَوْ كَانَ غَيْرَهُ كَانَ أَفْضَلَ مِنْهُ .

وَأُخْرَى فَلَوْ كَانَ سَلْمَانُ كَانَ عِنْدَهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ كَانَ قَدْ

(١) مَكَانَ هَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ بَيَانٌ فِي الْأَصْلِ ، وَأُثْبِتَهُمَا مِمَّا سَيَأْتِي فِي كَلَامِ الْجَاهِظِ فِي الْوَرَقَةِ ١٥
١٦٢ مِنَ الْمَخْطُوطَةِ . وَجَاءَ فِي صَفَةِ الصَّفُوفَةِ ١ : ٣٠٧ : « فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : لَمْ أَرْ كَالْيَوْمِ قَطُّ
يَأْذَنَ لِهَؤُلَاءِ الْعَبِيدِ وَنَحْنُ عَلَى بَابِهِ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْنَا ١٩ فَقَالَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو — وَكَانَ رَجُلًا عَاقِلًا —
أَيُّهَا الْقَوْمُ إِنِّي وَاللَّهِ لَأَرَى الَّذِي فِي وَجُوهِكُمْ ، إِنْ كُنْتُمْ غَضَابًا فَاغْضَبُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، دَعَى الْقَوْمُ
وَدَعَيْتُمْ فَأَسْرِعُوا وَأَبْطَأْتُمْ . فَكَيْفَ بِكُمْ إِذَا دَعَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَتَرَكْتُمْ ١٩ أَمَا وَاللَّهِ لَمَا سَبَقُوكُمْ
إِلَيْهِ مِنَ الْفَضْلِ مِمَّا لَا تَرَوْنَ أَشَدَّ عَلَيْكُمْ فُوتًا مِنْ بَابِكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ تَنَافَسُونَهُمْ عَلَيْهِ » .
(٢) بَارَكَهُ : أَدَامَ لَهُ التَّعْزِيرَ وَالْكَرَامَةَ .
(٣) انْظُرْ مَا سَبَقَ ص ١٧٢ .

استخلف علياً ونَصَبَه إماماً وجعلَه وصياً لم يقل : صنعتم ولم تصنعوا ،
إلاَّ أنَّ قوله « صنعتم » تثبیتٌ لإمامته ، فكأنَّه قال : هو إمامٌ ، لو كان
غيره كان خيراً لكم منه . وليس على هذا بُنِيَ القول^(١) .

ولو احتجَّ بهذا القول الزَّيديةُ كان أشبهَ من أن يحتج به الطَّاعن
٥ في إمامة أبي بكرٍ حين قال : ارتدَّ الناسُ كلُّهم عن الإسلام بإنكارهم
إمامةَ عليٍّ ، والتسليم لمن أنكر ، ما خلا أربعة نفر : سلمان ، والمقداد ،
وأبو ذرٍّ ، وبلال . ثم زعموا أنَّ حذيفة وعماراً تابا بعد عمر .

ولئن كان بلالٌ كما قالوا من الطَّعن والخلاف على أبي بكرٍ وعمر ،
لقد شاركهما حيثُ ولى لها دمشق ، لأنَّ عمر كان ولى بلالاً دِمَشق ،
١٠ فكان أنْفَذَ لأمره من أبي عبيدة .

وكيف يكون بلالٌ طاعناً على أبي بكرٍ وعمر حتَّى قد شهِرَ بذلك
من بين الخلق وعمرُ يولِّيهِ ، ويقرِّبه ويُدْنِيهِ ، ويقدمُ إذنه ، ويُلاحق
عطاءه بمطاء عثمان وعليٍّ وطلحة والزُّبير وسعد ، ويقول : « بلالٌ
سَيِّدنا ومولى سَيِّدنا » ، ومرَّةً يقول : « أبو بكرٍ سَيِّدنا وأعتقَ سَيِّدنا » .

١٥ ولا يجوزُ هذا القول من عمر منَّ يجوزُ طعنَ بلالٍ على أبي بكرٍ ،
إلاَّ جاهلٌ بعمر ، جاهلٌ بأمر السُّلطان ، وعِزُّ الخلافة .

فأمَّا ذِكْرُهم المِقدادَ فما عَلِمنا ولا علم أصحابُ الآثارِ أنَّه نطق
في خلافة أبي بكرٍ وى نقضها ، وفي خلافة عليٍّ وتوكيدها ، بحرفٍ
قط ، ولا وقَفَ في ذلك موقفاً ، ولا قام في إنكاره [أ] وتثبيته مقاماً .
٢٠ وما ندرى : بأيِّ سببٍ ادَّعَوْه ؛ إلاَّ أن يكونوا ذهبوا إلى إنَّ علياً رحمةُ

(١) في الأصل : « القوم » .

الله عليه. ربما كانت له الحاجةُ إلى النبي عليه السلام ، فيُكَبِّرُ النبي صلى الله عليه ويمظِّمُهُ عن مواجهته بها ، فيكَلِّفُ ذلكَ المقدادَ .
 من ذلك حديث هشام بن عروة ، عن أبيه في الرَّجُلِ إذا دَنَا من المرأة فأمْذَى ولم يمسَّها ، فاستحيا على^٥ أن يسألَ النبي صلى الله عليه عن هذا من أَجْلِ ابنتِهِ ، فقدَّم المقداد فسأله ، فقال النبي عليه السلام : « يغسل ذكره وأنثيته ويتوضأ » . وغير ذلك .

والأغلب علينا^(١) أنَّ المقدادَ لم يزل مُتَنَكِّراً لعليّ ، لأنَّ المقداد حين خطب ضُبَاعَةَ بنتَ الزُّبَيْرِ بن عبد المطلب إلى النبي صلى الله عليه ، بعثَ النبيُّ إليها عليّاً بذلك يخبرها ، وأنه قد رَضِيَها لها ، فكريه على ذلك فرجع إلى النبي صلى الله عليه ، وقال : رأيْتُها كارهةً . فأرسل النبيُّ^{١٠} إليها رسولاَ فقالت : أولم أخبر عليّاً أنَّي قد رَضِيتُ لِنَفْسِي بما رَضِيَ به النبيُّ ؟ ! فقام النبي صلى الله عليه خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « يا عليُّ قُمْ فانظُرْ مَنْ عن يمينك وعن شمالك ، واعلمْ أَنَّهُ ليس لك فضلٌ على أسودهم وأحمرهم^(٢) إلا بالدين » . فهذا قد رُوِيَ ، والله أعلم .
 ولم يُرَوَ عن المقداد الطَّمَنُ على أبي بكرٍ في خلافته ليؤكد بذلك^{١٥} لعليٍّ شيئاً .

وأقلُّ ما ينبغي للمتكلِّم أن يَعْرِفَ فُرُوقَ الأمور ؛ فإنه إذا عَرَفَ ذلك لم يتعلَّقَ من الأسباب إلا بأمثنها . فأما تجريد الباطل وكثرة الدَّعوى بلا سبب ، فهذا جَهد العاجز .

(١) لعلها « عندنا » .

(٢) الأسود والأحمر : العرب والنجم .

ولربما تعلقوا بالسبب الضعيف ، كالذي وجدوا لعمار بن ياسر من عداوة عثمان ، وصنيع عثمان به ، فلمّا كان عثمان عندهم في طريق عمر وأبي بكر وفي حيزها جعلوا طعن عمار عليه طعنًا عليهما ، واحتجاج عمار لعلّ احتجاجًا عليهما .

ولو اجتهدت أن تصيب لعمار موقفًا واحدًا أو كلمة طاعة على أبي بكر وعمر وعثمان ، فضلًا عليهما قبل إحداه ، وقبل أن يجري بينهما ما جرى ، ما قدرت عليه .

وهل كان لعمر وال أنفذ لطاعته من عمار ؟ ! ولقد رفع عليه جرير بن عبد الله ، فجمع بينهما طمعًا في ظهور حُجَّتِهِ ، والضح عن نفسه^(١) ، فلمّا لم يجد ذلك عنده قال : ماعدنا خير لك يا أبا اليقظان .

ومن أجل ضعف عمار في الولاية وقوة المغيرة حين شكاهم أهل الكوفة قال عمر : « أعضل بي^(٢) أهل الكوفة ، إن وليت عليهم تقيًا ضمّفوه ، وإن وليت عليهم قويًا فجّروه » .

فإذا كان عمار يخطب على منبر الكوفة بتوكيد إمامة عمر ، ويأمر الناس بطاعته ، ويقيم الحدود والأحكام بأمره ، ويفتح الفتوح بتأثيره ، فيرى القتل والسبي وإحلال الفروج ، غير مكره بوعيد ولا مقصور بإيقاع ، فأى دليل أدل مما حكيناه .

ولو أن طاعنًا طعن في طاعة سهل بن حنيف ، وعثمان بن حنيف ، وأبي أيوب الأنصاري ، وأبي مسعود البدرى ، لعلّ ، هل كان عندكم

(١) الضرح : الدفع . ٢٠

(٢) في الأصل : « أعضاء » ، صوابه في اللسان (عضل ٤٧٩) .

في دفع ذلك إلا مثل ما عندنا من الدَّفْع عن طاعة سلمان وبلال وعمار وأقل منه .

فأما أبو ذرٍّ فزعم أصحاب الآثار أنه كان يعظم عمر بن الخطاب تعظيماً ما عظمه أحد قط . فمن ذلك أن عمر صاحبه يوماً فمصر^(١) يده وكان أيدياً ، فصاح : يا قُفْلَ الْفِتْنَةِ ! وَمَسَحَ مِنْ وَجْهِهِ الْعَرَقَ بِيَاطِنِ رَاحَتِهِ ، وعمر موعوك وهو يقول : يَا أَبِي رُحْضَاؤُكَ^(٢) لو قد ميت صرنا هكذا — وشبك بين أصابعه — أَوْجَعَتْنِي ! فغَلَّاهُ وَقَالَ : مَا هَذَا ؟ فَقَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « لَنْ تَزَالُوا بِخَيْرٍ مَا كَانَ هَذَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ » . وقال عمرُ لشابٍّ : غَفَرَ اللَّهُ لَكَ ! فَقَامَ إِلَيْهِ أَبُو ذَرٍّ فَقَالَ : اسْتَغْفِرْ لِي ! وهو حديثٌ فيه أمورٌ كثيرة .

١٠

ولو لم يجر من أبي ذرٍّ من هذا قليل ولا كثير لكان حكمه الرضا والتسليم ، إذ لم تر منه طعنًا ، ولا رأينا له متوعدًا .

ولو اعترضتم مائة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : إنهم كانوا طعانين على أبي بكر مؤكِّدين لخلافة عليٍّ ، ما كان عندنا في أمرهم حديثٌ قائمٌ ، ولا خبر شاهدٌ ، أكثر من أنَّ حكم المسك عن الطعن والخلاف هو الرضا^(٣) والتسليم .

١٥

ولقد ينبغي لنا ولكم أن تفكروا في معنى كلمة سلمان^(٤) ، فقد

(١) في الأصل : « مصر » .

(٢) الرحضاء : العرق في إثر الحمى .

(٣) في الأصل : « والرضا »

(٤) انظر ماضى في ص ١٧٢ .

٢٠

أكثرتم فيها ، حيث قال صنعتم ولم تصنعوا ؛ ومعنى هذا الكلام : إنكم قد أقمتُم مجزئاً وتركتم من هو أجزأ منه ، فيجب أن نعرف الخلل الذي لم يسدّه أبو بكر . . . (١) التي لم يبلغها ، والموضع الذي عجز عنه ، ما هو ؟ وأي ضرب هو ؟ إلا أن امتحن بما لم يمتحن به أحدٌ قبله ، ولا يمتحن به أحدٌ بعده ، من قيامه في مقام رسول الله صلى الله عليه ، في عقب الذي تمود المسلمون من طريقته ، وتعرفوا من سيرته في نفسه وفي أمته ، ثلاثاً وعشرين سنة — وهي السيرة التي لا تحتاج إلى الإخبار عن فضلها ، والإطناب في تشریفها — فلم يُغادر ولم ينحرف ولم يتغير ، ولم يؤثر (٢) ولم يضعف .

١٠ وقد علمنا أن الذي عظم صغير ما كان من أمر عثمان ، وشنع عظيم ما كان منه من الضعف وغير ذلك ، الذي كان من إفراط جلده عمر ، وشدة رأيه وشكيمته ، ويقظته وخشونته ، وثبات عزمه ، وحمليه نفسه على مذهب صاحبيه قبله . ولذلك قال عن ملا (٣) : « ما قتل عثمان غير عمر » . فالفضل الذي بين النبي صلى الله عليه وأبي بكر أكبر وأظهر من فضل (٤) ما بين عمر وعثمان . ولذلك قال عمر بن عبد العزيز : « ليس لله ستر أكشف ولا أسبغ من ستره على الصديق حين لم يتكشّف إذ قام بعقب النبي صلى الله عليه » .

وقد تعلمون أن لو كان النبي غائباً عن المدينة في غزاة ، أو حجة

(١) بياض بقدر كلمة في الأصل ، لعلها « في الأمور » .

(٢) في الأصل : « ولم يور » .

(٣) كذا في الأصل .

(٤) في الأصل : « وفصل » .

وارتدَّت العربُ وانتفضت اليهود ، وظَهَرَ النِّفاقُ وماجَ الناسُ ، فوثَبَ رجلٌ من عُرُضِ أَصْحَابِهِ ، فلم يَزَلْ بِاللَّيْنِ وَالشَّدَّةِ ، والكَفِّ والإِقْدَامِ ، والبَطْشِ والحِيلَةِ ، حتَّى رَدَّه في نَصَابِهِ ، وأَعَادَهُ كَأَحْسَنِ عَادَتِهِ بِمِثْلِ النَّفْسِ فَا دُونَهَا ^(١) ، لَقَدْ كَانَ صَنَعَ صَنِيعًا عَظِيمًا ، وفعلَ فِعْلًا كَبِيرًا .

فَكَيْفَ بِرَجُلٍ قَامَ بِأَمْرِ الْإِسْلَامِ وَقَدْ هُتِّكَتْ أَسْتَارُهُ ، وَتَقَطَّعَتْ أَطْنَابُهُ ، ٥ وَمَرِجَتْ عَهْدُهُ ^(٢) ، مَنفَرِدٌ ^(٣) بِالرَّأْيِ غَيْرِ مُسْتَعِينٍ عَلَيْهِ ، وَلَا مُسْتَوْحِشٍ ^(٤) إِلَى غَيْرِهِ ، بَلْ خَالَفَهُ الْجَمِيعُ فِي صَوَابِهِ ^(٥) وَمَا أَوْجَدَهُ الرَّأْيُ ، وَدَلَّ عَلَيْهِ النَّظَرُ مِنْ عَزْمِهِ ، وَقَدْ أَبَى إِلَّا صِرَامَةً وَبَصِيرَةً وَثِقَةً ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ مَاتَ غَيْرَ تَخَوُّفٍ وَلَا مَتَوَقَّعٍ قَدُومِهِ ، فَرَدَّ أَهْلَ الرَّدَّةِ قَاطِبَةً مَا بَيْنَ أَعْلَى الْحَمِيرَةِ ، إِلَى شِجْرِ عُثْمَانَ إِلَى أَقْصَى الْيَمَنِ ، وَقَعَ ١٠

النِّفَاقُ بِالْمَدِينَةِ وَمَا حَوْلَهَا ، وَقَتْلُ مُسَيْلَمَةَ وَاسْتَفْتَحَ الْيَمَامَةَ ، وَأَمَرَ طَلِيحَةَ ، ثُمَّ أَوْطَأَ خَيْلَهُ الشَّامَ ، وَجَدَّدَ الْأَجْنَادَ ، وَمَنَعَ الْحُوزَةَ ، وَوَطَّأَ الْأَمْرَ ، وَقَتَلَ الْمَدَوِّ بِكُلِّ مَكَانٍ . ثُمَّ لَمْ يَسْتَأْذِنْ بِدِرْهَمٍ ، وَلَمْ يَكُنْ دِينَارًا ، وَلَمْ يَخْلُفْ دِرْهَمًا ، وَلَمْ يَتَفَكَّهُ بِغَنِيمَةٍ ؛ وَجَعَلَ عِمَالَتَهُ مَرْدُودَةً عَلَى بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ . وَلِذَلِكَ قَالَ صَرٌّ : « رَحِمَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ لَقَدْ شَقَّ عَلَى مَنْ بَعْدَهُ » . ١٥

فَمَا الشَّيْءُ الَّذِي لَوْ كَانَ عَلَى هُوَ الْقَيِّمُ بِهِ كَانَ أَجْزَأَ مِنْهُ ، وَبَلَغَ مِنْهُ مَا لَمْ يَبْلُغْهُ . وَكَيْفَ يَكُونُ عَلَى أَجْزَأَ مِنْهُ وَلَمْ تُغْلَقِ الْفَتْوحُ إِلَّا فِي زَمَانِهِ ، وَلَمْ نَكُنِ الْفَتْنُ إِلَّا عَلَى رَأْسِهِ ، وَلَمْ تَخْرُجِ الْخَوَارِجُ إِلَّا عَلَيْهِ . وَهَذَا

(١) فِي الْأَصْلِ : « نِيَادُونَهَا » .

(٢) مَرِجَتْ الْيَهُودُ : اخْتَلَطَتْ وَقِيلَ الْوَفَاءُ بِهَا .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « وَمَنفَرِدٌ » .

(٤) كَذَا فِي الْأَصْلِ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « وَمُصَوِّبِهِ » .

بَابُ (١) الكلام فيه على عليّ ، ولكنّا إذا فعلنا ذلك فقد دخلنا في الذي عبتنا .

مع أنك لو طفت في الآفاق تطلب لكرداذ ونكرداذ^(٢) إسناداً^(٣) .
ولكنّا قد روينّا أنّ سلمان قال : « أصبتم الحقّ وأخطأتم الميدين »
ففرى أنّه إن كان قال هذا القولَ فإنّما ذهب إلى أنّ الأمر لو كان في
بيت النبي صلى الله عليه وعلى الثّوارث الأقرب فالأقرب ، كان أجدرَ
ألا يطمع فيه ذوّ بان العرب ودّهاة المعجم ، على غابر الأيام ، وتطاول الدّهور .
وسلمان رجلٌ فارسيّ ، وهذا كان شاهد كسرى ؛ فتوهّم أنّ حكم
الكتاب والسّنة حكم تدبير السرّ^(٤) والقائمين بالملك ؛ فإنّما تكلم على
عادته وتربيته . ١٠

ولعمري لقد كان في قوم قد ساسوا النّاس سياسةً ورتبهم ترتيباً ؛
يقطع عن الطمع في الملك بآيين^(٥) : لم يجعلوا للصانع أن ينتقل عن
صناعته إلى الكتابة ؛ ولم يجعلوا للكاتب أن ينتقل من كتابته إلى القيادة ؛
ولم يجعلوا لأبنائهم إلاّ مثل ما كان لأبائهم ؛ ليعودوا للناس عادةً
يستوحشون معها إلى الخروج منها^(٦) . ١٥

وإنّما حسنَ هذا في ملّكهم إذ كان بالرأى والغلبة ، ولم يكن لأهله

(١) كذا . ولعله « باب يكثر » أو « باب يتسع » .

(٢) النظر ما سبق في ص ١٧٢ .

(٣) في الكلام نقص ظاهر ، تقديره « ما قدرت عليه » أو نحوه .

(٤) السرّ : القائد والرئيس ، فارسيته « سرّ » . وفي الأصل : « قدير السر » .

(٥) الآيين : القانون ، كلمة فارسية .

(٦) إنّما يقال : استوحش عنه ومنه : لم يألس به .

أمثل من التدبير والحكم ، لم يكن شأنهم الأخذ بالكتاب والسنة ؛ وسبيل الإمامة غير سبيل الملك .

فإن كان سلمان إلى هذا المعنى ذهب ، وإيأاه عني ، فإنما قوله حجة للعباسية لاللملوية .

- ٥ وسنخبر عن مقالة العباسية ووجوه احتجاجهم بعد فراغنا من مقالة العثمانية ، بنافية ما يمكن من الاستقصاء ، وإنصاف البعض من بعض ، لتكون أنت المختار لنفسك بمقلك ، والأقويل ظاهرة بحليلة لذهنك ؛ فلئن أعجزك الاختيار الأرجح بمد الكفاية إنك عن استنباطه وتخليصه أعجز .
- ١٠ وقد ذكر هشيم ، عن العوام بن حوشب عن إبراهيم التيمي قال : قال سلمان حين بويع : « أصبتم حين بايعتم وحيد الناس ، وأخطأتم حين عزلتموها عن أهل بيت نبيكم ، ولو وضعتهموها فيهم لأكلتم رغداً » . وهذا حكم من سلمان أن أبا بكر خير من علي ومن جميع الناس ، والناس على خير الناس أصلح منهم على من دونهم .
- ١٥ وأخرى : أن سلمان حين قال « كرداذ » كما زعمتم ، لو لم يكن عندكم عظيم القدر نبيل الرأي ، قدوة عند الاختلاف ، لم تسمعوا قوله بهذا المكان ، حتى صار مثل طعنه وخلافه ، ينقض إمامة الأئمة ، وتتخذونه على خصائكم حجة .
- وإن كان سلمان على ما قد وصفتم ، وبالمكان الذي وصفتم ، من الحكمة والبيان ، فما دعاه إلى أن يكلم العرب والأعراب بالفارسية ، وهو عربي اللسان فصيح الكلام ، وهو يعلم أنه لم يكن بحضرة المدينة فرس ولا من يتكلم بالفارسية ولا من يفهمها . وهو إنما أراد الاحتجاج عليهم والإعذار إليهم ، وأن يقضى حق إمامة علي ويقوم بشأنه .

وقد ينبغي لمن بلغ من صدق نيته وفرط اجتماع لُبِّه^(١) وشدة عزمته أن يتكلم في دار التقية^(٢) لافي دار العلانية ، حتى خاطر بنفسه وبكل شيء يَهْوُلُه ، ومن شأنه أن يفهم الحجة ، ويوضح الموعظة ، ويبين عن موضع المظلمة ، وإلا فسكوته^(٣) أحسن من الفارسية .

٥ وكيف فهمت معناه العربُ وهي لا تعرف^(٤) من الفارسية قليلا ولا كثيراً ، ولم يكن للنبي صلى الله عليه وآله ترجمانٌ يعبر عنه للفرس فيكون ذلك الترجمان كان حاضراً لكلامه ، فيفسر للناس معناه .

وكيف نقلت عنه الصحابة إلى التابعين وكل من كان بمحضرة القوم حين بايعوا أبا بكر لا يفهمون الفارسية ، ويكون سلمان حين تكلم بها استرابوا عندها فسألوه عنها ففسرها . ولو كان ذلك كذلك لحكام الذين نقلوا الحديث ، فكان ذلك أحب إلى الروافض ، لأنهم إنما نقلوه ليعرفوا من كان الطاعن على أبي بكر . والطعن كلما كثرت فيه المراجعة والمناقضة ، وطال سببه ، وعرف علمه ، كان أدل على الشهرة والاستفاضة ، وأن الأمر كان حقاً معروفاً .

فواحدة أن الأمر لو كان كذلك لكانت الروافض أسرع الناس إلى حكايته ، لتستشهدوا على الدعوى ، ولتقوى به الحديث ، وتشدد به الحجة .

(١) اللب : ما جعل في قلب الرجل من العقل . في الأصل : « له » .

(٢) بعد هذه الكلمة في الأصل ورقة بأكلها يبدو أنها قفزت إلى هذا الموضع من نهاية الكتاب فرددتها إلى موضعها هناك منها عليه .

(٣) في الأصل : « وإلا فسكوته » .

(٤) في الأصل : « وهو لا يعرف » .

- وثانية : أن الناقلين أنفسهم كانوا سيحكمونه ، إذ كانوا إنما حكموا نفس الكلمة ليعرفوا أنه قد كان هناك خلاف ، ويدلونا على أن سلمان كان ممن خالف ، وممن له هذا القدر الرفيع الذي يحتاج بخلافه . وأخرى : أن ذلك لو كان قاله سلمان ، وهو طمئن على أبي بكر ، كان مشهوراً عند عمر وعثمان ، وأبي عبيدة وسعد وعبد الرحمن ، وهؤلاء ٥ عندكم شيع أبي بكر . فكيف أطبقوا على ترك التكلم على سلمان والدأر دارهم والحكم حكمهم ، ومعهم الرغبة والرغبة ، مع أن الجرأة^(١) على سلمان أيسر وأسلم من الجرأة على أبي بكر . وقد أطبقت على طاعته الأمة خلا أربعة نفر : أحدهم سلمان . وليس سلمان معروفاً بالنجدة وشدة الشكيمة ، ولا وراء ظهر يمنة ، فكيف لم يزجره عن ذلك ١٠ زاجر ، ولم يدفعه عن ذلك دافع . ولم يناظره مناظر ، ولم يتعجب منه متعجب ، ولم يرفع ذلك رجلاً إلى أبي بكر كما رفعوا إليه قول خالد ابن سعيد .

- فإن قلت : إن أبا بكر كان مدارياً يتسع صدره لأكثر من هذا كما اتسع صدره فلم يعاتب خالداً ولا أرادته على بيعته . كيف سلم على حدة ١٥ حكم^(٢) فأين جد عمر وحده وقلة احتماله ، واعتقاده لمثل هذا ؟ وكيف [سلم] طلحة مع شدة بأوه^(٣) وصرامته . ولا نعلم شيئاً مما ادّعوه أظهر باطلاً ، ولا أفسد معنى من قوله « كرداذ ونكرداذ » .

٢٠ (١) في الأصل : « المرة » بالحاء ، في هذا الموضع ، وبالجم في تاليه .
(٢) كذا في الأصل .
(٣) البأوه : السكبر ورفع النفس .

وأما ما ذكرتم من ترك خالد بيعة أبي بكر ثلاثة أشهر فإن الذين نقلوا هذا هم الذين نقلوا أن خالداً يوم تُوُفِّي النبي صلى الله عليه كان على صدقات اليمن ، فقدم بعد أن بايع الناسُ أبا بكر ، فلما دخل المدينة استقبله عثمان وعليٌّ فقال لهما : أرضيتم معشر بني عبد مناف أن يليَ هذا الأمرُ عليكم غيركم ؟ فلم يذكر لنا أنهما ردّا عليه قولاً ، ولا أظهرًا قبوله . ثم جلس عن بيعته لا يسأله ذاك أبو بكر ولا يدعو إليه ، فبينما هو كذلك إذ مر أبو بكر بدار خالد مُظْهِراً^(١) لبعض الأمر ، وخالدٌ في داره ، فسلم عليه أبو بكر فقال له خالد : أتُحِبُّ أن أبايعك ؟ قال : أحبُّ أن تدخلَ في صالحٍ مداخل فيه المسلمون . قال له خالد : موعدك المشية . فأتاه وهو على المنبر فبايعه .

ففي هذا وجوه من الكلام :

منه أن خالداً لم يطعن في إمامة أبي بكر من جهة الجزء^(٢) والكفاية والكمال والفضل ، ولا من طريق ما تفسد به الإمامة وتنتقض به الخلافة وإنما ذكر الحسب وطرائق^(٣) الجاهلية . وهذا الأمر إن كان مقصوراً في قوم^(٤) دون قوم ، فليس هو في بني عبد مناف عامة . وإن كان ليس [مقصوراً] في قوم ، وليس لقول خالد معنى ، فإن كان مقصوراً في عبد منافٍ للشرف أو للقربة ، فالعباسُ أولى بذلك من عليٍّ وجميع عبد مناف .

(١) أي في وقت الظهيرة .

(٢) الجزء : الكفاية والقناء . وفي الأصل : « الحرو » .

(٣) في الأصل : « طرائق » .

(٤) في الأصل : « في قوم » .

ولو أراد علياً لم يقل : أرَضَيْتُمْ بنى عبد مناف ؟ لأنَّ عثمانَ وعليَّ منافِيَّانِ ، بل كان يقول : أرَضَيْتُمْ مَعَشَرَ الْعِتْرَةِ ، أو مَعَشَرَ بنى هاشم ومَعَشَرَ بنى عبد المطلب . مع أنَّه لو قال ذلك لكان للعباس في ذلك القول من السَّبَب ما ليس لعلی ؛ لأنَّ هذا الأمر إن صلَح أن يخرجَ من رَهْطِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ دُنْيَا ، ومن أقرب الناس إليه ، إلى أَقْصَى ٥ بنى عبد مناف ، لصلَحَ أن يخرجَ إلى أَقْصَى بنى كلاب . فإذا كان ذلك كذلك فَتَيْمٌ وعبد منافٍ سواء .

ومِمَّا يَدُلُّك على أنَّ خالدًا لم يقل شيئًا ، أنَّ هذا الأمر إن كان إنما يُسْتَحَقُّ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَالْجُزْءِ (١) وَالْعَنَاءِ (٢) فليس لذكر عبد منافٍ معنى . وإن كان هذا الأمر لأفضل قريش كائنًا من كان فلم يقل خالدٌ شيئًا ، ١٠ وليس لذكر عبد منافٍ معنى .

وإنَّ يكنْ هذا الأمرُ في أقربِ النَّاسِ إلى رسولِ الله صَلَّى الله عليه وعلى آله فلم يصنع خالدٌ شيئًا .

وإنَّ يكنْ هذا الأمرُ لرجلٍ بعينه قد نصَّبه النبي صَلَّى الله عليه ودلَّ عليه فلم يصنع خالدٌ شيئًا ؛ لأنَّه كان ينبغي له أن يسير بالمنصوص ١٥ أو بالدلول عليه .

أو يكون هذا الأمرُ لا يُصَاب إِلَّا من طريقِ الْوَرَاثَةِ . فإن كان ذلك كذلك فلم يصنع خالدٌ شيئًا ؛ لأنَّ صاحبَ الْوَرَاثَةِ أظهرُ أَمْرًا وأشهر

(١) في الأصل : « الحرو » . والظر ما سبق في ص ١٩٠ .

(٢) كتبت في الأصل : « الغنى » .

موضعاً من أن يحتاج إلى كلمة ليست بأن تدلّ عليه بأقرب منها من أن تدلّ على خالد نفسه .

ووجه آخر : أنه قصد بكلامه إلى عثمان وعلى جميعاً ، ليهزّهما معاً ؛ لأن هذا اللفظ الأغلب على ظاهره حبّ المعصية ، والحماة على الأحساب ، وترك التخابير بالأفعال ، والتفاضل بالجزء^(١) والكمال .

ولعله أراد عثمان دون عليّ ، أو لعله أراد نفسه والتذكير بها والتنبيه عليها ؛ فإنه كان أشرف من عثمان وأقدم إسلاماً منه ، وكان من مهاجرة الحبشة ، وكان ذا قدر عظيم . وهو ابن أبي أحيحة^(٢) ، وكان أبو أحيحة إذا اعتمّ بمكة لم يعمّ بها أحد ؛ إكباراً لقدره ، وتفضيلاً لحاله^(٣) .

وكان عثمان لا يحالي . . . سعيد بن العاصي .

وظاهر كلام خالد وقع على عبد مناف مجلّة ، وهو يرى أنه في السرّ منهم . فإن كنتم أردتم أن تُخبروا عن خلاف خالد على أبي بكر وجلوسه عنه ، فلقد كان ذلك حتّى راجع من تلقاء نفسه ، وثاب إليه طازبُ رأيه ، فأناوب إلى خطّته ، ودخل في صالح ما دخل فيه غيره . وما كان تخلفه عن بيعته إلّا ريثما ذهبت عنه حميته ، وانجباب عن . . . وتيقظ من نومه .

(١) في الأصل : « والمفاضل بالحرو » .

(٢) أبو أحيحة سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس . الإصابة ٢١٦٣ .

(٣) مما يعمد لذلك ما أشده المبرد في الكامل ١٩٧ :

أبو أحيحة من يعمّ عمته يضرب وإن كان ذاملاً وذا عدد .

وما ذلك بأعجب من اجتماع الأنصار وقوله للمهاجرين الأولين :
 « مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ » والدار دارهم ، والمهاجرون ضيفانهم ونزولٌ
 فيهم ، وهم أولُ الناسِ والعدو والصَّلاحُ والرأى ، فكانوا مُجَلِّين^(١)
 جادِّين مجدِّين ، فما هو إلَّا أن هجم عليه الصِّديقُ وقام فيهم مُرشدًا
 ومحتجًا [حتى] استبدلوا بالخلاف طاعة ، وبالضَّجَّةِ إطراقًا ، وبالأنفة
 خضوعًا ، وبالطَّيشِ حلمًا ، وأنصتوا معًا واستمعوا معًا .

وكان السائل إنَّمَا أراد تريفنا أَنَّهُ كان من خالِدٍ خلافٌ . فقد كان
 ذلك ثم رجع إلى نفسه وعرف موضع خطئه ، غير مرغوب ولا مرهوب .
 وإن كان إنَّمَا أراد أن يجعل هذا وشبهه حُجَّةً في إمامة عليٍّ فليس
 لعليٍّ رحمة الله عليه في ذلك من الحجَّةِ على إمامته قليلٌ ولا كثير ،
 إذ لم يذكره في شيء من أمورهم ، لا في يسير أمورهم ولا عسيره .
 ولو ذكره ما كان لذكرهم دليلٌ على أَنَّهُ أولى بالإمامة من أبي بكر ،
 مهما عددنا عليك من خصاله التي لا يبقَى بها عليٌّ ولا غيره .
 وإنَّمَا كان يكونُ هذا الإدخال حجة لو قلنا : إن أحداً لم يخالف
 أبا بكر .

١٥

ورضى الجميع وسكونهم وصوابهم^(٢) لم^(٣) يكن ليتيماً أبداً ، حتَّى لا ينطق
 أحدٌ بحرف واحدٍ لا جاهل ولا عالم ، ولا عصيٌ ولا حاسد .
 وكيف يتَّفَقُ إطباقهم على سكونٍ واحدٍ والناسُ من بين حاسدٍ وراضٍ ،
 وعصيٍّ وتقيٍّ ، وحليمٍ وسخيفٍ ، وغالطٍ ومصيبٍ ، وعاقِلٍ وأحمقٍ ؟

٢٠

(١) التعاليم : المنخب والتصويت .

(٢) كذا في الأصل . (٣) في الأصل : « ولم » .

وإذا كان النبي صلى الله عليه مع رجاحته على جميع الخلق لم يسلم
على أمته [من] المستجيبين له ، فضلاً على جاحديه والمنكرين له ،
كان أبو بكر أجدر ألا يسلم من رعيته .

ولقد قام رجل إلى النبي صلى الله عليه فقال : والله يا محمد ما عدلت
في الرعيّة ، ولا قسمت بالسوية . وقال الله : « ومنهم من يلمزك في
الصدقات ^(١) » وقال : « إن الذين يُنادونك من وراء الحجرات ^(٢) » .

وقال عباس بن مرداس :

أَتَجْمَلُ نَهْجِي وَنَهْجَ الْعَبِيدِ بَيْنَ عُيَيْنَةٍ وَالْأَقْرَعِ ^(٣)

فَمَا كَانَ حَصْنٌ وَلَا حَابِسٌ يَقُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي الْمَجْمَعِ

١٠ في شعر له طويل .

وقال أبو حذيفة بن عتبة ^(٤) يوم بدر : يقتل أبناءنا وأعمامنا وينهاونا
عن عشيرته ^(٥) ، والله لئن أدركته لأججته بالسيف !

وخالفوا عليه في يوم الحديبية في نحر الهدى ، وحيث قالوا :
« لا نعطى الدّئبة مرةً بعد مرة » ، في أمور كثيرة .

١٥ فليس في طمن الطّاعن دلالةٌ إذا كان المطمون عليه كاملاً فاضلاً .

(١) الآية ٨ من سورة التوبة . وانظر تفسير أبي حيان : . . .

(٢) الآية ٤ من سورة الحجرات .

(٣) انظر الخزانة ١ : ٧٣ ، والعبيد : اسم فرس العباس . عيينة بن حصن الفزاري .
والأقرع بن حابس المجاشعي التيمي . أعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بعير وكان

٢٠ من المؤلفات لولهم ، وأعطى عباس بن مرداس أباعر فسخطها .

(٤) الإصابة ٢٦٣ من باب الكنى ، والسيرة في مواضع كثيرة . وفي الأصل : « عيه » .

(٥) في الأصل « عسره » ؟

وإجماع الناس كلهم على الصواب أمرٌ لا ينال ، ولكن إذا كانت الأمة قد أطبقت على طاعة رجل على غير الرغبة والرغبة ، ثم لم يكن اغتراراً ولا إغفالاً ؛ فليس في شذوذ رجل ولا رجلين دلالة على انتقاض أمره ، وفساد شأنه .

- ٥ وليس يحتاج بهذا وشبهه إلا رجلٌ جاهل بطبائع الناس وعلمهم . ولو كان هذا وشبهه ناقضاً لإمامة أبي بكر ، كانت إمامة علي أقضَ وأفسد ؛ لأنَّ الدنيا انكفت بأهلها عليه^(١) وماجت بساكنيها . . . من ولايته ، وتداعت من أقطارها ، تريد محاربتة ، حتى لقد نازعه فيها من ليس في مثل حاله ولا شرف موضعه ؛ ولا في فضيلة دينه فناهضه الحرب ، ونازله القتال . . . ييمته ، والتج^(٢) عليه الخلاف من أهل طاعته ، وموضع الجد في عسكره ، فردَّ بأسه في أصحابه ، وصرف كيده إلى جنده ، وجلس خلى الذرع ، رضى البال ، [في] عجب الفاتن وسرور المخادع ، وعزَّ المصيب ، وبأو الأريب^(٣) . ثم بعث رسولا قد اختاره بالحكم عليه وله ؛ وبعث خصمه رسولا قد اختاره بالحكم عليه وله ؛ فكان رسوله الخدوع ورسول خصمه المخادع ؛ ثم رجعت الأمور إلى ١٥ خصمه ، وانتزعت منه ومن ولده مرةً بالبطش ، ومرةً بالحيلة .

ثم كان يرى من خلاف أصحابه واضطراب جنده وتبديل أصحابه مثل ما يرى خصمه من طاعة خاصته ، ونصرة جنده ، وثبات عهد أصحابه ؛ فلم يكن ذلك طاراً عندنا ولا عندكم على علي ، ولا دليلاً على نقص رأيه ،

(١) في الأصل : « طى » .

(٢) التج : اختلط . في الأصل « والبع » .

(٣) البأو : السكبر والفخر .

وضعف حَزْمُه ، وسَمَة علمه وكثرة فضله . وقد أصابه من الخلاف والتمذّر وانتشار الأمر ، واضطراب الجبل ، وظفر الأعداء وشماتة الحساد ، ما قد رأيتم ؛ ثم قد جثتم تشبّهون بطعن سلمان ، وقول أبي سفيان ، وقعود خالد ، كأنكم لم تعرفوا ما عند خصومكم ؛ غرارة ونقصا .

٥ وأعجب من هذا أنكم مرة تزعمون أن الذي حمّل بني أمية على صرف الإمامة عن عليّ الضمن الذي في نفوسها ، والأحقاد التي في صدورها ، لقتل عليّ أبناءها وإخوتها وأعمامها . ومرة تعتلون وتحتجون في نقض إمامة أبي بكرٍ بطعن عظيمي بني أمية في إمامته كعليّ ؛ كخالد بن سعيد ، وأبي سفيان بن حرب . وإذا شتمت كانا لكم ، وإذا شتمت كانا عليكم .

١٠ وأما ما ذكرتم من قول أبي بكرٍ : « ما كانت بيعة إلا فلتة » ، وقول عمر : « ما كانت بيعة أبي بكرٍ إلا فلتة وفي الله شرّها » فإن الأمر على هذا واضح ، والحجة فيه قائمة .

وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم لما توفّي كان الناس على طبقات : من رجلٍ مؤمنٍ عالمٍ ، ناصح لله ورسوله .

١٥ ومن رجلٍ مطاع ليس له علمٌ بالإمامة ، وما السبب الذي به تنعقد من السبب الذي به تنحل .

ومن رجلٍ مكانه في قريش أشرف من مكان أبي بكرٍ ، وليست غايته صلاح المسلمين ، إنما غايته أن يكون الإمام من أقرب القبائل إليه ، ليزداد هو وقومه بذلك شرفاً ونفراً .

٢٠ ومن رجلٍ له قرابة فهو يرى أنها تغنيه عن العلم والعمل :

ومن رجلٍ شديد في بأسه ، ضعيف في دينه ، مخيف في ذات يده

بمعدٍ المهمة حاملٍ في هدوء الناس وأمنهم ، فهو لا يألو إضرارَ الفتنه ،
وتهيبح السفلة ، يرى أنَّ في الهيج ظهورَ نجاته ، وخروجه من الخمول
إلى النباهة ، ومن الإقلال إلى الإكثار .

ومن رجلٍ دخل في الإسلام مع مَنْ دخل في دين الله ، دخل من
الأفواج ، لا يعرف حقيقته ، ولا يستريح به إلى الثقة . ٥

ومن رجلٍ أخافه السيف ، واتقى الذلَّ والقتلَ بإسلامه ونفاقه ،
كنافي المدينة ومَنْ حولها من أهل القرى والبادية ، يعصُّون على المسلمين
الأناملَ بالنيظ ، وهم البيطانة لا يألون خبالاً ، يترقبون الدوائر ،
وينفرجون إلى الأراجيف ، ويستريحون إلى الأمانى .

ومن رجلٍ صاحب سلم ، يدين لمن غلب ، لا يدفع مُبطلاً ولا يُمين ١٠
مُحقاً ، يرى أنَّ صلاح خاصته هو صلاح العامة .

ثم الذي كان من وثوب الأنصار ، وهم أهل المدد وأصحاب الدار
والأموال ، على أمرٍ لو تابهم المهاجرون عليه حتى يكون من كل فرقة
أمير ، لفتحت بذلك باباً من الفساد لا يقوى أحدٌ على سدِّه ، وكان
الذي يقع بين الأوس والخزرج في الأمر أشدَّ مما كان يُخاف منها ومن ١٥
قريش ؛ لأنَّ القرابة كلما كانت أَمَسَّ ، والجوار أقرب ، كانت العداوة
على قدر ذلك .

ولو أنَّ الأنصار حين اتَّام أبو بكر فأظهروا الشقاق والخلاف . . . (١)
عن الحق وجهلوه ، ما كان لهم دون البوار مانع ، ولكن غير مأمون
وثوبٌ مَنْ بالمدينة ومَنْ حولها من المناقين وأشباههم ، من الحشو ٢٠

(١) يباين في الأصل بقدر ثلاث كلمات .

والطعام ، ولكن غير مأمون أن ينضم إليهم من حول المدينة من المرتدّين ، ممن بدّل إسلامه ساعة بلغته وفاة النبي صلى الله عليه . ولو صاروا إلى ذلك لكانوا أقوى من المهاجرين والأنصار ، إذ كانوا جميعاً نشرأ^(١) وقلوبهم شتى ، وبأسهم بينهم ، ولكن غير مأمون عند ذلك أن يغزوهم مُسيلة في أهل اليمامة قاطبة مع من حولها من أهل البادية . ثم كان غير مأمون أن يستمدّ بجميع أهل الردّة ممن نكت^(٢) ونصب العداوة .

وجميع ما قلنا إنه كان غير مأمون ، لم نقله إلاّ بأسباب قد كانت هناك قائمة معروفة ، فما عسى نفعه^(٣) المهاجرون والأنصار على ما وصفنا ونزلنا . ١٠

فقد صدق أبو بكر وصدق عمر أن تلك البيعة كانت فلتة وأعجوبة وغريبة ، إذ سلمت على كل ما وصفنا من أسباب الهلكة ، وهي سرّيج^(٤) ، وليس دونها ستر ولا ردّ^(٥) ، فكانت بيعته يمناً وبركة أنقذ الله بها من الهلكة ، وجمع بها من الشّتات ، وردّ بها الإسلام في نصابه ، بعد تخلّله واضطرابه . فأما السّخيمة ، وأودعت القلوب السّلامة ، وجمعتها على الألفة . ١٥

(١) اللّهم : المتفرون . وفي حديث عائشة : « فرد نفر الإسلام على غيره » ، أي رد ما انفهر من الإسلام إلى حالته .

(٢) في الأصل : « لئن نكت » .

(٣) كذا في الأصل .

(٤) السريخ : الأرض الواسعة البعيدة الأرجاء . في الأصل : « سوغ » .

(٥) الرد ، بالكسر : ما يرد الشيء . أُلشد في اللسان :

* فكان له من البلاء ردا *

أي معقلا يرد عنه البلاء .

وهذه مكرمةٌ وعطيّةٌ ، ولا يجوز أن يحبوا بها خالقُ العبادِ إلا نبيّاً
أو خليفةً نبي .

فأما قوله : « ما كانت ييمى إلا فلتةٌ وقى الله شرها » ، فقولُ
امرىٍ عالمٍ بالعواقب ، عالمٍ بأسبابِ الفِتنِ ، شديدِ الشفقةِ منها ، حامدٍ لربه
على السلامة منها .

- أو ما علمتَ أنَّ أبا بكرٍ بينا هو يخطبُ على المهاجرين في مسجد النبي
صلى الله عليه ، والنبيُّ مسجى ، وهو يحتجُّ عليهم ويعرّفهم سرّهم ،
واعتداهم في قولهم : إنَّ النبيَّ صلى الله عليه لم يمّت . وقد خافَ أن
يصيرَ بهم الإفراط في التعميم ، والغلو في الحب ، أن يضارعوا مذهب النصارى
وخافَ أن يكون آخرُ أمرهم أشدَّ من أوله . وكان أشدَّ الأمور عليه في ١٠
ذلك أنَّ مثلَ عُمر ، وعبد الرحمن ، وعثمان ، هم الذين كانوا خرجوا
إلى ما لا ينبغي من القول ، فبدرهم بالخطبة محتجّاً عليهم ومعرّفاً لهم مواضعَ
غلطهم ، ونَحَسَ إفراطهم ، فحين تبَيَّن لهم خطؤهم وسَلَّموا لاحتجاجه
عليهم ، أناه آتٍ فقال : إنَّ الأنصار قد اجتمعت إلى سعد بن عُبادة
في سقيفة بني ساعدة ، يقولون : منا أمير ومنكم أمير . فراعَهُ ذلك ، ١٥
وصوّر له الحزمُ كلَّ تخوّف ، فعلم أن الداء الذي عنه نطقوا أشدَّ علاجاً
من الداء الذي نطق عنه عمر وعثمان وعبد الرحمن ، والنفرُ من المهاجرين
الذين قالوا : إن النبيَّ صلى الله عليه وعلى آله لم يمّت ؛ وعلم أن إبراء كلِّ
سقمٍ أهونُ من إبراء سقمِ الحيّة والطَّمع في الملك ، ولا سيما إذا شابههما
سوء تأويل ، وضافرهما الحسَّ بالقوّة . وهذا هو الداء المضال^(١) ، والداهية المقام . ٢٠

(١) في الأصل : « المضاء » .

فلما انتهى إليه أمرهم ، وعرف جميع مآعليه طبائعهم وعللهم ،
وطبائع أتباعهم ، لم يكن شيء أهم إليه من البدار إليهم قبل أن
يستفحل الشر ، ويتمكن العزم ، فرح حثيثاً وتبعه عمر ، ولحقه أبو عبيدة
في نفر من قريش ، فيمرُّ بالناس خلقاً عزيزاً وهم يتكئون ويتحدثون ،
فيقبل عليهم فيقول . أنتم جلوسٌ تفرُّكون أعينكم وفي الإسلام العسا
البدار . وقيل البوار^(١) .

فلو لم يتداركهم بحيطته ويقظته وصدق حسه ، وأبطأ عنهم ريثا كانوا
يتطارحون الرأى ، ويستثيرون دفين الحسد حتى يتمكن ذلك الحسد ،
وتتمثل لهم صورة الظفر ، فلو هجم عليهم أبو بكر في ضعف من بالمدينة
من قريش ، لم يكن في طاقهم دفعهم ، والدَّارُ دارُهم ، والبلاد بلادهم
والبادية باديتهم ، ومن فيها تبع لهم ؛ فكان من صنيع الله أن كان هو
الذائد والقائم ، والحارس ، والعاطف والمداوى ، ولم يكلمهم الله إلى نظرهم
واختيارهم ، فيكون ذلك فسادهم وهلكتهم .

فإن قالوا : فما معنى قول أبو بكر للأنصار حين أتاها : « إن هذا
الأمر ليس بخلسة . قد علمت معشر قريش [أنا] أكرم العرب
أحساباً ، وأيقنوا أنساباً ، وأنا عترة النبي صلى الله عليه وأسله ، والبيضة
التي تفقأت عنه » ؟

فلم يذكر أبو بكر قريشاً وأحسابها وعترة النبي صلى الله عليه والبيضة
التي تفقأت عنه ، إلا وهو يرى أن له عليهم بهذا من الفضل ما ليس لهم ،
ومن السبب إلى الخلافة ما ليس لهم . فقد ينبغى أن يكون لبني هاشم على
هذا القياس من الفضل والسبب ما ليس لبني تيم .

(١) كذا في الأصل .

قلنا لهم : إن أبا بكرٍ لم يقل هذا القول وهو يريد معنى مذهبكم فيه ، مع أنَّكم قد قطعتم الكلام ، لأنه قال : « فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِيْنَا فَكَانَ يُوْجِزُ^(١) بِهِ وَإِنَّا نَحْنُ الْمَاهِجُونَ وَأَنْتُمْ الْأَنْصَارُ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَذْكُرْنَا وَإِيَّاكُمْ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا بِدَأْ بِذِكْرُنَا قَبْلَكُمْ ، فَهَئِذَا الْأُمَرَاءُ وَمَنْكُمُ الْوُزَرَاءُ » .

٥

فلم يقل أبو بكرٍ : « قد علمتم يا معشر قريش أننا أكرم العرب أحساباً ، وأيقنوا أنساباً ، وأنا عترة النبي وأصله » ، وهو يريد أن يخبر أن الرئاسة في الدين تستحق لغير الدين ، والخلافة أعظم رياسات الدين ، فعلى حسب ذلك تحتاج إلى العمل الصالح .

- ١٠ ولكنَّ أبا بكرٍ خطب على قوم كانوا يرون للحسب قدراً ، وللقربة سبباً ، فاتاهم من أمانهم^(٢) ، وأخذهم من أقرب مأخذهم ، واحتج عليهم بالذي هو عندهم ، ليكون أقطع للشعب ، وأسرع للقبول . وليس في كل المواضع تفسيرٌ لحجة أمثل من إظهار الجلالة ، وتعميق الناس الغاية ، وحملهم على أدق الحجج وأصوبها . ولربما أخفى الإمام^(٣) كثيراً مما يريد بالناس عنهم ، للذي من بعضهم عن فضله ، وضيق صدورهم عن سعة فضله ، بل يعلم أنه لو أطلعهم طلع إرادته^(٤) ، والذي عزم عليه من صلاحهم ، كانوا أسرع إلى طلب بغضه من عدوهم .

(١) كذا في الأصل

(٢) في الأصل : « من أمانهم » .

(٣) في الأصل : « الاهتمام » .

٢٠

(٤) في اللسان : « وفي حديث ابن ذي يزن ، قال لعبد المطلب : أطلعتك طامه .

أي أعلتكتك . الطلع ، بالكسر : اسم من اطلع على الشيء ، إذا علته » .

وقد دلّ أبو بكرٍ على مذهبه في الأحساب في أوّل خطبة خطبها على المهاجرين والأنصار ، حين قال في كلامه :

«وعليكم بتقوى الله ؛ فإن أ كيس الكيس التقوى ، وأحقّ الحقّ الفجور ، وإنّى متبع ولست بمبتدع ، فإن أحسنتُ فأعينوني ، وأن زُغتُ فقوموني . أيّها الناسُ إنّهُ لم يدع الجهادَ قومٌ قطّ إلّا ضربهم الله بذلّ ، ولم تشع الفاحشةُ في قومٍ قطّ إلّا عمّهم بالبلاء . أيّها الناسُ اتّبعوا كتابَ الله ، واقبلوا النصيحة ، فإنّ الله يقبلُ التوبة ، ويعفو عن السيئة . واحذروا الخطايا التي لكُلّ بني آدم منها نصيب ، ولكنّ خيرهم من اتقى الله . واتّقوا يوماً لا ينفَعُ فيه حميمٌ ولا شفيعٌ يُطاع » .

١٠ ألا تراه ذكرَ جميعِ بني آدم ثم قال : ولكنّ خيرهم أتقاهم كما قال الله : « إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم » ثم قال : اتّقوا يوماً لا ينفَعُ فيه حميمٌ ولا شفيعٌ ؛ فقد أخبرَ عن نفسه ومذهبه في ذلك المقامِ بغاية ما يتكلّم به أصحابُ النسوة . فكانَ أبا بكرٍ إنّما قال : فإنّ كان هذا الأمرُ معشرَ الأنصار إنّما يُستحقّ بالحسب ، ويُستوجب بالقرابة فكريشٌ أكرمُ منكم حسباً ، وأقرب منكم قرابة ، وإنّ كان إنّما يُستحقّ بالفضل في الدّين فالسابقون الأوّلون من المهاجرين المقدّمون عليكم في جميع القرآن أولى به منكم . لأنّ أبا بكرٍ ذكر في صدر كلامه الحسب والقرابة ، وفي عجزه فضلَ المهاجرين على الأنصار . فلما أبصر القومُ وجهَ الحجة ، وقرّروهم بما لم يزل عليه قبل ذلك طبائعهم ، لحقوا بالطاعة وأعطوا المقادة .

٢٠ وكيف يكون كبار الأنصار أفضلَ من كبار المهاجرين ، وقد سبقهم المهاجرون وأسلموا قبلهم بالسّنين قبل السّنين ، والأنصارُ بعدُ على دين

آبائهم ، وعبادة أصنامهم . ثُمَّ الذي لقي المهاجرون في الله يبطن مكة والأنصارُ وادَّعُون في بيوتهم ، رافهون في ديارهم ، ناعمٌ بالهم ، خَلِيٌّ سَرِبِهِمْ^(١) ، لذيذٌ عيشهم . ثُمَّ هاجَرُوا إلى دارهم فكانوا معاً في العبادة والجهاد ، إلّا ما فضّلوا به من وَحْشَةِ الاغتراب ، وفراق الدّار والأحباب . فلمهاجرين مثلُ ما للأنصار ، وقد بانوا بسابقتهم ، وإنّما قدّموا في القرآن لتقدّمهم في الإسلام .

- وكما أن المهاجرين الأولين ليسوا كغيرهم من المهاجرين ، وكما أن مَنْ أسلمَ بعد الفتح ليس كمن أسلم قبله ؛ فكذلك ليسَ مَنْ أسلمَ والناسُ كلُّهم كفارٌ غيره ، كمن أسلمَ وقد أسلمَ الناس قبله .
- وأنت إذا تأملت قولَ الصّدِّيقِ للأنصار : « إنَّ هذا الأمر ليس بِمُخْلَسَةٍ » علمتَ أنّه كان ثابتَ الجُنَان ، رابطَ الجأش ، واثقاً بِالْحِجَّة ، عارفاً بمواضع الإمامة ، وإنّما كانت غايته تقريرهم بفضيلة المهاجرين ، لأنّهم إذا صاروا إلى ذلك فلا حاجةَ به إلى ذكر نفسه وتعريفهم فضله ، لأن تمييزه كان بيناً على المهاجرين ، وفضله كان ظاهراً على السابقين .
- والدليل على ذلك أنَّ خَوْضَ الأنصار وكلامها لم يكن إلّا فيما بين ١٥
- مُجَلَّةِ الأنصار ومُجَلَّةِ المهاجرين ، قالوا : منّا أميرٌ ومنكم أمير . فما هو إلّا أن قرّروا بفضيلة المهاجرين فلم يكن لهم بعد ذلك متكلّم ، حتّى أطبقوا جميعاً على بيعته هم والمهاجرون من بين جميع المهاجرين — فلا يستطيع أحدٌ أن يدّعى أن إنساناً قال من الأنصار : فإن كان لا بدّ أن يكون منكم الأمر فليكن فلان ، فإنّه أفضل وأحقُّ بقراءة أو بعمل — ٢٠
- فسكتوا معاً سكتةً واحدة ، وسلموا معاً تسليماً واحداً .

(١) السرب ، بالفتح : الطريق والوجه والرأى .

ولو أنَّ الأنصار كانوا قد سلّموا للمهاجرين في البدء فلم يفارقوا ولم يتبادوا ، وكانوا كالمهاجرين في إطباقهم على أنَّ الإمام منهم ما كان ليظهر للناس من شهامة أبي بكر وصرامته واجتماع نفسه وقوّة مُنتهيه ، وجلّد رأيه ، وقِلّة حيرته وتضجُّعه^(١) مثلُ الذي ظهر لهم . وإنّما يعرف العاقلُ فضلَ العاقل في مَضائِق الأمور ، وساعة الجَوْلَة ، والمَجْلَة والحيرة ، وظهور الفِتنة ، ومَوْجَان السَّفلة ، واضطراب العِلْيَة^(٢) واختلاط الخاصّة بالعامّة .

فهلْ أَعْضَلَ به دالٌّ فلم يسُدَّ ثَمَره^(٣) ، أم هل نَجَمَ بلاءٌ فلم يتولَّ قَمعه ؟ ١٩
وزعمت (المِثْنِيّة) أنَّ أحداً لا ينالُ الرِّياسَة في الدِّين بغير الدِّين .
١٠ ولوجازَ أن يعطى الله رجلاً عطيةً ويفضّله على غيره لِشَبّهه ، وعملُهما سواها في دار الدُّنيا ، جاز أن يفضّله عليه في الآخرة .

وليس ذلك كالْمَعافَى والمُبْتَلَى ؛ لأنَّ المَعافَى والبلاء ، والشُّكر والصَّبْر ، والثَّوَاب على الطَّاعَة بهما والمُعاقَبَة على المَعْصِيَة فيهما ، إذا وازَنت بين عَواجِل أُمُورها وأَواجِلها مِن كُلِّ وَجْهٍ ، رأيتُهما سِواء لا فَضْلَ بينهما . ١٥

وكذلك شَأْنُ المملوك والمالك ، والفَقير والغني ، والمُبْتَلَى والمُعافَى فإنَّ كان القَرِيبُ القَرابَة والبَعِيدُ القَرابَة سَبِيلُهما في النِّقْص والْفَضْل ، والصَّبْر والشُّكر ، والثَّوَاب والمُعاقَبَة ، وجميع حالاتهما في العاجل والآجل ، كالْمَعافَى والمُبْتَلَى ، والمالك والمملوك ، والفَقير والغني ؛ فليس بين القَرِيب

٢٠ (١) تضجّع في الأمر : تلعّد ولم يقم به .

(٢) في الأصل : « الغلبة » .

(٣) في الأصل : « فلم يسر بعره » .

والبعيد فرق ، وليس لقربته فضيلة على غيره ، ولا ينفعه شيء إلا كما نعت المعافى والغنى في ظاهر أمرهما ، وما يقع العيان عليه منهما ، وهما في الغنى والمصلحة ، والنظر والصنع ، سواء .

وليس على هذا بنى القوم أمرهم في القرابة ؛ لأنهم زعموا أن القرابة سبب للرئاسة في الدين . ولو قالوا إنها سبب للقدر والنباهة في الدنيا ٥ كان ذلك وجهاً ، كما ترى من فضل حال المنيع الرهط ، الجميل الرثواء ، والمعافى في بدنه الكثير المال ، على الدليل الرهط الذميم في روائه ، المبلى في بدنه ، القليل ذات اليد ، وهما في مُغيّب أمرهما ، وفيما لا يقع العيان عليه من شأنهما ، سواء في صنع الله وفضله وعائده .

[وإنما] كان لنا أن نزعم أن القرابة تنفع في الدين والحسب ١٠ فتكون سبباً إلى الرئاسة فيهما ، أن لو كنّا رأينا من عظم قدر القرابة ونبل من أجله^(١) نال الرئاسة الكبرى بالحسب . فإذا رأينا النبي صلى الله عليه لم يستحق ذلك الموضع البائن العالى إلا بالفضل دون المركب^(٢) كان من متّ بقربته أجدر ألا ينال الرئاسة إلا بالفضل دون المركب ؛ لأن النبي صلى الله عليه لو كان نال ذلك بالهاشمية كان هو ورجل من ١٥ عُرض بنى هاشم سواء .

ولو كان ناله بمبد المطلب لكان ولد عبد المطلب لصلبه أقرب إليه . وقد نعلم أن ذلك لو كان لشخص بالهاشمية أو بالمطلبية لكان لعل في ذلك ما ليس لأحد ، لأنه ابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، وأمه فاطمة ابنة أسد بن هاشم .

٢٠

(١) كذا في الأصل .

(٢) المركب : الأصل والمنبت . هو كريم المركب ، أى كريم أصل منصبه في قومه .

فلما وجدنا الأمر كما ذكرنا ، علمنا أن النبي صلى الله عليه لم يصيره مستحقاً لأعظم الرِّياسات وأشرف المقامات إلا بالعمل ، إذ كتبنا قد وجدنا من يُساويه في الهاشمية لا يستحق مثل ماله .

وزعمت (العثمانية) أن لها في التسوية بين القريب والبعيد حججاً كثيرة ، قد عرفتها وسمعتها من أهلها .

ولكن كتابي هذا لم يُوضع إلا في الإمامة ، ولربما ذكرت من المقالة والملة^(١) والدَّحْلَة التي تعرض في الإمامة سدرأ ، طلباً للتمام ، وتعريفاً لوجوه الإمامة وما دخل فيها .

والكلام في التسوية كلامٌ يدخل في باب التَّمْدِيل والتَّجْوِير ، وهو ١٠ بابٌ يشتدُّ الكلام فيه وينمض ، فإن أخبرنا عن فرعه ولم نخبر عن أصله لم ينتفع القارئ به ، وصار وبالاً عليه .

وقد زعم ناسٌ من (العثمانية) أن الله بفضله ومَنِّه كفى أكثر الناس مؤونة الروية ، وتكلف غامض الكلام في التسوية ، فأخبرهم في كتابه بأبين الكلام وأوضحه عن معاني التسوية ، وما يجوز في عدله وحكمته . فقال وهو يريد أن يُعلم الناس أنهم لا ينتفعون بصلاح آبائهم ، ولا يضرُّهم فسادُ رهطهم فقال : « وإبراهيمَ الذي وفى . ألا تزرُ وازرةٌ وزرَ أخرى . وأن ليسَ للإنسانِ إلا ما سعى^(٢) » . فإذا كان كونُ الإنسان ابنَ نبيٍّ وابنَ خليفة نبيٍّ ، أو ابنَ عمِّ نبيٍّ ليسَ من سَمِيهِ ، فقد أخبر أنه لا شيء له في ذلك حين قال :

٢٠ (١) في الأصل : « والملة » .

(٢) الآيات ٣٧ — ٣٩ من سورة النجم .

« وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى » فَالسَّعَى مُعْرُوفٌ ، وَالكَوْنُ مِنْ رَهْطٍ دُونَ رَهْطٍ لَيْسَ مِنْ سَعَى الْمَرْءِ فِي شَيْءٍ ، وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ لِقَرَابَتِهِ حِينَ جَمَعَهُمْ : « يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ ، وَيَا صَفِيَّةَ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ ، وَيَا فُلَانُ وَيَا فُلَانُ ، إِنِّي لَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا » .

- ولو أَنَّ إِنْسَانًا مِنَ الْقَرَابَةِ إِذَا هُوَ عَصَى وَعَصَى غَيْرُهُ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ ٥ غَفَرَ اللَّهُ [لَهُ] لِقَرَابَتِهِ ، وَلَمْ يَغْفِرْ لِلْآخَرِ ؛ وَكَانَ إِذَا أَطَاعَ وَأَطَاعَ غَيْرُهُ بِمِثْلِ طَاعَتِهِ أَعْطَاهُ اللَّهُ أَكْثَرَ مِمَّا يُعْطَى الْآخَرُ ، لَكَانَا إِذَا اسْتَوَيَْا فَلَمْ يَطْعِمَا جَمِيعًا وَلَمْ يَعْصِيَا ؛ فَكَانَا إِمَّا طِفْلَيْنِ وَإِمَّا عَجُوزَيْنِ وَإِمَّا نَائِمَيْنِ ، وَإِمَّا سَاهِيَيْنِ ، أَعْطَى الْقَرِيبَ وَفَضَّلَهُ ، وَلَمْ يُعْطِ الْآخَرَ شَيْئًا وَلَمْ يَسُوِّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ لَمْ يُطِيعْ وَلَمْ يَعْصِ ، كَمَا لَمْ يُطِيعِ الْقَرِيبُ وَلَمْ يَعْصِ ، لَمْ يَكُنِ ١٠ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ لِيَقُولَ لِعَمَّةٍ وَعَمَّتِهِ : إِنِّي لَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا . وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : « الْمُسْلِمُونَ تَكَافَأَ دِمَاؤُهُمْ ، وَيَسَعَى بِذَمَّتِهِمْ أَذْنَاهُمْ » .

- ولذلك قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : النَّاسُ كُلُّهُمْ سِوَالَا كَأَسْنَانِ الْمُسْطِ .
وَالْمَرْءُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ . وَلَا خَيْرَ لَكَ فِي صَحْبَةِ مَنْ لَا يَرَى لَكَ مِثْلَ ١٥ مَا يَرَى لِنَفْسِهِ .

ولذلك قَالَ حِينَ بَلَغَهُ أَنْ عُنِينَهُ قَالَ : أَنَا ابْنُ الْأَشْيَاخِ ، أَنَا عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرِ بْنِ عَمْرٍو ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : « أَشْرَفَ النَّاسِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ » .

- ولذلك أَخَذَ وَبَرَّةً مِنْ جَنْبِ بَعِيرٍ يَوْمَ حُتَيْنٍ فَقَالَ : « وَالَّذِي نَفْسِي ٢٠ بِيَدِهِ مَا أَنَا بِهَذَا أَحَقُّ مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ » .

وقد قال الله : « وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ^(١) » ؛ فلم يستثن من جميع النفوس نفسًا واحدة ، لا ابنَ نبيٍّ ولا ابنَ عمٍّ .

وقال الله : « يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا ^(٢) » . والمولى كلمة واقعة على جميع ، فنه ابن عمِّ المرء ، ومنه خليفته ، ومنه مولاه من فوق ، ومنه مولاه من تحت ، ومنه مولاه الذي ملكه قبل عتقه . فإذا قال الله : « يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا » فقد دخل فيه ابنُ العمِّ وغيره ، ولم يستثن الأنبياء دون المسلمين .

وقال : « يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ^(٣) » وقال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ ، وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا ^(٤) » ثم قال : « إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغَرُورُ » . فمن اغترَّ بعد هذا بالقرابة وانكسل على غير العمل الصالح فقد ردَّ تأديب الله وتعليمه .

ثم الذي رأينا من قصة ابنِ آدَمَ حينَ قَرَّبَ مع أخيه قُربانًا فُتُقْبَلُ من أخيه ولم يُتَقْبَلْ منه ، فقتله حسداً له وبنياً عليه . وكيف لم تنفعه قرابته من آدَمَ حيثُ لعنه الله وبرئ منه ، وجعله من أصحاب النار ، ثم قال : « وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ^(٥) »

(١) الآية ٤٨ من سورة البقرة .

(٢) الآية ٤١ من سورة الدخان .

(٣) الآية ٨٨ — ٨٩ من سورة الشعراء .

(٤) الآية ٣٣ من سورة لقمان .

(٥) من الآية ٢٩ في سورة المائدة .

لكي لا يتَّكَلَّ أحدٌ ظالمٌ بعده على قرابته ، ولا يغترَّ بأن يكون ابنَ نبيٍّ . ولذلك أرسل الكلامَ على تَخرج المَعموم . ولم يُخرجه ذلك المَخرج إلَّا وذلك إرادته .

فإن قالوا : إنه لم يكن لصلبه ، ولو كان لصلبه لنفعه ذلك عنده .

- قلنا : إنه ليس لأحدٍ سمعَ الله يقول : « واتلُ عليهم نبأ ابْنِ آدَمَ » أن يجعلهما من عُرضِ بَنِي آدَمَ بعد سبعين قرناً إلَّا بِحُجَّةٍ . وإن لم تكن له في ذلك حُجَّةٌ فليس له أن يُزِيلَ معنَى ابنٍ عن أصله^(١) ؛ لأنَّ الأصلَ المستعملَ الموضوع أن يكون الابنُ للصلب ؛ فإنما جاز أن يقالَ لابنِ الابنِ على التشبيهِ بالابنِ ، [و] على الحملِ عليه . وكذلك الابنُ الذي هو على التَّبَنِّي والتَّربية ؛ لأنَّ رجلاً لو قال : ١٠ أتاني فلانُ بنُ فلانٍ ، لم يكن لأحدٍ أن يقول : إنه لم يَعْنِ ابنه وربيته ، إلَّا بِحُجَّةٍ ؛ وإلا فالكلامُ موضوعٌ على أصله وعلى المستعملِ المعروفِ منه . ثم صنعُ الله بابنِ نوحٍ ، وهو كما علمت من أعظم الأنبياء قدراً ومنزلةً ومكاناً ، حين عَصَى فيمن عصى ، كيف غرقَه فيمن غرقَ^(٢) ١٥ بمن لا قرابةَ له ولا ولادةً .

فإن قالوا : إنه لم يكن ابنه ، لأنَّ^(٣) الله قال : « إنه ليس مِن أَهْلِكَ إنه عملٌ غيرُ صالحٍ^(٤) » ، وذكر امرأةَ نوحٍ وامرأةَ لوط فقال :

(١) في الأصل : « عن صلبه » .

(٢) في الأصل : « كيف عرفه فيمن عرف » .

(٣) في الأصل : « إلا أن » .

(٤) الآية ٤٦ من سورة هود .

« كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ^(١) » .

قيل لهم : إنه ليس لنا أن ندع قول الله : « وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ » إلى تأويلٍ مُخْتَلَفٍ فيه . ولَقَوْلُهُ الْخِيَانَةَ مَخَارِجُ غَيْرِ تَأْوِيلِكُمْ . وقد تَفَجَّرَ الْمَرْأَةُ بِعَدِّ أَنْ صَحَّ مِنْهَا لِبَعْلِهَا وَلَدٌ كَبِيرٌ . وفي قوله : « فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا » دَلِيلٌ أَنَّ مُحَبَّتَهُمَا كَانَ الصَّفْحُ عَنْ خِيَانَتِهِمَا ، وَأَنَّ مُحَبَّتَهُمَا لَمْ تُغْنِ ^(٢) عَنْهُمَا شَيْئًا .

وَلَا يُشْبِهُ قَوْلَكُمْ [فِي] نِسَاءِ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِي نَعْرِفُ مِنْ حُسْنِ اخْتِيَارِ اللَّهِ لَهُمْ مِنْ طَيِّبِ الْمَنَاحِكِ ، وَطَهَارَةِ الْمَدَاحِلِ . وَهَذَا مَعْنَى طِبَائِعِ النَّاسِ . ١٠ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَتْرَكَ أَمْرًا نَبِيًّا تَصِيرُ إِلَى تَهْجِينِهِ وَالتَّصْغِيرِ بِقَدْرِهِ ؛ لِأَنَّ الرِّسَالَةَ مَنْظَفَةٌ مُصَفَّاءٌ ، لَا تَحْمِلُ الْأَقْدَاءَ ، وَلَا تَمْلُقُ بِهَا الْأُدْنَاءَ ، وَلَا يَطُوقُ ^(٣) الْمُبْطِلِينَ عَلَيْهَا الْاعْتِمَادُ .

وَفِي قَوْلِ اللَّهِ لِإِبْرَاهِيمَ ، وَهُوَ شَجَرَةُ الرِّسَالَةِ ، وَخَلِيلُ رَبِّ الْمَرْءِ حِينَ يَقُولُ لَهُ : « إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ^(٤) » قَالَ إِبْرَاهِيمُ إِمَامًا مُسْتَفْرَمًا ١٥ وَإِمَامًا طَالِبًا : « وَمِنْ ذُرِّيَّتِي » قَالَ : « لَا يَنْالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ » . وَأَخْبَرَ أَنَّ عَهْدَ إِمَامَتِهِ وَخِلَافَتِهِ لَا يَنْالُ الظَّالِمَ وَإِنْ كَانَ مِنْ خَيْرِ خَلْقِ اللَّهِ .

(١) الْآيَةُ ١٠ مِنْ سُورَةِ التَّحْرِيمِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « لَمْ تَغْنِيَا » .

(٣) طَائِقُ الْعَمَلِ يَطُوقُهُ : أَطَاقَهُ وَقَدَّرَ عَلَيْهِ .

(٤) مِنَ الْآيَةِ ١٢٤ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ .

ففي هذا دليلٌ أنَّ الرِّياسة في الدِّين لا تُنال بغير الدِّين .

وقال الله : « ولقد أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ^(١) » ألا تَرَى أَنَّ الذَّرِيَّةَ وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا ذَرِيَّةً وَمَكَانُهَا مِنَ الْقَرَابَةِ سَوَاءً ، فَهِيَ وَلِيٌّ وَمِنْهَا عَدُوٌّ .

فإِنْ تَرَكَوا هَذَا جَانِبًا وَقَالُوا : كَيْفَ تَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يَرَى ٥ التَّسْوِيَةَ ، وَكَانَ لَا يَرَى أَنَّ الْفُرُوسِيَّةَ أَصْلٌ لِلْإِمَامَةِ ، وَالْقَرَابَةُ شُعْبَةٌ عَنِ الْخِلَافَةِ . وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ رَجُلٌ أَبَدَ مِنْ هَذَا الْمَذْهَبِ مِنْ خَاصَّتِهِ وَخَلِيفَتِهِ وَصَنِيعَتِهِ ، وَالْمُحْتَدِي عَلَى مِثَالِهِ ، عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ؛ لِأَنَّهُ فَضَّلَ الْقَرَشِيَّاتِ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَى غَيْرِهِنَّ ، وَفَضَّلَ الْعَرَبَ فِي الْعَطَاءِ عَلَى الْمَوَالِي . وَقَالَ : « زَوِّجُوا الْأَكْفَاءَ » . وَكَانَ أَشَدَّ مِنْهُ ١٠ فِي أَمْرِ الْمَنَاحِكِ .

قِيلَ لَهُمْ : إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ رَجُلٌ كَانَ أَبَدًا مِمَّا قَلِمَ مِنْ عُمَرَ ، وَلَا [ظَهَرَ] مِنْهُ — خِلَافَ مَا ادَّعَيْتُمْ — مِثْلُ الَّذِي ظَهَرَ مِنْهُ .
وَالدَّلِيلُ عَلَى غُلْطِكُمْ وَخَطَا قَوْلِكُمْ ، أَنَّ عُمَرَ لَمَّا فُرِضَ الْأَعْطِيَّةُ وَدُوِّنَ الدَّوَاوِينَ وَقَامَ إِلَيْهِ أَبُو سَفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ ، وَحَكِيمُ بْنُ حَزَامٍ ، فَقَالَا : ١٥ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَدِيَّانُ كَدِيَّانُ بَنِي الْأَصْفَرِ^(٢) ؛ إِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ اتَّكَلَتِ النَّاسُ عَلَى الدِّيَّانِ وَتَرَكَوا التَّجَارَاتِ وَالْمَعَاشَ ! فَقَالَ عُمَرُ : قَدْ كَثُرَ الْفِيءُ وَالْمُسْلِمُونَ .

فَفُرِضَ لِلْمُهَاجِرِينَ وَمَوَالِيهِمْ ، وَلِلْأَنْصَارِ وَمَوَالِيهِمْ ، مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا

في ستة آلاف ستة آلاف^(١) فكان عطاء عمرو وعليّ وعبد الرحمن وطليحة والزبير وأبي عبيدة بن الجراح ، وعطاء بلال وسالم مولى أبي حذيفة وجميع الموالى سواء .

ثمّ فَرَضَ على قَدَرِ الْفَضْلِ وَالْفَنَاءِ وَالسَّابِقَةِ ، على قَدَرِ بُعْدِ الدَّارِ وَقُرْبِهَا مِنَ الْمُهَاجِرِ ، وفرض لأهل اليمن في السبعائة إلى الألف ، وهم أَمَدُ خَلْقِ اللَّهِ مِنْهُ وَمِنْ مُضَرٍ أَرْحَامًا وَنَسَبًا . وإنما أرغبهم وزادهم لُبْعَدِ دَارِهِمْ مِنَ الْمُهَاجِرِ^(٢) ، وكانوا أهلَ قَرْيٍ وَمَزَارِعَ ، فتركوا مُطَنَّبَهُمْ^(٣) رَغْبَةً فِي الْمُهْجَرَةِ .

وفَرَضَ لِمُضَرٍ وَبَلَىٍّ وَكَلْبٍ وَطَيٍّْ فِي الثَّلَاثَةِ إِلَى الْأَرْبَعَةِ . فتسويته ١٠ بين مضر وطىء دليلٌ على ما قلنا .

وفرض لربيعة في خمسين ومائتين وقال : إنما هاجروا من أطناب يوتهم . وربيعَةُ أَمْسٌ بِهِ وَبِمُضَرٍ مِنْ بَلَىٍّ وَطَيٍّْ .

وفرض لأشراف الأعاجم : لِدِهْقَانِ نَهْرِ الْمَلِكِ^(٤) ، وهو فيروز بن يَزْدَجِرْدَ ، ولابن البحرخان^(٥) ، ونخالدٍ وجميل ابني بَصْبَهَرِي^(٦)

١٥ (١) في الأحكام السلطانية لأبي يعلى ٢٢٢ أنها خمسة آلاف درهم في كل سنة .

(٢) في الأصل : « المهاجرين » .

(٣) المطنب : موضع الإقامة ، يقال طنّب بالمكان طنطيباً : أقام به . في الأصل : « يصمهم » والظر ما سيأتى .

(٤) نهر الملك : كورة واسعة ببغداد كانت تشتمل على ثلثائة وستين قرية ، على عدد أيام السنة . ياقوت . ٢٠

(٥) كذا . وفي الطبري « النخيجان » . انظر ١ : ١٠٣٨ ، ٢٤١٩ ، ٢٤٢٢ ،

٢٤٣٩ ، ٢٥٩٩ ، ٢٦٢٧ طبع ليدن .

(٦) انظر البيان ٢ : ٢٦٣ .

دهقان الفلوجة ، ولسظام بن نرسی دهقان بابل ، وجفينة العبادي ،
ورهيل^(١) في ألفين ألفين .

وفرض للسوسحتان^(١) ، والمهرمزان ، وليسياء وخش^(٢) وأمقلاس
في ألفين وخمسمائة ، وهو أقصى شيء أخذته عربي قط ، فقليل له في ذلك ،
فقال : قوم أعاجم أشراف ، أحببت أن أنالّف بهم غيرهم .

وفرض لسوى هؤلاء النفر من المعجم من الحاشية والعوام ممن سبي
وأسير وخرج في الصلح مع رئيسه وقائده ، في أقل مما فرض للأعراب
وحاشية العرب وعوامهم ، فقليل له في ذلك فقال : إن الأعرابي إلا
يقاتل عن دينه قاتل عن رهطه وشقه وناحيته . وإن لم يكن ذا بصيرة
في دينه قاتل محاماة عن حسبه وأصحابه ، وقد أمنت تحوّلته إلى عدوه
فأقل ما عنده إذا لم يُبل أن يكثر السواد ويكتف الجيش . وهو على حال
أفقّه في الدين ، وأفهم للتأويل . والعجمي ليس بذى بصيرة في الإسلام
ولا يقاتل عن داره ، ولا يحامى عن حسبه ، ولا يدافع عن رهطه
وغير مأمون عليه التحول إلى أصحابه فيدل على العورة ، وهو أجدر
ألا يفهم تنزيلا ولا تأويلا .

وسجل قوما في البحر وآخرين في البر ، ففضل على قدر المؤونة ،
وأعطى على قدر المشقة .

(١) كذا في الأصل .

(٢) سياه وخش معناه في الفارسية الأسود العين . استينجاس ٧١٣ . وهو سياه وخش

ابن مهران بن بهرام شوبين الرازي * الطبري ٤ : ٢٥٣ .

فهكذا كانت عطاياء ، وهكذا كان تديره فيما نقلت العلماء وروى
 الفقهاء . ولا يشك في ذلك صاحب خبر ، ولا يدفعه صاحب أثر .
 فأما ما ذكرنا من تهجينه أمر المعجم ، وتعميمه أمر العرب ، فإنما
 كان ذلك لأنه لما ندب الناس إلى قتال كسرى والأساورة ثقلت عن
 ذلك العرب والأعراب وجميع المهاجرين والأنصار ، هبة لناحية كسرى
 والفرس ، وخفوا لغزو الروم ونشطوا له ، حتى انتدب أبو عبيد الثقفي
 أول من انتدب ، فلذلك عقد له على كبار المهاجرين الأولين ،
 والأنصار ، والبدريين ، فلم يكن له هم إلا تصغير أمرهم وتهجين شأنهم
 والخط من أقدارهم ليرد ذلك من نفوس العرب .

وهكذا ينبغي أن يكون تدبير المدير . ١٠

أما ما علمت أن المنيرة بن شعبة لما سمع قيس بن مكشوح يقول
 حين عاين الفرس : مارأيت كال يوم حديداً ولا عديداً ! وهذا يوم
 القادسية ، وقد كان قيس شهد قبل القادسية حروب الروم ، وقيس
 يومئذ على الخيل ، والمنيرة على الرجالة ، فأقبل عليه المنيرة منتهراً له
 وهو يقول : إنما هذا زبد من زبد الشيطان (١) !

وقد كان المنيرة قد عاين مثل الذي عاين قيس ، ولكن التدبير
 كان غير الذي ذهب إليه قيس .

ومن الدليل على ما وصفنا من تدبير عمر ، تركه الاستخفاف بأقدار
 المعجم وإظهار احتقارهم والإزراء بهم ، بعد جلولا (٢) .

٢٠ (١) الزبد ، بالفتح : الرغد والمطاء .

(٢) كان بها الوقعة المشهورة للمسلمين على الفرس سنة ١٦ قتلوا منهم مائة ألف .
 معجم البلدان والطبري ٤ : ١٧٩ .

فمن ذلك أنه لما أتى بسيف كسرى وقبائه ومنطقته ألبسه سُرَاقَةً ابن مالك بن جُعْشُم ، ثم قال له : أدبرْ ، ثم قال له : أقبلْ . فلما أقبل عليه عُمر وعنده الناسُ فقال : أمّا والله لربّ يومٍ لو كان هذا من كسرى وآل كسرى لكان شرفاً لك ولقومك ، في أمور كثيرة من هذا الضرب لم يكن عُمر لينطق بحرف منها وحرّبتهم بخوفة ، ٥ ونفوس العرب لهم هائلة .

وهكذا تديرُ الخلفاء ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون . ولو كانوا إذا لم يفهموا عن الأئمة لم يمترضوا عليهم ولم يخطئوهم ولم يجهّلوهم كان أيسر . ولا أعلم في الأرض جيلاً أجهلَ بهذا وشبهه ممّن ينتحل اسم الكلام ويتنصّب نفسه للخصومات . ثمّ الروافض خاصة ، ليس يعرفون من أمر الإمام إلّا أنه يعلم ما يكون قبل أن يكون . ١٠

ومن الدلائل على ما وصفنا به عُمر ، قوله لسعد بن أبي وقاص حيثُ وجهه إلى القادسية وأوصاه ، قال : ياسعد سعد بن وهيب^(١) إنّ الله عزّ وجلّ إذا أحب عبداً حبّبه إلى الناس ، فاعتبرْ منزلتك من الله بمنزلتك أن يقال خال رسول الله صلى الله عليه ، وإن الناس في ذات ١٥ الله سواء .

فأى قول أجمع وأدلّ ، وأى فعل أشبه بالذى حكينا عنه من التّسوية ، من هذه الأقاويل^(٢) والأفاعيل .

(١) هو سعد بن مالك بن وهيب — أو أهيب — بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب

انظر ما مضى في ص ٥٦ .

(٢) في الأصل : « الأوایل » .

وكان سعدٌ خال النبي ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وقد أخذ بيده : « هذا خالي أباهي به فليأت كل امرئٌ بخاله » .

وفي قول عمر في المناكح : « ليس شيءٌ من خصال الجاهليَّة إلا وقد تركته ، إلا إنِّي لستُ أبالي إلى مَنْ نكحت ، وإلى مَنْ أنكحت » . فإن شئتَ أن تقول : وأى أمرٍ هو أوجبُ على العاقل المسلم الحرِّ من ألاَّ يبالي إلى مَنْ نكح وأنكح ؟

قلت : وإن قلت إنَّ هذا الكلام من عمر يدلُّ على بقيَّة عصبية فيه . فما تبرأ^(١) إليك منه حين جمعه^(٢) من خصال الجاهليَّة إلا وهو آبٍ له وناءٍ عنه ، وزارٍ عليه . وفي قوله هذا دليلٌ على أنه قد اكترث لبقية عادة الجاهلية ، وأنه راغب عنهما كما رغب عن أكبر منهما .

وفي قوله لعبد الله بن عمر حين فرضَ له في ألفين وفرضَ لأسماءَ في ألفين وخمسمائة ، وابنه قرشيٌّ وأسماءُ مولى ، حين قال له عبد الله : أتفضلُ عليَّ أسميةً في العطاء وأنا وهو سَيَّانٍ ؟ قال : إنَّ أسميةً كان أحبَّ إلى رسول الله منك ، وكان أبوه أحبَّ إلى رسول الله من أهلك .

١٥ ألا ترى أنه يدور مع الدِّين حيثما دار ؟

وفي قول عبد الله بن عمر لأبيه : تفضلُ عليَّ أسميةً في العطاء وأنا وهو سَيَّانٍ ، دليلٌ على أنَّ القوم كانوا لا يعرفون إلاَّ الدِّينَ والسابقة ، والغناء عن المسلمين .

وفي وصيته عند وفاته أن يصلِّي عليه صُهيَّب ، وفي أمرِهِ إِيَّاه بالصَّلَاة

٢٠ (١) في الأصل : « فقد يرى » .

(٢) لم يظهر من هذه الكلمة في الأصل إلا الحرف الأول .

بالناس في مقامه إلى أن يختار المسلمون رجلاً ، دليلٌ على ما قلنا .
وصُهِيبٌ مولى لعبد الله بن جُدعان .

والدليل على أن صُهِيباً رجلٌ من العَجَم قولُ رسول الله صلى الله عليه :
« بلالٌ سابق الحبشة ، وسَلَمَان سابق فارس ، وصُهِيب سابق الروم » .

وهذا حديثٌ لم يختلف فيه فقهاء .

- وفي خروج آذنيه وحاجبيه يوماً إلى الناس ، وقريشٌ والعربُ جلوسٌ
يبابه ينتظرون إذنه ، فيهم أبو سفيان بن حرب ، وسُهَيْل بن عمرو ، وحكيم
ابن حزام ، والأقرع بن حابس ، وعُيَيْنَةُ بن حِصْن ، فنادى بأعلى صوته :
أين عَمَّار ؟ أين بلال ؟ أين صُهِيب ؟ أين سَلَمَان ؟ فينهضون مكرمين ومفضلين ،
وعلى الناس مقدمين ، وتلك الجلَّةُ وتلك السَّادَةُ جلوسٌ لا ينطقون .
ولا يُنْكِرُونَ ، فلما كثر ذلك عليهم تَمَعَّرَتْ وجوههم ، وامتُّعَت ألوانهم ،
فأبصرهم سُهَيْلٌ فعرف ما قد أصابهم ونزل بهم ، وكان حليماً خطيباً فقال :
لِمَ تَمَعَّرُ وجوهُكم وتغيَّر ألوانُكم ، ولا ترجعون باللائمة على أنفسكم ؟
دُعِينَا ودُعُوا ، فأبطأنا وأسرعُوا ، ولئن حسدتموهم على بابِ عُمرَ لَلَّذِي
أَعَدَّ اللهُ لهم في الجنة أفضل^(١) !

١٥

ثم الدليل الذي ليس فوقه دليلٌ ، قوله وعنده أصحابُ الشورى وكبارُ
المهاجرين وِجَلَّةُ الأنصار ، وعِلِيَّةُ العرب ، وهو مُوفٍ على قبره ينتظر
خروج نفسه : « لو كان سالمٌ حياً ما تخالجنى فيه الشكُّ » . وسالمٌ مولى
امرأة من الأنصار ، وكان حليفاً لأبي حذيفة بن عتبة بمكة ، فلذلك كان يقال :
مولى أبي حذيفة ؛ لأنَّ حليفَ الرجل مولا .

٢٠

(١) انظر ما مضى في ص ١٧٨ — ١٧٩ .

فإن كان هذا لا يدلُّ على التَّبَاعُدِ من الْحَيَّةِ والأعرابِيَّةِ والعَصَبِيَّةِ ،
ولا يدلُّ على التَّسْوِيَةِ ، فما عندنا ولا عند أحدٍ شَيْءٌ يدلُّ على شَيْءٍ ! وإذا
كان هذا مذهبَه وقولَه في الْخِلَافَةِ فما ظَنُّكَ به فيما دون الْخِلَافَةِ ؟ !

وهذا بابٌ إن استقصيناه كَثُرَ وشَغَلَ الْكِتَابَ . وفيما قلنا مَقْنَعٌ
٥ لمن كان الْحَقُّ له مَقْنَعًا ، والصَّوَابُ له مَأْلَفًا .

فهل يَقْدِرُ أَحَدٌ أن يَحْكِيَ عن عَلِيٍّ مِثْلَ الَّذِي حَكَيْنَا عَنْ عُمَرَ
في التَّسْوِيَةِ ، أو شَطَرَهُ ١١ !

إنَّ أَكْبَرَ ما رأينا في أَيْدِيكُمْ عَمَهُ قَوْلُهُ : « إِنِّي قَرَأْتُ ما بَيْنَ دَفْتَيْ
الْمِصْحَفِ فلم أَجِدْ فِيهِ لِبْنِي إِسْمَاعِيلَ عَلَى بَنِي إِسْحَاقَ فَضْلاً » .

١٠ فهذا قَوْلٌ إنَّ قَالَهُ عَلِيٌّ فَلَيْسَ فِيهِ دَلِيلٌ أَنَّهُ أَرَادَ بِهِ الطَّمَنَ عَلَى عُمَرَ
وَإِظْهَارَ خِلَافِهِ ؛ لِأَنَّ عَلِيًّا قَدْ مَلَكَ أَكْثَرَ الْأَرْضِ خَمْسَ حِجَجٍ ، فَلَوْ كَانَ
رَأْيُهُ فِي خِلَافِ عُمَرَ عَلَى ما تَصِفُونَ ، وَكَانَ عُمَرُ عِنْدَهُ لَا يَرَى التَّسْوِيَةَ فِي
الْعَطَاءِ ، لَقَدْ كَانَ غَيْرَ دَوَاوِينَ عُمَرَ ، وَبَدَلًا أَعْطَيْتَهُ وَفُرُوضَهُ وَحَوَّلَهَا
إِلَى الْحَقِّ عِنْدَهُ ، أَوْ نَطَقَ فِيهَا بِحَرْفٍ ، أَوْ أَظْهَرَ ذَلِكَ فِي هَيْئَتِهِ (١) إنَّ لَمْ يَنْطِقْ بِهِ
١٥ خَطِيبًا وَمَحْتَجًّا .

وَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ وَلَا أَحَدٌ أَعْلَمُ بِصَوَابِ ما دَبَّرَ عُمَرُ فِي ذَلِكَ مِنْ عَلِيٍّ ؟ !
وَكَيْفَ يَكُونُ عُمَرُ لَا يَرَى التَّسْوِيَةَ وَقَدْ صَنَعَ صَنِيعًا لَوْ قَامَ مَقَامَهُ أَشَدُّ النَّاسِ
سَعْيًا — ما لَمْ يَجْرُ عَنْ الْحَقِّ وَيَمْدِلْ عَنِ السَّدَادِ — ما كَانَ عِنْدَهُ وَلَا فِي طاقَتِهِ
أَكْثَرَ مِنْهُ .

٢٠ والعَجَبُ أَنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ عَلِيًّا كَانَ يَرَى التَّسْوِيَةَ ، وَأَنَّ عُمَرَ صَاحِبُ

٠ (١) في الْأَصْلِ : « هُنَا » .

حمية ، فأنتم تروون أن أكثر احتجاجة إنما كان بذكر قرابته وأمتن أسبابه ومصاهرته ، مع أن القرابة هي التي أخرجتكم إلى هذا الإفراط كله . فأنتم تحبون بني هاشم وتفضلونهم للقرابة ، وتوجبون لهم الإمامة للقرابة . ثم تزعمون أن علياً كان يرى أن ولد إسماعيل وإسحاق سواء ، وكان يرى أن العرب والعجم سواء .

٥

وكيف غضبتكم على عمر لأنه فضل قريشاً على العرب ، والعرب على العجم ، ولم تغضبوا على أنفسكم حين فضلتكم بني عبد المطلب على بني هاشم ، وفضلتم بني هاشم على بني عبد شمس ؟

ففضلوا أيضاً بني عبد شمس على سائر قُصَيٍّ ، وسائر قُصَيٍّ على سائر كعب ، وسائر كعب على سائر قريش ، وكذلك سائر قريش على سائر مضر ، وكذلك سائر مضر على ربيعة ، وربيعة على ولد إسحاق ، وولد إسحاق على ولد قحطان .

وإن شئتم ففضلوا ربيعة على اليمن ، واليمن على العجم . وإذا أنتم قد دخلتم في كل ما عيبتكم .

فأما أن تفضلوا من شئتم على من شئتم - وإن كان من لم تفضلوا ١٥ في القياس كمن فضلتكم - فليس ذلك لكم ؛ لأن القياس قد اعترض دون مشيئتكم وقضى عليكم .

ولو أن قائلًا قال : أنا أزعم أن الناس كلهم بعد بني عبد المطلب لصلبه سوا ، كما قلتم إن الناس كلهم بعد بني هاشم سواء ، ما كان^(١) الذي قال أمس بالرسول وأولى بالحكم . فإن قلتم : فمن أين كان له أن يقف على ٢٠

(١) في الأصل : « كما أن » .

جدُّ عبد المطلب وليس بينه وبين هاشم إلا أب ؟ فيقال لكم^(١) : وكيف كان لكم أن تقفوا على جدِّ هاشم وبين هاشم وعبد مناف أبٌ واحد ؟ وكيف كان لكم أن تقطعوا التفصيل وحقَّ القرابة من لدن هاشم ، وهاشم وعبد شمس أخوان لأم وأب ؟ ! ولذلك قال الشاعر :

عبد شمس كان يتلو هاشماً وما بعدُ لأم وأب ٥

فاجعلوه يتلو هاشماً في حقَّ القرابة واستحقاق الإمامة . وإذا جاز عندكم أن تتخطى الإمامةُ العمَّ إلى ابن العمِّ كان [ذلك] في الأخ للأم وللأب . ثم زعمتم أنَّ الدليل على أنَّ عمر صاحبُ عصبيةٍ وحمةٍ ، ردُّه لسلمان حينَ خطبَ إليه ابنته ، وسلمان كان أعقلَ من أن يخطب إلى أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعلى . ١٠

قلنا : جوابنا في هذا في خطبته إلى عليٍّ ، وإن كان عليٌّ أشرفَ موضعاً . مع أنَّ القائم عن سلمان أنَّه كان يقول : قال لي النبيُّ صلى الله عليه : « يا سلمانُ لا تبغض العربَ فتُبغضني » . وكان يقول : أمرنا أن نأتمَّ بكم ولا نؤمَّكم ، وأمرنا أن نزوَّجكم ولا نزوَّج منكم . فليس في الأرض متعربٌ وصاحبُ عصبيةٍ إلا وأكبرُ ما يحتاجُ به في المناكح حديثُ سلمان . ١٥

وقد تمنعُ الأشرافُ عقائلَ نساءها لأسبابٍ غير التَّحريم ، لا يكون ذلك عيباً عليهم في آدابهم ، ولا نقصاً في أديانهم .

وفي قول عليٍّ يوم الجمل حين رأى عبد الرحمن بن عتابٍ صريعاً : « شَفَيْتُ نَفْسِي وَجِدَعْتُ أَنْفِي . قَتَلْتُ الصَّنَادِيدَ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ ٢٠

(١) في الأصل : « قال لكم » .

وَأَمْتَنِي^(١) الْأَعْيَانِ مِنْ بَنِي مُجَمِّحٍ ! « فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : لَشِدَّةٍ مَا جَزَعْتَ عَلَيْهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! قَالَ : « إِنَّهُ قَدْ قَامَتْ عَنِّي وَعَنْهُ نِسْوَةٌ لَمْ يَقُمْ عَنْكَ » دَلِيلٌ أَنَّهُ قَدْ كَانَ يَرَى لِلْأُمَّهَاتِ قَدْرًا كَثِيرًا ، وَلِلْمُنَاكِحِ خَطَرًا عَظِيمًا .

٥ وفي كراهته أَنْ يَتَزَوَّجَ الْمُتَسَدِّدُ ضُبَاعَةَ بِنْتِ الزُّبَيْرِ ، حَتَّى كَانَ مِنَ النَّبِيِّ إِلَيْهِ الَّذِي كَانَ ، دَلِيلٌ عَلَى شِدَّةِ تَدْبِيرِهِ .

وَأَمَّا بِنَبْنِي أَنْ يَقْضَى بَيْنَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مَنْ قَدْ عَرَفَ أُمُورَهُمْ فِي جَمِيعِ مُتَقَلِّبِهِمْ ؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ مَأْمُونٍ عَلَى الْمُتَكَلِّمِ إِذَا قُلَّ سَمَاعُهُ أَنْ يُخْرِجَهُ الْجَهْلُ [إِلَى] اسْتِصْفَاءِ بَعْضِهِمْ أَوْ تَضْلِيلِهِ^(٢) وَالْبَرَاءَةِ مِنْهُ ، فَيَهْلِكَ هَلَاكُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

١٠

وَأَنَّ أَغْنَى النَّاسِ أَنْ يَكُونَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ خُصُومَهُ لِأَنَّهُمْ مَعَشَرَ أَصْحَابِ النَّظَرِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ .

وَالَّذِينَ نَحَلُوا عَمَرَ الْمَسْبِيَّةِ رَجُلَانِ : رَافِضِيٌّ أَحَبُّ أَنْ يَمُتَّهُ إِلَى الْعَجَمِ وَالْمَوَالِي ، وَمُتَعَرِّبٌ عَرَفَ أَنَّ عَمَرَ عِنْدَ النَّاسِ قُدُوةٌ ، فَتَحَلَّه ذَلِكَ لِيَكُونَ لَهُ حِجَّةٌ . فَاعْرِفْ ذَلِكَ .

١٥

وَأَمَّا مَا ذَكَرُوا مِنْ أَنَّ الزُّبَيْرَ خَرَجَ شَادًّا بِسَيْفِهِ يَوْمَ السَّقِيفَةِ ، فَإِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فَإِنَّ هَذَا لَهُوَ الطُّيْشُ وَالتَّسْرُّعُ إِلَى الْفِتْنَةِ ، وَتَهْيِيجُ النَّاسِ عَلَى إِظْهَارِ السَّلَاحِ .

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ . وَالنَّظَرُ أَلْسَابُ قَرِيشَ ١٩٣ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « نَصْلِهِ » .

وإنما أتى أبو بكر الأنصارَ واعظاً ومحتجاً ، ومسكناً ومصلحاً بالإنـ
الكلام وأحسنَ الهدى ، لم يحمل سوطاً ولا سيفاً ، ولم يظهر معازة
ولا أراد المغالبة^(١) . فما وجه خروج الزبير بسيفه شاداً نحوه ؟ ! بل
كان أشبه الأمور بالزبير وأولاهها به ، والذي يجب علينا أن نلـ^٥
أن يقوم محتجاً ومصلحاً ؛ فإذا أبان عن حجته وأعذر في موعظته فلم ير
ذلك ناجماً^(٢) ولا مقبولاً ، ورأى شيئاً يجوز به حمل السيف والشـ^٥
كان من وراء ذلك .

وكيف علمتم أن الزبير إنما سل سيفه ليؤكد لعلـ^{١٠}
له خلافته ؟ ! ولعله إنما أراد الأمر لنفسه دون غيره . ولعله إنما
غضب لصرف الأمر عن خاله وكبيره وشيخه العباس بن عبد المطلب .
فكيف علمتم أنه إنما أراد صرفها عن أبي بكر خاصة ؟ ! وكيف يشـ^{١٥}
على رجل لم يقل بايعوني ، ولا أظهر الحرس عليها ، وإنما كره أن
يبقى الناس نشرًا ، وعلم أن على الأنصار أن يسموا للمهاجرين ، وقد قال
للناس : « بايعوا أي هذين شئتم » ، يعني أبا عبيدة وعمر . إلا أن يكون
الزبير قال : ولم كنت أنت المحتج على الأنصار والعرف لهم فضلـ^{٢٠}
المهاجرين عليهم دون علي .

ويقال لهم عند ذلك : أمّا بادى الرأي والذي لا نشك فيه نحن
ولا أحد ممن خالفنا ، فالذى كان من مناصبة الزبير لعلـ^{٢٥}
دون الإمامة ، وزعمه أنه أفضل منه وأولى بها منه ، ولو جعلها شورى
لفرعه وبرز عليه .

(١) في الأصل : « معارة إلا أراد المغالبة » . والمعازة : المغالبة في العزة .

(٢) في الأصل : « فاجما » .

ثم الذى لا يشكُّ الناسُ فيه من طاعته لعمر ، وإنما عمر شعبةٌ من
شعب أبي بكر . ولقد بلغ من تعظيمه لعمر وطاعته له وإكباره لقدره ،
أنه محاً نفسه من الديوان لما قُتل عمرُ تَسْلُباً عليه^(١) ، ورفعاً لقدره أن
يلَى منه من الإعطاء والمنع أحدٌ كما كان يليه منه عمر . كما محاً نفسه من
الديوان حكيم بن حزام لما تُوِّفى النبي صلى الله عليه . وكذلك محاً نفسه
من الديوان عبدُ الله بن الزُّبير حين قُتل عثمان .

ولقد بلغ من طاعته لعمر أنه بمشه مدداً لعمرو بن العاص ، فجعل
عمراً الأمير عليه ينفذ لأمره ويصلى بصلاته .

والذى يدلُّك على انبثاته^(٢) فى هوى أبي بكر ، وانقطاعه إليه بمودته ،
الخاصة التى كانت بين أبي بكر وبينه . وذلك أن عبد الله بن مسعود
أوصى إليه حين مات . وعبدُ الله مُهرى محض ، وهو القائل فى عثمان
حين برز على الشورى : « ما ألونا أن جعلناها [فى أعلا] نا ذا فوق^(٣) »
فإذا كان هذا قوله فى عثمان وعلى فما ظنك به فى أبي بكر ومُهر^(٤) .

ثم أوصى إليه عثمان بن عفان [و] هو أصل العمرية والمُمانية ، والمباينة
لعلى وشيعته عندهم . وأوصى إليه عبد الرحمن بن عوف ، وهو المختار

(١) التسلب : الإحداذ . (٢) فى الأصل : « انبثاته » .

(٣) فى الأصل : « نادى فوق » والتكلمة والتصحيح مما سيأتى مما سأنبه عليه ، ومما
استنضأت به من اللسان ، ففيه مادة (فوق ١٩٥) : « وفى حديث ابن مسعود : اجتمعنا فأمرنا
عثمان ولم نأل عن خيرنا ذا فوق » أى خيرنا سهمنا فى الإسلام والسابقة والفضل . ذو الفوق ،
بضم الفاء ، هو السهم . وفوقه : موضع الوتر منه .

(٤) فى الأصل : « وعلى » .

لعثمان على عليّ ، وصاحب أبي بكر ، والدافع بالموسم في خلافة أبي بكر من بين جميع المهاجرين .

هذا مع أسباب الزبير الواشجة بأبي بكر : فمن ذلك إسلامه على يديه ، واحتماله مؤونته في مصاهرته ، حيث رغب إليه في تزويج ابنته أسماء ذات النطاقين ، فولدت عبد الله - وعبد الله كنيته أبو خبيب - وعروة وغيرها . وكان عبد الله أول مولود ولد في الهجرة ، فسماه الزبير باسم جده أبي بكر ؛ لأن اسم أبي بكر عبد الله ولقبه عتيق ، وإنما لقب بعتيق لعتق وجهه ودقة محاسنه . ثم كنى الزبير بأبي بكر بكنية جده ، فكان عبد الله بن الزبير يكنى أبا بكر تيمناً منهم بكنيته ١٠ وتبركا باسمه .

وقالت عائشة رضي الله عنها : ألا تكنيني يارسول الله ؟ قال : « بلى ، اكنيني بابنك » يعني عبد الله بن الزبير . فكانت عائشة تُكنى بأم عبد الله . ولذلك كانت تقول : قال ابني ، وفعل ابني ، وكادوا يوم الجمل أن يقتلوا ابني .

١٥ فيقال للرافضة : أمّا العيان والوجود فهو الذي خبرناكم به . وأمّا ما ادّعيتم من [أن] الزبير سل سيفاً ليؤكد إمامة عليّ فقد ينبغي أن تأتوا على ذلك ببرهان . فأما مادة الزبير له ومحاربتة إياه وفخره عليه ، فهذا مالا يدفع عنه . ولقد فخر عليه حين دعاه إلى الشورى وأبى ذلك عليّ فقال : أسلمت بالغاً مدركاً وأسلمت ناشئاً طفلاً ، وكنت أول من سل سيفاً ٢٠ في الإسلام بطن مكة وأنت مستخفي في الشعب يكفلك الرجال ويمونك الأقارب من هاشم ، وكنت فارساً وكنت راجلاً ، وكنت شجاعاً وكنت

بطلا . ولئن كنت تزعم [أنك ابن عمه] إني لابن عمته^(١) . وأنا عابر
البحر يوم الحبشة ، وفي هيئتي نزلت الملائكة ، وأنا حوارى رسول الله
صلى الله عليه وفارسه .

خبرني بهذا الكلام أبو زفر^(٢) عن ضراب^(٣) ، أن الزبير
كان احتج به .

وخبرني جماعة من الثمالية عن محمد بن عائشة^(٤) ، أن الزبير كان
احتج به ، وقد سقط عني بعضه لطول التمدد بسماعه .

وقالت (الثمالية) : العجب أن الروافض ربما احتجت علينا بأن
الزبير سل سيفه ومضى قدما في تأكيد بيعة علي وخلع سواء ، ونقص
من أبي بكر .

فيقال لهم : فما منكم أن تقولوا لما مات النبي صلى الله عليه
وجحد السلف إمامة علي : كفر الناس خلا خمسة نفر^(٥) أولهم الزبير
في نفسه وفضيلته على غيره . وأكبر ما كان منه من سل سيف
والشد به ، وهذا موقف لم يقفه بلال ولا أبو ذر . وأنتم على ثقة أن

(١) في الأصل : « لابن عمه » ، والوجه ما أثبت ، فإن أباه الزبير والدته صفية بنت عبد المطلب
عمة رسول الله .

(٢) أبو زفر ، ذكره في لسان الميزان ٦ : ٣٧٩ وقال : « ذكره ابن النديم في مصنف
المتزلة » . وليس في النسخة المطبوعة من الفهرست .

(٣) ضراب ، آخره باء في الأصل . وإمالة « ضراب » آخره راء ، وهو ضرار بن عمرو
صاحب الضرارية . انظر حواشي الحيوان ٥ : ١٠ .

(٤) هو محمد بن حفص . انظر حواشي الحيوان ٢ : ١٢ .

(٥) انظر ما مضى ص ١٨٠ س ٥ — ٧ .

ذلك كان ، وأنَّ السَّيْفَ لم يُحْمَلْ إِلَّا لِنُصْرَةِ عَلِيٍّ دُونَ الْعَبَّاسِ وَجَمِيعِ
بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ وَمَا وَلَدَ قُصَيٍّ .

وكيف لم يكن أدنى منازل الزُّبَيْرِ أن يكون قد كان مؤمناً ولياً
إلى أن جَحَدَ إِمَامَةَ عَلِيٍّ بَعْدَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ ، فيكون سَبِيلُهُ شَبِيهاً بِسَبِيلِ
حُذَيْفَةَ وَعُمَارَ ؛ لِأَنَّهُمَا كَانَا عِنْدَكُمْ كَافِرَيْنِ حَتَّى تَابَا فِي زَمَنِ عُثْمَانَ ،
فَكَانَ يَكُونُ الزُّبَيْرُ مُؤْمِناً إِلَى أَنْ كَفَرَ عِنْدَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ .

وإِنَّمَا سَارَ حُذَيْفَةُ وَعُمَارُ عِنْدَ الرَّافِضَةِ وَلِيَّيْنِ لِأَنَّهُمَا قَالَا بِزَعْمِهِمْ :
وَاللَّهِ مَا دَخَلَ عُثْمَانُ حُفْرَتَهُ إِلَّا كَافِراً ، وَإِنَّهُ لَجَيْفَةٌ عَلَى الصَّرَاطِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ ، يَتَأَذَّى بِهِ أَهْلُ الْجَمْعِ .

فَإِنْ كَانُوا إِنَّمَا صَارُوا إِلَى تَوَلِّيهِمَا بَعْدَ إِكْفَارِهِمَا مِنْ أَجْلِ تَصْدِيقِ
هَذَا الْحَدِيثِ فَإِنَّ الَّذِينَ رَوَوْهُ هُمُ الَّذِينَ رَوَوْا أَنَّهُمَا قَالَا : وَاللَّهِ مَا دَخَلَ
عُثْمَانُ حُفْرَتَهُ إِلَّا كَافِراً ، وَإِنَّهُ لَجَيْفَةٌ عَلَى الصَّرَاطِ يَتَأَذَّى بِهِ أَهْلُ الْجَمْعِ ،
وَإِنَّهُ لَا يَلِي هَذَا الْأَمْرَ بَعْدَ عُمرَ إِلَّا كُلُّ أَصْفَرَ أَبْتَرٍ ! فَإِنْ كَانَا قَدْ تَابَا
بِقَوْلِهِمَا الْأَوَّلِ لَقَدْ ارْتَدَّا بِقَوْلِهِمَا الثَّانِي حِينَ قَالَا : وَإِنَّهُ لَا يَلِي هَذَا الْأَمْرَ
مِنْ بَعْدِ عُمرَ إِلَّا كُلُّ أَصْفَرَ أَبْتَرٍ .

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ بَلْ كَانَا حَرْتَدَيْنِ فَتَوَلَّيْتُمُوهُمَا عِنْدَ تَوْبَتِهِمَا
وَعَادَيْتُمُوهُمَا قَبْلَ ذَلِكَ عَلَى طَاعَتِهِمَا لَعَمْرُ ، فَمَا بَالُكُمْ لَمْ تَقُولُوا مِثْلَ ذَلِكَ
فِي الزُّبَيْرِ أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ مُؤْمِناً حَتَّى جَحَدَ إِمَامَةَ عَلِيٍّ بَعْدُ ؟ ! مَعَ أَنَّ سُلَّ
الزُّبَيْرِ سَيْفَهُ ، وَعَدَّوْهُ نَحْوَ أَبِي بَكْرٍ وَأَصْحَابِهِ ، وَقَوْلَ عُمرَ : « دُونَكُمْ
الْكَلْبَ » حَتَّى أَخَذَ سَيْفَهُ وَخَطَرَ ، إِنَّمَا هُوَ حَدِيثٌ وَجَدْنَاهُ فِي بَعْضِ
السِّيَرَةِ ، وَلَيْسَ مِنَ الْأَخْبَارِ الْمُسْتَفِيدَةِ ، وَلَيْسَ مِمَّا يَحَقُّقُهُ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ .

وإن قالوا : فما قول أبي بكر في خطبته التي خطب بها في أول خلافته : « وَلِيَّتُكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ » ؟ وهل يخلو هذا القول من الصدق والكذب . فإن كان صدقاً فهو خلاف قولكم في تفضيله على جميع أئمتكم ، والرجلُ كان أعلم بنفسه وبأهل دهره . وإن كان كاذباً فأى كذب أقبح من كذب إمام على منبر جماعة ؟ ! ومن أحق بالآل يلبسهم ويحمل إمامة دينهم ودنياهم بمن يكذب على منبر الرسول من غير أن يسكره أحدٌ أو يُريدَه عليه ، أو يكون في تقيّة نخائف السوط والسيف ؟ ! بل ما يدعوه إلى الكذب ، والكذب مقبّح في العقل مقبّح في الدين ، ولم يكن هناك رهبة تسوقه ولا رغبة تقوده ؟ ! على أن كذب الرعية^(١) أسخف وأقبح ، وهو لا يخلو من أن يكون صادقاً ١٠ فلا يسهه أن يتقدّم من هو خير منه وقد مكّنه تقديمه ، أو يكون كاذباً^(٢) فالقول فيه على ما قلنا .

قلنا : إن (العثمانية) تذكرُ لذلك وجوهاً :

فمنها : أن الحسن كان يقول : والله أعلم أنه كان خيراً هم ، ولكن المؤمنين يهضم نفسه . فزعم الحسن أنه إنما تهضم نفسه ووضع منها ١٥ لأن الخلف المشفق كثيراً ما يُزري على نفسه ويغيب عليها ويستبطنها^(٣) ، ويُظهر المقت لها والخوف عليها . فهذا كان مذهب الحسن .

وأما قتادة فزعم أن قوله : « وَلِيَّتُكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ » إنما أراد في الحسب ، ليعلمهم أنه إذ يليهم بالحسب فإنما وليهم بالسابقة ، لأنهم

(١) أي الكذب على الرعية . (٢) في الأصل : « كذبا » . ٢٠

(٣) هذه الكلمة تامة الإجمال في الأصل .

قد كانوا أكثروا من قولهم : أرضيتم معشر بني عبد مناف أن تلي عليكم نبي ؟ ! وأراد في أول مقام قامه أن يعلمهم [أن] ذلك المقام لا يقال بأن يكون صاحبه خير الناس حسباً ومركباً ، إنما يقال بأن يكون خير الناس علماً وعملاً .

٥ وأما غيرها فزعم أن من عادة الخائفين الوجهين المشفقين أن يقول الرجل منهم : كلُّ أحدٍ خيرٌ منِّي ؟ ثم يبكي على تضييعه ، ويستعظم صغير ذنوبه كأنه ليس في الأرض مذنبٌ سواه . وأكثر ما يقول ذلك عند ذكر بعض ذنوبه أو عند بعض ما يمارضه به الشيطان والإنسان ، من تركيته وتقريظه وإظهار تفضيله لنفسه وإحسانه ، والمُجِبُّ (١) بحاله . لأنه ليس بعد أن يرى العبدُ أن ذنبه من قبَل ربه مذهبٌ هو أعظم من استكبار الطاعة واستصغار المعصية . فعند ذلك يمارضه المؤمنُ بتقريع نفسه وتأنيبها ، وتوقيفها على ما فرط منها ، وتذكيرها مساوئها ، واستعظام كل ما كان من تقصيرها وإساءتها ، واستصغار كل ما كان من عظيم إحسانها وطاعتها ، فيقول : كلُّ أحدٍ خيرٌ منِّي . وما أشبهه من الكلام .

١٥ وهذا الضربُ من اللَّفْظ ، إذا كان على هذا الوجه فليس في بحرَى الكذب وقول الزُّور . وإن كان القائلُ : « كلُّ أحدٍ خيرٌ منِّي » خيراً من كل أحد .

٢٠ فكانَ أبا بكرٍ لما خطبَ النَّاسَ وقامَ مقامَ رسول الله صلى الله عليه ، وسلم عليه المهاجرون والأنصارُ وعلية قريش وسادةُ العرب قياماً على أقدامهم ، وصفوفاً على مراتبهم ، يقولون : السَّلامُ عليك يا خليفةَ رسول الله

(١) في الأصل : « واجب » .

وَأُلْقِيَتْ إِلَيْهِ أَرْمَةُ الْأُمُور ، وَأُعْطَوْهُ الْمَقَادَةُ ، وَأُسْمِحَتْ نَفُوسُهُمْ لَهُ بِالطَّاعَةِ وَقَدْ صَرَفُوهَا عَنِ الْقَرَابَةِ وَعَنِ أَهْلِ الشَّرَفِ ، رَأَى بِسْطَةَ عَيْشِهِ ^(١) مِنْ عِزِّ الْخِلَافَةِ وَبَأْوِ الْإِمَامَةِ ، مَا لَا يَعْرِفُ قَدْرَهُ غَيْرُهُ ، وَلَا تَأْتِي الصِّفَةُ عَلَى كُنْهِهِ . وَلِلشَّيْطَانِ ^(٢) هُنَاكَ مَدَاخِلٌ وَمَخَائِلٌ ، وَدَسٌّ وَتَحْرِيكٌ وَطَمَعٌ ، لَيْسَ يَقْوَى بِشَرِّهِ عَلَى دَفْعِ تِلْكَ الْفِتْنَةِ ، وَلِتَسْكُنَ تِلْكَ الْحَرَكَةُ ، وَالنُّهُوضُ بِتِلْكَ الْحَنَةِ ، إِلَّا بِغَايَةِ الزُّرْيِ عَلَى النَّفْسِ وَالْهَضْمِ لَهَا ، وَالْبَخْسِ وَالتَّخَوُّنِ مِنْهَا ، وَتَنَامِي ذِكْرِ جَمِيعِ مَحَاسِنِهَا ، وَاجْتِلَابِ ذِكْرِ جَمِيعِ مَسَاوِيهَا . فَبِالْحَرِيِّ إِذَا صَنَعَ ذَلِكَ أَنْ يَرُدَّ مِنْ غَرْبِهِ وَطَوَائِعِ نَفْسِهِ ، وَحَرَكَةِ هِمَّتِهِ ، وَاتِّشَارِ هَزْمِهِ ، وَاتِّقَاضِ مِرَّتِهِ .

وَهَذِهِ حَالٌ لَا يُمْتَنَعُنْ بِهَا إِلَّا الْخُلَفَاءُ ، وَلَا يُخْتَبَرُ بِهَا إِلَّا الْأُئِمَّةُ الْهُدَى ؛ لِأَنَّ مَعَهُمْ مِنْ قُوَّةِ الْمُئْنِ وَمِنْ فَضُولِ الْأَحْلَامِ ، وَشِدَّةِ الْوَرَعِ وَكَثْرَةِ الْعِلْمِ ، وَثِبَاتِ النَّفْسِ ، وَالْمَعْرِفَةِ بِمَا أَدَاءُ الطَّائِعِ ، وَإِمَانَةِ الشَّهَوَاتِ ، وَقَعٌ . . . مَا يَقَامُ بِهِ مَوْرَهُ ^(٣) مَكَايِدِ الشَّيْطَانِ وَتَعْظِيمِ الْإِنْسَانِ ، وَعِزِّ السُّلْطَانِ . وَالنَّفْسُ لَا تُسَمِّحُ بِإِعْطَاءِ مَا عَلَيْهَا حَتَّى تَعْمَمَهَا مَا لَهَا .

وَإِنْ كَانَ قَوْلُ أَبِي بَكْرٍ : « وَلِيَّتْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ » إِنَّمَا أَرَادَ بِهِ مَدَاوَةَ قَلْبِهِ ، وَالزُّرْيَ عَلَى نَفْسِهِ فَلَيْسَ بِكَذِبٍ وَإِنْ كَانَ خَيْرَهُمْ ، إِذْ كَانَ إِنَّمَا أَرَادَ إِصْلَاحَ قَلْبِهِ ، وَعِلَاجَ دَائِهِ ، وَالْبُعْدَ مِنْ تَقْرِيرِ الْقَوْمِ بِنَقْصِهِمْ عَنْ فَضْلِهِ ، وَالْفَخْرَ عَلَيْهِمْ بِتَبْرِيزِهِ . فَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَكُونَ سَبِيلُهُ سَبِيلَ مَنْ يُظْهَرُ التَّعَلُّمُ إِذَا عَلِمَ ، وَسَبِيلُ مَنْ يَتَوَاضَعُ إِذَا عَظُمَ . فَجَمَعَ بِذَلِكَ حَسَنَ الْأَدَبِ ، وَالْبُعْدَ

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَاسْطَةُ عَيْشِهِ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَالشَّيْطَانُ » .

(٣) كَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ نَاقِصَةً مَعْرِفَةً .

من التزكية ، والتَّحَبُّبُ إلى المستمع ، والتَّوَضُّعُ لربِّه ، والمداواة لقلبه ،
والظَّفَرُ بمدوّه ، وإحراز دينه .

وقد يكون إخلاصُ ظاهرٍ لفظه على شيء ومعناه غيره ، فلا يكونُ
ذلك كذباً ، لمعرفة القائل بفهم المستمع عنه . وهذا بابٌ كثيراً
ما يستعمله العرب .

يقول الرجل لامرأته : أَلْقَيْتُ حَبْلَكَ عَلَى غَارِبِكَ ! وهو يعني طلاقها
وليس هناك حَبْلٌ أَلْقِيَ عَلَى غَارِبٍ .

ويقول : مَالِي فِي هَذَا الْأَمْرِ نَاقَةٌ وَلَا جَمَلٌ ! وليس ذلك يُرِيدُ .
و : لست منها في عَيْرٍ وَلَا نَفِيرٍ ! وليس ذلك يُرِيدُ .

وقال عُمرُ في الصَّدَاقِ ما بلغكم ، فلما احتجَّت عليه المرأة بقول
الله : « وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ^(١) » قال : كلُّ أحدٍ
أَفْقَهُ مِنْ عُمَرَ .

وهذا القول ينبغى أن يكون على قياسكم هذا كذباً . ولا نعلمُ أحداً
رواه عن عُمرٍ إلا على التفضيل له . ووجهه قائمٌ معروف .

فإن قالوا : ما معنى قول أبي بكر : « بَايَعُوا أَيْ هَذِينَ شِئْتُمْ » ، يعني
عُمَرَ وَأَبَا عُبَيْدَةَ .

قيل لهم : إنَّ أبا بكرٍ إنما قال هذا الكلام للأنصار ومن حَضَرَ
بعد أن قرَّرَ الأنصار يفضل المهاجرين عليهم ، وأنَّ الأمراء منهم . فلم
عند ذلك أنه بائنٌ عند الأنصار من جميع المهاجرين كما بانَ عند المهاجرين

(١) الآية ٢٠ من سورة النساء . وفي الأصل : « وَإِنْ آتَيْتُمْ » ، وهو تحريف .

ولكنه كان سائساً رفيقاً ، فكره أن يقول بايعوني ، ليكونوا هم الذين يطلبون منه ذلك ويريدونه عليه ، ويظهرون حباً تقديمه ؛ لتكون النفوس بطاعته أسبح ، وفيها أرغب ، ولذهبه أحمَد ، ولأن ذلك عندهم أبعدُ من الاستبداد عليهم ، والافتيات بالأمر دونهم ، والحرص على التأثر عليهم . ولذلك مشى في الناس بعد بيعته ثلاثاً يقول : هل من مستقيلٍ فيقال ؟

وقد قال في خطبته بعد البيعة :

وقد كانت بيعتي فلتةً ، وخشيت الفتنة . وايم الله ما حرصتُ عليها يوماً ولا ليلة ، ولا سألتها الله في سرٍّ ولا علانية ، ومالي فيها راحة . وقد قلدتُ أمراً عظيماً مالي به طاقة ، ولوددتُ أن أقوى الناس ١٠ عليها مكاني .

ألا ترى زُهدَه فيها^(١) ، وقلة حرصه عليها ، وكيف يُخبرُ أنه لو لم يخشَ الفتنة ما قبلها ، ولو ددَّ أن أقوى الناس عليها مكانه ١؟
وقوله « لوددت أن أقوى الناس عليها مكاني » ، يقول : وددت أنه لو كان في الناس من هو أقوى عليها مني . ليس^(٢) أنه يرى أن ١٥ في الأرض يومئذ رجلاً هو أقوى عليها منه .

ومثلُ هذا في كلام العرب كثير .

وقال الراجز^(٣) وذكر إليه فقال ، إذا كانت عليها مغارضها^(٤) :

(١) في الأصل : « ألا ترى في زُهدَه فيها » .

(٢) في الأصل : « فليس » .

(٣) هو أبو محمد الفقمسي . اللسان (غرض) .

(٤) جمع مفرض ، كجلس ، وأصله جانب البطن أسفل الأضلاع ، وهو ما يقع عليه الفرض وهو حزام الرجل . وقد عني به الجاحظ الأغراض . ويبدو أن هذه العبارة مقحمة ، وموضعا بعد .

* يشرِّبْنِ حَتَّى تَنْقُضَ الْمَارِضُ ^(١) *

يقول : يشرِّبْنِ حتى لو [كانت عليها مفارضاها ^(٢)] سمعت لها نقيضا .
والبعير لا يُورَدَ وعليه غرضه وبطائه .

ثم رجعنا إلى الحديث الأول

٥ فكانَ أبا بكرٍ حين قال : « بايعوا أيَّ هذينِ شئتم » علِمَ أنَّ عمرَ وأبا عبيدة لا يستجيزان تقدُّمه والتأثرَ عليه ، كما بلغنا من قول عمر في أبي بكر ، يومَ جمع المهاجرين والأنصار يستشيرهم في غزو الروم حيثُ خالفوه وأبى أبو بكرٍ إلاَّ إنفاذ ذلك الجيش والتعريف لهم بالحجة ^(٣) فيه ، حين يقول : « الحمد لله الذي ينخصُّ بالخير من يشاء من خلقه . والله ما استبقنا إلى شيء من الخير إلاَّ سَبَقَنَا إليه ، ذلك فضلُ الله يُؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .
١٠ وقال أيضاً يوم السقيفة حين قال أبو بكر : بايعوا أيَّ هذينِ شئتم : « والله لأنَّ أقدِّمَ فنضربَ عنقَ أحبِّ إلىَّ من أن أتقدِّمَ أبا بكر » . وقال : « والله لأنَّ أضجَعَ فأذبح كما يذبح الجمل أحبُّ إلىَّ من أن أتقدم أبا بكرًا » .

١٥ ولقد بلغ من تعظيمه له وتقديره إيَّاه ، أنه قال حين سئل عن الكلالة : « والله إني لأستحي الله أن أرى خلاف رأي أبي بكر » . وأنت لم تجد أبا عبيدة تقدُّمه في موقفٍ قطَّ ، وقد وجدت أبا بكرٍ قد تقدَّم أبا عبيدة في مواقف كثيرة ، في حياة رسول الله صلى

(١) في أساس البلاغة : « حتى تنقأ » .

(٢) انظر التذييل ٤ من الصفحة السابقة .

(٣) في الأصل : « الحجة » . وانظر ص ١٠٥ س ٨ - ٩ .

الله عليه وبعد وفاته ، كما حكينا لك قبل هذا . ولم نجد ذكر
أبي بكر وعمر في موضع قط إلا وأبو بكر المقدم عليه ؛ مع مقامات
لأبي بكر شريفة ليس لعمر فيها ذكر .

فبين أن يكون أبوبكر يأمرهم بذلك أمراً أو يطلب إليهم طلباً ،
وبين أن يجعلهم إليهم فيكونوا الطالبين له والراغبين إليه ، وليكون ذلك
من تلقائهم وطيب أنفسهم ، فرق عظيم .

وأية بيعة أثبت من بيعة عقدها عمر والنبي يقول : « ضرب
بالحق على لسانه » و « الشيطان يفرق من حسنه ^(١) » و اللهم أعز
الإسلام بعمر ؟ ١ وأية بيعة أثبت من بيعة عقدها أبو عبيدة والنبي
يقول : « لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » . ١٠

وأية بيعة أثبت من بيعة عقدها عبد الرحمن بن عوف وقد سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم « الأمين ^(٢) » . فإذا كان أمين رسول الله
صلى الله عليه في أمته ، والفاروق الذي فرق الله به بين الحق والباطل ،
حيث قال : « لا يُعبد الله سراً بعد اليوم » قد عقدا بيعته وأكدا
أمره ^(٣) ، فما عسى أن يبلغ قول قائل ؟ ١ ولو كان ذلك عن مواطأة من ١٥

(١) في الرياض النضرة ١ : ٢٠٨ في حديث المرأة الأمازيغية : « فقامت بالدفع على
رأس النبي صلى الله عليه وسلم فنقرت نقرتين أو ثلاثاً ، فاستفتح عمر فسقط الدف من يدها
وأسرعت إلى خدر عائشة . فقالت لها عائشة : مالك ؟ قالت : سمعت صوت عمر فهبته . فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الشيطان ليفر من حس عمر » .

(٢) انظر السيرة ٤١٠ جوتنجن ، لقول رسول الله في شأنه : « اثبتوني العشيبة أبعث
معكم القوي الأمين » . وفي الرياض النضرة ٢ : ٣٠٨ : « إن لكل أمة أمينا وإن أمينا
أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح . أخرجه البخاري ومسلم . وأخرجه الترمذي وأبو حاتم ،
ولفظهما : لكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة ... » .

(٣) في الأصل : « عقد بيعته وأكدا أمره » . وإنما هما أبو عبيدة الأمين ، وعمر الفاروق .

أبي بكر لأبي عبيدة كما واطأ معاوية عمرو بن العاص ، ما استعمل عليه خالد بن الوليد أميراً أيام حياته حتى عزله عمر بن الخطاب ، ولكن كما صنع معاوية بعمر و حين أطعمه مصر .

وَأَيَّةُ بَيْعَةٍ أَثْبَتُ مِنْ بَيْعَةٍ عَقَدَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْمُودٍ ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « رَضِيتُ لَأُمِّتِي مَا رَضِيَ لَهَا ابْنُ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ ، وَكَرِهْتُ لَهَا مَا كَرِهَ ابْنُ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ ^(١) » . فَإِذَا رَضِيَ ابْنُ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ بَيْعَةَ رَجُلٍ فَقَدْ رَضِيَهَا النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، إِذْ كَانَ النَّبِيُّ قَدْ قَالَ : « رَضِيتُ لَأُمِّتِي مَا رَضِيَ لَهَا ابْنُ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ ، وَكَرِهْتُ لَهَا مَا كَرِهَ ابْنُ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ » .

وَلَقَدْ بَلَغَ مِنْ تَقْدِيمِهِ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ أَنَّهُ قَالَ عِنْدَ اخْتِيَارِ النَّاسِ لِعُمَرَ : « مَا أَلَوْنَا أَنْ جَعَلْنَاهَا فِي أَعْلَانَا ذَا فَوْقٍ ^(٢) » .

وَلَقَدْ بَلَغَ مِنْ تَعْظِيمِهِ لِعُمَرَ وَتَقْدِيمِهِ لَهُ ، أَنَّهُ قَالَ : « لَقَدْ خَشِيتُ اللَّهَ فِي حُبِّ عُمَرَ » . وَقَالَ : « مَا صَلَّيْنَا ظَاهِرِينَ حَتَّى أَسْلَمَ عُمَرُ » . وَقَالَ بَعْدَ مَوْتِ عُمَرَ : « إِنَّ عُمَرَ كَانَ لِلْإِسْلَامِ حَصْنًا حَصِينًا يَدْخُلُ النَّاسُ فِيهِ وَلَا يَخْرُجُونَ مِنْهُ ، فَلَمَّا مَاتَ انْثَلَمَ ذَلِكَ الْحَصْنُ فَصَارَ النَّاسُ يَخْرُجُونَ مِنْهُ وَلَا يَدْخُلُونَ فِيهِ » . وَقَالَ : « إِذَا ذُكِرَ الصَّالِحُونَ فَحَيَّ هَلَّا بِعُمَرَ ^(٣) » .

فَإِذَا كَانَ عُمَرُ وَعُثْمَانُ مِنْ أَتْبَاعِ أَبِي بَكْرٍ وَشِيعَتِهِ وَأَوْلِيَائِهِ ، وَهَذَا قَوْلُهُ فِيهِمَا ، وَتَفْضِيلُهُ لَهَا ، فَمَا ظَنُّكَ بِهِ فِي أَبِي بَكْرٍ ؟

(١) انظر ما مضى في ص ٨٦ ، ١٤١ .

(٢) انظر ما مضى في ص ٢٢٣ . وكتبت في الأصل : « اعلى نادى فوق » .

(٣) أى ابدأ به وعجل بذكره .

ولو أن رجلاً واحداً من نحو من ذكرنا عقد لعلّ إمامة ، أو نطق فيه بكلمة ، لأكلت الشيعُ والرافض هذه الأمة فضلاً عن أن تحتج برضاه واختياره . فهذا هذا .

ثم الذي نقلوا إلينا^(١) من تثبيت عليّ بيعة أبي بكر . وذلك أنهم قالوا : لما بُويع أبو بكر وبايعه عليّ وبدو هاشم ، قام أبو بكر فطاف في الناس ثلاثاً يقول : « أيّها الناس ، قد أفلتكم بيعتي ! » قالوا : يقول عليّ من بين الناس : « والله لا نُقيلك ولا نَسْتَقيلك ، قدّمك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس فمن ذا يؤخرك ؟ » .

ثم الذي نقله الناس عن عليّ حين قال على منبره : « ألا إن خير هذه الأمة أبو بكر ، والثاني عمر ، ولو شئت أن أخبركم بالثالث فعلت » .

ونقلوا جميعاً أن عليّاً قال : بينا أنا يوماً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل أبو بكر وعمر فقال النبي : « هذان سيّدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ، ما خلا النبيين والمرسلين ، لا تخبرهما بالذي قلت يا عليّ » . ولوا : قال عليّ : لولا أنهما قد ماتا ما حدثتكم .

قال الشعبي : قال عليّ : « إن أبا بكر كان أواهاً مُنبياً ، وإن عمر ناصح الله فنصحه الله » .

ونقلوا أن عليّاً قال — ودخل عليّ عمر وقد مات وهو مسجى —

(١) في الأصل : « نقلوا إلينا » .

فقال : رحمك الله يا عمر ! والله ما أحدٌ أحبَّ إلىَّ أن ألقى الله بمثلِ صحيفته من هذا المسجّي صاحب السرير !
وبلغه أن رجلاً تناولَ أبا بكرٍ وعمر ، فقال للرجل : لو سمعتُ منك الذى بلغنى لألقيتُ أكثرَكَ شعراً .

• وقال : لو أُنيْتُ برجلٍ يشتُمهما لجلدته حدَّ المفتري .

ثم الذى نقله جميع أصحاب الآثار أنه قال : كنتُ إذا سمعت من النبي صلى الله عليه حديثاً نفَعنى الله بما شاء منه ، فإذا حدّثنى غيره عنه استحلّفته ، فإذا حلف لى صدّقته . وإنَّ أبا بكرٍ حدّثنى — وصدق أبو بكر — حدّثنى أنَّ النبي صلى الله عليه قال : « ما من رجلٍ يُذنب ذنباً فيتوضأ فيُحسن الوضوء ثم يصلّى ركعتين ويستغفر الله إلاَّ غُفِرَ له ^(١) » .

ألا ترى كيف أوردَه بالتّصديق وقِلّة التّهمة ، وأقامه مقامَ التقليد ورفّع الاسترابة .

فهذا مذهبُ عليٍّ فيهما وتمظيمُهُ لهما .

١٥ ثم الذى كان من تزويجه أمّ كلثوم بنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه ، من عمر بن الخطّاب ، طائماً راعياً ، وعمر يقول : إني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنّه ليس سببٌ ولا نسبٌ إلاَّ مُنقطع ، إلاَّ نسبي » . قال عليٌّ : إنها والله ما بلغتْ يا أمير المؤمنين . قال : إني والله ما أريدُها لذلك ! فأرسلها إليه فنظر إليها قبل أن يتزوجها ،

ثمَّ زوّجها إياه ، فولدت منه زيد بن عمر ، وهو قتيل سودان مروان^(١) ، فلما أتى النعمى أمّ كلثوم كمدت عليه حزناً حتى ماتت ، وقالت : واحرّبها ! قتل أبوها على بن أبي طالب ، وقتل زوجها عمر بن الخطاب ، وقتل ولدها زيد بن عمر .

ثم تسمية على أولاده بأسمائهم ، كما يتبرك الرجل بأسماء أمته وقادته ، حين سمى بعمر وعثمان وأبي بكر ، فأعقب عمر ولم يعقب أبو بكر وعثمان . ثم الذي كان من قبوله ولاية عمر حين استخلفه على المدينة ، ومضى عمرٌ مُعسكراً يريد جيش مهران^(٢) بعد وقعة قسّ الناطف^(٣) فأتاه على إلى مُعسكره فأشار عليه فيمن أشار^(٤) بأنّ الرأى أن يرجع إلى المدينة ولا يلتاقم بنفسه وحده ، بل يكون للمسلمين فيئة^(٥) . فرجع عمر .

وإنما أراد عمر بذلك تحريك الناس ليجدّوا ويعزموا . فإن قالوا : هذا كله باطل ، أو قالوا : إنّ هذا الذي حكيتموه وإن كان حقاً فإنما كان على التّقية . فقد قلنا في ذلك أجمع بالذي يكتفى به . والمعجب أنهم يوجبون على الناس تصديقهم أن سلمان قال : « كَرْدَاذ

(١) انظر نسب قريش ٣٥٢ - ٣٥٣ ، ٢٧٢ وجمهرة أنساب العرب ١٤٧ .
 (٢) هو مهران بن باذان الهمداني القائد الفارسي ، وكان عربي الأصل اشأ مع أبيه باليمن إذ كان عاملاً لسكسرى . وروى الطبري ٤ : ٧٨ أنه قال في تلك الحرب :
 إن تسألوا عني فإني مهران أنا لمن أنسكني ابن باذان
 عسكر الرجل والجيش : كان في المعسكر . وفي الطبري ٤ : ٨٣ : « خرج عمر حتى نزل على ماء يدعى ضرارا فمسكر به » .
 (٣) كانت في سنة ١٣ .
 (٤) انظر خبر هذه الشورى في الطبري ٤ : ٨٣ - ٨٤ .
 (٥) أي مرجعها .

ونكرداذ^(١) « وأن الزبير خرج شاداً بسيفه ليؤكد إمامة عليّ ، وأن
الأنصار إنما خالفت عليّ المهاجرين تقضاً من استبداد أبي بكر^(٢) ، وأن
أبا سفيان بن حرب ، وخالد بن سعيد ، إنما قالا : « أرضيتُم معشر
بني عبد مناف أن بلي عليكم تيم » ، نصرّةً لعليّ دون جميع بني عبد مناف ،
فإن الله ردّ عليه الشمس^(٣) ، وإن النبي قال : « أنت مني بمنزلة هارون
من موسى » ، وجعل إليه طلاق نسائه ، وأنه قسم النار^(٤) ، وصاحب
العرّض ، والقائم على الحوض ، فيوجبون علينا أن نصدّقهم في هذا
ولا يوجبون على أنفسهم الحُمّال الآثار أن عليّاً قال في الخليفة والبريّة ،
والبائنة ، والبتّة ، وطلاق الحرج ، وأمرُك بيدك ، والحرام ، أنها كثلث
تطبيقات . ويوجبون على طُلاب الحديث أن عليّاً كان لا يرى الطلاق
إلا طلاق السّنة .

وهذا أمرٌ ما سمعنا به قطُّ عن عليٍّ إلاّ منهم .

وليس بأعجب من استشهاد خصوصهم العيان والإجماع وما عليه الوجود ،
واستشهادهم القصد والضمير والغيب ، وجعلهم له يوازن الظاهر والشائع .
وذلك أن القائل إذا قال : أسلم أبو بكر كهلاً وأسلم عليٌّ طفلاً .

(١) انظر ما سبق في ص ١٧٢ ، ١٧٩ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٨٧ .

(٢) في الأصل : « أبي بكر علي » .

(٣) في الرياض النضرة ٢ : ١٧٩ : « عن الحسن بن علي قال : كان رأس رسول الله
صلى الله عليه وسلم في حجر علي وهو يوحى إليه فلما سرّحى عنه قال : يا علي ، صليت العصر ؟
قال : لا . قال : اللهم إنك تعلم أن كان في حاجتك وحاجة نبيك فرد عليه الشمس . فردّها
عليه فصلى وعابت الشمس . خرجه الدولابي قال : وقال علماء الحديث : وهو حديث موضوع
ولم ترد الشمس لأحد ، وإنما حبست لبوشع بن نون » .
(٤) كذا في الأصل .

قالوا : كان عليٌّ وهو ابن سبع سنين أرجحَ عقلاً من أبي بكر وهو ابن إحدى وأربعين سنة . فتركوا العيان وعارضوا الشَّاهد بالغائب .

وإنَّ قال قائل : إنَّ أبا بكر كان مع النبيِّ في الغار وقد نطقَ به القرآنُ وثبَّتته الإجماع . قالوا : فإنَّ عليًّا أباته النبيُّ على فراشه .

وإن قلت : إنَّ النبيَّ سمَّى أبا بكر بالصدِّيق تفضيلاً له ولم يجعل له اسماً يفضُّله به . قالوا : بلى ، قد كان النبيُّ سمَّاه الصَّدِّيق الأكبر ، ولكنَّ الناس منعموه ذلك وظلموه ، حين لم يُسَيِّروه وبُشِيعوه . ٥

وإن قلت : إنَّ النبيَّ اشتكى أياماً وليالي ، كلَّ ذلك يأمر أبا بكر بالصَّلَاة ، وهو حاضرٌ ولا يأمره . قالوا : لأنَّ عليًّا كان مشغولاً بتمريضه .

وإن قلت : إنَّ الناس لما افتتنوا بعد موت النبيِّ وعظموا شأنه حتى دعاهم الإفراطُ إلى أن قالوا : لم يمت ، ولكنه يغيب مثل ما غاب موسى عن قومه . فكان أبو بكر هو التَّكَلِّمُ والمُحْتَجِّجُ والمُحَامِي حتى عرفَهم الحقُّ وتنَبَّهوا من الوَسْنة . قالوا : لأنَّ عليًّا قد كان اشتدَّ حزنُهُ حتى قطعه عن الاحتجاج والتعريف . ١٠

فإن قلت : حين أظهروا الفرقة والدَّارُ دارُهم ، لو تركهم أبو بكر ولم يعرفهم فضل المهاجرين عليهم ، لكان في ذلك أشدُّ الفِتنة وأكبرُ الفساد ، فمَاجَلَهُمْ وتجرَّدَ للاحتجاج عليهم ، حين كان كلُّ إنسانٍ همُّهم أنفسهم ، وعليٌّ بمزليٍّ حتى كأنَّه كان غائباً . قالوا : لأنَّ عليًّا قد كان عرَفَ حسدَ قريشٍ وبغيتِها عليه ، وطاعتِها وحبَّها لأبي بكر ، فلم يكن ليقْدَحَ في غير مقدَّح ، أو ينفُخَ في غير فُحْم . ١٥

فإن قلنا : إنَّ إظهارَ عليٍّ الرضا بالشورى دليلٌ على طاعة عمر .
قالوا : إنما ذلك للتقية .

فإن قيل : فلم رضى بعبد الرحمن مختاراً وعبد الرحمن عنده من
عدوّه ، وأدنى منارله أن يكون كان مخوفاً عنده ، وأدنى من ذلك أن
يكون الغلطُ غير مأمونٍ عليه .

قلنا : وهلاً أظهر من الخلاف شيئاً يُسير إلينا ، وهلاً نطق بحرفٍ
واحد بقدر ما يتخذُه الناسُ بمدِّ حُجَّةٍ ، ولم يكن بلغ أقصى خلافهم
فُيرى وعيداً أو إيقاعاً .

فإن قلت : إن عليّاً قال لأسماء بنتِ عميس — وهى يومئذ امرأته —
حين تفاخر ولدها من أبى بكرٍ وجعفرٍ وعليٍّ عندها : اقضى بين ولدك .
فقلت : ما رأيتُ شاباً كان أطهرَ من جعفر ، ولا رأيت شيخاً كان
أفضلَ من أبى بكر ، وإن ثلاثة أنت أخشعهم لفضلاء^(١) ! فلم يُنكر ولم
يحتج ، ولم يفرق^(٢) ولم يتمجّب ، والكلام يُؤثر والقضية تظهر .

قالوا : إنَّ فضله أظهرُ فى الناس من أن يحتاج إلى الاحتجاج ،
وإنما قالت ذلك مازحةً ، كما تمزح المرأة مع زوجها وتحرشُ به^(٣) .

فإن قلت : إنَّ عليّاً قد بايع أباً بكر وأعطاه صفة طائفة غير مكره
والحكم السابق من الله ورسوله أنَّ المدعى عليه إذا أقرَّ ولم يُنكر ،
ولم ير الوالى أثرَ جنونٍ ولا إكراها ، أن إقراره جائزٌ عليه ، فكذلك

(١) انظر ما سبق فى ص ٩٥ .

(٢) الفرق : المزع . فى الأصل : « ولم يعرف » .

(٣) التحريش : الإغراء . فى الأصل : « وتحرش به » .

عليّ إذا كان قد بايع وليس على رأسه سيف ولا سوط ، فحكمه حكم
الراضى المسلم .

قالوا : قد كان هناك إكراهٌ ظاهر ، ولكنّ الناسَ تكاثروه
وأخفوه فيما بيننا وبينهم ، إذ كان الجمهور الأكبر معهم .

فإن قلت : قد صدّقناكم في قولكم إنه قد كان في تقيّةٍ من أبي بكر
وعمر وعثمان ، رأيتم أياهم سلطانٍ نفسه ومعه مائة ألف سيفٍ تطيعه
وأهل الأرض كلّهم رعيّته ما خلا الشام ، لم كان يُظهر تزكيةَ أبي بكرٍ
وعمرَ عليٍّ منبره وفي مجلسه ؟

قالوا : للتقيّة من رعيّته ، إذ كان أكثرهم على هواهم وطاعتهم .

قلنا : قد عرّفنا أنّ تركه لعنهم والبراءة منهم والإخبار عن
استبدادهم وظلمهم ، على التقيّة ، فما حمّله على تزكيتهم والإخبار عن
محاسنهم ، والرّواية الحسنة فيهم ، وقد كان له في السُّكوت سعة ، وعن
الكلام مندوحة ؟ ولقد تمدّى في مديح أبي بكرٍ وعمر حتى قال لابن
طلحة : إنّي لأرجو أن أكون أنا وأبوك ممن قال الله : « إخواناً
على سررٍ متقابلين » .

١٥

وإن قلنا : إنّ في تسميته بنيه بأسمائهم دليلٌ على تعظيمه لهم .

قالوا : لأنه قد كان علم أنّ شيعته سيحتاجون في آخر الزمان إلى
الترخّم على أبي بكرٍ وعمرَ وعثمان ، تقيّة من شيعتهم ، فسمّى بنيه بأسمائهم ،
حتى يكون ذلك الترخّم واقعاً عليهم ، ولأنّ ينصبّ لهم من إذا قصدوا
إليه بالترخّم أصابوا الحقّ ولم يحتاجوا إلى الإلطاء^(١) .

٢٠

(١) الإلطاء : الدفاع ، والاشتداد في الخصومة .

وإن قلنا : إنه زوج عمرَ غير مُكره^(١) ، ولا شيء أدلُّ على الخاصة والصَّفاء من المشاركة والمصاهرة .

قالوا : قد كان هناك توعُّد وتخوُّف ، وقد قال بعضهم : إنَّ هذا باطلٌ وإنَّ عليًّا لم يزوجَ عمرَ قطُّ . وتنبَّأت عن بعضهم أنَّه قال : قد كان ذلك على التَّقِيَّة ، ولكن الله صانها فأخفاها ورفعها . ٥

ف قيل له : نخبرنا عن التي رأوها في منزل عمر وعلى فراشه ، وولدت منه زيدا ، ما هي ؟ وأي شيء كانت ؟

قال : شيطانةٌ في صورة امرأة .

وإن قلت لهم : كيف زعمتم أنَّه كان أشدَّ أهل الأرض قلباً ، وأنتم تزعمون أنَّه كان يتقى كلَّ شيء ، حتى يُسَلِّمَ حرمةً إلى كافر من غير أن يُشهرَ عليه سيف أو يُضربَ بسوط . وقد رأينا مَنْ هو في دون حاله في النجدة والشجاعة ، والحمية والبصيرة ، يمتنع حتى يُقتلَ في دون هذا . وقد تعلمون أنَّه لم يُسكَّم ولم يُخدش ، فضلاً على أن يُجرَح ويُقتل ، في جميع المقامات التي زعمتم أنَّه إنما استبَّج واستحل من التَّقِيَّة . ١٥

وأعجبُ من جميع هذا أنا رأيناكم تزعمون أنَّ أبا بكرٍ وعثمان كانا من أجبن البرية وأبعده من حمية ، وقد رأينا صنيعَ أبي بكرٍ في الردَّة كيف نهض بالقليل في محاربة الكثير ، وكيف أشاروا عليه بأن يستعين بجيش أسامة حتى إذا رَدَّ الردة أعاد الجيشَ إلى حاله . وكيف قال لهم حين قالوا له : إنَّا قد أَمِنَّا غزوَ الرُّومِ إيانا في يومنا هذا ، ولسنا نأمن مع ارتداد جميع العرب أن نُنزى في عُقر دارنا ! قال : لو بقيتُ حتى يأكلني ٢٥

(١) انظر ما مضى في ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .

الكلابُ وحدي ما أخرتُ جيشاً أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإنفاذه .
ثم رأينا عثمان ، وهو عندكم أضعفُ من أبي بكرٍ وأجبن ، قد كان
محاصراً معطشاً مخذولاً قد قهره عدوه ، والسيوفُ تلمع على بابه ، وقد أفضوا
إلى داره ، وتسلقوا عليه من خوخة^(١) ، وهم يريدون نفسه أو خلع
الخلافة من عنقه ، فصبرَ حتى قُتل كريماً محتسباً وهو يقول : ٥
« لا أنزع قيصاً قمصنيه الله ! » ، وهو يرى الجِدَّ وليس معه أمانٌ
من قبله .

وقد يزعمون أن علياً قد كان يعلم أنه لا يُقتل ولا يموت حتى
يقاتل الناكثين والماستين والمارقين ، ومع ذا يزعمون أن الله^(٢) قد
كان أسراً إليه علم كل ما يحدث في هذه الأمة من الفتن والهيج . وهذا ١٠
لا يُشبهه اتخذاه أبا موسى حكماً عليه وله ، مع غباء^(٣) أبي موسى
وعداوته كانت له ، ولا سيما إذا قرنه بعمر بن العاص . وما ظنك برأى
عمر بن عبد المطلب كان فيه موهبة^(٤) .

ففي جميع ما قلنا دليلٌ على أن القوم إما أن يكونوا^(٥) مالكين لأهوائهم .
فإن قالوا : ما الدليل على إسلام أبي بكر فضلاً على تقديمه وتفضيله ١٥
ومباينته ؟ ومن أين لكم أن تزعموا أنه قد كان مسلماً وأنتم وخصومكم
تجمعون على أنه قد كان كافراً ، ثم ادَّعيتُم أنه قد أسلم بعد كفره وأنكر
ذلك خصومكم ، فليس لكم أن ترجعوا عما اجتمعتم عليه إلا بإجماع منكم

(١) الخوخة : كوة في البيت تؤدي إليه الضوء .

(٢) في الأصل : « الذي » .

(٣) في الأصل : « عما » بالإهمال .

(٤) كذا في الأصل .

(٥) كذا في الأصل . والوجه « لم يكونوا » .

يوازنه . وقد ينبغي أن تطرحوا موضعَ الفرقة وتَقضُوا بموضع الجماعة ،
وقد جامعتمونا أن علينا لم يزل مؤمنا .

٥ قيل لهم : إننا لو كنّا عرفنا أنه قد كان مرةً كافراً من قبَلِ خبر
أصحابنا ومجامعةِ خصومهم لهم ، وكان علمُ ذلك لا يُصاب إلا بمجامعتهم
لأصحابنا ، لقد كان الذي قلتم واجباً وقياساً صحيحاً . ولكنّا عَرَفْنَا أنه
قد كان كافراً بقدير من الخبر قد يكذب مثله^(١) ، وبه ثبت عندنا أنه
قد كان في الدنيا ، فضلاً على أن يكون كان له فعلٌ يسمّى كفراً وإيماناً .
وإنما الحجة في المجيء الذي لا يكذب مثله ، ثم لا نلتفت بعد ذلك إلى
موافق ولا إلى مخالف ، ولا إلى عقل ولا إلى نظر . ثمّ نظرنا فإذا الوجهُ
١٠ الذي منه علمنا أنه قد كان في الدنيا ، منه علمنا أنه قد كان مرةً كافراً ،
و [هو] الوجهُ الذي منه علمنا أنه قد أسلم بعد كفره . ولو أننا عرفنا
كُفره بنا وبخصومنا ، لما عرفنا إيمانه إلا بنا وبهم .

ووجهٌ آخرُ من الجواب : أنكم قد جامعتمونا على أنه قد كان
يشهد الشهادة ، ويأكل الذبيحة ، ويظهر الإسلام ، في حيثُ النفاقُ
١٥ مستخفٍ وثوبُ الإسلامِ داجٍ^(٢) ، والكفرُ ذليلٌ والإسلامُ عزيزٌ ؛ [ثمّ]
ادّعيتم بعد أن أقررتهم أنه قد كان يُظهر الإسلامَ في دار الإسلام ، أنه
كان مُستسيراً بالكفر ، وأنه كان من المؤلفة قلوبهم .

فالواجب بالقياس أن يُحكّم له بالإسلام على ظاهر ما اجتمعنا عليه
من جملته ولا ندعُ موضعَ الإجماع إلى قولكم وحدكم : إنه قد كان إسلامه

(١) في الأصل : « لا يكذب مثله » .

(٢) دجا : الإسلام : قوى وألبس كل شيء ، كما يدجو الليل ، إذا تم وألبس كل شيء .

على نفاق ، لأن الجماعة لا تنزل إلى فرقة ، ولأن الحجّة لا تُترك إلا بحجّة .
فإن قالوا : فإنّ أبا بكر لم يشهد قطّ الشهادة ، ولا صلى [إلى] القبلة .
قلنا : ما تقولون في رجل رأيناه كافراً في دار الكفر ، ثمّ رأيناه
بعد ذلك في دار الإسلام وفي زىّ أهله ، وحكم الإسلام غالي ، ومعلوم
أنّ من عادة أهله قتل من كفر ، كيف يكون حكم ذلك الرجل ؟ ٥

فإن قالوا : ولكننا نقف في منيبيه .

قلنا : اجعلوا أبا بكر ذلك الرجل .

فإن قالوا : فإنّ أبا بكر لم يزل يُظهر الكفر في دار الإسلام ، كما كان
يظهر الكفر في دار الكفر .

قلنا : لا بدّ لكفره من وجهين : إمّا أن يكون كان يظهره على
عهدٍ وذمّة فلذلك لم تقتلوه . أو يكون كان على غير عهدٍ وذمّة .

فإن ادّعوا أنّ كفره كان على عهدٍ وذمّة كما جعل الله ورسوله للنصارى
واليهود ، خرّجوا إلى مالا نحتاج مع فحشه إلى الكلام فيه . وإنّ زعموا
أنّه كان على غير عهدٍ وذمّة وحكم الإسلام ظاهر ، فما أشبه هذا
القول بالقول الأوّل . ١٥

ويقال لهم : خبرونا عن أبي بكر ، هل يخلو من أن يكون لم يقل
قطّ في دار الإسلام : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، أو يكون قد قال
ذلك مرّة واحدة ؟

فإنّ زعموا أنّه قد قالها مرّة واحدة ثم تركها ، قيل لهم : فقد
أقررتم وجامعتهم خصومتكم على أنّه قد شهد الشهادة ، فليس لكم أن ٢٠

تخرجوه إلى نفاقٍ أو إلى تركٍ ، إلا للجماعة خصومكم لكم ، إذ كانت الفرقة لا تنقض الجماعة .

فإن قالوا : فإنه لم يقل لا إله إلا الله محمد رسول الله مرة قط من دهره ،
لا على نفاق ولا على غيره ، بل كان يظهر عبادة الأصنام ، ثم مع ذلك سلم على
حكم الكتاب والسنة ، وعلى حكم الدار . فليس عندنا في ذلك إلا إسقاطه
وتحريم كلامه وإمضاء حكم مثله فيه .

بل قد ثبت إسلامه بعد الوجوه التي ذكرتها بوجوه :
منها أن الله أثنى على عباده الصالحين ، فخص بتفضيله السابقين
والمهاجرين الأولين ، وقد اجتمعت الأمة أنه من المهاجرين الأولين
مع فضيلة هجرته ، إذ كانت هجرته وهجرة رسول الله صلى الله عليه وآله
فهذا وجه .

ثم الذي رأينا من ذكر الله وثنائه على أهل بدر . وقد أجمع المسلمون
أنه كان بمن شهيد بدرًا ، مع ما فضل به من الكون في العرش ، ولا موضع
أدل على الخاصة من ذلك الموضع في ذلك الموقف ، مع ما شهيد به من
مُسْتَجِيبِيهِ وَعُتَقَائِهِ وَمَوَالِيهِ . ولقد بلغ من قدر من شهد بدرًا أن عامة
الفقهاء تحدث أن الله « اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم » فلذلك
كان الحسن يقول : إن طلحة والزبير وعليًا في الجنة معًا وإن لم يكونوا
كانوا^(١) في الدنيا ، لأنهم عتقوا الله من النار ، ولم يكن الله ليعتق عبداً
ثم يميده في رقه . ولذلك كان الحسن ، وحوشب ، وهاشم الأوقص ، وبكر
ابن أخت عبد الواحد ، يقولون إذا ذكروا يوم الجمل : « هلك الأتباع
ونجت القادة » . فهذا هذا .

(١) في الأصل : « وا » بالإهمال .

ثم الذي كان من ذكر الله وحُسن ثنائه على مَنْ بايَعَ تحت الشَّجرة .
 وأىُّ شيءٍ أعجبُ من اجتماع السَّلف مهاجريَّها وأنصاريَّها خلا أربعة نفر
 على تقديم رجل في مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقضى في أبشارهم
 وأشمارهم وفروجهم وأموالهم ، ويحمل أماناتهم ، ويدعونه خليفة
 رسول الله ، حتَّى تترك^(١) الشريف المطاع ذا السابقة والقَدَم وتولَّى مكانه
 الخامل القليل المقصّر ، فلا يراؤ ولا يدافع ، ولا يُراجِع ولا يستفهم ، وهو
 المعروف عندهم بمجحد الرسول وعبادة الأوثان ، وليس بذى عشيرةٍ منيعة .
 ولا يستطيع أحد أن يزعم أنَّه قد كان واطأ المشائر ليصرفوا إليه
 عونهم على أن يؤثروهم^(٢) ويفضِّلهم . ولو كان ذلك لظهر علمه ولم يخف أثره .
 ومثل هذا لا يُستطاع كتمانُه وسِّتْرُه وتزْمِيلُه .

١٠

وكيف وقد سوَّى بين الرِّفيع والوضيع ، والدَّليل [و] المنيع !! فلم^(٣)
 يؤثّر قريباً ولم يولِّ نسيباً .

ولو استعان بطلحة وولاء وفضله لقد كان لذلك موضعاً ، وللولاية
 والتَّقديم أهلاً ، بل صنَّع ضِدَّ ما يصنعه أصحاب المِيل والأثرَة ،
 والمصبيَّة والمواطأة .

١٥

ولو كان قريبَ القرابة لجاز^(٤) لقائل أن يقول : إنما قدَّم لقرابته .
 ولو كان عصبيةً لقالوا : إنما استحقَّ بوراثته .
 ولو كان منبجَ الرهط لقالوا : إنما قدَّم لكثرة قبيلته .

(١) في الأصل : « مول » بالإمالة .

(٢) في الأصل : « بورسهم » بالإمالة .

(٣) في الأصل : « فن لم » .

(٤) في الأصل : « وجاز » .

٢٠

ولو كان استعانة بقوم على مواطأة وشريطة ، كصنيع معاوية بنى الكلاّع وعمرو بن العاص ، لقالوا : إنما قدّم رهبة ممّن واطأه ، ورغبة فيمن أكدّ هواه .

[و] ولّى بنى مخزوم أعناق العرب وقاتل أهل الردّة ، وحرب مسيلة ومحاربة طليحة ، دون رهطه ولو ولّى ذلك طلحة لكان لذلك أهلا ، ولكنّ الطاعن قد كان يجد سبباً .

وكذلك عمر بن الخطاب لو كان أدخل في الشورى سعيد بن زيد كما كُلم في ذلك ، وأدخل في الرقباء عبد الله بن عمر كما كُلم في ذلك ، لكان لذلك أهلا ، ولكنّ الطاعن قد كان يجد متعلّقاً .

١٠ وولى خالد بن الوليد حرب مسيلة وطليحة وبنى تميم وأهل البادية ، وولى عكرمة ردة ثمان ، وولى المهاجر بن أبي أمية ردة أهل نجير واليمن . وما زال عمر يعاتبه في خالد فيقول أبو بكر : « لا أشيم سيفاً سلّه الله على الكفّار » . فهذا هذا .

والمعجب^(١) لهذه الأمة كيف اختلفت في رجلين أحدهما خير خلق الله ، والآخر شرّ خلق الله . وكيف اختلفت في رجلين أحدهما لم يزل مؤمناً والآخر لم يزل كافراً ، ثمّ كان المقدّم الحسيس الكافر ، على الرفيح المسلم [وهم] أصحاب القرآن وخاصّة الرسول من الصّحابة والبدريّين والأنصار والمهاجرين ، وهم الذين قال فيهم التّابعون : خير هذه الأمّة أصحاب محمد صلى الله عليه ! ابتلوا فصبروا ، وأنعم عليهم فشكروا .

٢٠ (١) في الأصل : « والمعجب » في هذا الموضع والموضعين بعده .

- والمعجب كيف رأوا^(١) تفضيل عليّ على أبي بكرٍ وعمر مديحاً له .
 وإنما كان يكون عليّ^٥ مالياً رفيماً متقدماً زاهداً عالماً سائساً أن لو كان
 أفضل من فضلاء ، وأعلم من علماء ، وأعقل من عقلاء ، وأزهد من
 زهاد ، وأسوس من ساسة . فأمّا أن يكون أفضل من أنقص الناس ،
 وأزهد من أرغب الناس ، وخيراً من شرّ الناس ، وأعلم من أجهل
 الناس ، فليس في هذا التفضيل دركٌ فيتكلفه متكلف ، ويقوم به قائم .
 والمعجب من رجلين بينهما هذا التفاوت والتباين ثم شهد المتكلمين^(٢)
 من سمعهما يتنازعان فيهما ، فيحسب الحاضر أن شرّها خيرها ، وهو
 الأريب الأديب الذاهب مع التعارف عن التناكر . وكيف التبس الأمر
 وأشكل أن لم يكن الأمرُ مشكلاً ملتبساً .
 وكيف يجوز أن يكون أبو بكر لم يزل كافراً ، أو يكون كافرٌ بجحد
 إمامة عليّ وكفر معه المهاجرون والأنصار ، وقد أجمع أصحاب الأخبار
 وجمال الآثار أن النبي صلى الله عليه قال : « إن من أمتي سبعة ألفاً
 يدخلون الجنة بنير حساب » ، فقام عكاشة بن محصن فقال : يا رسول الله ،
 دع الله يجمعني منهم . قال : أنت منهم . فقتل مع خالد بن الوليد يوم بُرّاقة
 في إمرة أبي بكرٍ وطاعته والإقرار بخلافته ، قتله طليحة بن خويلد
 الأسدي . فكيف يجوز أن تكون إمامة أبي بكرٍ معصيةً فضلاً على أن
 تكون كفراً والمقتول في طاعته والنقاد لأمره من أهل الجنة .
 ثمّ تزعم الروافض أن من الدليل على أن عليّاً كان المحقّ دون طليحة
 والزبير ، أن النبي صلى الله عليه [قال] وذُكر زيد بن صوحان : « زيد

(١) في الأصل : « ناوا » .

(٢) كذا وردت هذه العبارة

وما زيد ! يسبقه عضوٌ منه إلى الجنة . فقتل يومَ الجمل . فجعلوا الدليل على صواب عليٍّ في قتاله أنَّ زيدا قُتل في طاعته .
 قيل لهم : ففي قول النبي « يسبقه عضوٌ منه إلى الجنة » دليلٌ أنَّ ذلك المعضو لم يسبق إلى الجنة إلاَّ وقد قُطِع في طاعة الله . وقد اجمعوا أن يده قُطِعَت يومَ نهاوند ، في طاعةِ عمر .

وهذا بابٌ كبير إنَّ تتبعه متبّع ، ولكننا أردنا أن ندُلَّ على جميع الأبواب في تفضيل الشيخين ، ونفَى التنقُصَ عنهما^(١) .
 وإن سألَ سائل فقال : هل على الناس أن يتخذوا إماماً وأن يُقيموا خليفة ؟

١٠ قيل لهم : إن قولكم « الناس » يحتمل الخاصة والعامة . فإن كنتم قصدتم إليهما ، ولم تفصِّلوا بين حالتهما ، فإننا نزعِمُ أنَّ العامة لا تعرف معنى الإمامة وتأويل الخلاف ، ولا تفصِّل بين فضل وجودها ونقص عدمها^(٢) ولأى شيء ارتدَّت ولأى أمر أمَّلت ، وكيف مأتاها والسبيلُ إليها . بل هي مع كلِّ ريح تهب ، وناشئة تنجم^(٣) ، ولعلها بالمبطلين أقرَّ عيناً [منها]^(٤) بالحقين .
 ١٥ وإنما الإمامة أداة للخاصة ، تبتذلها للمهن ، وترجى بها الأمور ، وتطول^(٥) بها على العدو ، وتسُدُّ بها الثُّغور . ومقامُ الإمامة من الخاصة مقامُ جوارح الإنسان من الإنسان ؛ فإن الإنسان إذا فكَّر أبصر ، وإذا أبصر عزم ،

(١) بعد هذه الكلمة يبدأ اختيار جديد في نسخة المتحف البريطاني المرموز إليها بالرمز

(ب) وسأنبه على نهايته من بعد .

(٢) في الأصل : « عزمها » ، صوابه في ب .

(٣) في الأصل : « واسمه شخص » وأثبت ما في ب .

(٤) التكملة من ب .

(٥) ب : « تصول » .

وإذا عزم تحرك أو سكن وهذا^(١) بالجوارح [دون القلب . وكما أن الجوارح^(٢)] لا تعرف قصد النفس ولا تروى في الأمور ، ولم يخرجها ذاك من الطاعة للتعزم ، فكذلك العامة لا تعرف قصد القادة^(٣) ولا تدبير الخاصة ، ولا تروى معها ؛ وليس يخرجها ذلك من طاعة عزمها ، وما أبرمت من تدبيرها .

والمجوارح والتمائم وإن كانت مسخرة ومدبرة فقد تمتنع لعل تدخلها ، وأمور تصرفها ، وأسباب تنقضها^(٤) ، كاليد يعرض لها الفالج ، واللسان يعتره الخرس ، فلا تقدر النفس على تسديدها وتقويمها ، ولو اشتد عزمها وحسن تأنيها ورقفها . وكذلك العامة عند نفورها وتهيجها^(٥) وغلبة الهوى والسخف عليها ، وإن حسن تدبير الخاصة وتمهّد الساسة . ١٠ غير أن معصية الجارحة أيسر ضرراً وأهون أمراً ، لأن العامة إذا انكفت^(٦) بالخاصة وتنكرت للقادة ، وتشزنت^(٧) على الرأضة^(٨) كان البوار الذي لا حيلة له ، والفناء الذي لا بقاء معه .

وصلاح الدنيا وتمام النعمة ، في تدبير الخاصة وطاعة العامة ، كما أن كمال المنفعة وتمام درك الحاجة^(٨) بصواب قصد النفس وطاعة الجارحة ، ١٥

(١) في المخطوتين : « وهما » .

(٢) التكملة من ب .

(٣) في الأصل : « العادة » وب « العامة » والوجه ما أثبت .

(٤) في المخطوتين : « ينقضها » .

(٥) أ : « نفورها وتهيجها » .

(٦) كذا في المخطوتين ، لعلها « نكفت » .

(٧) الرأضة : جمع رائض . تشزنت : تصعبت . والكلمة مهملة في الأصل . وفي ب

« تشربت » تعريف .

(٨) في الأصل : « الخاصة » صوابه في ب .

لأنَّ النَّفس لو أدركت كلَّ بُنية ، وأوفت على كلِّ غاية ، وفتحت كلَّ مستغلق ، واستثارت كلَّ دفين ، ثم لم يُطعمها اللسانُ بحسن العبارة ، واليدُ بحسن الكتابة ، كان وجود ذلك المستنبط — وإنَّ جلَّ قدره وعظم خطره — [وعدمه ^(١)] سواء .

٥ فالخاصة تحتاج إلى العامة لحاجة العامة إلى الخاصة . وكذلك القلب والجراحة . وإنما العامة جنة للدفع ، وسلاح للقطع ، وكالترس للرأى ، والفأس للنجار . وليس مضى ^(٢) سيف صارم بكف امرئ صارم بامضى من شجاع أطاع أميره وقلد إمامه ، وما كلب أشلاه وبه وأحشه كلابه ، بأفرط تنزقا ^(٣) ولا أسرع تقدماً ، ولا أشدَّ تهوراً ، من جندي أغراه طمعه ، وصاح به قائده .

وليس في الأعمال أقل من الاختيار ، ولا في الاختيار أقل من الصواب ، فلُبَّابُ كلِّ عمل اختياره ، وصفوة كل اختيار صوابه ، ومع كثرة الاختيار يكثر الصواب . فأكثر الناس اختياراً أكثرهم صواباً ، وأكثرهم أسباباً موجبة أقلهم اختياراً ، وأقلهم اختياراً أقلهم صواباً .

١٥ فإن قالوا : فقد ينبغى للعوام ألا يكونوا مأمورين ولا منتهين ، ولا عاصين ولا مطيعين .

قيل لهم : أمّا فيما يعرفون فقد يطيعون ويعصون .
فإن قالوا : فما الأمر الذي يعرفون من الأمر الذي يجهلون ؟

٢٠ (١) التكملة من ب .

(٢) في الأصل : « يعضى » ، صوابه في ب .

(٣) ب : « نزقا » .

قيل : أمّا الذي يعرفون بالتنزيل المجرد بغير^(١) تأويله ، ومُجملة الشريعة بغير تفسيرها ، وما جلّ من الخبر واستفاض ، وكثُر تردّاده على الأسماع ، وكُرورُه على الأفهام . وأمّا الذي يجهلون فتأويل المنزّل ، وتفسير المجل ، وغامض الشئ التي حملتها^(٢) الخواصّ عن الخواص من حملة الأثر ، وطُلاب الخبر ، مما يتكلّف معرفته ويتتبع في مواضعه ، ولا يهجم على طالبه^(٣) ٥ ولا يقهر سمع القاعد عنه .

والخبر ، خبران : خبر ليس للخاصة فيه فضلٌ على العامة ، كالصلوات الخمس ، وصوم رمضان ، وغُسل الجنابة ، وفي المائتين خمسة^(٤) . وخبرٌ تفضّل فيه الخاصة العامة ، وهو كما سنّ الرسول في الحلال والحرام ، وأبواب القضاء^(٥) والطلاق ، والمناسك ، والبُيوع ، والأشربة ، ١٠ والكفّارات وأشباه ذلك .

وبابٌ آخر يجهله العوامٌ ويخبط فيه الحشوّ ، ولا تشمر بمجرّزها^(٦) و [لا] موضع دأبها^(٧) . ومتى جرى سببه أو ظهر شيء منه تسنّمت أعلاه ، وركبت حوّمته^(٨) ؛ كالكلام في القدر والتشبيه ، والوعد والوعيد ،

١٥ (١) في الأصل : « بعد » ، صوابه في ب .

(٢) في الأصل : « جهلتها » ، صوابه في ب .

(٣) أي يسهل فهمه . ب « يهجم » تحريف .

(٤) يشير إلى الزكاة .

(٥) هذا ما في ب . وفي الأصل : « الفضل » .

٢٠ (٦) ب : « بسرّها » .

(٧) التكملة الساقطة من ب ودأبها في الأصل : « ذاتها » وفي ب « دأبها »

والوجه ما أثبت .

(٨) في الأصل : « حرمة » ووجهه من ب .

لأنَّهَا قد تحجَّم^(١) [عن] دعوى الفتيا ، ولا تنهات فيها ، [ولا] تتسكَّع^(٢) فيما لا يعرف منها^(٣) ، ولا تستوحش^(٤) من الكلام في [التعديل والتجوير ، ولا تفرغ من الكلام في^(٥)] الاختيار والطُّباع ، ومجىء الأخبار^(٦) وكل ما جرى سببه من دقيق الكلام وجليله في الله وفي غيره .

ولو برز^(٧) عالم على جادة منهج وقارعة طريق ، فنازع في النجوى واحتج في المروض ، وخاض في الفتيا ، وذكر النجوم والحساب ، والطب والهندسة ، وأبواب الصناعات ، لم يعرض له ولم يفانحه إلا أهل هذه الطبقات .

ولو نطق بحرف في القدر حتى يذكر العلم والمشيمة^(٨) ، والاستطاعة والتكليف ، وهل خلق الله الكفر وقدره ؟ أو لم يخلقه ولم يقدره لم يبق سمًّا^(٩) أغثر^(١٠) ولا يطاق^(١١) غث ، ولا خامل غفل ، ولا غبي كهام ، ولا جاهل سفيه ، إلا وقف عليه ولاخاء ، وصوبه وخطاه ؛ ثم لم يرض حتى يتولى من أراضاه ، ويكفر من يخالف هواه . فإن جراه لمحق ، أو أغلظ له واعظ ، واتفق أن يكون بحضرته أشكاله ، استعوى أمثاله^(١٢) فأشعلوها فتنة ، وأضرموها ناراً .

(١) ب : « عجزت » . والتكلمة التالية من ب .

(٢) التسكع : أن يمشى متعسفا لغير وجهة . ب : « ولا تنسج » .

(٣) التكلمة من ب .

(٤) ب : « الآثار » .

(٥) في الأصل : « ولم رد » ، صوابه من ب .

(٦) هذا ما في ب . وفي الأصل : « التشبيه » .

(٧) الأغثر . الأحق الجاهل .

(٨) كذا في ب ، والحرف الأول مهمل في الأصل .

(٩) استعواهم : لعق بهم إلى الفتنة .

فليس لمن كانت هذه صفته أن يتَحَيَّرَ مع الخاصَّة . مع أنه لو حَسُنَتْ
نِيَّتُهُ لم تحتمل فطرته معرفة الفُصول وتمييز الأمور .

فإن قالوا : ولعلَّهم لا يعرفون الله ورسوله كما لا يعرفون عدله من جوره ،
وتشبيهه بخلقه من نفى ذلك عنه ، وكما لا يعرفون [القرآن و^(١)]
تفسير^(٢) مجله ، وتأويل منزله .

- ٥ قيل لهم : إنَّ قلوب البالغين مسخرة لمعرفة ربِّ العالمين ، ومحمولة
على تصديق المرسلين ، بالتنبيه على [مواضع^(١)] الأدلَّة ، وقصر النفوس
على الرويَّة ، ومنعها [عن^(١)] الجَوْلَانِ والتصرُّف ، وكلُّ ما رُبِّثَ عن
التفكير^(٣) ، وشغل عن التَّحصيل ، من وسوسة أو نزاع شهوة ؛ لأنَّ
الإنسان ما لم يكن معتوها أو طِفْلاً فمحجوجٌ على ألسنة المرسلين عند جميع
المسلمين ، ولا يكون محجوجاً حتَّى يكون عالماً بما أمر به ، عارفاً بما
نُهي عنه ، لأنَّ من لم يَعْلَمْ في أي الضَّريين سُخِطَ الله وفي أيِّ النوعين
رضاه ، ثمَّ ركب السُّخط أو أتى الرِّضا ، لم يكن ذلك منه إلَّا على
الاتِّفاق . وإنما الاستحقاق مع القصد ، والله يتعالى أن يعاقب من لم يُرد
خلافه ولم يعرف رضاه ، أو يَحْمَدَ من لم يعتمد رضاه ولم يقصد إليه .
١٥ ولم يكن الله ليعدِّل صنعته ويسوَّى أَدَاتِهِ^(٤) ، ويفرق بينه وبين
المتقوص في بنيته وتركيبه ، إلَّا ليفرق بين حاله وحال الطُّفل والمعتوه .

(١) التَّكَلُّفُ من ب .

(٢) هذا ما في ب . وفي الأصل « نفلس » .

(٣) ربه عن القى : حبسه وصرفه في اللسختين : « على التفكير » ، تحريف .

(٤) ب : « آدابه » تحريفه .

وليس للمعرفة وجهٌ إلا لتبصيره^(١) وتخييره ، ولولا ذلك لم يكن للذي خُصَّ به من الإبانة ، وتعديل الصنعة ، وإحكام البنية^(٢) معنى . والله يتعالى عن فعل مالا معنى له .

وفي قول الله : « وما خلقت الجنَّ والإنسَ إلا ليعبدون » دليلٌ ٥ على ما قلنا .

وليس لأحدٍ أن يُخرجَ بعض الجنَّ والإنسَ من أن يكون خُلِقَ للعبادة إلا بحجة . ولا حجة إلا في عقلٍ ، أو كتاب ، أو خبر .

فإن قالوا : فإن كان الله إنما أبانهم بالتعديل والتسوية للعبادة والاختيار مع الأمة فحكمهم^(٣) حكم المسلمين المتعبدين . وإنما الإمام ١٠ إمام المسلمين والتعبدين .

قلنا : إنما يلزم الناس الأمر فيما عرفوا سبيله ، وليس للعوام خاصة معرفةٌ بسبيل إقامة الأئمة فيلزمها^(٤) أمرٌ ، أو يجرى عليها نهى .

والعامة وإن كانت تعرفُ مجمل الدين بقدر ما معها من العقول فإنها لم يبلغ من قوة عقولها وكثرة خواطرها أن ترتفع إلى معرفة العلماء ، ١٥ ولم تبلغ من ضعف عقولها أن تنحطَّ إلى طبقة المجانين والأطفال .

وأقذار طبائع العوام والخواص ليست بمجهولة فنحتاج إلى الإخبار عنها بأكثر من التنبيه عليها ، لأنكم تعلمون أن طبائع الرُّسل فوق طبائع

(١) في الأصل : « وليس المعرفة وجه إلا لتبصيره » صوابه في ب .

(٢) في الأصل : « وتحكيم البنية » ، صوابه في ب .

(٣) في النسختين : « وحكمهم » .

(٤) في الأصل : « الأمة فليلزمها » ، صوابه في ب .

الخلفاء ، وطبائع الخلفاء فوق طبائع الوزراء ، وكذلك الناس على منازلهم من الفضل ، وطبقاتهم من التركيب في البخل والسخاء ، والبلدة والدِّكاء ، والقدر والوفاء ، والجبن^(٢) والنَّجدة ، والجزع [والصبر^(٣)] والطَّيش والحلم ، والكبر والتَّيّه ، والحِفظ والنسيان ، والعى والبيان .

- ولو كانت العامة تعرف من الدِّين والدُّنيا ما تعرف الخاصة كانت العامة خاصة ، وذهب التفاضل في المعرفة ، والتَّباين في البنية . ولو لم يُخالف بين طبائهم لسقط الامتحان وبطل الاختبار ، ولم يكن^(٤) في الأرض اختيار . وإنما خولف بينهم في الغريزة ليصبر صابر ، ويشكر شاكر ، وليتَّفقوا على الطَّاعة . ولذلك كان الاختلاف هو سبب الائتلاف^(٥) .

- ويقال لهم عند ذلك : إنكم قد أكثرتم في أمر العوام ، وخلطتم في الحكم عليهم ، فرة تزعمون أننا نكذب عليهم حين نزعهم أنهم غير معجوجين ، لأنهم بزعمكم لا يفصلون بين الأمور ، ولا يفرقون بين الكاذب المحتال وبين الصادق المحق . وجعلتم الدليل على ذلك أنكم اعترضتموهم بزعمكم فسألتموهم عن الدليل والحجة ، والفرق والعلة ، فلم تجدوهم يشعرون بما^(٦) يلزم فيها ولا يعرفون بابها ، وكيف الكلام فيها .

(١) البلدة ، بفتح الباء وضمة هاء ، والبلادة أيضا : ضد النفاذ والدِّكاء والمضاء في الأمور .
ب : « البلادة » .

(٢) في الأصل : « والحر » مع الإجمال ، صوابه في ب .

(٣) التكملة من ب .

(٤) في الأصل : « ولو لم يكن » ، صوابه في ب .

(٥) إلى هنا ينتهي هذا الاختيار الأخير في نسخة (ب) . وتنفرد نسختنا هذه بالنص .

(٦) في الأصل : « لما » .

وإنّا معشر أصحاب المعرفة قد تعمّدنا الكذب عليهم ، حين زعمنا أنهم يعرفون ذلك ، ويفرّقون بين معانيه . وحرّة تزعمون أنهم يعرفون ما يعرفه الخواص والعلماء ، ويعلمون ما يعلمه التكلمون والفقهاء ، من إقامة الأئمة وعقد الخلافة . فرّة تخرجونهم من جميع المعرفة ، وحرّة تجمّلونهم في غاية المعرفة . وأعدل الأمور في ذلك وأقسطها أن تزعموا أنهم يعرفون مجمل الشرائع الظاهرة الجليلة^(١) ، ومجمل الشئب الواضحة المستفيضة ، ويجهلون تفسير مجملها وتأويل منزلها ، وكل منصوص لم^(٢) يظهر كظهور الحجّ ، ولم يشهر كشهرة^(٣) صوم رمضان ، وغسل الجنابة ، وتحريم الخمر والخنزير والميتة والدم . ولكن دعونا جانباً ، واضربوا عمّا نقول صفحاً ، وقرّبوا جميع القولين لتعاون عليهما ، فأيهما كان أثبت على الامتحان ، وأنقى للقذى ، وأحسن منزى ، وأجد على الأيتام ، وأصح على التقلب ، دنا به ، وحامينا عليه ، وتقربنا به ، وآثرناه على ما سواه .

على أنّنا لا نستعمل حقّ ذلك وصدقه إلّا منكم ، ولا نحتج عليكم إلّا بما تقرّون به على أنفسكم .

خبرونا عن العوامّ : هل يخلو أمرهم من أن يكونوا محجوجين أو غير محجوجين ؟ فإن كانوا غير محجوجين فقد دخلوا في أكثر ممّا عابوا . وإن كانوا محجوجين فهل تخلو الحجة التي بها قطع الرسول عذرهم من ضربين : إمّا أن تكون المعرفة بصدق الرسول وفصل ما بينه وبين

(١) في الأصل : « الجليلة » .

(٢) في الأصل : « ولم » .

(٣) في الأصل : « كمشهور » .

المتنبى كما نقول . وإما أن تكون الحجّة في الدليل على المعرفة ،
وليست بالمعرفة .

فإنّ زعموا أنّ الحجّة هي المعرفة فقد وافقوا وأصابوا . وإنّ زعموا
أنّها الدليل على المعرفة فليخبرونا عن ذلك الدليل ما هو ؟

فإن قالوا : هو كلام الذئب^(١) وحنين المود^(٢) ، وإظلال النمامة^(٣) ،
وقصة الميضأة^(٤) ، وخذ الشجرة^(٥) ، وكلام الذراع^(٦) ، وعجز الشعراء عن
تأليف القرآن ، والبشارات برسائله في الكتب .

قلنا : قد صدقتم فيما ذكرتم من هذه الآيات والأعاجيب ، ولكن

(١) هو ذئب أهبان بن أوس الصحابي . قالوا : كله الذئب وبشره بالرسول . انظر
حواشي الحيوان ٣ : ١٣ .

(٢) انظر لحنين الجذع سيرة ابن سيد الناس ١ : ٢٣٩ - ٢٤١ . وجاء في الحديث أن
النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي في أصل أسطوانة جذع في مسجده ، ثم تحول إلى أصل
أخرى ، فحنت إليه الأولى ومالت نحوه ، حتى رجع إليها فاحتضنها وسكنت .
وفي حديث آخر أنه كان يصلي إلى جذع في مسجده فلما عمل له المنبر صعد إليه ، فحن الجذع
إليه ، أي نزع واشتاق . انظر اللسان (حن) .

(٣) كان ذلك فيما يروون في رحلة إلى الشام . السيرة ١٢٠ جوتجن .
(٤) الميضأة : الإناء يتوضأ منه . وهو إشارة إلى ماورد من أنه صلى الله عليه وسلم أتى
بقدح فيه ماء فوضع أصابعه في القدح فلم يسع ، فوضع أربعة منها وقال : هلموا . فتوضؤوا أجمعين
وهم من السبعين إلى الثمانين . سيرة ابن سيد الناس ٢ : ٢٨٨ .

(٥) الحد : الشق . في الأصل : « وخذ البعرة » تحريف ، وفي سيرة ابن سيد الناس
٢ : ٢٨٦ : « ونام فجاءت شجرة تشق الأرض حتى قامت عليه فلما استيقظ ذكرت له فقال :
هي شجرة استأذنت ربها في أن تسلم على فأذن لها » .

(٦) هو ذراع الشاة التي أهدتها إليه زينب بنت الحارث ، امرأة سلام بن مشكم . وكانت
أكثرت له من السم في الذراع فتناول الذراع فلاك منها مضغة فلم يسغها ثم قال : « إن هذا
العظم ليخبرني أنه مسموم » . السيرة ٧٦٤ - ٧٦٥ .

[لا] تخلو عقولُ العوام من أن تكون قد عرفتَ هذا كله وأقرتَ به ،
أو لم تعرفه ولم تقرَّ به ، ولم تُودع العلمَ بصحةً مجيئه .
فإن زعموا أنها لم تعرف ذلك ولم تُقرّر به ، قيل لهم : فمن أين
زعمتم أن الحجة لهم قاطمة ، والفريضة لهم لازمة ، ولم يعرفوا الحق
ولا الدليل عليه .

وإذا كانت المعرفة لا تُستطاع إلا بالدليل ، والدليل معدوم ، والتكليف
لازم ، فقد كُلفوا ما لا يُستطاع ، ولم يَضِع الكلام بيننا وبين الجبرية .
وإن كان الله قد قرّر^(١) عقولهم بالآيات ، وعرفهم صدقها وصحة مجيئها ،
فإنما الفرق بيننا وبينهم أننا نزعم أن العاقل إذا كان قد جرّب بعض
التجربة أنه لا يمتنع من تصديق من أحيا الموتى ، وأبرأ الأكمه ، وفلق
البحر ، وأنطق السباع . وأنتم تزعمون أنه يمتنع ، ويجوز أن يمتد أنه
أكذبُ العالمين وأبطلُ الباطلين ، مع ما أراه^(٢) من عظيم البرهان وعجيب
الآيات . ولعل قوم موسى كلما زادهم موسى آيةً وأردفها بعلامة ،
ازدادوا جهلاً بصدقه^(٣) ، واستبصاراً في تكذيبه .

وكيف يستطيع ذلك من صحّت فطرته ، وقد جرّب من أمور الدنيا
بعض التجربة ، وعرف ما يحدث في المادة وغير المادة .

وإن كانت العامة قد قرّرت بأعلام الأنبياء ، وعرفت الآيات كما
زعمتم ، فقد كان ينبغي لنا إذا سألناهم عن صدقها وصحة مجيئها وإن لم
نفصل بينها وبين حيلة البطل ، أن يخبرونا عنها وينزلوا لنا أمرها . فما بالنا

٢٠ (١) في الأصل : « قدر » . والظرف من ٢٦١ س ٦ .
(٢) أي ما أراه إياه محي الموتى ومبري الأكمه .
(٣) في الأصل : « فصدقه » .

إذا سألناهم لم نَرَهُم يعرفونها ، ولا يحصلون مجيئها ، ولا يخبرونا عن صدقها .
فإن كان لكم أن تقضوا على العامة بالجهل بين النبي والمتنبي ، لأنهم
لم تروهم يحسنون الفرق ، ويفصلون بين الأمور ، فقد ينبغي لنا أيضاً
أن نقضى عليهم بالجهل ، وأنهم لم يعرفوا الدلالة ، ولم يقرروا^(١) بشيء
من الآيات والأماجيب .

فإذا كان القوم عندكم محجوجين قد قرروا وعرفوا ، ونحن لا نجد
عندهم على المسألة من ذلك شيئاً ، وجاز لكم أن تزعموا ما زعتم ،
فلم لا يجوز لنا أن نزعهم أنهم [كانوا] عارفين وإن لم نجد ذلك عندهم
على المسألة .

ولولا أني قد ذكرت هذا الباب مفسراً في « كتاب المعرفة » لأخبرت
من أيّ وجهة جاز أن يكون بعض العارفين لا يخبر عن كل ما في نفسه
ومن أين امتنع ذلك عليه .

فإن قالوا : قد فهمنا قولكم في العامة فما تقولون في الخاصة ؟
فهل كلفها الله ذلك أم لم يكلفها كما لم يكلف العامة ؟ وفي ذلك سقوط
التسكين عن الجميع .

قلنا : بل نقول : إن على الناس إقامة الإمام ، نريد الخاصة .
ولا نقول أيضاً إن على الخاصة إقامة الإمام إلا على الإمكان .

فإن قالوا : وما سبب عجز الخاصة وإمكانها ؟

قلنا : من ذلك أن تكون العامة عليها مع جُند الباغي^(٢) المتغلب .

(١) في الأصل : « لم يعرفوا » . قرره بالقيء : حمله على الإقرار به والاعتراف .

(٢) في الأصل : « الساعي » : والظر ما سيأتي من ٢٦٤ س ٣ .

فإن قالوا : فهل يلزمها فرض الإقامة إذا كانت العامة كافةً عن
العموم عليها .

قلنا : قد يلزمها في ذلك ولا يلزمها في أخرى .

وإن قالوا : ففي أية الحالين يلزمها ؟

٥ قلنا : إذا كان المستحق للإمامة والمستوجب للخلافة معروف الموضع ،
مكشوف الأمر ، وكانت التقيّة عنها زائلة .

فإن قالوا : وكيف لا تكون التقيّة عنها زائلةً ، وهي على حالٍ أكثر
عدداً من جند المتغلب والباغى ، والعامة كافة ممسكةٌ لها ولا عليها .

١٠ قلنا : إنّه ليس في حال أكثر عدداً . فإذا كانوا أكثر عدداً
وكانت التقيّة زائلةً ، فعليهم إقامته .

فإن قالوا : فلم جعلتم لهم التقيّة ، وأسقطتم عنهم الفرض في الحال التي
هم فيها أكثر عدداً ؟

١٥ قلنا : لأسباب ، منها أنّ العدو إذا كان مُعدداً ، ذا سلاح وعتاد
وكُراع ، وكانوا على هيئةٍ وأمرهم جميعٌ ، فقليلٌ مجتمعٌ أكثر من
كثيرٍ نشرٍ^(٢) . مع أنّ معهم أنفَذَ السّلاحين ، وأوفر العتادين : الضّرا^(١)
والدّربة ، وحُسن التدبير والمعرفة ، بطول الممارسة وكثرة الحاجة .

ومنها أنّ الخاصّة وإن عرّفت موضع المستحقّ ، وظهّر لها المستوجب ،
وكانوا أكثر جراحاً ، فكلُّ واحدٍ منهم على ثقةٍ من محلّ صاحبه به^(٣)
وخِذلانه له . ولا بدّ ، مادامت التقيّة ، من التّواكل والتّخاذل ، وإن

٢٠ (١) ضرى بالشئ : ضرا : لهج به وصار عادة له .

(٢) النشر : المتفرق . (٣) المحل والمحال : المكر والكيد .

اتَّفَقَ رَأْيُ الْجَمِيعِ فِي الْمَغَيَّبِ عَلَى النُّصْرَةِ . وَلَيْسَ يُنْتَفَعُ بِاتِّفَاقِ أَهْوَائِهِمْ
مَا لَمْ يَتَشَاعَرُوا^(١) .

فَإِنْ قَالُوا : إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا تَصِفُونَ وَجَبَ إِلَّا يَقِيمُوا إِمَامًا أَبَدًا ؛
لَأَنَّهُمْ كَمَا لَا يَنْفَكُونَ مِنَ التَّقِيَّةِ ، كَذَلِكَ لَا يَنْفَكُونَ مِنَ التَّخَاذُلِ .

- قلنا : ليس الأمر كما تقولون ، لأنَّ تَقِيَّةَ بَعْضِ الْخَاصَّةِ لِبَعْضٍ قَدْ
تَزُولُ بِأَسْبَابٍ كَثِيرَةٍ : مِنْهَا أَنْ تَسُوءَ سِيرَةُ الْمَتَسَلِّطِ الْبَاغِي فِيهِمْ وَيَفْحَشَ
جَوْرُهُ ، وَيَكْثُرَ تَعْضِيلُهُ^(٢) وَاسْتِثْنَاؤُهُ وَقَهْرُهُ ، حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ إِحْرَاجًا
لَهُمْ^(٣) وَسَبَبًا لِلْكَلَامِ وَالشُّكَايَةِ وَالتَّلَاقِ ، لَأَنَّهُمْ قَدْ عُمُّوا بِالْإِحْرَاجِ مِمَّا
لِيَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُخْرَجِينَ يَتَّكِلُ عَلَى رَأْيِ صَاحِبِهِ ، لَعَلَّهُ بِالَّذِي
لَقِيَ مِنَ الْمَكْرُوهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ ، مِنْ ثَوْرَانِ النَّفْسِ وَتَهْيِيجِ الطَّبِيعَةِ . فَلَا
يَزَالُ بِهِمْ ذَلِكَ حَتَّى يَتَّفَقُوا فِي الظَّاهِرِ كَاتِفَاتِهِمْ فِي الْبَاطِنِ ، إِذْ كَانَ
الْإِحْرَاجُ قَدْ شَمِلَهُمْ وَتَمَّهَمَ ، وَبَلَغَ أَقْصَاهُمْ بَعْدَ أَدْنَاهُمْ . وَعِنْدَ التَّلَاقِ
تَزْدَادُ النَّفُوسُ حَمِيَّةً وَغَضَبًا وَبَصِيرَةً . فَإِذَا تَبَاثُثُوا وَتَكَاشَفُوا وَشَاعَ ذَلِكَ
مِنْ شَأْنِهِمْ ، وَشُهِرَ مِنْ أَمْرِهِمْ ، عَلِمُوا أَنَّ ذَلِكَ قَدْ ظَهَرَ لِعَدُوِّهِمْ ،
وَالْمَتَسَلِّطِ عَلَيْهِمْ . فَإِذَا عَلِمُوا ذَلِكَ عَلِمُوا أَنَّهُمْ قَدْ كَلِحُوا فِي الْحَرْبِ ،
وَنَشِبُوا فِي الْمَنَاصِبَةِ . فَإِذَا عَلِمُوا ذَلِكَ لَمْ يَجِدُوا بَدَأًا مِنْ بَذْلِ الْمَالِ ،
وإِعْطَاءِ الْجَهْدِ . وَإِنَّمَا هِيَ أَسْبَابُ تَرَامِيٍّ ، وَعِلَلٌ تَدَاعَى ، وَأُمُورٌ تَهْيِجُ
أُمُورًا ، وَأَسْبَابُ تَوْجِبِ أَفْعَالًا ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَمَكَّنَ الشَّدَّةُ ، وَيَجِبُ الْفَرَضُ .

(١) فِي أَسَاسِ الْبَلَاغَةِ مَادَّةُ (شَمَر) : « وَتَقُولُ : بَيْنَهُمَا مَعَاشِرَةٌ وَمَشَاعِرَةٌ » .

(٢) التَّعْضِيلُ : أَنْ يَضِيقَ عَلَيْهِ وَيَحْمِلَ بَيْنَهُ وَيَبِينُ مَا يَرِيدُ . وَفِي الْأَصْلِ « تَعْطِيلُهُ » ، تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « إِخْرَاجُهُمْ » .

ومدار الأمر على الإمكان ، فتي بطل بطل الفرض ، ومتى وُجد
وُجد الفرض .

وربما كان سببُ تكاشفهم ما يعرفون من ضَعْف جُنْد الباغى عليهم ،
والمستبدِّ عليهم بأمرهم^(١) .

٥ واضعفهم أسبابٌ : فربما كان لاختلافِ يقع بينهم ، وربما كان لمدوّ
يدهمهم وينازعهم مُلكهم ، وربما كان للخلل^(٢) يدخل عليهم ، والرّقة نصيبهم ،
من موت أعلامهم ، أو قتل قوادهم ، وربما كان لضعف رأى مدبرهم
وسياسة سائسهم^(٣) ، أو موت قيمهم .

فهذا وأشباهه تتكاشف النَّاس ، وتظهر على ألسنتهم ضمائرهم ، وتبدو
١٥ أسرارهم ، ونفوسهم من قبل ذلك حنيقة عليهم ، متديّنة بخلمهم والاستبدال
بهم ، وإنما أمسكت عن الإنكار وأظهرت التّسليم ريثما تجد فرصة
وترى خلة ، ويستجمع الأمر ، وتزول التّقية . مع أنا نعلم أنّ العامة
أسخف أحلاماً وأخف حركة ، وأشدّ طيشاً ، أن تؤثر الكفّ والعزلة والتّسليم
والهجانية ، عند حرب الحقّين والمتسلّطين . ولو كانت تطيق ذلك ويجوز عليها
١٥ ما كانت العامة بعامة ، ولكانت العامة خاصّة . ولكنّا أجبنّا على قدر
تجرى المسألة .

وإنما البلية العظمى والدّاهية الكبرى ، أن تناز العامة حتى يصير
بعضها مع الخاصّة ، وبعضها مع البغاة والظّلمة .

(١) في الأصل : « أمرهم »

٢٠ (٢) في الأصل : « وإنما كان لعل » ، تحريف .

(٣) في الأصل : « وصا » .

والجملۃ أنہم متى أقرنوا لعدوہم^(١) وأمكنہم منہم ، والرجلُ المستحقُّ
ظاهر لهم معروف عندهم ، فعليہم إقامتہ والدفع عنه .
فإن قالوا : ومن لهم بمعرفة الرجل الذي لا بعده^(٢) ؟

قيل : إنه ليس على الناس أن يصنعوا المعرفة ، وإنما عليہم إذا عرّفوه
واستطاعوا إقامتہ أن يُقيموه . ولا بدّ للناس أن يقوم^(٣) فيہم — إذ فرض
ذلك عليہم — رجلٌ يصلحُ لجباية خراجہم ، وإقامة صلاتہم ، وسدّ ثغورہم
وتنفيذ أحكامہم .

فإن قالوا : فكيف تعرفون فضلہ ولم تقابلوا بيده وبين غيره ، وأهل
الفضل كثير ، والفضل ممنون^(٤) مستفيض ؟

قيل : كما بان عند المعتزلة عمرو بن عبّيد ، وكما بان الحسن بن حيّ^(٥)
عند الزيدية من بينها ، وكما بان مرداس بن أدية عند جميع الخوارج من بينهم ،
وكما علمتم من حال غيلان بدمشق ، وحال عبد الله بن المبارك بخراسان .
وليس أن المعتزلة اجتمعت من أقطار الأرض فقالت نعم جميعها^(٦) ،
ولا وضعت فيه شورى ، ولا تساوى^(٧) منهم نفرٌ فاحتاجوا إلى القرعة .
وكذلك الزيدية في الحسن بن حيّ ، والخوارج في مرداس بن أدية . ولكن

(١) أقرن لاقى : أطافه وقدر عليه

(٢) الكلمة مهملة في الأصل .

(٣) في الأصل : « يقول » .

(٤) كذا في الأصل . ولعلها « منجنون » .

(٥) هو الحسن بن صالح بن حي الهمداني ولد سنة ١٠٠ وتوفي سنة ١٦٩ .

تهذيب التهذيب .

(٦) في الأصل : « جميعها » .

(٧) في الأصل : « تساود » .

الأمور تَرِدُ على القلوب ، وتهجُم على العقول على طول الأيام ، [إمّا] بالخبر الذى يَشْفى من الشك ويبرئ السقم . وإمّا بالعيان^(١) الذى يُلجج الصدور ويضطرُّ العقول .

وقد علمنا نحن على حداثة ألسناننا وتقادم الناس قبائنا ، أن جالينوس قد كان بائناً فى طبعه ، وأن الأرسطاطاليس كان البائن فى المطلق .

وكذلك علمنا أن قيس بن زهير كان داهية قيس فى الجاهلية ، وأن الحارث بن ظالم كان فانسكها ، وأن هريم بن سنان كان جوادها ، وأن النابغة كان شاعرها ، وأن الحارث بن كلدة كان أطيها ، وأن عامر ابن الطفيل كان أفرسها . ولم نضع قط فى هذا شورى ، ولا وضمة من كان قبلنا ، ولا استجملت قيس فقايلت بين خصال هؤلاء^(٢) وبين جميع قيس ، لتعرف الفضيلة بالموازنة^(٣) والمقابلة ، ولا احتاجوا فى ذلك إلى الإقراع والمساهمة .

وإذا كنّا مع تقادم الأخبار نعرف البائن فى كل عصر ، والمقدم فى كل أمر ، فعلى شبيه ما وصفنا^(٤) يعرف الناس فضيلة المستوجب . والخير لا يستطيع كتمانها ، والشر لا بد من ظهوره .

واعلم أنه لا يمكن أن يكون رجل أعلم الناس بالدين والدنيا ثم لا يُسمع به ، لأنه لا يصير كذلك إلا بالاختلاف إلى العلماء ، وبطول

(١) فى الأصل : « فأما العيان » .

(٢) فى الأصل : « خصالهم لا » .

(٣) فى الأصل : « الوارث » بدون باء وبالإمال . ٢٠

(٤) فى الأصل : « ها وصفنا » .

بجائاة^(١) الفقهاء ، وكثرة دروس كتب الله وكتب الناس ، ومنازعة الخصم ومقاولة الأكفاء . وهذا كله مما يُظهر أمره ، ويشهر مكانه .

ثم الذي يدخل العالم^(٢) من خيلاء العلم وعِزِّ الحق ، وسرور الظفر بما أعيا الناس معرفته ، حتى لا يستطيع أن يكتمه وإن اشتدَّ عزمه ، وقلَّ رياؤه ونفجُّه ؛ لأنَّ للمسلم سورة ، ولانفتاحه بعد استغلاقه فرحة ، لا يضبطها بشرى وإن اشتدتَّ حنكته ، وقويتْ مُنته ، وفضلتْ قوته .

وإنَّك لتجد كثيراً من العقلاء يُخاطرون بأعناقهم ، لبعض العظمة يجدونها^(٣) في أنفسهم على خصوصهم وأكفائهم ، حتى لا يمتنعون من إظهارها والفخر بها ، فما ظنُّك بالمسلم إذا كان بائناً بنفسه ، وكان في دولته . وتعظيمُ الناس مُوَكَّلَ بصاحبه كيف يستطيع كتمانَه وإماتته ، ١٠ مع ما أخذ الله على المسلم من حُسن الإرشاد واحتمال المؤونة ، واستنقاذ النَّاس من الجهالة . ومن القيام بحقِّ العلم تعليمُ الجاهل . فهذا كله يغني عن لقاء الكلِّ للكلِّ .

ولو أشكل أمرُه ولم يَبيِّن من أمثاله ، وهو للناس أصلحُ من غيره ، فقد أمكن البأس^(٤) ؛ إذ لو كان ظاهراً لهم إقامته لنبَّه الله على مواضع فضله ، ولأذكر النَّاس ما سقط عنهم من تدييره ، ولبعثَ الهمم على حُبِّه وطلب محاسنه .

(١) مهمل في الأصل . جائاه : جعل ركبته إلى ركبته .

(٢) في الأصل : « العلماء » .

(٣) في الأصل : « ويجدونها » .

(٤) البأس : الشدة . في الأصل : « وقد أمكن الناس أن لو كان ظاهراً » . وانظر ماسياتي

وكيف يجوز أن يكون أكلُ النَّاسِ خفيَّ العلمِ ومغيَّبَ العملِ ، وهو لا يكون كذلك حتَّى تكثر تجربته ويكثر صوابه ، ويشتدَّ حِلُّه ، ويحسنَ تدبيره . ولا بد من كثرة حَجِّ وغزو ، وصلاةٍ وصومٍ وصدقة ، وذكر وقراءة قرآن ، وأمرٍ بالمعروف ونهيٍ عن المنكر ، وحدَبٍ على الأولياءِ وغِلظةٍ على الأعداء . إن دام فقره دامت قناعته وقلَّ إسفافه ، وإن دام غِناء دامَ بذله وقلَّ طُغيانه . وليس من هذا شيء إلا وهو يَشهرُ صاحبه ويُظهر للناس مكانه ، ويدعو إلى محبته وتمظيمه .

وإن زعموا أنَّه يجوز أن يكون خيرَ النَّاسِ أو أعلمَ الناس ، وإن لم يُعرفُ بشيء مما ذكرنا ، فقد صار خيرَ الناس من لم يعمل خيراً قط .
١٠ فإن قالوا : فما تقولون إن وجدوا عشرةً سواء ؟

قلنا : قد يكون أن تجدوا عشرةً متقاربين ، فإذا صاروا إلى الموازنة بأنَّ الأفضل من الأنقص . وقليلاً^(١) ما يكون ذلك ، كما وجدنا السِّتَّة الشُّورى الذين اختارهم عُمر والمهاجرون والأنصار معه ، فقد كانوا في طبقة واحدة . ولكنَّ أهل الطبقة قد يتفاضلون بأمرٍ بينٍ لا خفاء به ، كما نظروا فاختاروا عثمان غير مكرهين ولا محمولين .

ولكن لا يجوز بوجهٍ من الوجوه أن يتَّفَق عشرةٌ سواء في الحقيقة ، وعند الموازنة الصحيحة ؛ لأنَّ في اتفاق ذلك بُطلانُ الإمامة . ولو جاز أن يتَّفَق عشرة سواء لجاز أن يكون الرُّقباء والشهود عليهم سواء . ولو جاز أن تستوى حالُهم وأفعالُهم لجاز أن يقولوا لِمَا ينبغي أن يقولوا فيه نَعَمْ : « لا » معاً ، ولِمَا ينبغي لهم أن يقولوا فيه لا : « نعم » معاً .
٢٠

(١) في الأصل : « وقليل » .

وفي هذا فسادُ الاختيار والإقراع . فإذا فسَدَ الاختيار والإقراعُ ولم يكن الرجلُ بائناً فلا سبيل إلى إقامته . ولم يكن الله ليفرض أمراً ولا يجعلُ إليه سبيلاً ، ولم يكن الله ليكلفَ الناسَ أمراً إلاً وذلك الأمرُ مصلحةٌ لهم . فكيف يَمنعهم مصلحتهم ، بل كيف يُظهر لهم فرض الإمامة وقد أمكنتهم الشدة^(١) ، والمعلوم عنده أن العالم سيتهيأ فيه ويتفق ما لا يمكن معه أداء الفرض ، ولا بلوغُ المصلحة .

ولو جاز أن يتفق عشرةٌ سواي في الحقيقة وعند الموازنة في جميع الخصال ، ما كان إحياء الموتى وإبراء الأكمه أعجبَ منه ، ولا أخرج من العادة . وإنما جعلَ الله ذلك لرسله فقط .

ولو جاز أن يتفق في العالم شيء يكون جاعلاً^(٢) من الرسالة جاز ذلك في أمور كثيرة . ولو جاز ذلك اختلطَ الكاذبُ بالصادق ، والحجة بالشبهة . وهذا مالا يجوز على الله تبارك اسمه ، وتعالى جده .

ولو عرّفوا موضع الإمام بعينه ثم قال الشامي : لا يكون إلاً منّا ، وقال العراقي : لا يكون إلاً منّا ، وقال الحجازي : لا يكون إلاً منّا ، وكذلك التهامي والجزري . وكذلك إذا قال القرشي : لا يكون إلاً منّا ، وقال الحسيني : لا يكون إلاً منّا ، وقال الحسني : لا يكون إلاً منّا ، وكذلك الفلاني والفلاني . وكذلك أن لو قال الإباضي : لا يكون إلاً منّا ، وكذلك لو قال الصفري والأزرق والنجدي والزبيدي ،

(١) انظر ما مضى في ص ٢٦٧ س ١٥ .

(٢) كذا في الأصل .

والفلاّنى والفلاّنى — لَمّا وصل أهلُ الحقِّ إلى إقامته إلاّ بأن يكونوا
في عدد الجميع وفي عَتَادهم .

والإمام يقام من ثلاثة أوجه :

فوجه كالذى حكينا ووصفنا .

٥ ووجه آخر مثل ما أقام المسلمون عثمان بن عفّان حين اختار عمر
ستّة متقاربين فاختاروا منهم رجلاً ، فلولا أنّ الستّة كانوا باثنين عند
الجميع لم يطبقوا ذلك الإطباق ، لأنّه لم يُقل واحدٌ : كان ينبغي أن يكون
مناً^(١) ، ولم يقل واحدٌ من الرّقباء ولا من الفقهاء والخاصّة : فينا
واحدٌ كان ينبغي أن يكون معهم ، ولا قالوا : فيهم واحدٌ كان ينبغي
١٠ أن يكون معنا . فهذا دليل أن الستّة كما كانوا باثنين عند عمر كانوا
باثنين عند الخاصّة .

ووجه آخر ، وهو مثل إقامة الناس لأبي بكر ، ليس على أنّ النبيّ
صلى الله عليه وسلم جعل شورى كما وضّعها^(٢) صر ، ولا على جهة
ما حكينا من أمر الخاصّة والعامة بإقامة الإمام والنّصّ عليه ؛ لأنّ ذلك
١٥ أسلم وأخفّ في المؤونة ، وأبعد من الغلط والفتنة . وقد وجدتم ما هو
أغضّ معنّى وأدقّ مسلّكاً ، وأغوص مُستخرجاً ، وأفحش مأثماً ، غير
مفسّر ولا ممتصّو عليه ، كالكلام في التّمديل والتّجويز ، وفصل
ما بين الطّباع والاختيار ، والكلام في التشبيه ونفيه ، وفي مجيء الأخبار
وحجج العقول .

٢٠ ونحن لم نَر أحدًا قطّ ألحد ولا تزندق من قبّل الغلط في كلام

(١) في الأصل : « معنا » .

(٢) في الأصل : « وضعها » .

الإمامة والاختلاف فيها . وَمَنْ وجدناه قد ارتدَّ زنديقاً أو دُهريةً مِنْ قِبَل هذه الأبواب أكثر من أن نُحصيَ لهم عدداً ، أو نقيفَ منهم على حدٍّ .

فإِذْ جاز أن يتركنا وأشدَّ الأمرين لنكونُ نحن الذين نستنبطه وتتكلَّف معرفته ، ليكون عاجلُ سروره وريثه^(١) وآجلُ ثوابه وعظيم جزائه ، كان الذي هو^(٢) أظهرُ للعقول ، وأسهلُ على الطالب ، وألينُ كنفاً للواطئ ، وأقرب مأخذاً للمسترشِد ، أولى بذلك .

ولا بدَّ لهم من أن يقولوا أحد أمرين : إمَّا أن يقولوا : إننا إِذْ وجدنا نَصَبَ الإمام والنصَّ عليه أسلمَ لنا من الخطأ ، فالواجبُ علينا أن نزع أن الله قد فعلَ ذلك ، وإن لم نجد خبراً نُضطرُّ إليه ، ولا قرآناً ينصُّ^{١٠} عليه ، والإمامة مختلفة في ذلك ، فإنما أوجبنا ذلك من قِبَل حُسْن الظنِّ بالله . وإن لم يكن في القرآن آيةٌ تدلُّ على أن الله لم ينصب إماماً ، ولا في الخبر .

وإما أن تقولوا إنَّ ذلك قد كان وقع منه^(٣) ، وإنما عرفناه بالأخبار والآثار والكتب .

فإن كانوا إنما حكموا على الله بفعل ذلك لأنه أسلم لهم من الخطأ ؛ وأبعد لهم من الغلط ، إلَّا أنَّهم قد وجدوا بذلك خبراً قائماً ، وكتاباً دالاً ، فإن كان ذلك كذلك فلم أوجبوا على الله فعل ما هو أيسرُ

(١) الريث : البطيء . وفي الأصل « ورثه » .

(٢) في الأصل : « كان هو الذي » .

(٣) في الأصل : « وقع منه » .

وأظهر ، وقد وجدوا الله لم يصنع ذلك فيما هو أفض وأشكل . كالذي وصفنا قبل هذا من الكلام في التعديل والتجوير ، والتشبيه ، ومجىء الأخبار . وقد علموا مع ذلك أن أكثر الناس لم يؤمنوا في هلكتهم إلا من قبل سرف شهواتهم ، وغلبة طبائهم .

٥ وكيف لم يحكموا على الله بغير ما وجدوا من رفع مؤونتها ، وقمع دواعيها ، حتى لا يلجج الناس طبائهم ، ولا تورطهم شهواتهم . وإنما يحكم بهذا وأشباهه على الله من لا علم له بالله وتديبه ؛ لأن الله لو أسقط عن الناس كل ما أثقل ظهورهم ، واستبشمت نفوسهم ، وخالف أهواءهم لسقط الامتحان ، وبطل الاختبار^(١) ، إذ لم يكن هناك حلاوة متجنب ومرارة تركب ، ولذيذ يؤخر ، وكريه يقدم .

١٠ وإن ذهب السائل إلى غير هذا الوجه ، وزعم أنه إنما قال إن الله قد نص على إمامة علي لأن الخبر به جاء المجيء الذي لا يكذب مثله . ولولا أن الخبر صحيح^(٢) جاز عنده أن يكون الله يطوِّقهم النظر^(٣) ، ويضع لهم الدلالة ، ولا ينصهم^(٤) على شيء ولا يفسره لهم ، كفعله فيما هو أدق وأخفى ، وأعظم إنمأ وأشد خطراً .

١٥ قيل لهم : إنكم وإن سمعتم فلسستم بأعلم بالأخبار من غيركم . ولئن كنتم مجيبين بخبر قد سمعناه معكم فلم يحجنا كما حجكم ، إنه لمعجب . وإن كان الخبر قد حج جميع من خالفكم مع كثرتهم ، وأطبقوا على كتابه وجعده وانفقوا عليه ، إن هذا لأعجب .

٢٠ (١) في الأصل : « إن » .

(٢) في الأصل : « الصحيح » .

(٣) أى يكلفهم بالنظر .

(٤) في اللسان والقاموس : « النص : التمين على شيء ما » .

وكيف تَحُجُّونَ بخبر لا تستطيعون أن تقيموا حُجَّتَهُ على مَنْ خالفكم . فإن كنتم إنما حَجَّجْتُمْ سلفكم فحُجُّوا أهل عصركم ومن معكم ، كما حَجَّجْتُمْ من قبلكم من أسلافكم .

وقد نفَضْنَا القرآن من أوَّلِهِ إلى آخرِهِ فلم نجد فيه آيةً^(١) تنصُّ على إمامة ، ولا أنها إذ لم تنصَّ كانت دالَّةً عند النظر والتفكير ، ولا أنها إذ لم تُدلَّ بالنظر والتفكير وكان ظاهرُ لفظها غير ذلك على ما قلتم كان أصحابُ التَّأويل والتفسير مطبقين على أن الله أراد بها إمامة فلان .

فهذا باب لا تقدرون من قبَلِهِ على حُجَّة ، وليس لكم في باب الخبر والإجماع متعلِّق ولا سبب ، مع قول الأنصار : مِنَّا أمير ومنكم أمير . وقول المهاجرين : بل مِنَّا الأمراء ومنكم الوزراء .

ثم وجدنا أبا بكرٍ وهو متكلِّم قريشٍ وصاحبُ أمر المهاجرين ، والمنازعُ عنهم يوم السَّقِيفَةِ ، يقول للناس بعد سُكون الأنصار وارتداعهم : بايعُوا أيَّ هذين شئتم — يعني عمر وأبا عبيدة — فلم نجدْهُ ادَّعاهما لنفسه ، ولا أبى أن تكون لغيره . ولم يقل إنسانٌ من الأنصار ولا من المهاجرين ، ولا من أفتاء الناس^(٢) : إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قد كان جعلها لفلانٍ وحَضَّ عليها له . ولا أنهم إذا لم يدَّعوا النصَّ^(٣) قال قائل إنَّ النبي الله عليه قد كان قال قولاً يومَ كذا وكذا يدلُّ على أنها لفلان ، ولم ينطق بذلك أحدٌ بعد تلك الأيام كما لم ينطق أحدٌ فيها^(٤) .

(١) في الأصل : « أنه » .

(٢) أفتاء الناس : أخلاطهم .

(٣) في الأصل : « النصر » .

(٤) في الأصل : « منها » .

ثم وجدنا أبا بكر حين أراد أن يجعلها إلى عمر من بعده كيف يمشي إليه رجال المهاجرين وعليه السَّابِقين ، ليصرفها إلى من هو ألين جانباً وأخفض جناحاً ، وأقل هَيْبَةً ، ويقولون : يا خليفة رسول الله ، إنَّ الحاجة للأرمل والأرملة ، والضعيف والضعيفة ، وعمر رجل مهيب في صدور الناس والله ما نريد صرفها عنه ألاَّ يكون سبقَ إلى كلِّ يوم خير ! قال أبو بكر : أوبرئ تَهْدِدُونِي ، أمَّا إذا لقيته فقال لي : من ^(١) استخلفت على عبادي ؟ قلت : استخلفت عليهم خيرَ أهلك عندي ^(٢) .

فلم يجر بينهم ممَّا يقولون حرفٌ واحد .

ثم أنَّ عمر بعد ذلك جعلها شورى بين ستة وجعل إليهم الخيار ، وسلم ذلك جميع المسلمين ، فيهم الزُّهري والتيمي والهاشمي والأموي والأسدي ، على أنَّها إن وقعت للأسدي لم يكن منكرًا عند الجميع ، وكذلك الزُّهري والأموي .

وأعجبُ من هذا أجمع وأدلُّ على الاختلاف ، وأبعد من النص والإجماع ، قولُ عمر في شكاته وهو مؤوِّف على قبره وعنده المهاجرون الأولون : « لو أدركت سالبا مولى أبي حذيفة ما تخالجتني فيه الشك » ١٥ حين ذكر دُعابة علي ، وبخل ^(٣) الزبير ، وبأو طلحة ، وحُبَّ عثمان لرهطه .

(١) . في الأصل : « لمن » ، تحريف .

(٢) في الطبري ٤ : ٥٤ : « من أسماء بنت عميس قالت : دخل طلحة بن عبيد الله على أبي بكر فقال : استخلفت على الناس عمر وقد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معه ، فكيف به إذا خلا بهم ؟ وأنت لاني ربك فسألك عن رحمتك ؟ فقال أبو بكر — وكان مضطجعا — أجلسوني . فأجلسوه فقال لطلحة : أبا الله تفرقني — أو أبا الله تخوفني — إذا لقيت الله ربي فسألتني قلت : استخلفت على أهلك خير أهلك » .

(٣) انظر أنساب الأشراف للبلاذري ٥ : ١٧ حيث يقول عمر فيه إنه : « لفس » =

ثم الذي كان من مُنازعة سمير بن أبي وقاص لعلّ ، وتركه بيعته ودعائه له إلى وضع الشورى ، والتخاير بالأعمال والجزاء^(١) ، فلم يجدوا أحداً من الناس يقول من وراء سمير أو في وجهه : ولم تخايرك وقد اختاره الرسولُ دونك .

- وقد كان ينبغي لأصحاب عليٍّ ومن معه من المهاجرين والبدرين وسائر الصحابة والتابعين ، ألاّ يمسكوا عن ذكر هذه الحجة وإن أمسك عنها الناس وأضاعوها ، وعاندوا أو غلطوا فيها . ولم نعلم هذا وأشباهه إلاّ دليلاً قاطعاً لمن لم يمنع قلبه معرفة الحقّ ولسانه الإقرار به ، في محاربة طلحة والزبير وعائشة وعليٍّ ، وما أراقوا من الدماء . ولم يقلّ واحدٌ من الناس : ولم تقتاتلون رجلاً^(٢) أو تطلبون مخيرته وقد نصبه النبي صلى الله عليه وفسر أمره ، وبين شأنه . [وهذا] دليل على ما قلنا ، وبرهان لما ادّعينا .

- ولقد قال رجلٌ لعمر بن عليٍّ : خبرني عن وصية رسول الله صلى الله عليه إلى أبيك . قال : والله إنّ هذا الكلام ما سميتُ به قطّ إلاّ الساعة . وقد تعلمون أن الأمة كلّها مع اختلاف أهوائها ونحلكها ، لا تعرف ممّا تدعون من أمر النصّ والوصية قليلاً ولا كثيراً ، وإنما هذه دَعْوَى مقصورةٌ فيكم ، لا يعرفها سواكم . وإنّ أشدّ الناس عليكم في الوصية

مؤمن الرضا كافر الغضب ، شحيح . لكن في الإصابة ٢٧٨٣ أنه « كان له ألف مملوك يؤدون إليه الخراج فكان لا يدخل بيته منها شيئاً ، يتصدق به كله » . وانظر أيضاً الرياض النضرة ٢ : ٢٧١ — ٢٧٢ حيث التنويه بجوده وكرمه .

(١) الجزء : الإجزاء والكفاية . في الأصل : « الحر » .

(٢) في الأصل : « ملاً » ، وإذا التصقت الراء مائلة إلى أعلى بالجيم صارت على هذا الشكل الحرف .

والنص للزيدية مع تشيعها وإفراطها وشدة إقدامها على عثمان ، وسوء قولها وشدة عداوتها للزبير وطلحة .

فلو كان النبي صلى الله عليه وسلم نصبه للناس وبين أمره واحتج له ، لم يكن هناك اختلاف ولا ارتياب ، ولا تحير ، ولا احتج بذلك المحجوجون على شاذ إن شذ ومفارق . [وفي] هذا وأقل منه ما يردع ذا اللب ، وكيف ذا الحجا .

وزعمت الرافضة أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى إلى رجل بعينه ، وأمر أمته بالوصية في تركاتهم ، لأن ذلك أجمع للشمل ، وأدعى إلى الألفة ، وأمنع للفساد ، وأقطع للشغب ، وأذهب للضغائن ، وأبعد من الغلط .
١٠ إلا أن الله قد كان يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم متى أوصى إلى ذلك المستحق تكفر أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلا ثلاثة أنفس ، وأن الوصي سيضعف عن القيام بالحق ، وسبيل مع العام^(١) بيديه^(٢) إظهاره بلسانه ، وأنه لا يرضى بالكف عن شتم الكافرين حتى يزكيهم على منبره . فسبحان الله ما أعجب هذا القول !

١٥ وإن تركوا الكتاب وأضربوا عن الإجماع واحتجوا بالرواية ، فما أحد أجحد لها ولا أرد لمرفتها منهم . مع أن رواية غيرهم أكثر ، وعلى السنة أصحاب الحديث أظهر .

ولو كانت روايتهم ورواية خصومهم سواء ما كان تأويلهم بأقطع لتأويل خصومهم من تأويل خصومهم لتأويلهم . مع أن الحديث إن كان ٢٠ يحتمل ضروب التأويل فغلط في حق ذلك من باطله رجل فليس بكافر

(١) كذا في الأصل .

(٢) في الأصل « يديه » .

ولا مكابر ، لأنّ ذلك الحديث لو كان صحيحاً لم يكن بأبين من القرآن ولا أوضح .

وقد يختلف الناس في تأويله ولا يكفرون ولا يكابرون ، فكيف يكفّر من غلط في تأويل حديث لو كان ردّه لم يكن عامياً .

وإنّ كانت إمامة عليّ لا تثبت عندهم إلّا من قبل الرواية فقد أفلح خصم الرافضة ، واستراح من كد المنازعة .

وقد زعم ناس من (العثمانية) أنّ الله قد اختار للناس إماماً ، ونصب لهم قيماً ، على معنى الدلالة والإيضاح عنه بالعلامة ، لا على النص والتسمية ، لأنّ الله إذا قال : « وأشهدوا ذوى عدل منكم » . — وقد عرفنا صفة العدالة — فتي رأيناها في إنسان علمنا أنّه الذي كان عني الله بالآية وإنّ لم يسمّه فيها . وكذلك قول الرسول : « ليؤمّكم خياركم » فقد عرفنا الله إختيار من الشّرار ، والفضل من النّقص ، فتي وجدنا الفضيلة في رجل فهو الذي عناه النبي صلى الله عليه وإن لم يذكره باسمه .

(١) ولا يهمل الناس ويتركهم سُدّي من وضع لهم الأدلّة ، ونبّههم ١٥ على موضع البرهان ، وعرفهم أبواب الصلاة .

ولو قلنا إنّ النبي صلى الله عليه قد اختار (٢) للناس إماماً على معنى أنّه إذ أمر أبا بكر بأن يتقدّم المسلمين في مُصلاّ ومقامه ومنبره فقد استخلفه ، جاز ذلك في الكلام . وباب الجواب في هذه المسائل كثير (٣) .

(١) في الأصل : « ومن لا » .

(٢) في الأصل : « اجاز » .

(٣) الكلام بعد إلى « وحكمتم عليه » من ٢٧٩ س ٤ موضعه في نسخة الأصل بعد كلمة « التقيّة » من ١٨٨ س ٢ . وقد أثبتته في موضعه الصحيح هنا .

لأنه لا يجوز أن يكونوا لم يعلموا ذلك وقد علموا ما هو أخفى وأدق وأبسر خطباً وأقل نقماً ، وهم القوم الذين لا يؤتون من نصيحة وحسن معرفة . وكيف يؤتون منهما وبهم عرفنا النصيحة والمعرفة .

فإن قالوا : فإنما كان خيراً للناس أن يختاروا لأنفسهم أو يختار النبي لهم .

قلنا : لو كان النبي قد اختاره لهم لقد كان ذلك خيراً لهم من اختيارهم لأنفسهم . فإذا لم يختره^(١) لهم فترك اختياره خيراً لهم ، لأنه إذا كان أن لو كان اختاره لهم^(٢) ، فقد دل ترك الاختيار أن تركه الاختيار لهم خيراً لهم ، إذ كان قد كان اختار الترك دون الاختيار ، وترك الاختيار ربماً^(٣) كان اختياراً . وهو في هذه المواضع اختيار ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن ليختار لهم ترك النص والتسمية إلا وترك النص والتسمية خير من النص والتسمية .

وإنما هذا مثل قائل لو قال لنا : أرايتم التأويل الذي قد ضل من أجله عالم ، والتشبيه ، والوعد والوعيد ، والقدر ، والأسماء ، والأحكام التي قد كفر من أجلها بشر ، وبسببها تناحر الناس . وإنما كان خيراً لهم أن يعرفوه بأسره ، وينصوا على حقيقته ، ويكفوا المؤونة فيه ، حتى كان لا يقع خلاف ، ولا يوجد خطأ ، ولا يشيع فساد ، ولا يتفانى الناس أو يتركووا ونظرهم ، ويخلوا واختيارهم .

قلنا : الخيرة فيما صنع الله . فلو كان الله بين ذلك بالنص والتفسير

(١) في الأصل : « لم يختاره » .

(٢) كذا وردت هذه العبارة ، وأراها متعمة .

(٣) في الأصل : « بما » .

دون الدلالة ووضع العلامة ، كان ذلك خيرة ؛ لأننا نعلم أن الله لا يصنع إلا ما هو خير .

فلو لم يفعل ذلك^(١) ولم ينص عليه فتركه الأمر على ما نحن عليه خير لنا وأفضل . فكيف أوجبتم على الله وحكتم عليه .

هـ
هذا مجمل جوابات الثمانية بجمل مسائل الرافضة والزيدية . ولولا أن فيما قدّمنا غنى عما أخرنا لقد فسرنا كما أجبنا . وإنما ملأنا وضع الكتاب إحكام أصله ، وألا يشذ عنه شيء من أركانه . فأما استقصاؤه حتى لا يجرى بين الخصمين منه إلا شيء قد وضع بعينه ، فهذا مالا يمكن الواضع ولا يحتمل الكتاب . ولو أمكن الواضع واحتمله الكتاب لكان طوله ١٠ قاطماً لنشاط القارئ ، ومجلبةً لنفاس المستمع ، إلا لمن صحّت إرادته ، وأفرطت شهوته وقوى طبعه ، وحسن احتسابه .

وقد أعيتنا هذه الصفة في المعنيين ، فكيف [في] المتعلمين .

وعلى أن للنحل صوراً كصور الناس ، فكما أن بعض الصور أشدّ مشاكلةً لطبعك ، وآتق في عينك ، وأخفّ على نفسك ، فكذلك النحل ١٥ في مقابلة الأهواء ، ومشاكلة الشهوات ، والخفة على النفوس . فاحذر حوادث الشهوات ، واتصال المشاكلة ؛ فإنه أخفى من الدقيق ، وأدق من الخفي .

هذا إذا كان المعنى مجرداً والمذهب طارياً ، فكيف إذا موّاه صاحبه ، وزخرفه واضعه ، بأعذب الألفاظ وأشهاها ، وأحسن الخارج وأعفاها^(٢) ٢٠

(١) في الأصل : « قالوا فلم لم » .

(٢) كذا في الأصل .

فشقى كلُّ واحدٍ منهما صاحبه ، وحبَّبه إلى سامعه . فإن وافق ذلك منه
تعظيمٌ لسلفه ، وهوى في قائله ، فقد أسيحت نفسه بالتقليد ،
واستسلمت للاعتقاد .

فاحذر في^(١) هذه الصِّفة ، ولا تستخفَنَّ بهذه الوصية .
واعلم أنَّ واضع الكتاب لا يكون بين الخصوم عدلاً ، ولأهل النظر
مألُفاً حتَّى يبلغ من شدة الاستقصاء لخصمه مثل الذى يبلغ لنفسه ، حتَّى
لو لم يقرأ القارئ من كتابه إلا مقالةً خصمه لُحِّلَ له أنه الذى اجتباها
لنفسه ، واختاره لدينه .

ولولا اتِّكالي على انقطاع الباطل عن مدَى الحق وإن استقصيته وبلغت
غايتة ، ما استجزت حكايته ، وُقت^(٢) مقام صاحبه .
ونحن مبتدئون فى كتاب المسائل وبالله ذى المنِّ والطَّول نستعين ،
وعليه نتوكل .

هذه جمل أقوال^(٣) العثمانية ، والحمد لله كثيراً دائماً ،
وصلّى الله على سيّدنا محمد نبيه ، وآله الطَّاهرين
وصحبه ، وسلّم تسليماً .

(١) كذا فى الأصل .

(٢) فى الأصل : « وأقت » .

(٣) فى الأصل : « قول » .

مناقضات

أبي جعفر الإسكافي

لبعض ما أورده الجاحظ في العثمانية

من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد

مناقضة لصفحة ١ — ٦ من العثمانية

قال أبو جعفر الإسكافي :

لولا ما غلب على الناس من الجهل وحب التقليد لم نحتج إلى نقض ما احتجّت به العثمانية ، فقد علم الناس كافة أن الدولة والسلطان لأرباب مقالاتهم ، وعرف كل أحد [علو^(١)] أقدار شيوخهم وعلمائهم وأمرائهم ، وظهور كلمتهم ، وقهر سلطانهم ، وارتفاع التقية عنهم ، والكرامة والجائزة لمن روى الأخبار والحديث في فضل أبي بكر ، وما كان من تأكيد بني أمية لذلك ، وما ولده المحدثون من الأحاديث طلباً لما في أيديهم ، فكانوا لا يألون جهداً في طول ما ملكوا أن يُحمّلوا ذكر على عليه السلام وولده ، ويطفئوا نورهم ويكتُموا فضائلهم ، ومناقبهم وسوابقهم ، ويحملوا على شتمهم وسبهم ولعنهم على المنابر ، فلم يزل السيف يقطر من دمائهم مع قلة عددهم وكثرة عدوهم ، فكانوا بين قتيل وأسير ، وشريد وهارب ؛ ومستخفٍ ذليل ، وخائف مترقب ، حتى إنَّ الفقيه والحدث والقاضي والمتكلم ليُتقدّم إليه ويتوعّد بنهاية الإيماذ وأشدّ العقوبة أن لا يذكر شيئاً من فضائلهم ولا يرخصوا لأحد أن يطيف بهم ؛ وحتى بلغ من تقية المحدث إذا ذكر حديثاً عن علي عليه السلام كنى عن ذكره فقال : قال رجل من قریش ، وفعل رجل من قریش ولا يذكر علياً عليه السلام ولا يتفوه باسمه . ثم رأينا جميع المختلفين قد حاولوا نقض فضائله ووجهوا الحيل والتأويلات نحوها ، من خارجي مارق ، وناسب حنق ، ونابت مستبهم ، وناشئ مماند ، ومنافق مكذب ، وعثماني حسود ، يمترض فيها ويطن ، ومعتزلي قد نفذ في الكلام وأبصر علم الاختلاف ، وعرف الشبه ومواضع الطعن وضروب التأويل ، قد التمس الحيل في إبطال مناقبه ، وتأول مشهور فضائله ، فرة يتأولها بما لا يحتمل ، ومرة يقصد أن يضع من قدرها بقياس منتقض ، ولا يزداد مع ذلك إلا قوة ورفعة ، ووضوحاً واستنارة .

(١) هذه من ط . أي من النسخة المطبوعة من شرح نهج البلاغة .

وقد علمت أن معاوية ويزيد ومن كان بعدهما من بني مروان أيام ملكهم — وذلك نحو ثمانين سنة — لم يدعوا جهداً في حمل الناس على شتمه ولعننه وإخفاء فضائله ، وستر مناقبه وسوابقه .

روى خالد بن عبد الله الواسطي عن حصين بن عبد الرحمن عن هلال بن يساف عن عبد الله بن ظالم قال : لما بويع لمعاوية أقام المغيرة بن شعبة خطباء يعلمون علياً عليه السلام ، فقال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل : ألا ترون إلى هذا الرجل الظالم ، يأمر بلعن رجل من أهل الجنة ؟ !

روى سليمان بن داود عن شعبة عن الحر بن الصباح قال : سمعت عبد الرحمن ابن الأحنس يقول : شهدت المغيرة بن شعبة خطب فذكر علياً عليه السلام فقال منه . روى أبو كريب قال : حدثنا أبو أسامة قال حدثنا صدقة بن المثنى النخعي عن رياح بن الحارث قال : بينما المغيرة بن شعبة بالمسجد الأكبر وعنده ناس إذ جاءه رجل يقال له قيس بن علقمة ، فاستقبل المغيرة فسب علياً عليه السلام .

روى محمد بن سعيد الأصفهاني عن شريك عن محمد بن إسحاق عن عمرو بن علي ابن الحسين عن أبيه علي بن الحسين عليه السلام قال : قال لي مروان : ما كان في القوم أدفع عن صاحبنا من صاحبكم . قلت : فما بالكم تسبون علي المنابر ؟ قال : إنه لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك .

روى مالك بن إسماعيل أبو غسان النهدي عن ابن أبي سيف قال : خطب مروان والحسن عليه السلام جالس ، فقال من علي عليه السلام ، فقال الحسن : ويلك يا مروان ، أهذا الذي تشتم أشرف الناس^(١) ؟ قال : لا ، ولكنه خير الناس .

روى أبو غسان أيضاً قال : قال عمر بن عبد العزيز : كان أبي يخطب فلا يزال مستمراً في خطبته حتى إذا صار إلى ذكر علي وسبه تقطع لسانه واصفر وجهه وتغيرت حاله ، فقلت له في ذلك فقال : أو قد فطنت لذلك ؟ إن هؤلاء لو يعلمون من علي ما يعلمه أبوك ما تبعنا منهم رجل .

(١) هو كما في قراءة أبي قلابة : « سيعلمون غداً من الكذاب الأشهر » .

روى أبو غسان قال : حدثنا أبو اليقظان قال : قام رجل من ولد عثمان إلى هشام ابن عبد الملك يوم عرفة ، فقال : إن هذا يوم كانت الخلفاء تستحب فيه لمن أبي تراب .

روى عمرو بن القناد عن محمد بن فضيل عن أشعث^(١) بن سوار قال : سب عدى ابن أرملة علياً عليه السلام على المنبر فبكى الحسن البصرى وقال : لقد سُبَّ هذا اليوم رجلٌ إنه لأخو رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة .

روى عدى بن ثابت عن إسماعيل بن إبراهيم قال : كنت أنا وإبراهيم بن يزيد جالسين في الجمعة مما يلي أبواب كندة ، فخرج المغيرة فخطب ، فحمد الله ثم ذكر ما شاء الله أن يذكر ، ثم وقع في علي عليه السلام ، فضرب إبراهيم على فخذي أو ركبتى ثم قال : أقبل على فخذنى فإننا لسنا في جمعة ، ألا تسمع ما يقول هذا ؟

روى عبد الله بن عثمان الثقفى قال : حدثنا ابن أبي سيف قال : قال ابن عامر بن عبد الله بن الزبير لولده : لا تذكر يا بنى علياً إلا بخير ، فإن بنى أمية لعنوه على منابرهم ثمانين سنة فلم يزد الله بذلك إلا رفعة ، وإن الدين لم يبن شيئاً قط فهدمته الدنيا ، وإن الدنيا لم تبن شيئاً قط إلا رجعت على ما بنت فهدمته .

وروى عثمان بن سعيد قال : حدثنا مطلب بن زياد عن أبي بكر بن عبد الله الأصبهانى قال : كان دعى لبني أمية ، يقال له خالد بن عبد الله ، لا يزال يشتم علياً عليه السلام ، فلما كان يوم جمعة وهو يخطب الناس قال : والله إن كان رسول الله ليستعمله وإنه ليعلم ما هو ، ولكنه كان ختنه . وقد نعى سعيد بن المسيب ، ففتح عينيه ثم قال : ويحكم ما قال هذا الخبيث ؟ رأيت القبر انصدع ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول : كذبت يا عدو الله !

وروى القناد قال حدثنا أسباط بن نصر الهمداني عن السدى قال : بينما أنا بالمدينة عند أحجار الزيت إذ أقبل راكب على بعير فوقف فسب علياً عليه السلام ، فحف به الناس ينظرون إليه . فبينما هو كذلك إذ أقبل سعد بن أبي وقاص فقال :

(١) في الأصل : «أشعث» صوابه في ط .

اللهم إن كان سب عبداً لك صالحاً فأرسله إلى المسلمين خزيه ! فما لبث أن نفر به بعيره فسقط فاندقت عنقه .

وروى عثمان بن أبي شيبة عن عبد الله بن موسى عن فطر بن خليفة عن أبي عبد الله الجدلي قال : دخلت على أم سلمة رحمها الله فقالت — له — : أيسب رسول الله صلى الله عليه وآله فيكم وأنتم أحياء ؟ قلت : وأنى يكون هذا ؟ قالت : أليس يُسبُّ على عليه السلام ومن يحبه .

وروى العباس بن بكار الضبي قال : حدثني أبو بكر الهذلي عن الزهري قال : قال ابن عباس لماوية : ألا تكف عن شتم هذا الرجل ؟ قال : ما كنت لأفعل حتى يرَبُّو عليه الصغير ويهرم فيه الكبير . فلما ولي عمر بن عبد العزيز كف عن شتمه فقال الناس : ترك السنة . قال : وقد روى عن ابن مسعود إماموقفاً عليه أو صرفوا : كيف أنتم إذا شتمتكم فتنة يربو عليها الصغير ويهرم فيها الكبير ، يجرى عليها الناس فيتخذونها سنة ، فإذا غير منها شيء قيل : غيرت السنة .

قال أبو جعفر : وقد تعلمون أن بعض الملوك ربما أحدثوا قولاً أو ديناً لهوى ، فيحملون الناس على ذلك حتى لا يعرفون غيره ، كدحو ما أخذ الناس الحجاج ابن يوسف بقراءة عثمان وترك قراءة ابن مسعود وأبي بن كعب ، وتوعد على ذلك بدون ما صنع هو وجبابرة بني أمية وطغاة بني مروان بولد على عليه السلام وشيعته . وإنما كان سلطانه نحو عشرين سنة فما مات الحجاج حتى اجتمع أهل العراق على قراءة عثمان ، ونشأ أبناؤهم ولا يعرفون غيرها لإمساك الآباء عنها ، وكف المعلم عن تعليمها ، حتى لو قرئت عليهم قراءة عبد الله وأبي ماعرفوها ، ولفظوا بتأليفها الاستكراه والاستهجان ، لإلف العادة وطول الجهالة ، لأنه إذا استولت على الرعية العلية وطالت عليهم أيام التسلط ، وشاعت فيهم المخافة ، وشملتهم التقية ، انفقوا على التخاذل والتساکت ، فلا تزال الأيام تأخذ من بصائرهم ، وتنقص من ضمائرهم ، وتنقص من مرائهم ، حتى تصير البدعة التي أحدثوها غامرة للسنة التي كانوا يعرفونها .

ولقد كان الحجاج ومن ولاءه ، كعبد الملك والوليد ، ومن كان قبلهما وبعدهما من

فراعنة بنى أمة على إخفاء محاسن على عليه السلام وفضائله ، وفضائل ولده وشيعته وإسقاط أقدارهم ، أحرصَ منهم على إسقاط قراء عبد الله وأبي ، لأن تلك القراءات لا تكون سبباً لزوال ملكهم وفساد أمرهم وانكشاف حالهم . وفي إشهار فضل على عليه السلام وولده وإظهار محاسنهم بوارهم ، وتسليط حكم الكتاب المنبوذ عليهم ، فحرصوا واجتهدوا في إخفاء فضائله ، وحملوا الناس على كتمانها وسترها ، وأبى الله أن يزيد أمره وأمر ولده إلا استنارة وإشراقاً ، وحجبهم إلا شغفاً وشدة ، وذكرهم إلا انتشاراً وكثرة ، وحجبهم إلا وضوحاً وقوة ، وفضلهم إلا ظهوراً ، وشأنهم إلا علواً ، وأقدارهم إلا إعظاماً ، حتى أصبحوا بإهانتهم إياهم أعزاء ، وبإماتتهم ذكرهم أحياء ، وما أرادوا به وبهم من الشر تحول خيراً . فانتفى إلينا من ذكر فضائله وخصائصه ، ومزاياه وسوابقه ، ما لم يتقدمه السابقون ، ولا ساواه فيه القاصدون ، ولا يلحقه الطالبون . ولولا أنها كانت كالقبة المنصوبة في الشهرة ، وكالسنن المحفوظة في الكثرة ، لم يصل إلينا منها في دهرنا حرف واحد ، إذ كان الأمر كما وصفناه .

فأما ما احتج به الجاحظ بإمامة أبي بكر بكونه أول الناس إسلاماً فلو كان هذا احتجاجاً صحيحاً لاحتج به أبو بكر يوم السقيفة . وما رأينا صنع ذلك ؛ لأنه أخذ بيد عمر ويد أبي عبيدة بن الجراح وقال للناس : قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا منهما من شئتم . ولو كان هذا احتجاجاً صحيحاً لما قال عمر : كانت بيعة أبي بكر فلتة وفي الله شرها ! ولو كان احتجاجاً صحيحاً لادعى واحد من الناس لأبي بكر الإمامة في عصره أو بعد عصره بكونه سبق إلى الإسلام . وما عرفنا أحداً ادعى له ذلك . على أن جمهور المحدثين لم يذكروا أن أبا بكر أسلم إلا بعد عدة من الرجال ، منهم علي بن أبي طالب ، وجعفر أخوه ، وزيد بن حارثة ، وأبو ذر الغفاري ، وعمر بن عبسة^(١) السلمي ، وخالد بن سعيد بن العاص ، وخباب بن الأرت . وإذا تأملنا الروايات الصحيحة والأسانيد القوية الوثيقة وجدناها كلها ناطقة بأن علياً

(١) ط : « عبسة » صوابه في الأصل وتهذيب التهذيب .

عليه السلام أول من أسلم . فأما الرواية عن ابن عباس أن أبا بكر أولهم إسلاماً فقد روى عن ابن عباس خلاف ذلك بأكثر مما رووا وأشهر .

فمن ذلك ما رواه يحيى بن حماد عن أبي عوانة وسميد بن عيسى عن أبي داود الطيالسي ، عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس أنه قال : أول من صلى من الرجال على عليه السلام .

وروى الحسن البصري قال : حدثنا عيسى بن راشد عن أبي بصير عن عكرمة عن ابن عباس قال : فرض الله تعالى الاستغفار لعلي عليه السلام في القرآن على كل مسلم بقوله تعالى : « ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان » . فكل من أسلم بعد علي فهو يستغفر لعلي عليه السلام .

وروى سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال : « السباق ثلاثة : سبق يوشع بن نون إلى موسى ، وسبق صاحب يس إلى عيسى ، وسبق علي عليه السلام بن أبي طالب إلى محمد عليه وعليهم السلام . فهذا قول ابن عباس في سبق عليه السلام إلى الإسلام . وهو أثبت من حديث الشعبي وأشهر . على أنه قد روى عن الشعبي خلاف ذلك من حديث أبي بكر الهذلي وداود بن أبي هند عن الشعبي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : « هذا أول من آمن بي وصدقني وصلى معي » .

قال : فأما الأخبار الواردة بسبقه إلى الإسلام ، المذكورة في الكتب الصحاح والأسانيد الموثوق بها ، فمنها ما روى شريك بن عبد الله عن سليمان بن المغيرة ، عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود أنه قال : أول شيء علمته من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أنني قدمت مكة مع عمومة لي وناس من قومي ، وكان من أنفسنا شراء عطر ، فأرشدنا إلى العباس بن عبد المطلب ، فأنهينا إليه وهو جالس إلى زمزم ، فبينما نحن عنده جلوساً إذ أقبل رجل من باب الصفا وعليه ثوبان أبيضان وله وفرة إلى أنصاف أذنيه جمدة ، أشم أقي ، أدعج العينين ، كث اللحية ، براق الثنايا ، أبيض تعلوه حمرة ، كأنه القمر ليلة البدر ، وعلى يمينه غلام مراهق أو محتمل

حسن الوجه ، تقفونهم امرأة قد سترت محاسنها ، حتى قصدوا نحو الحجر ، فاستلمه واستلمه الغلام ثم استلمته المرأة ، ثم طاف بالبيت سبعا والغلام والمرأة يطوفان معه ، ثم استقبل الحجر فقام ورفع يديه وكبر ، وقام الغلام إلى جانبه وقامت المرأة خلفهما فرفعت يديها وكبرت ، فأطال القنوت ، ثم ركع وركع الغلام والمرأة ثم رفع رأسه فأطال ورفع الغلام والمرأة معه ثم سجدوا وسجد الغلام معه يصنعان مثل ما يصنع ، فلما رأينا شيئاً ننكره لا نعرفه بمكة أقبلنا على العباس فقلنا : يا أبا الفضل ، إن هذا الدين ما كنا نعرفه فيكم ! قال : أجل والله . قلنا : فمن هذا ؟ قال : هذا ابن أخى ، هذا محمد بن عبد الله ، وهذا الغلام ابن أخى أيضاً ، هذا علي بن أبي طالب وهذه المرأة زوجة محمد ، هذه خديجة بنت خويلد ، والله ما على وجه الأرض أحد يدين بهذا الدين إلا هؤلاء الثلاثة .

ومن حديث موسى بن داود عن خالد بن نافع عن عفيف بن قيس الكندى — وقد رواه عن عفيف أيضاً مالك بن إسماعيل النهدي والحسن بن عتبة الوراق وإبراهيم بن محمد بن ميمونة — قالوا جميعاً : حدثنا سعيد بن جشم عن أسد بن عبد الله^(١) البجلي عن يحيى بن عفيف بن قيس عن أبيه قال :

كنت في الجاهلية عطاراً ، فقدمت مكة فنزلت على العباس بن عبد المطلب ، فبينما أنا جالس عنده أنظر إلى الكعبة وقد تحلقت الشمس في السماء أقبل شاب كأن في وجهه القمر ، حتى رمى ببصره إلى السماء ، فنظر إلى الشمس ساعة ثم أقبل حتى دنا من الكعبة فصف قدميه يصلى ، فخرج على إثره فتى كأن وجهه صحيفة يمانية ، فقام عن يمينه ، فجاءت امرأة متلففة في ثيابها فقامت خلفهما ، فأهوى الشاب راكماً فركما معه ، ثم أهوى إلى الأرض ساجدا فسجداً معه ، فقلت للعباس : يا أبا الفضل ، أمر عظيم . فقال : أمر والله عظيم ، أتدرى من هذا الشاب ؟ قلت : لا . قال : هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، أتدرى من هذا الفتى ؟ قلت :

(١) في الأصل : « ابن عبد » صوابه في ط .

لا . قال : هذا ابن أخى أبى طالب بن عبد المطلب ، أتدرى من المرأة ؟ قلت : لا . قال : ابنة خويلد بن أسد بن عبد العزى ، هذه خديجة زوج محمد . هذا وإن محمدا هذا يذكر أن إلهه إله السماء ، وأمره بهذا الدين ، فهو عليه كما ترى . ويزعم أنه نبي ، وقد صدقه على قوله على ابن عمه هذا الفتى ، وزوجته خديجة هذه المرأة ، والله ما أعلم على وجه الأرض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة . قال عفيف : لمقلت له : فما تقولون أنتم ؟ قال : ننتظر الشيخ ما يصنع ، يعنى أبا طالب أخاه .

وروى عبيد الله بن موسى والفضل بن دكين والحسن بن عطية قالوا : حدثنا خالد بن طهمان عن نافع بن أبى نافع عن معقل بن يسار قال : كنت أوصى^(١) النبي صلى الله عليه وآله فقال لى : هل لك أن نعود فاطمة ؟ قلت : نعم يا رسول الله . فقام يمشى متوكئاً على وقال : أما إنه سيحمل ثقلها غيرك ويكون أجرها لك . قال : فوالله كأنه لم يكن على من ثقل النبي صلى الله عليه وآله شيئاً . فدخلنا على فاطمة عليها السلام فقال لها صلى الله عليه وسلم : كيف تجدينك ؟ قالت : لقد طال أسفى واشتد حزنى وقال لى النساء : زوجك أبوك فقيراً لا مال له ! فقال لها : أما ترضين أنى زوجتك أقدم أمتى سلماً ، وأكثرهم علماً ، وأفضلهم حلماً ؟ قالت : بلى ، رضيت يا رسول الله .

وقد روى هذا الخبر يحيى بن عبد الحميد ، وعبد السلام بن صالح ، عن قيس بن الربيع عن أبى أيوب الأنصارى بالفاظه أو نحوه^(٢) .

وروى عبد السلام بن صالح عن إسحاق الأزرق عن جعفر بن محمد عن آبائه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زوج فاطمة — دخل النساء عليها فقلن : يا بنت رسول الله ، خطبك فلان وفلان فردهم عنك وزوجك فقيراً لا مال له ! فلما دخل عليها أبوها عليه السلام رأى ذلك فى وجهها ، فسأها فذكرت له ذلك ، فقال :

(١) ط : « أوصل » .

(٢) الكلام بعده إلى نهاية الفقرة التالية ساقط من ط .

يا فاطمة ، إن الله أمرني فأنكحتك أقدمهم سلما ، وأكثرهم علما ، وأعظمهم حلما ، وما زوجتك إلا بأمر من السماء . أما علمت أنه أحيى في الدنيا والآخرة ؟ !

وروى عثمان بن سعيد عن الحكم بن ظهير عن السدي ، أن أبا بكر وعمر خطبا فاطمة عليها السلام فردها رسول الله صلى الله عليه وآله وقال : لم أؤمر بذلك . فخطبها على عليه السلام فزوجه إياها وقال لها : زوجتك أقدم الأمة إسلاما . وذكر تمام الحديث .

قال : وقد روى هذا الخبر جماعة من الصحابة منهم أسماء بنت عميس ، وأم أيمن وابن عباس ، وجابر بن عبد الله .

قال : وقد روى محمد بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن جده أبي رافع قال : أتيت أبا ذر بالربذة أودعه ، فلما أردت الانصراف قال لي ولا ناس معي : ستكون فتنة فاتقوا الله ، وعليكم بالشيخ علي بن أبي طالب فاتبعوه ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول له : أنت أول من آمن بي ، وأول من يصافحني يوم القيامة ، وأنت الصديق الأكبر ، وأنت الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل ، وأنت يعسوب المؤمنين ، والمال يعسوب الكافرين ، وأنت أخى ووزيرى وخير من أترك بعدى ، تقضى دينى وتنجز موعودى .

قال : وقد روى ابن أبي شيبة عن عبد الله بن نمير عن العلاء بن صالح عن المنهال ابن عمرو عن عباد بن عبد الله الأسدي قال :

سمعت علي بن أبي طالب يقول : أنا عبد الله وأخو رسوله ، وأنا الصديق الأكبر لا يقولها غيرى إلا كذاب . ولقد صليت قبل الناس سبع سنين .

وروت معاذة بنت عبد الله المدوية قالت : سمعت عليا عليه السلام يخطب على منبر البصرة ويقول : أنا الصديق الأكبر آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر ، وأسلمت قبل أن يسلم .

وروى حبة بن جوين العرنى أنه سمع عليا عليه السلام يقول : أنا أول رجل

أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وآله . رواه أبو داود الطيالسي عن شعبة عن سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل عن حبة بن جوين .

وروى عثمان بن سعيد الحرار عن علي بن حرار عن علي بن عامر عن أبي الجحاف عن حكيم مولى زاذان قال : سمعت عليا عليه السلام يقول : صليت قبل الناس سبع سنين ، وكنا نسجد ولا نركع ، وأول صلاة ركعنا فيها صلاة العصر فقلت : يا رسول ما هذا ؟ قال : أمرت به .

وروى إسماعيل بن عمرو عن قيس بن الربيع عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله قال :

صلى رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الاثنين ، وصلى على يوم الثلاثاء بعده . وفي الرواية الأخرى عن أنس بن مالك : استنبيء النبي صلى الله عليه وآله يوم الاثنين وأسلم على يوم الثلاثاء بعده .

وروى أبو رافع أن رسول الله صلى الله عليه وآله صلى أول صلاة صلاها غداة الاثنين ، وصلت خديجة آخر نهار يومها ذلك ، وصلى على عليه السلام يوم الثلاثاء غداة ذلك اليوم .

قال : وقد روى بروايات مختلفة كثيرة متعددة عن زيد بن أرقم وسلمان الفارسي وجابر بن عبد الله ، وأنس بن مالك ، أن عليا عليه السلام أول من أسلم . وذكر الروايات والرجال بأسمائهم .

وروى سلمة بن كهيل عن رجاله الذين ذكرهم أبو جعفر في الكتاب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أولكم ورودًا على الحوض أولكم إسلاما : علي ابن أبي طالب » .

وروى يس بن محمد بن أيمن ، عن أبي حازم مولى ابن عباس ، عن ابن عباس قال : سمعت عمر بن الخطاب وهو يقول : كفوا عن علي بن أبي طالب ؛ فإنني سمعت من

رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه خصالاً لو أنَّ خصلة منها في جميع آل الخطاب كان أحبَّ إلىَّ ممَّا طلعت عليه الشمس .

كنت ذات يوم وأبو بكر وعثمان وعبدالرحمن بن عوف وأبو عبيدة ، مع نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نطلبه ، فأنهينا إلى باب أم سلمة فوجدنا علياً متكئاً على نِجاف الباب^(١) ، فقلنا : أرؤنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : هو في البيت ، رويدكم . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فثرنا حوله ، فاتكأ على علي عليه السلام وضرب بيده على منكبه فقال : أبشريا على بن أبي طالب ، إنك مخاصم وإنك تخصم الناس بسبع لا يجاريك أحد في واحدة منهن : أنت أول الناس إسلاماً وأعلمهم بأيام الله . وذكر الحديث

قال : وقد روى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل هذا الحديث . قال : وروى أبو أيوب الأنصاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : لقد صلت الملائكة علىَّ وعلى علي عليه السلام سبع سنين . وذلك أنه لم يصل مني رجل فيها غيره . قال أبو جعفر : فأما ما رواه الجاحظ من قوله صلى الله عليه وسلم : « إنما تبغى حرٌّ وعبد » . فإنه لم يسم في هذا الحديث أبا بكر وبلالا : وكيف وأبو بكر لم يشتر بلالاً إلا بعد ظهور الإسلام بمكة ، فلما أظهر بلال إسلامه عذبه أمية بن خلف ، ولم يكن ذلك حال إخفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعوة ولا في أمر الإسلام .

وقد قيل إنه عليه السلام إنما عني بالحرِّ علي بن أبي طالب ، وبالعبد زيد بن حارثة .

وروى ذلك محمد بن إسحاق .

قال : وقد روى إسماعيل بن نصر الصفار عن محمد بن ذكوان عن الشعبي قال : قال الحجاج للحسن وعنده جماعة من التابعين وذكر علي بن أبي طالب : ما تقول

(١) النجاف : العتبة ، وهي أسكنة الباب .

أنت يا حسن ؟ فقال : ما أقول ؟ هو أول من صلى إلى القبلة ، وأجاب دعوة الرسول ، وإنه لعل منزلة من ربه ، وقرابة من رسوله ، وقد سبقت له سوابق لا يستطيع ردّها أحد . فغضب الحجاج غضباً شديداً وقام عن سريرته فدخل بعض البيوت ، وأمر بصرفنا .

قال الشعبي : وكنا جماعة ما منا إلا من نال من على عليه السلام ، مقاربة للحجاج ، غير الحسن بن أبي الحسن رحمه الله .

وروى محرز بن هشام عن إبراهيم بن سلمة عن محمد بن عبيد الله قال : قال رجل للحسن ما لنا لا نراك تثنى على على وتفرد منه ؟ قال : كيف وسيف الحجاج يقطر دماً ، إنه لأول من أسلم ، وحسبكم بذلك .

قال : فهذه الأخبار ، وأما الأشعار المروية فمعرفة كثيرة منتشرة .
فمنها قول عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب مجيباً للوليد بن عقبة بن أبي معيط :

وإن ولي الله بعد محمد هلى وفى كل المواطن صاحبه
وصى رسول الله حقاً وصنوه وأول من صلى ومن لان جانبه
وقال خزيمة بن ثابت فى هذا :

وصى رسول الله من دون أهله وفارسه قد كان فى سالف الزمن
وأول من صلى الله من الناس كلهم سوى خيرة النسوان والله ذو منن

وقال أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس حين بويع أبو بكر :

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف عن هاشم ثم منها عن أبى حسن
أليس أول من صلى لقبلتهم وأعلم الناس بالأحكام والسنن

وقال أبو الأسود الدؤلى يهدد طلحة والزبير :

وإن علياً لكم مُصْحَرٌ يماثله الأسد الأسود
إما إنه أول العابدين من بمكة والله لا يعبد

وقال سميد بن قيس الحمداني يرتجز بصفين :

هذا علي وابن عم المصطفى أول من أجابه فيما روى
هو الإمام لا يبالى من غوى

وقال زفر بن يزيد بن حذيفة الأسدي :

فخطوا علياً وانصروه فإنه وصي وفي الإسلام أول أول
ولن تحذلوه والحوادث حجة فليس لكم عن أرضكم متحول

قال : والأشعار كالأخبار إذا امتنع في مجيء القبيلين ^(١) التواطؤ والاتفاق كان
ورودهما حجة .

فأما قول الجاحظ : « فأوسط الأمور أن نجعل إسلامهم مما » فقد أبطل بهذا
ما احتج به لإمامة أبي بكر ، لأنه احتج بالسبق وقد عدل الآن عنه .

قال أبو جعفر : ويقال لهم : لسنا نحتاج من ذكر سبق علي عليه السلام إلا
بجامعتكم إيانا على أنه أسلم قبل الناس . ودعواكم أنه أسلم وهو طفل دعوى غير
مقبولة إلا للحجة . قلنا : قد ثبت إسلامه بحكم إقراركم . ولو كان طفلاً لكان في
الحقيقة غير مسلم ، لأن اسم الإيمان والإسلام والكفر ، والطاعة والمعصية ، إنما يقع
على البالغين دون الأطفال والمجانين .

وإذا أطلقتم وأطلقنا عليه اسم الإسلام فالأصل في الإطلاق الحقيقة . كيف وقد
قال النبي صلى الله عليه وسلم : أنت أول من آمن بي وأول من صدقني . وقال
لفاطمة : « زوجتك أقدمهم سلماً » أو قال « إسلاماً » .

فإن قالوا : إنما دعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام على جهة المرض
لا التكليف ؟

قلنا : قد وافقتمونا على الدعاء — وحكم الدعاء حكم الأمر والتكليف — ثم

(١) في الأصل : « القبيلتين » ، صوابه في ط .

ادعيتم أن ذلك كان على وجه العرض . وليس لكم أن تقبلوا معنى الدعاء إلا لحجة .
فإن قالوا : لعله كان على وجه التأديب والتعليم ، كما يعتمد مثل ذلك مع الأطفال .
قلنا : إن ذلك إنما يكون إذا تمكن الإسلام بأهله ، أو عند النشو عليه والولادة
فيه . فأما في دار الشرك فلا يقع مثل ذلك ، لاسيما إذا كان الإسلام غير معروف
ولا معتمد بينهم . على أنه ليس من سنة النبي صلى الله عليه وسلم دعاء أطفال المشركين
إلى الإسلام والتفريق بينهم وبين آبائهم قبل أن يبلغوا الحلم . وأيضاً فمن شأن الطفل
اتباع أهله وتقليد أبيه والمضى على منشئه ومولده . وقد كانت منزلة النبي صلى الله عليه
وسلم حينئذ منزلة ضيق وشدة ووحدة ، وهذه منازل لا ينتقل إليها إلا من ثبت
الإسلام عنده بحجة ، ودخل اليقين قلبه بعلم ومعرفة .

فإن قالوا : إن علياً عليه السلام كان يألف النبي صلى الله عليه وسلم ، فوافقه
على طريق المساعدة له .

قلنا : إنه وإن كان يألفه فلم يكن يألفه أكثر من أبويه وإخوته وعمومته وأهل
بيته ، ولم يكن الإلف ليخرجه عما نشأ عليه ، ولم يكن الإسلام مما غُذِيَ به وكرر
على سمعه ، لأن الإسلام هو خَلْع الأنداد ، والبراءة ممن أشرك بالله ، وهذا لا يجتمع
في اعتقاد طفل .

ومن المعجب قول العباس لعفيف بن قيس : « ننتظر الشيخ وما يصنع » فإذا كان
العباس وحمة ينتظران أبا طالب ويصدران عن رأيه ، فكيف يخالف ابنه ويؤثر
القلة على الكثرة ، ويفارق المحبوب إلى المكروه ، والعز إلى الذل ، والأمن إلى
الخوف ، من غير معرفة ولا علم بما فيه .

فإما قوله : « إن القتل يزعم أنه أسلم وهو ابن خمس سنين ، والمكتر يزعم أنه
أسلم وهو ابن تسع سنين » فأول ما يقال في ذلك أن الأخبار جاءت في سنه عليه
السلام يوم أسلم على خمسة أقسام :

القسم (الأول) . الذين قالوا : أسلم وهو ابن خمس عشرة سنة ، حدثنا بذلك أحمد بن سعيد الأسدي عن إسحاق بن بشر القرشي عن الأوزاعي ، عن حمزة بن حبيب ، عن شداد بن أوس قال : سألت خباب بن الارت عن إسلام علي فقال : أسلم وهو ابن خمس عشرة سنة ، ولقد رأيته يصلي قبل الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ بالغ مستحكم البلوغ .

وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن أن أول من أسلم على بن أبي طالب وهو ابن خمس عشرة سنة

القسم (الثاني) : الذين قالوا : إنه أسلم وهو ابن أربع عشرة سنة . رواه أبو قتادة الحراني عن أبي حازم الأعرج عن حذيفة بن اليمان قال : كنا نعبد الحجرة ونشرب الخمر وعلى من أبناء أربع عشرة سنة قائم يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلا ونهارا ، وقريش يومئذ تسأفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يذب عنه إلا على عليه السلام .

وروى ابن أبي شيبة عن جرير بن عبد الحميد قال : أسلم علي وهو ابن أربع عشرة سنة .

القسم (الثالث) : الذين قالوا أسلم وهو ابن إحدى عشرة سنة . رواه إسماعيل ابن عبد الله الرقي عن محمد بن عمر عن عبد الله بن مسمان عن جعفر بن محمد عليهما السلام عن أبيه عن محمد بن علي عليهما السلام : أن عليا حين أسلم كان ابن إحدى عشرة سنة . وروى عبد الله بن زياد المدني عن محمد بن علي الباقر عليهما السلام قال : أول من آمن بالله علي بن أبي طالب وهو ابن إحدى عشرة سنة ، وهاجر إلى المدينة وهو ابن أربع وعشرين سنة .

القسم (الرابع) : الذين قالوا : إنه أسلم وهو ابن عشر سنين . رواه نوح بن دراج عن محمد بن إسحاق قال : أول من آمن وصدق بالنبوة علي بن أبي طالب وهو ابن عشر سنين ، ثم أسلم زيد بن حارثة ، ثم أسلم أبو بكر وهو ابن ست وثلاثين سنة فيما بلغنا .

القسم (الخامس) : الذين قالوا إنه أسلم وهو ابن تسع سنين . رواه الحسن بن عتبة الوراق عن سليم مولى الشعبي عن الشعبي قال : أول من أسلم من الرجال على بن أبي طالب وهو ابن تسع سنين ، وكان له يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع وعشرون سنة .

قال شيخنا أبو جعفر : فهذه الأخبار كما تراها . فإما أن يكون الجاحظ جهلها أو قصد العناد .

فأما قوله « فالقياس أن نأخذ بأوسط الأمرين من الروايتين فنقول : إنه أسلم وهو ابن سبع سنين » فإن هذا تحكم منه ، ويلزمه مثله في رجل ادعى قبل رجل عشرة دراهم فأنكر ذلك وقال : إنما يستحق قبلي أربعة دراهم ، فينبغي أن نأخذ الأمر المتوسط ويلزمه سبعة دراهم ، ويلزمه في أبي بكر حيث قال قوم : كان كافرا وقال قوم : كان إماماً عادلاً ، أن نقول : أعدل الأقاويل أوسطها ، وهو منزلة بين المنزلتين ، فنقول : كان فاسقاً ظالماً . وكذلك في جميع الأمور المختلف فيها .

فأما قوله : « وإنما يعرف حق ذلك من باطله بأن نحصى سني ولاية عثمان وعمر وأبي بكر وسني الهجرة ومقام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة بعد الرسالة إلى أن هاجر » ، فيقال له : لو كانت الرواية متفقة على هذه التواريخ لكان لهذا القول مساع ، لكن الناس قد اختلفوا في ذلك ، فقل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام بعد الرسالة خمس عشرة ، رواه ابن عباس . وقيل ثلاث عشرة ، وروى [عن ^(١)] ابن عباس أيضاً . وأكثر الناس يردونه . وقيل عشر سنين ، رواه عروة بن الزبير ، وهو قول الحسن البصري وسعيد بن المسيب .

واختلفوا في سن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم : كان ابن خمس وستين ، وقيل : كان ابن ثلاث وستين ، وقيل : كان ابن ستين . واختلفوا في سن علي عليه السلام ، فقل : كان ابن سبع وستين ، وقيل : كان ابن خمس وستين ،

(١) التكملة من ط .

وقيل : ابن ثلاث وستين ، وقيل ابن ستين ، وقيل : ابن تسع وخمسين . فكيف يمكن مع هذه الاختلافات تحقيق هذا الحال .

وإنما الواجب أن يرجع إلى إطلاق قولهم أسلم على ، فإن هذا الاسم لا يكون مطلقاً إلا على البالغ . على أن ابن إحدى عشرة سنة يكون بالغاً ويولد الأولاد . فقد روت^(١) الرواة أن عمرو بن العاص لم يكن أسن^٢ من ابنه عبد الله إلا باثنتي عشرة سنة . وهذا يوجب أنه احتلم وبلغ في أقل من إحدى عشرة سنة .

وروا أيضاً أن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس كان أصغر من أبيه علي بن عبد الله بن العباس بإحدى عشرة سنة .

فيلزم الجاحظ أن يكون عبد الله بن العباس حين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مسلم على الحقيقة ، ولا مثاب ، ولا مطيع بالإسلام ، لأنه كان يومئذ ابن عشر سنين . رواه هشيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشر سنين .

(٢)

لصفحة ٦ - ٩ من الثمانية

هذا كله مبني على أنه أسلم وهو ابن سبع أو ثمان ، ونحن قد بينا أنه أسلم بالغاً ابن خمس عشرة سنة أو ابن أربع عشرة سنة . على أننا لو نزلنا على حكم الخصوم وقلنا ما هو الأشهر والأكثر من الرواية ، وهو أنه أسلم وهو ابن عشر ، لم يلزم ما قاله الجاحظ ، لأن ابن عشر قد يستجمع عقله ويعلم من مبادئ المعارف ما يستخرج به كثيراً من الأمور المعقولة . ومتى كان الصبي عاقلاً مميزاً كان مكلفاً بالعقليات وإن كان تسكيفه بالشرعيات موقوفاً على حد آخر وغاية أخرى ، فليس بمنكر أن يكون علي عليه السلام وهو ابن عشر قد عقل المعجزة فلزمه الإقرار بالدبوة ، وأسلم إسلام عارف ، لا إسلام مقلد تابع .

(١) في الأصل : « ردت » ، صوابه في ط .

وإن كان ما نسقه الجاحظ وعدده من معرفة السحر والنجوم ، والفصل بينهما وبين النبوة ، ومعرفة ما يجوز في الحكمة مما لا يجوز وما لا يحدثه إلا الخالق ، والفرق بينه وبين ما يقدر عليه القادرون بالقدر ، ومعرفة التمويه والخديعة والتلبيس والمأكرة ، شرطاً في صحة الإسلام لما صح إسلام أبي بكر ولا عمر ولا غيرها من العرب ، وإنما التكليف لهؤلاء بالجل^(١) ومبادئ المعارف ، لا بدقائقتها والغامض منها . وليس يفتقر الإسلام إلى أن يكون المسلم قد فاتح الرجال وجرب الأمور ونازع الخصوم ، وإنما يفتقر إلى صحة الغريزة وكمال العقل وسلامة الفطرة . ألا ترى أن طفلاً لو نشأ في دار لم يعاشر الناس بها ولا فاتح الرجال ولا نازع الخصوم ثم كمل عقله وحصلت العلوم البديهيّة عنده لكان مكلفاً بالمعقليات .

فأما توهمه أن علياً عليه السلام أسلم عن تربية الحاضن وتلقين القيم ورياضة السائس ، فلم يرد إن محمداً صلى الله عليه وآله كان حاضنه وقيمه وسائسه ، ولكن لم يكن منقطعا عن أبيه أبي طالب ، ولا عن إخوته طالب وعقيل وجعفر ، ولا عن عمومته وأهل بيته ، وما زال مخالطاً لهم متمزجاً بهم ، مع خدمته لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فما باله لم يميل إلى الشرك وعبادة الأصنام لمخالطته إخوته وأباه وعمومته وأهله ، وهم كثير ومحمد صلى الله عليه وآله واحد ، وأنت تعلم أن الصبي إذا كان له أهل ذوو كثرة وفيهم واحد يذهب إلى رأى مفرد لا يوافقه عليه غيره منهم فإنه إلى ذوى الكثرة أميل ، وعن ذى الرأى الشاذ المنفرد أبعد .

وعلى أن علياً عليه السلام لم يولد في دار الإسلام وإنما ولد في دار الشرك ، وربى بين المشركين وشاهد الأصنام ، وعان بمينيه أهله ورهطه يعبدونها ، فلو كان في دار الإسلام لكان في القول مجال ، ولقيل إنه ولد بين المسلمين فإسلامه عن تلقين الظئر ، وعن سماع كلمة الإسلام ، ومشاهدة شعاره ؛ لأنه لم يسمع غيره ولا خطر بباله سواه ، فلما لم يكن ولد كذلك [ثبت أن إسلامه إسلام المميز المعارف بما دخل عليه . ولولا

(١) في الأصل : « بالجهل » ، صوابه في ط .

أنه كذلك^(١) [لما قدمه^(٢) رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك ، ولا أرضى ابنته فاطمة لما وجدت من تزويجه بقوله لها : « زوجتك أقدمهم سلما » . ولا قرن إلى ذلك قوله « وأكثرهم علما وأعظمهم حلما » والحلم : العقل . وهذان الأمران غاية الفضل . فلو لا أنه أسلم لإسلام طارف عالم مميز لما ضم لإسلامه إلى العلم والحلم اللذين وصفه بهما . وكيف يجوز أن يمدحه بأمر لم يكن مثابا عليه ولا معاقبا عليه لو تركه . ولو كان لإسلامه عن تلقين وتربية لما افتخر هو عليه السلام على رءوس الأشهاد ولا خطب على المنبر ، وهو بين عدو محارب وخاذل منافق ، فقال : « أنا عبد الله وأخو رسوله ، وأنا الصديق الأكبر والفاروق الأعظم ، صليت قبل الناس سبع سنين ، وأسلمت قبل إسلام أبي بكر وآمنت قبل إيمانه » . فهل بلغكم أن أحدا من أهل ذلك العصر أنكر ذلك أو عابه أو ادعاه لغيره أو قال له : إنما كنت طفلا أسلمت على تربية محمد صلى الله عليه وآله لك وتلقيه إياك ، كما تعلم الطفل الفارسية والتركية منذ يكون رضيعا ، فلا نفخر له في تعلم ذلك ، وخصوصا في عصر قد حارب فيه أهل البصرة والشام والنهروان ، وقد اعتورته الأعداء وهجته الشعراء . فقال فيه النعمان بن بشير :

لقد طلب الخلافة من بعيد وسارع في الضلال أبو تراب
معاوية الإمام وأنت منها على وتيح بمنقطع السراب^(٣)
وقال فيه أيضا بعض الخوارج :

دسشنا له تحت الظلام ابن ملجم جزاء إذا ما جاء نفسا كتابها
وقال عمران بن حطان يمدح قاتله :
يا ضربة من تقى ما أراد بها إلا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
إني لأذكره حيناً فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا

(٢) ط : « مدحه » .

(١) التكملة من ط .

(٣) الوتح : القليل النافة .

فلو وجد هؤلاء سبيلا إلى دحض حجة فيما كان يفخر به من تقدم إسلامه لبدءوا بذلك وتركوا مالا معنى له .

وقد أوردنا ما مدحه الشعراء به من سبقه إلى الإسلام فكيف لم يرد على هؤلاء الذين مدحوه بالسبق شاعر واحد من أهل حربه . ولقد قال في أمهات الأولاد قولاً خالف فيه عمر فذكروه بذلك وعابوه ، فكيف تركوا أن يعيبوه بما كان يفتخر به مما لا نخر فيه عندهم وعابوه بقوله في أمهات الأولاد .

ثم يقال له ^(١) خبرنا عن عبد الله بن عمر ، وقد أجازته النبي صلى الله عليه وآله يوم الخندق ولم يجزه يوم أحد : هل [كان] يميز ما ذكرته ، وهل كان يعلم فرق ما بين النبي المتنبى ويفصل بين السحر والمعجزة إلى غيره مما عدت وفصلت . فإن قال نعم وتجاسر على ذلك قيل له : فعلى عليه السلام بذلك أولى من ابن عمر ، لأنه أذكي وأفطن بلا خلاف بين العقلاء . وأنى يشك في ذلك وقد رويتم أنه لم يميز بين الميزان والمود بعد طول السن وكثرة التجارب ، ولم يميز أيضا بين إمام الرشد وإمام الغي ، فإنه امتنع من بيعة على عليه السلام ، وطرق على الحجاج بابا ليلا ليبيع لعبد الملك ، كي لا يبيت تلك الليلة بلا إمام ، زعم . لأنه روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « من مات ولا إمام له مات ميتة جاهلية » ، وحتى بلغ من احتقار الحجاج له واسترذاله حاله أن أخرج رجله من الفراش فقال : أصفق بيدك عليها . فذلك تمييزه بين الميزان والمود ، وهذا اختياره في الأئمة ، وحال على عليه السلام في ذكائه وفطنته وتوقد حسه وصدق حدسه معلومة مشهورة . فإذا جاز أن يصح إسلام ابن عمر ويقال عنه إنه عرف تلك الأمور التي سردها الجاحظ ونسقتها ، وأظهر فصاحته وتشادقه فيها . فعلى بمعرفة ذلك أحق ، وبصحة إسلامه أولى .

وإن قال : لم يكن ابن عمر يعلم ويعرف ذلك ، أبطل إسلامه وطعن في رسول الله صلى الله عليه وآله ، حيث حكم بصحة إسلامه وأجازته يوم الخندق ، لأنه عليه السلام كان قال : لا أجير إلا البالغ الماقل ، ولذلك لم يجزه يوم أحد . ثم يقال : إن ما نقوله

(١) كذا في ط . وفي الأصل : « قلنا له » .

في بلوغ علي عليه السلام الحد الذي يحسن فيه التكليف العقلي بل يجب ، وهو ابن عشر سنين ، ليس بأعجب من مجيء الولد لسته أشهر . وقد صحح ذلك أهل العلم واستنبطوه من الكتاب وإن كان خارجاً من التعارف والتجارب والمادة . وكذلك مجيء الولد لسنتين خارج أيضاً عن التعارف والمادة ، وقد صححه الفقهاء والناس . ويروى أن معاذاً لما نهى عمر عن رجم الحامل تركها حتى ولدت غلاماً قد نبتت ثديتاها فقال أبوه : ابني ورب الكعبة ! فثبت ذلك سنة يعمل بها الفقهاء . وقد وجدنا المادة تقضى بأن الجارية تحيض لاثنى عشرة سنة ، وأنه أقل سن تحيض فيه المرأة ، وقد يكون في الأقل نساء يحضن لعشر وتسع ، وقد ذكر ذلك الفقهاء ، وقد قال الشافعي في اللعان : لو جاءت المرأة بحمل وزوجها صبي له دون عشر سنين لم يكن ولداً له ، لأن من لم يبلغ عشر سنين من الصبيان لا يولد له ، وإن كان له عشر سنين جاز أن يكون الولد له ، وكان بينهما لعان إذا لم يقر به ، وقال الفقهاء أيضاً : إن نساء تهامة يحضن لتسع سنين ، لشدة الحر ببلادهن .

(٣)

لصفحة ٩ — ١٢ من العثمانية

إن مثل الجاحظ ، مع فضله وعلمه ، لا يخفى عليه كذب هذه الدعوى وفسادها ، ولكنه يقول ما يقول تمصباً وعناداً . وقد روى الناس كافة افتخار علي عليه السلام بالسبق إلى الإسلام ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم استنبيء يوم الاثنين وأسلم على يوم الثلاثاء ، وأنه كان يقول : صليت قبل الناس سبع سنين ، وأنه مازال يقول : أنا أول من أسلم ، ويفتخر بذلك ويفتخره به أولياؤه ومادحوه وشيعته في عصره وبعد وفاته . والأمر في ذلك أشهر من كل شهير ، وقد قدمنا طرفاً منه . وما علمنا أحداً من الناس فيما خلا استخف بإسلام علي عليه السلام ولا تهاون به ، ولا زعم أنه أسلم إسلام حدث غرير ، وطفل صغير . ومن العجيب أن يكون مثل العباس وحمة ينتظران أبا طالب [وفعله^(١)] ليصدرا عن رأيه ، ثم يخالفه علي ابنه لغير رغبة ولا رهبة ، يؤثر القلة علي

(١) هذه التكلفة من ط .

الكثرة ، والذل على العزة ، من غير علم ولا معرفة بالمعاقبة . وكيف ينكر الجاحظ
والعثمانية أن رسول الله صلى عليه وآله دعاه إلى الإسلام وكلفه التصديق ، وروى في
الخبر الصحيح أنه كلفه في مبدأ الدعوة قبل ظهور كلمة الإسلام وانتشارها بمكة أن
يصنع له طعاماً ، وأن يدعو له بنى عبد المطلب ، فصنع له الطعام ودعاهم له ، فخرجوا ذلك
اليوم ، ولم ينذرهم صلى الله عليه وآله لكلمة قائلها عمه أبو لهب ، فكلفه اليوم الثانى
أن يصنع مثل ذلك الطعام وأن يدعوهم ثانية ، فصنعهم ودعاهم فأكلوا ، ثم كلمهم صلى
الله عليه وآله فدعاهم إلى الدين ودعاه معهم لأنه من بنى عبد المطلب ، ثم ضمن لمن
بوازره منهم وينصره على قوله أن يجعله أخاه في الدين ووصيه بعمدته ، وخليفته من
بعده ، فأمسكوا كلهم وأجابوه هو وحده وقال : أنا أنصرك على ما جئت به ، وأؤازرك
وأبايمك ! فقال لهم لما رأى منهم الخذلان ومنه النصر ، وشاهد منهم المعصية ومنه
الطاعة ، وعانين منهم الإباء ومنه الإجابة : هذا أخى ووصيى وخليفتى من بعدى !
فقاموا يستخرون ويضحكون ويقولون لأبى طالب : أطع ابنك فقد أمره عليك ! فهل
يكلف عمل الطعام ودعاء القوم صغير غير مميز ، وغر غير عاقل ؟ ! وهل يؤتمن على سر
النبوّة طفل ابن خمس سنين أو ابن سبع ؟ ! وهل يدعى فى جملة الشيوخ والكهول
إلا عاقل لبيب ؟ ! وهل يضع رسول الله صلى الله عليه وآله يده فى يده ويعطيه صفقة
يمينه بالأخوة والوصية والخلافة إلا وهو أهل لذلك ، بالغ حد التكليف ، محتمل
لولاية الله ، وعداوة أعدائه ؟ !

وما بال هذا الطفل لم يأنس بأقرانه ولم يلصق بأشكاله ، ولم يُرَ مع الصبيان
فى ملاعبهم بعد إسلامه ، وهو كأحدهم فى طبقته كبعضهم فى معرفته . وكيف لم ينزع
إليهم فى ساعة من ساعاته فيقال : دعاه نقص الصبا وخاطر من خواطر الدنيا ، وحملته
الغرة والحدائث على حضور لهوهم والدخول فى حالهم ، بل مارأيتاه إلا ماضيا على
إسلامه ، مصمما فى أمره ، محققا لقوله بفعله ، وقد صدق إسلامه بعفافه وزهده ، ولصق
برسول الله صلى الله عليه وآله من بين جميع من بحضرته ، فهو أميئه وأليفه فى دنياه

وآخرته . وقد قهر شهوته ، وجاذب خواطره ، صابرا على ذلك نفسه ؛ لما يرجوه من فوز العاقبة وثواب الآخرة .

وقد ذكر هو عليه السلام في كلامه وخطبه بدء حاله وافتتاح أمره حيث أسلم لما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله الشجرة فأقبلت تحنُّ الأرض ، فقالت قریش : ساحر خفيف السحرا فقال على عليه السلام : يا رسول الله ، أنا أول من يؤمن بك ، آمنت بالله ورسوله وصدقتك فيما جئت به ، وأنا أشهد أن الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تصديقا لنبوتك ، وبرهانا على صحة دعوتك . فهل يكون إيمان قط أصبح من هذا الإيمان وأوثق عقدة وأحكم مرة ؟ ولكن حنق العثمانية وغيظهم وعصبية الجاحظ وانحرافه ، مما لاحيلة فيه .

ثم لينظر النصف وليدع الهوى جانبا ليعلم نعمة الله على عليه السلام بالإسلام ، حيث أسلم على الوضع الذي أسلم عليه ، فإنه لولا الألفاظ التي خص بها ، والهداية التي منحها له ، لما كان إلا كبعض أقارب محمد صلى الله عليه وآله وأهله . فقد كان ممازجا له كمازجته ، ومخالطاً له كمخالطة كثير من أهله ورهطه ، ولم يستجب منهم أحد له إلا بعد حين ، ومنهم من لم يستجب له أصلا ، فإن جمعقرا عليه السلام كان ملتصقا به ولم يسلم حينئذ . وكان عتبة بن أبي لهب ابن عمه وصهره زوج ابنته ولم يصدقه ، بل كان شديدا عليه ، وكان لخديجة بنون من غيره ولم يسلموا حينئذ وهم ربائبه ومعه في دار واحدة ، وكان أبو طالب أباه في الحقيقة ، وكافله وناصره ، والحامي عنه ، ومن لولاه لم تقم له قائمة ، ومع ذلك لم يسلم في أغلب الروايات . وكان العباس عمه وصنو أبيه ، وكالقرين له في الولادة والنشأ والتربية ، ولم يستجب له إلا بعد حين طويل . وكان أبو لهب عمه وكدمه ولجه ، ولم يسلم ، وكان شديدا عليه ، فكيف ينسب لإسلام على عليه السلام إلى الإلف والتربية والقرابة واللحمة ، والتلقين والحضانة والدار الجامعة وطول العشرة ، والأنس والخلوة . وقد كان كل ذلك حاصلًا لهؤلاء أو لكثير منهم ، ولم يهتد أحد منهم إذ ذاك ، بل كانوا بين من جحد وكفر ومات على كفره ، ومن أبطأ وتأخر وسبق بالإسلام وجاء سُكَّيتا وقد فاز بالمنزلة غيره .

وهل يدل تأمل حال علي عليه السلام مع الإنصاف إلا على أنه أسلم ، لأنه شاهد الأعلام ورأى المعجزات وشم ريح النبوة ، ورأى نور الرسالة ، وثبت اليقين في قلبه بمعرفة وعلم ونظر صحيح ، لا بتقليد ولا حمية ، ولا رغبة ولا رهبة إلا فيما يتعلق بأمور الآخرة .

(٤)

ص ٢٢ من العثمانية

ينبغي أن ينظر أهل الإنصاف هذا الفصل ويقفوا على قول الجاحظ^(١) والأصم في نصرة العثمانية ، واجتهادها في القصد إلى فضائل هذا الرجل وتهجينها ، فمرة يبطلان معناها ، ومرة يتوصلان إلى حط قدرها . فليُنظر في كل باب اعتراض فيه أين بلغت حيلتهما ؟ وما صنعا في احتيالهما في قصصهما وسيجعهما ؟ أليس إذا تأملتها علمت أنها ألفاظ ملفقة بلا معنى ، وأنها عليها شجى وبلاء ، وإلا فما عسى أن تبلغ حيلة الحاسد ويعنى كيد الكائد الشاني لمن قد جل قدره عن النقص ، وأضاءت فضائله إضاءة الشمس .

وأين قول الجاحظ من دلائل السماء ، وبراهين الأنبياء وقد علم الصغير والكبير ، والعالم والجاهل ممن بلغه ذكر علي عليه السلام ، وعلم مبعث النبي صلى الله عليه وآله أن عليا عليه السلام لم يولد في دار الإسلام ، ولا غذى في حِجر الإيمان ، وإنما استضافه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى نفسه سنة القحط والمجاعة . وعمره يومئذ ثمانى سنين ، فكث معه سبع سنين حتى أتاه جبرئيل بالرسالة ، فدعاه وهو بالغ كامل العقل إلى الإسلام ، فأسلم بعد مشاهدة المعجزة ، وبعد إعمال النظر والفكرة . وإن كان قد ورد في كلامه أنه صلى سبع سنين قبل الناس كلهم فإنما يعنى ما بين الثمان والخمس عشرة ، ولم يكن حينئذ دعوة ولا رسالة ولا ادعاء نبوة ، وإنما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتعبد على ملة إبراهيم ودين الحنيفية ، ويتحدث ويحاجب

(١) هذا ما في ط . وفي الأصل : « الأخرى » .

الناس ويمتزل ويطلب الخلوة وينقطع في جبل حراء ، وكان على عليه السلام معه كالتابع والتلميذ ، فلما بلغ الحلم وجاءت النبي صلى الله عليه وآله الملائكة وبشرته بالرسالة ، دعاه فأجابه عن نظر ومعرفة بالأعلام في المعجزة ، فكيف يقول الجاحظ إن إسلامه لم يكن مقتضبا ؟ !

وإن كان إسلامه ينقص عن إسلام غيره في الفضيلة لما كان يمرن عليه من التعبد مع رسول الله صلى الله عليه وآله قبل الدعوة ، ليكون طاعة كثير من المكلفين أفضل من طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وأمثاله من المعصومين ، لأن العصمة عند أهل العدل لطف يمنع من اختص به من ارتكاب القبيح ، فمن اختص بذلك اللطف كانت الطاعة عليه أسهل ، فوجب أن يكون ثوابه أنقص من ثواب من أطاع مع تلك الألفاظ .

وكيف يقول الجاحظ إن إسلامه ناقص عن إسلام غيره وقد جاء في الخبر أنه أسلم يوم الثلاثاء واستنبي النبي صلى الله عليه وآله يوم الاثنين ، فمن هذه حاله لم تسكر حجج الرسالة على سمعه ، ولا تواترت أعلام النبوة على مشاهدته ، ولا تطاول الوقت عليه لتخف محنته ويسقط ثقل تكليفه ، بل بان فضله وظهر حسن اختياره لنفسه ، إذ أسلم حال بلوغه ، وعانى نوازع طبعه ، ولم يؤخر ذلك بعد سماعه .

وقد غمر الجاحظ في كتابه هذا أن أبا بكر كان قبل إسلامه مذكورا ، ورئيسا معروفاً ، يجتمع إليه كثير من أهل مكة فينشدون الأشعار ويتذاكرون الأخبار ويشربون الخمر ، وقد كان سمع دلائل النبوة ، وحجج الرسل ، وسافر إلى البلدان ووصلت إليه الأخبار ، وعرف دعوى الكهنة وحيل السحرة ، ومن كان كذلك كان انكشاف الأمور له أظهر ، والإسلام عليه أسهل ، والخواطر على قلبه أقل اعتلاجا ، وكل ذلك عون لأبي بكر على الإسلام ، ومسهل إليه سبيله ، ولذلك لما قال النبي صلى الله عليه وآله : « أتيت بيت المقدس » سأله أبو بكر عن المسجد وموضعه ، فصدقه وبان له أمره ، وخفت مؤنته لما تقدم من معرفته بالبيت . فخرج إذاً إسلام أبي بكر على قول الجاحظ من معنى المقتضب .

وفي ذلك رويتم عنه صلى الله عليه وآله أنه قال : « ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا وكان له تردد ونبوة إلا ما كان من أبي بكر فإنه لم يتلعم حتى هجم به اليقين إلى المعرفة والإسلام . فأين إسلام هذا وإسلام من خُلِّي وعقله ، وأُلجئ إلى نظره مع صغر سنه واعتلاج الخواطر على قلبه ، ونشأته في ضد ما دخل فيه ، والغالب على أمثاله وأقرانه حب اللعب واللهو . فلجأ إلى ما ظهر له من دلائل الدعوة ، ولم يتأخر إسلامه فيلزمه التقصير بالمعصية ، فقهر شهوته ، وغالب خواطره ، وخرج من عادته وما كان غُذِي به ، لصحة نظره ، ولطافة فكره ، وغامض فهمه ؛ فمظم استنباطه ، ورجح فضله ، وشرف قدر إسلامه ، ولم يأخذ من الدنيا بنصيب ولا تنعم فيها بنعيم ، حدثاً ولا كبيراً ، [وحمى نفسه عن الهوى ^(١)] ، وكسر شِرَّة حدائته بالتقوى ، واشتغل بهم الدين عن نعيم الدنيا ، وأشغل ^(٢) هم الآخرة قلبه ، ووجه إليه رغبته ، فإسلامه هو السبيل الذي لم يسلم عليه أحد غيره ، وما سبيله في ذلك إلا كسبيل الأنبياء ، ليعلم أن منزلته من النبي صلى الله عليه وآله كمنزلة هارون من موسى ، وأنه وإن لم يكن نبياً فقد كان في سبيل الأنبياء سالكا ، ولمهاجهم متبعا ، وكانت حاله كحال إبراهيم عليه السلام ، فإن أهل العلم ذكروا أنه لما كان صغيراً جعلته أمه في سَرَب لم يطلع عليه أحد ، فلما نشأ ودرج وعقل قال لأمه : من ربى ؟ قالت : أبوك . قال : فمن رب أبي ؟ فزبرته ونهرته ، إلى أن اطلع من شق السرب فرأى كوكبا فقال : هذا ربى . فلما أفل قال : لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغا قال : هذا ربى . فلما أفل قال : لئن لم يهدينى ربى لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال : هذا ربى هذا أكبر . فلما أفلت قال : يا قوم إني برىء مما تشركون ، إني وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين . وفي ذلك يقول الله جل ثناؤه : « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين » . وعلى هذا كان إسلام الصديق الأكبر

(١) التكملة من ط .

(٢) كذا في المصنفين ، ولعلها « أشعر » .

عليه السلام . لسنا نقول إنه كان مساويا له في الفضيلة ، ولكن كان مقتديا بطريقه ، على ما قال الله تعالى : « إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين » .

وأما اعتلال الجاحظ^(١) بأن لهظهراً كأبي طالب ، ورداءً كبني هاشم ، فإنه يوجب عليه أن يكون محنة أبي بكر وبلال وثوابهما وفضل إسلامهما أعظم مما لرسول الله صلى الله عليه وآله ، لأن أبا طالب ظهره ، وبني هاشم رداؤه . وحسبك جهلا من معاند لم يستطع حط قدر علي عليه السلام إلا بحطه من قدر رسول الله صلى الله عليه وآله .

ولم يكن أحد أشد على رسول الله صلى الله عليه وآله من قراباته الأدنى منهم فالأدنى كأبي لهب عمه ، وامرأة أبي لهب ، وهي أم جميل بنت حرب بن أمية وإحدى أولاد عبد مناف . ثم ما كان من عقبة بن أبي معيط وهو ابن عمه ، وما كان من النضر بن الحارث وهو من بني عبد الدار بن قصي وهو ابن عمه أيضا ، وغير هؤلاء ممن يطول تعدادهم ، وكلهم كان يطرح الأذى في طريقه وينقل أخباره ، ويرمي بالحجارة ، ويرمي الكرش والفرث^(٢) عليه . وكانوا يؤذون عليا عليه السلام كأذاه ، ويجهدون في غمه ويستهنئون به ، وما كان لأبي بكر قرابة تؤذيه كقرابة علي . ولما كان بين علي وبين النبي صلى الله عليه وآله من الاتحاد والإلف والاتفاق ، أحجم المنافقون بالمدينة عن أذى رسول الله صلى الله عليه وآله خوفا من سيفه وأنه صاحب الدار والجيش ، وأمره مطاع وقوله نافذ ، فخافوا على دمائهم منه فاتقوه ، وأمسكوا عن إظهار بغضه وأظهروا بنص على عليه السلام وشنآنه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله في حقه الخبر الذي روى في جميع الصحاح : « لا يحبك إلا مؤمن ، ولا يبغيضك إلا منافق » . وقال كثير من أعلام الصحابة كما روى في الخبر المشهور بين المحدثين : « ما كنا نعرف المنافقين إلا يبغيض علي بن أبي طالب » . وأين كان ظهر

(١) هذا ما في ط . وبديها في الأصل : « وقوله » فقط .

(٢) في الأصل : « والضرب » صوابه في ط .

أبي طالب من جعفر وقد أزعجه الأذى عن وطنه حتى هاجر إلى بلاد الحبشة وركب البحر . أيتوهم الجاحظ أن أبا طالب نصر عليا وخذل جعفرًا ؟

(٥)

ص ٢٥ — ٢٧ من العثمانية

أما ما ذكره من كثرة المال والصديق ، واستفاضة الذكر وبعد الصيت ، وكبر السن ، فكله عليه لاله . وذلك لأنه قد علم أن من سيرة العرب وأخلاقها حفظ الصديق ، والوفاء بالذمام ، والتهيب لدى الثروة ، واحترام ذى السن العالية ، وفي كل هذا ظهر شديد وسند ، وثقة يعتمد عليها عند المحن ، ولذلك كان المرء منهم إذا تمكن من صديقه أبقى عليه واستحيا منه ، وكان ذلك سببا لنجاته والعفو عنه .

على أن علي بن أبي طالب عليه السلام إن لم يكن شهره سده فقد شهره نسبه وموضعه من بني هاشم ، وإن لم يستفض ذكره بقاء الرجال وكثرة الأسفار استفاض بأبي طالب . فأنتم تعلمون أنه ليس تيم في بعد الصيت كهاشم ، ولا أبو قحافة كأبي طالب . وعلى حسب ذلك يعلو ذكر الفتى على ذى السن ، ويبعد صيت الحدث على الشيخ .

ومعلوم أيضا أن عليا على أعناق المشركين أثقل ، إذ كان هاشميا وإن كان أبوه حامى رسول الله صلى الله عليه وآله والمانع لحوزته . وعلى هو الذى فتح على العرب باب الخلاف واستهان بهم بما أظهر من الإسلام والصلاة ، وخالف رهنه وعشيرته وأطاع ابن عمه فيما لم يعرف من قبل ، ولا عهد له نظير ، كما قال تعالى : « لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون » .

ثم كان بعد صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله ومشتكى حزنه ، وأنيسه في خلوته وجليسه ، وأليفه في أيامه كلها . وكل هذا يوجب التحريض عليه ومعاداة العرب له .

ثم أنتم معاشر^(١) العثمانية تثبتون لأبي بكر فضيلة بصحبة الرسول صلى الله عليه

(١) ط : « معاشر »

وآله من مكة إلى يثرب ، ودخوله معه في الغار ، فقلتم : مرتبة شريفة ، وحالة جلييلة ، إذ كان شريكه في الهجرة ، وأنيسه في الوحشة ، فأين هذه من صحبة على عليه السلام له في خلوته ، وحيث لا يجد أنيساً غيره ليلته ونهاره ، أيام مقامه بمكة يعبد الله معه سرا ، ويتكاف له الحاجة جهرا ، ويخدمه كالعبد يخدم مولاه ، ويشفق عليه ويحوطه ، وكالولد يبر والده ويمطف عليه .

ولما سئلت عائشة : من كان أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قالت : أما من الرجال فعلى ، وأما من النساء ففاطمة .

(٦)

ص ٢٧ — ٣١ من النهاية

أما القول فممكن والدعوى سهلة ، سيما على مثل الجاحظ ، فإنه ليس على لسانه من دينه وعقله رقيب ، وهو من دعوى الباطل غير بعيد ، فمعناه نزر ، وقوله لفر ، ومطلبه سجع ، وكلامه لعب ولهو ، يقول الشيء وخلافه ويحسن القول وضده ، ليس له من نفسه واعظ ، ولا لدعواه حد قائم . وإلا فكيف تجاسر على القول بأن عليا حينئذ لم يكن مطلوباً ولا طالباً ؟ لقد بينا بالأخبار الصحيحة والحديث المرفوع المسند أنه كان يوم أسلم بالغاً كاملاً ، منابذاً بلسانه وقلبه لمشركي قريش ، ثقيلاً على قلوبهم ، وهو المخصوص دون أبي بكر بالحصار في الشعب ، وصاحب الخلوات برسول الله صلى الله عليه وآله في تلك الظلمات ، المتجرع لغصص المرار من أبي لهب وأبي جهل وغيرها ، والمصطلي لكل مكروه ، والشريك لنبيه في كل أذى ، قد نهضَ بالحمل الثقيل ، وبان بالأمر الجليل . ومن الذي كان يخرج ليلاً من الشعب على هيئة السارق ، ويخفي نفسه وبضائل شخصه ، حتى يأتي إلى من يبعثه إليه أبو طالب من كبراء قريش ، كطعم بن عدى وغيره ، فيحمل لبني هاشم على ظهوره أعدال الدقيق والقمح ، وهو على أشد خوف من أعدائهم كأبي جهل وغيره ، لو ظفروا به لأراقوا دمه . أعلى كان يفعل ذلك أيام الحصار في الشعب أم أبو بكر ؟

وقد ذكر هو عليه السلام حاله يومئذ ، فقال في خطبة له مشهورة : « فتماقدوا ألا يماملونا ولا يذاكونا ، وأوقدت الحرب علينا نيرانها ، واضطرونا إلى جبل وعمر ، مؤمننا يرجو الثواب ، وكافرنا يحامى عن الأصل » . ولقد كانت القبائل كلها اجتمعت عليهم ، وقطموا عنهم المسادة والميرة ، فكانوا يتوقعون الموت جوعاً صباحاً ومساءً ، لا يرون وجهاً ولا فرجاً ، قد اضمحل عزمهم وانقطع رجاؤهم ، فن الذي خلص إليه مكروه تلك المحن بعد محمد صلى الله عليه وآله إلا على عليه السلام وحده . وما عسى أن يقول الواصف والطنب في هذه الفضيلة من تقصى معانيها وبلوغ غاية كنهها وفضيلة الصابر عندها . ودامت هذه المحنة ثلاث سنين حتى ^(١) انفرجت عنهم بقصة الصحيفة . والقصة مشهورة .

وكيف يستحسن الجاحظ لنفسه أن يقول في على عليه السلام : إنه قبل الهجرة كان وادعاً رافهاً ، لم يكن مطلوباً ولا طالباً ، وهو صاحب الفراش ، الذي فدى رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه ، ووقاه بمهجته ، واحتمل السيوف ، ورضخ الحجارة دونه . وهل ينتهى الواصف وإن أطنب ، والمادح وإن أسهب ، إلى الإبانة عن مقدار هذه الفضيلة ، والإيضاح لمزية هذه الخصلة .

فأما قوله : « إن أبا بكر عذب بمكة » فإننا لا نعلم أن العذاب كان واقعاً إلا بعبد أو عسيف ، أو لمن لا عشيرة له تمنعه . فأنتم في أبي بكر بين أمرين : تارة تجعلونه دخيلاً ساقطاً وهجيناً ، وذليلاً مستضعفاً [ذليلاً] ، وتارة تجعلونه رئيساً متبعاً وكبيراً مطاعاً ، فاعتمدوا على أحد القولين لنكلمكم بحسب ما تختارونه لأنفسكم .

ولو كان الفضل في الفتنة والعذاب لكان عمار وخباب وبلال وكل معذب بمكة أفضل من أبي بكر ، لأنهم كانوا من العذاب في أكثر مما كان فيه ، ونزل فيهم من القرآن ما لم ينزل فيه ، كقوله تعالى : « والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا » قالوا : نزلت في خباب وبلال . ونزل في عمار قوله : « إلا من أكره وقلبه

(١) في الأصل : « لو » ، صوابه في ط .

مُطمئن بالإيمان . وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يمر على عمار وأبيه وأمه وهم يعذبون ، يعذبهم بنو مخزوم لأنهم كانوا حلفاءهم ، فيقول : « صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة ! » . وكان بلال يقلب على الرمضاء وهو يقول : أحد أحد ! ! وما سمعنا لأبي بكر في شيء من ذلك ذكراً .

ولقد كان لملي عليه السلام عنقه يد غراء — إن صح ما رويتموه في تعذيبه — لأنه قتل نوفل بن خويلد ، وعمير^(١) بن عثمان يوم بدر . ضرب نوفلاً فقطع ساقه فقال : أذكرك الله والرحم ! فقال : قد قطع الله كل رحم وصهر ، إلا من كان تابعاً لمحمد ! ثم ضربه أخرى ففاضت نفسه . وصمد لعمير^(٢) بن عثمان التيمى فوجده يروم الهرب وقد ارتج عليه المسلك ، فضربه على شراسيف^(٣) صدره ، فصار نصفه الأعلى بين رجله . وليس أن أبا بكر لم يطلب بثأره منهما ويجهده ، [لكنه] لم يقدر على أن يفعل فعل علي عليه السلام ، فبان على عليه السلام بفعله دونه .

(٧)

ص ٢٨ — ٢٩ من العثمانية

كيف كانت بنو جمح تؤذى عثمان بن مظعون وتضربه وهو فيهم ذو سطوة وقدر ، وترك أبا بكر يبنى مسجداً يفعل فيه ما ذكرتم . وأنتم الذين رويتم عن ابن مسعود أنه قال : « ما صلينا ظاهرين حتى أسلم عمر بن الخطاب » . والذي تذكرونه من بداء المسجد كان قبل عمر ، فكيف هذا ؟

وأما ما ذكرتم من رقة صوته وعَتَاق^(٤) وجهه فكيف يكون ذلك وقد روى الواقدي وغيره ، أن عائشة رأت رجلاً من العرب خفيف العارضين ، معروق الخدين ،

(١) هذه من ط .

(٢) في الأصل : « عمر » ، صوابه في ط والسيرة ٥٠٨ .

(٣) كذا في ط . وفي الأصل : « شر سوف » .

(٤) العتاق : العتق .

غائر الميئين ، أجهأ^(١) لا يمكك إزاره ، قتالت : مارأيت أشبه بأبي بكر من هذا .
فلا اها دلت على شيء من الجمال في صفته .

(٨)

ص ٣١ — من العثمانية

هذا الكلام ومُجر السكران سواء في تقارب المخرج واضطراب المعنى ، وذلك أن
قريشاً لم تقدر على أذى النبي صلى الله عليه وآله وأبو طالب حتى يمنعه ، فلما مات طلبته
لتمقتله ، فخرج تارة إلى بنى عامر ، وتارة إلى ثقيف ، وتارة إلى بنى شيبان ، ولم يكن
يتجاسر على المقام بمكة إلا مستتراً حتى أجاره مطعم بن عدي ، ثم خرج إلى المدينة
فبذلت فيه مائة مئة بمير لشدة حنقها عليه ، حين فاتها فلم تقدر عليه . فما بالها بذلت في
أبي بكر مائة بمير أخرى وقد كان ردّ الجوار وبقي بينهم فرداً لا ناصر له ، ولا دافع
عنده ، يصنعون به ما يريدون . إما أن يكونوا أجهل البرية كلها ، أو يكون العثمانية
أكذب جيل في الأرض وأوقحه وجهاً . وهذا مما لم يذكر في سيرة ، ولا روى في
أثر ، ولا سمع به بشر ، ولا سبق الجاحظ به أحد .

(٩)

ص ٣١ — من العثمانية

ما أعجب هذا القول ، إذ تدعى العثمانية لأبي بكر الرفق في الدعاء وحسن الاحتجاج
وقد أسلم ومعه في منزله ابنه عبد الرحمن فما قدر أن يدخله الإسلام طوعاً برفقه واطف
احتجاجه ، ولا كرهاً بقطع النفقة عنه وإدخال المكروه عليه ، ولا كان لأبي بكر
عند ابنه عبد الرحمن من القدر ما يطيعه فيما يأمره به ويدعوه إليه ، كما روى أن
أبا طالب فقد النبي صلى الله عليه وآله يوماً وكان يخاف عليه من قريش أن يقتالوه فخرج
ومعه ابنه جعفر يطلبان النبي صلى الله عليه وآله ، فوجده قائماً في بعض شعاب

(١) الأجنأ من الجنأ ، وهو ميل الظاهر .

مكة يصلي وعلى عليه السلام معه عن يمينه ، فلما رآها أبو طالب قال لجعفر : تقدم وصِلْ جَنَاحَ ابْنِ عَمِّكَ ! فقام جعفر عن يسار محمد صلى الله عليه وسلم فلما صاروا ثلاثة تقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وتأخر الأخوان ، فبكى أبو طالب وقال :

إن عليا وجعفرًا ثقتي عند ملء الخطوب والنوب
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما أخى لأى من بينهم وأبى
والله لا أخذل النبي ولا يخذله من بنى ذو حسب

فتذكر الرواة أن جعفرًا أسلم منذ ذلك اليوم لأن أباه أمره بذلك وأطاع أمره . وأبو بكر لم يقدر على إدخال ابنه عبدالرحمن في الإسلام ، حتى أقام بمكة على كفره ثلاث عشرة سنة . وخرج يوم أحد في عسكر المشركين ينادى : أنا عبد الرحمن بن عتيق هل من مبارز ! ! ثم مكث بعد ذلك على كفره حتى أسلم عام الفتح ، وهو اليوم الذى دخلت فيه قريش في الإسلام طوعا وكرها ، ولم يجد أحد منها إلى ترك ذلك سبيلا . وأين كان رفق أبي بكر وحسن احتجاجه عند أبيه أبي قحافة وهما في دار واحدة ؟ هلا رفق به ودعاه إلى الإسلام فأسلم . وقد علمتم أنه بقى على الكفر إلى يوم الفتح فأحضره ابنه عند النبي صلى الله عليه وآله وهو شيخ كبير رأسه كالثغامة^(١) فنفر رسول الله صلى الله عليه وآله منه وقال : غيروا هذا . فحضبوه ثم جاءوا به مرة أخرى فأسلم . وكان أبو قحافة فقيرا مدقما سيئ الحال وأبو بكر عندهم كان مثيرا فائض المال ، فلم يمكنه استمالته إلى الإسلام بالنفقة والإحسان . وقد كانت امرأة أبي بكر أم عبد الله ابنه — واسمها نملة بنت عبد العزى بن أسعد بن عبد ود العامرية — لم تسلم وأقامت على شركها بمكة ، وهاجر أبو بكر وهى كافرة ، فلما نزل قوله تعالى : « ولا تمسكوا بمعصم الكوافر » فطلعتها أبو بكر . فمن عجز عن ابنه وأبيه وامراته فهو عن غيرهم من الغرباء أعجز ، ومن لم يقبل منه أبوه وابنُه وامراته لا يرفق واحتجاج ، ولا خوفاً من قطع النفقة عنهم وإدخال المكروه عليهم فغيرهم أقل قبولا منه ، وأقل خلافاً عليه .

(١) الثغامة ، كسحاب : ضرب من النبات أبيض .

(١٠)

ص ٣١ — ٣٢ من العمانية

أخبرونا من هذا الذي أسلم ذلك اليوم من أهل بيت أبي بكر ، إذا كانت امرأته لم تسلم وابنه عبد الرحمن لم يسلم وأبو قحافة لم يسلم ، وأخته أم فروة لم تسلم ، وعائشة لم تكن قد ولدت في ذلك الوقت ، لأنها ولدت بعد مبعث النبي صلى الله عليه وآله بخمس سنين ، ومحمد بن أبي بكر ولد بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله بثلاث وعشرين سنة ، لأنه ولد في حجة الوداع . وأسماء بنت أبي بكر التي قد روى الجاحظ هذا الخبر عنها كانت يوم بعث رسول الله صلى الله عليه وآله بنت أربع سنين ، وفي رواية من يقول : بنت سنتين . فمن الذي أسلم من أهل بيته يوم أسلم . نعوذ بالله من الجهل والكذب والمكابرة . وكيف أسلم سعد والزبير وعبد الرحمن بدعاء أبي بكر وليسوا من رهطه ولا من أترابه ولا من جلسائه ولا كانت بينهم قبل ذلك صداقة متقدمة ولا أنس و كيد . وكيف ترك أبو بكر عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة لم يدخلهما في الإسلام برفقه وحسن دعائه ، وقد زعمتم أنهما كانا يجلسان إليه لعلهما وطريف حديثه . وما باله لم يدخل جبير بن مطعم في الإسلام وقد ذكرتم أنه أدبه وخرجه ، ومنه أخذ جبير العلم بأنساب قريش وما أثرها . فكيف عجز عن هؤلاء الذين عددناهم — وهم منه بالحال التي وصفنا — ودعا من لم يكن بينه وبينه أنس ولا معرفة إلا معرفة عيان . وكيف لم يقبل منه عمر بن الخطاب وقد كان شكله وأقرب الناس شبيها به في أغلب أخلاقه . ولئن رجعت إلى الإنصاف لتعلمن أن هؤلاء لم يكن إسلامهم إلا بدعاء الرسول صلى الله عليه وآله لهم ، وعلى يديه أسلموا .

ولو فكرتم في حسن التأني في الدعاء ليصحن لأبي طالب في ذلك — على شركه — أضغاث ما ذكرتموه لأبي بكر ، لأنكم رويتم أن أبا طالب قال لعلي عليه السلام : يا بني الزمه فإنه لن يدعوك إلا إلى خير . وقال لعمرك : صل جناح ابن عمك . فأسلم بقوله ، ولأجله أصفق بنو عبد مناف على نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله

بمكة من بنى مخزوم وبنى سهم وبنى جمح . ولأجله صبر بنو هاشم على الحصار في الشعب ، وبدعائه وإقباله على محمد صلى الله عليه وآله أسلمت امرأته فاطمة بنت أسد . فهو أحسن رفقا وأيمن تقيّة من أبي بكر وغيره . وما منعه عن الإسلام إن ثبت أنه لم يسلم إلا تقيّة . وأبو بكر لم يكن له إلا ابن واحد ، وهو عبد الرحمن ، فلم يمكنه أن يدخله في الإسلام ولا أمكنه إذ لم يقبل منه الإسلام أن يجعله كبعض مشركي قريش في قلة الأذى لرسول الله صلى الله عليه وآله وفيه أنزل : « والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي ، وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين » .

ولمّا يعرف حسن رفق الرجل وتأثيره بأن يصلح أولاً أمر بيته وأهله ثم يدعو الأقرب فالأقرب ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله لما بعث كان أول من دعا زوجته خديجة ثم مكفولة وابن عمه عليا عليه السلام ، ثم مولاه زيدا ، ثم أم أيمن خادمته . فهل رأيتم أحداً ممن كان يأوى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله لم يسارع ؟ وهل الثالث عليه أحد من هؤلاء ؟ فهكذا يكون حسن التأني والرفق في الدعاء . هذا ورسول الله مقل ، وهو من جملة عيال خديجة حين بعثه الله تعالى ، وأبو بكر عندهم كان موسراً وكان أبوه مقتراً^(١) ، وكذلك ابنه وامرأته أم عبد الله . والموسر في فطرة العقول أولى أن يتبع من المقتّر . ولما حسن التأني والرفق في الدعاء ما صنعه مصعب بن عمير لسعد بن معاذ لما دعاه ، وما صنع سعد بن معاذ ببني عبد الأشهل لما دعاهم وما صنع بريدة بن الحصيب بأسلم لما دعاهم ، قالوا : أسلم بدعائه ثمانون بيتاً من قومه . وأسلم بنو عبد الأشهل بدعاء سعد في يوم واحد . وأما من لم يسلم ابنه ولا امرأته ولا أبوه ولا أخته بدعائه فهيئات أن يوصف ويذكر بالرفق في الدعاء ، وحسن التأني والأناة .

(١) المقتّر : القليل المال .

(١١)

ص ٣٣ - ٣٥ من العثمانية

أما بلال وعاصم بن فهيرة فإنما أعتقهما رسول الله صلى الله عليه وآله .
روى ذلك الواقدي وابن إسحاق وغيرهما . وأما باقى مواليتهم الأربعة فإن
سامحناكم فى دعواكم لم يبلغ ثمنهم فى تلك الحال لشدة بنص مواليتهم لهم إلا مائة درهم
أو نحوها ، فأى فخر فى هذا ؟

وأما الآية فإن ابن عباس قال فى تفسيرها : « وأما من من أعطى واتقى . وصدق
بالحسنى . فسيسره لليسرى » أى لأن يعود . وقال غيره : نزلت فى مصعب بن عمير .

(١٢)

ص ٣٥ - ٣٦ من العثمانية

أخبرونا على أى نوائب الإسلام أنفق هذا المال ، وفى أى وجه وضعه ، فإنه ليس
بجائز أن يخفى ذلك ويدرس حتى يفوت حفظه ، وينسى ذكره .
وأنتم فلم تقفوا على شىء أكثر من عتقه بزمكم ست رقاب لعلها يبلغ ثمنها فى
ذلك المصر مائة درهم . وكيف يدعى له الإنفاق الجليل وقد باع من رسول الله صلى
الله عليه وآله بعيرين عند خروجه إلى يثرب وأخذ منه الثمن فى تلك الحال ، روى
ذلك جميع المحدثين .

وقد رويتم أيضا أنه كان حيث كان بالمدينة موسرا . ورويتم عن عائشة أنها
قالت : هاجر أبو بكر وعنده عشرة آلاف درهم . وقلتم إن الله تعالى أنزل فيه :
« ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى » .

قلتم : هى فى أبى بكر ومسطح بن أثانة . فأين الفقر الذى زعمتم أنه أنفق حتى
تخلل بالعبادة (١) .

(١) فى الأصل : « بالعباء » ، وأثبت ما فى ط .

ورويتم أن الله تعالى في سمائه ملائكة تخلّلوا بالماء وأن النبي صلى الله عليه وآله
رآهم ليلة الإسراء فسأل جبريل عنهم فقال : هؤلاء ملائكة تأسّوا بأبي بكر بن أبي
قحافة صديقك في الأرض ، فإنه سينفق عليك ماله حتى يخل عباة في عنقه .

وأنتم رويتم أيضا أن الله تعالى لما أنزل آية النجوى فقال : « يا أيها الذين آمنوا إذا
ناجيتكم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلكم خير لكم » ، الآية . لم
يعمل بها إلا علي بن أبي طالب وحده ، مع إقراركم بفقره وقلة ذات يده ، وأبو بكر في
الذي ذكرنا من السعة أمسك عن مناجاته ، فعاتب الله المؤمنين في ذلك فقال :
« أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم » ،
فجعله سبحانه ذنبا يتوب عليهم منه ، وهو إمساكهم عن تقديم الصدقة . فكيف
سخت نفسه بإنفاق أربعين ألفا وأمسك عن مناجاة الرسول ، وإنما كان يحتاج إلى
إخراج درهمين .

وأما ما ذكرتم من كثرة عياله ونفقته عليهم فليس في ذلك دليل على تفضيله ، لأن
نفقته على عياله واجبة . مع أن أرباب السير ذكروا أنه لم يكن ينفق على أبيه شيئا ،
وأنه كان أجيرا لابن جُدعان على مائدته يطرد عنها الذباب .

(١٣)

ص ٣٧ — ٣٩ من العثمانية

إننا لا ننكر فضل الصحابة وسوابقهم . واسننا كالإمامية الذين يحملهم الهوى على
جحد الأمور المألومة ، ولسنا ننكر تفضيل أحد الصحابة على علي بن أبي طالب
ولسنا ننكر غير ذلك — وننكر تعصب الجاحظ للعثمانية وقصده إلى فضائل هذا
الرجل ومناقبه بالرد والإبطال . وأما حمزة فهو عندنا ذو فضل عظيم ، ومقام جليل ،
وهو سيد الشهداء الذين استشهدوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله .

وأما فضل عمر فغير منكر ، وكذلك الزبير وسعد ، وليس فيما ذكرنا ما يقتضي
كون علي عليه السلام مفضولا لهم أولغيرهم إلا قوله « وكل هذه الفضائل لم يكن لعل
عليه السلام فيها ناقة ولا جمل » فإن هذا من التعصب البارد والحيف ، الفاحش .

وقد قدمنا من آثار على عليه السلام قبل الهجرة وماله إذ ذاك من المناقب والخصائص ما هو أفضل وأعظم وأشرف من جميع ما ذكر لهؤلاء . على أن أرباب السيرة يقولون : إن الشجرة التي شجها سعد ، وأن السيف الذي سله الزبير هو الذي جلب الحصار في الشعب على النبي صلى الله عليه وآله وبني هاشم ، وهو الذي سير جعفر وأصحابه إلى الحبشة . وسل السيف في الوقت الذي لم يؤمر المسلمون فيه بسل السيف غير جائز .

قال تعالى . « ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله » فتبين أن التكليف له أوقات ، فمنها وقت لا يصلح فيه سل السيف ، ومنها وقت يصلح فيه ويجب .

فأما قوله تعالى : « لا يستوى منكم من أنفق » فقد ذكرنا ما عندنا من دعوام لأبي بكر إنفاق المال . وأيضا فإن الله تعالى لم يذكر إنفاق المال مفردا ، وإنما قرن به القتال . ولم يكن أبو بكر صاحب قتال وحرب ، فلا تشمل الآية . وكان على عليه السلام صاحب قتال وإنفاق قبل الفتح . أما قتاله فمعلوم بالضرورة ، وأما إنفاقه فقد كان على حسب حاله وفقره . وهو الذي أطعم الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا . وأنزلت فيه وفي زوجته وابنيه سورة كاملة من القرآن^(١) ، وهو الذي ملك أربعة دراهم فأخرج منها درهما سرا ودرها علانية ليلا ، ثم أخرج منها في النهار درهما سرا ودرها علانية ، فأنزل فيه قوله تعالى « الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية » .

وهو الذي قدم بين يدي نجواه صدقة دون المسلمين كافة .

وهو الذي تصدق بخاتمه وهو راكم ، فأنزل الله فيه : « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » .

(١) هذا من عظيم الافتراء . زعم ذلك بعض غلاة الشيعة . انظر فصل الخطاب ، الحسين ابن محمد نقى النورى الطبرسى ص ١٥٦ ، فقد أورد سورة غنقة أولها « بسم الله الرحمن الرحيم . يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنورين أنزلناهما يتلوان عليكم آياتي ويحذرانكم عذاب يوم عظيم » ١

(١٤)

ص ٢٩ — ٤٠ من العثمانية

لا أشك أن الباطل خان أبا عثمان ، والخطأ أقعده ، والخذلان أصاره إلى الحيرة ، فما علم وعرف حتى قال ما قال . فزعم أن عليا عليه السلام قبل الهجرة لم يمتحن ولم يكابد المشاق ، وأنه إنما قامى مشاق التكليف وعمن الابتلاء منذ يوم بدر ، ونسى الحصار في الشعب ومأمنى به ، وأبو بكر وادع رافته يأكل ما يريد ويجلس مع من يحب غلى سربه طيبة نفسه ، ساكنا قلبه ، وعلى يقامى الغمرات ويكابد الأهوال ، ويجوع ويظما ، ويتوقع القتل صباحا ومساء ؛ لأنه كان هو المتوصل المحتال في إحضار قوت زهيد من شيوخ قريش وعقلائها سرا ، ليقم به رمق رسول الله صلى الله عليه وآله وبني هاشم وهم في الحصار ، ولا يأمن في كل وقت مفاجأة أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله له بالقتل ، كأبي جهل بن هشام ، وعقبة بن أبي معيط ، والوليد بن المغيرة ، وعتبة بن ربيعة ، وغيرهم من فراعنة قريش وجبابرتها . ولقد كان يجمع نفسه ويظم رسول الله صلى الله عليه وآله زاده ، ويظمى نفسه ويستقيه ماءه ، وهو كان الملل له إذا مرض ، والمؤنس له إذا استوحش ، وأبو بكر بنجوة عن ذلك لا يمسهم ألم ، ولم يلحقه مما يلحقهم مشقة ، ولا يعلم بشيء من أخبارهم وأحوالهم إلا على سبيل الإجمال دون التفصيل ، ثلاث سنين محرومة معاملتهم ومناحتهم ومجالستهم ، محبوسين محصورين ، ممنوعين من الخروج ، والتصرف في أنفسهم . فكيف أهمل الجاحظ هذه الفضيلة ونسى هذه الخصيصة ولا نظير لها . ولكن لا يبالى الجاحظ بعد أن يسوغ له لفظه وتُنسَق^(١) له خطابته ماضيع من المعنى ورجع عليه من الخطأ .

فأما قوله « وعلموا أن العاقبة للمتقين » ففيه إشارة إلى معنى غامض قصده الجاحظ ، يعنى أن لا فضيلة لعل عليه السلام في الجهاد ؛ لأن الرسول كان أعلمه أنه

(١) كذا في ط. وفي الأصل : « وتُنسَق » .

منصور ، وأن العاقبة له . وهذا من وساوس الجاحظ وهمزاته ولمزاته ، وليس بحق ما قاله ، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله أعلم أصحابه جملة أن العاقبة لهم ، ولم يعلم واحداً منهم بعينه أنه لا يقتل لا علياً ولا غيره . وإن صح أنه كان أعلمه أنه لا يقتل فلم يعلمه أنه لا يقطع عضو من أعضائه ، ولم يعلمه أنه لا يمسه ألم الجراح في جسده ، ولم يعلمه أنه لا يناله الضرب الشديد .

وعلى أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد أعلم أصحابه قبل يوم بدر ، وهو يومئذ بمكة ، أن العاقبة لهم ، كما أعلم أصحابه بعد الهجرة ذلك . فإن لم يكن لعلى والمجاهدين فضيلة في الجهاد بعد الهجرة لإعلامه إياهم بذلك فلا فضيلة لأبي بكر وغيره في احتمال المشاق قبل الهجرة ؛ لإعلامه إياهم بذلك . فقد جاء في الخبر : أنه وعد أبا بكر قبل الهجرة بالنصر ، وأنه قال له : أرسلت إلى هؤلاء بالذبح وأن الله سيفنمنا أموالهم ويملكنا ديارهم . فالقول في الموضعين متساو ومتفق^(١) .

(١٥)

ص ٤١ - ٤٢ من الثمانية

ما نرى الجاحظ احتج لكون أبي بكر أغلظهم وأشدهم محنة إلا بقوله : لأنه أقام بمكة مدة مقام الرسول صلى الله عليه وآله بها . وهذه الحجة لا تختص أبا بكر وحده ، لأن علياً عليه السلام أقام معه هذه المدة ، وكذلك طلحة وزيد وعبد الرحمن وبلال وخباب وغيرهم . وقد كان الواجب عليه أن يخص أبا بكر وحده بحجة تدل على أنه كان أغلظ الجماعة وأشدهم محنة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله . فالاحتجاج في نفسه فاسد .

ثم يقال له : ما بالك أهملت أمر مبيت على عليه السلام على الفراش بمكة ليلة الهجرة ، هل نسيته أم تناسيته ؟ فإنها المحنة العظيمة والفضيلة الشريفة ، التي متى امتحنها الناظر وأجال فكره فيها ، رأى تحتها فضائل متفرقة ، ومناقب متغايرة . وذلك :

(١) في ط : « ومتفق »

أنه لما استقر الخبر عند المشركين أن رسول الله صلى الله عليه وآله يُجمع على الخروج من بينهم للهجرة إلى غيرهم قصدوا إلى معاجلته ، وتماقدوا على أن يبيتوه في فراشه وأن يضربوه بأسياف كثيرة ، بيد كل صاحب قبيلة من قريش سيفٌ منها ؛ ليضيق دمه بين الشعوب ، ويتفرق بين القبائل ، ولا يطلب بنو هاشم بدمه قبيلة واحدة بعينها من بطون قريش ، وتحالفوا على ذلك تلك الليلة واجتمعوا عليها ، فلما علم رسول الله صلى الله عليه وآله من أمرهم دعا أوثق الناس عنده وأمثلهم في نفسه ، وأبذلهم في ذات الإله لمهجته ، وأسرعهم إجابة إلى طاعته ، فقال له : إن قريشاً قد تحالفت على أن تبيتني هذه الليلة ، فامض إلى فراشي ونم في مضجعي والتف في بردي الحضرمي ، ليروا أنني لم أخرج ، وإني خارج إن شاء الله . فنهض أولاً من التحرز وإعمال الحيلة ، وصده عن الاستظهار لنفسه بنوع من أنواع المكائد والجهات التي يحتاط بها الناس لنفوسهم ، وأجأه إلى أن يعرض نفسه لظلمات السيوف الشحيذة من أرباب الحق والغيظة ، فأجاب إلى ذلك سامعاً مطيعاً ، طيبة بها نفسه ، ونام على فراشه صابراً محتسباً ، واقياً له بمهجته ينتظر القتل . ولا نعلم فوق بذل النفس درجة يلتبسها صابر ، ولا يبلغها طالب ، «والجود بالنفس أقصى غاية الجود»^(١) . ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وآله علم أنه أهل لذلك لما أهله ، ولو كان عنده نقص في صبره أوفى شجاعته أوفى مناصحته لابن عمه واختير لذلك ، لكان من اختاره منقوضاً في رأيه ، مضرراً في اختياره . ولا يجوز أن يقول هذا أحد من أهل الإسلام ، وكلهم مجمعون على أن الرسول صلى الله عليه وآله عمل الصواب ، وأحسن في الاختيار . ثم في ذلك إذا تأمله المتأمل وجوه من الفضل : منها أنه وإن كان عنده في موضع الثقة فإنه غير مأمون عليه ألا يضبط السر فيفسد التدبير بإفشائه تلك الليلة إلى من يليق به إلى الأعداء . ومنها أنه وإن كان ضابطاً للسر وثقة عند من اختاره فغير مأمون عليه الجبن عند مفاجأة المكروه ومباشرة الأحوال ، فيفر من الفراش ، فيفطن

(١) عجز بيت مسلم بن الوليد وصدره :

* يجود بالنفس إن ضن الجواد بها *

لموضع الحيلة ويطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيظفر به ومنها أنه وإن كان ثقة ضابطاً للسر شجاعاً نجداً فلمله غير محتمل للمبيت على الفراش ؛ لأن هذا أمر خارج عن الشجاعة إن كان قد قامه مقام المكتوف الممنوع ، بل هو أشد مشقة من المكتوف الممنوع ، لأن المكتوف الممنوع يعلم من نفسه أنه لا سبيل إلى الهرب وهذا يجد السبيل إلى الهرب وإلى الدفع عن نفسه ، ولا يهرب ولا يدافع . ومنها أنه وإن كان ثقة عنده ضابطاً للسر شجاعاً محتملاً للمبيت على الفراش فإنه غير مأمون أن يذهب صبره عند العقوبة الواقعة ، والعذاب النازل بساحته ، حتى يبوح بما عنده ويصير إلى الإقرار بما يعلمه ، وهو أنه أخذ طريق كذا ، فيطلب فيؤخذ . فلهذا قال علماء المسلمين : إن فضيلة على عليه السلام تلك الليلة لا نعلم أحداً من البشر نال مثلها ، إلا ما كان من إسحاق وإبراهيم عند استسلامه للذبح . ولولا أن الأنبياء لا يفضلهم غيرهم لقلنا إن محنة على أعظم ، لأنه قد روى أن إسحاق تلک لما أمره أن يضطجع ، وبكى على نفسه ، وقد كان أبوه يعلم أن عنده في ذلك وقفة ، ولذلك قال له : « فانظر ماذا ترى » ، وحال على عليه السلام بخلاف ذلك ، لأنه ما تلکاً ولا تمتع ولا تغير لونه ولا اضطربت أعضاؤه . ولقد كان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله يشيرون عليه بالرأى المخالف لما كان أمر به وتقدم فيه فيتركه ويعمل بما أشاروا به ، كما جرى يوم الخندق في مصانعة الأحزاب بثلك تمر المدينة ، فإنهم أشاروا عليه بترك ذلك فتركه . وهذه كانت قاعدته معهم وطأته بينهم . وقد كان لعلى عليه السلام أن يقتل بعلة وأن يقف ويقول : يا رسول الله ، أكون معك أحبيك من العدو ، وأذب بسيفي عنك ، فلست مستغنياً في خروجك عن مثلي ، ونجعل عبداً من عبيدنا في فراشك قائماً مقامك ، يتوهم القوم برؤيته نائماً في بردك أنك لم تخرج ولم تفارق مركزك . فلم يقل ذلك ولا تحبّس ، ولا توقف ولا تلعم ، وذلك لعلم كل واحد منهما صلى الله عليه وآله أن أحداً لا يصبر على ثقل هذه المحنة ، ولا يتورط في هذه الهلكة ، إلا من خصه الله تعالى بالصبر على مشقتها ، والفوز بفضيلتها . وله من جنس ذلك أفعال كثيرة ، كيوم دعا عمرو بن عبدود المسلمين

إلى المبارزة ، فأحجم الناس كلهم عنه لما علموا من بأسه وشدة . ثم كرر النداء فقام على عليه السلام فقال : أنا أبرز إليه ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنه عمرو . قال : نعم وأنا على . فأمره بالخروج إليه ، فلما خرج قال صلى الله عليه وآله : برز الإيمان كله إلى الشرك كله . وكيوم أحد حيث حمى رسول الله صلى الله عليه وآله من أبطال قريش وهم يقصدون قتله ، فقتلهم دونه حتى قال جبريل عليه السلام : يا محمد ، إن هذه هي المواساة . فقال : « إنه منى وأنا منه » . فقال جبريل : وأنا منكما . ولو عددنا أيامه ومقاماته التي شرى فيها نفسه لله تعالى لأطلنا وأسهبنا .

(١٦)

ص ٤٢ — ٤٣ من الثمانية

أما كثرة المستجيبين فالفضل فيها راجع إلى الجيب لا إلى الجاب . على أنا قد علمنا أن من استجاب لموسى عليه السلام أكثر ممن استجاب لنوح عليه السلام ، وثواب نوح أكثر ، لصبره على الأعداء ومقاساة خلافهم وعنهم .

وأما إنفاق المال فأين محنة النفي من محنة الفقر ، وأين يعدل إسلام من أسلم وهو غنى إن جاع أكل وإن أعيا ركب ، وإن عرى لبس ، قد وثق ببساره واستغنى بماله ، واستعان على نوائب الدنيا بثروته — بمن لا يجد قوت يومه ، وإن وجد لم يستأثر به ، فكان الفقر شعاره ، وفي ذلك قيل : « الفقر شعار المؤمن » ، وقال الله تعالى لموسى : يا موسى إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين . وفي الحديث « إن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام » . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهم احشرنى فى زمرة الفقراء » . ولذلك أرسل الله محمداً صلى الله عليه وآله فقيراً وكان بالفقر سميداً ، فقاسى محنة الفقر ومكابدة الجوع ، حتى شد الحجر على بطنه . وحسبك بالفقر فضيلة فى دين الله إن صبر عليه ، فإنك لا تجد صاحب الدنيا يتمناه ، لأنه مناف لحال الدنيا وأهلها ، وإنما هو شعار أهل الآخرة .

وأما طاعة علي عليه السلام وكون الجاحظ زعم أنها كانت لأن في عز محمد عزه وعز رهطه ، بخلاف طاعة أبي بكر ، فهذا يفتح عليه أن يكون جهاد حمزة كذلك ، وجهاد عبيدة بن الحارث ، وهجرة جعفر إلى الحبشة ، بل لعل محاربة المهاجرين من قريش على رسول الله صلى الله عليه وآله كانت لأن في دولته ودولتهم ، وفي نصرته استجداد ملك لهم . وهذا يجر إلى الإلحاد ويفتح باب الزندقة ، ويفضي إلى الطعن في الإسلام والنبوة .

(١٧)

ص ٤٤ من العثمانية

هذا فرق غير مؤثر ؛ لأنه قد ثبت بالتواتر حديث الفراش ، فلا فرق بينه وبين ما ذكر في نص الكتاب ، ولا يجحده إلا مجنون أو غير خالط لأهل الملة . أرايت كون الصلوات خمسا ، وكون زكاة الذهب ربع العشر ، وكون خروج الريح ناقضا للطهارة ، وأمثال ذلك مما هو معلوم بالتواتر حكمه ، هل هو مخالف لما نص في الكتاب عليه من الأحكام . هذا ما لا يقوله رشيد ولا عاقل . على أن الله تعالى لم يذكر اسم أبي بكر في الكتاب ، وإنما قال : « إذ يقول لصاحبه » ، وإنما علمنا أنه أبو بكر بالخبر وما ورد في السيرة . وقد قال أهل التفسير إن قوله تعالى : « ويمكر الله والله خير الماكرين » كناية عن علي عليه السلام ، لأنه مكر بهم . وأول الآية « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » . أنزلت في ليلة الهجرة ، ومكرهم كان توزيع السيوف على بطون قريش ، ومكر الله تعالى هو منام علي عليه السلام على الفراش . فلا فرق بين الموضعين في أنهما مذكوران كناية لا تصريحاً . وقد روى المفسرون كلهم أن قول الله تعالى : « ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله » أنزلت في علي عليه السلام ليلة البيت على الفراش . فهذه مثل قوله تعالى : « إذ يقول لصاحبه » ، لا فرق بينهما .

(١٨)

ص ٤٤ — ٤٥ من العثمانية

هذا هو الكذب الصراح والتحريف ، والإدخال في الرواية ما ليس منها .
والمعروف المنقول أنه صلى الله عليه وآله قال له : « اذهب فاضطجع في مضجعي
وتغش ببردى الحضرمي فإن القوم سيفقدونني ولا يشهدون مضجعي ، فلعلمهم إذا
رأوك يسكنهم ذلك حتى يصبحوا . فإذا أصبحت فاغد في أمانتي » ولم ينقل
ما ذكره الجاحظ ، وإنما ولده أبو بكر الأصم وأخذه الجاحظ ولا أصل له . ولو كان
هذا صحيحاً لم يصل إليه منهم مكروه .

وقد وقع الاتفاق على أنه ضرب ورمي بالحجارة قبل أن يعلموا من هو حتى
تضور ، وأنهم قالوا له : رأينا تضورك ، فإننا كنا نرى عمداً ولا يتضور . ولأن
لفظة « المكروه » إن كان قالها إنما يراد بها القتل ، فهب أنه أمن من القتل كيف
يأمن من الضرب والهوان ، أو من أن ينقطع بعض أعضائه ، وبأن سلمت نفسه .
أليس الله تعالى قال لنبيه : « بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته
والله يعصمك من الناس » . ومع ذلك فقد كسرت رباعيته وشج وجهه وأدميت
ساقه ، وذلك لأنها عصمة من القتل خاصة . وكذلك المكروه الذي أومن على عليه
السلام منه — إن كان صحيح ذلك الحديث — إنما هو مكروه القتل .

ثم يقال له : وأبو بكر لا فضيلة له أيضاً في كونه في الغار ؛ لأن النبي صلى الله عليه
وآله قال له : « لا تحزن إن الله معنا » ، ومن يكن الله معه فهو آمن لا محالة من
كل سوء ، فكيف قلت « ولم ينقل ناقل أنه قال لأبي بكر في الغار مثل ذلك »
فكل ما يجيب به عن هذا فهو جوابٌ عما أورده . فنقول له : هذا ينقلب عليك
في النبي صلى الله عليه وآله ؛ لأن الله تعالى وعده بظهور دينه وعاقبة أمره ، فيجيب على
قولك ألا يكون مثاباً عند الله تعالى على ما يحتمله من المكروه ولا ما يصيبه من
الأذى ، إذ كان أيقن بالسلامة والفتح في غده ^(١) .

(١) ط : « عدته » أي وعده ، وأثبت ما في الأصل .

(١٩)

ص ٤٥ - ٤٧ من العثمانية

لقد أعطى أبو عثمان مقولا وحرم معقولا ، إن كان يقول هذا على اعتقاد ورجة ، ولم يذهب به مذهب اللعب والهزل ، أو على طريق التفاسيح والتشادق ، وإظهار القوة والسلطة ، وذلاقة اللسان ، وحدة الخاطر ، والقوة على جدال الخصوم .

ألم يعلم أبو عثمان أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان أشجع البشر ، وأنه خاض الحروب وثبت في المواقف التي طاشت فيها الألباب وبلغت القلوب الحناجر .

فمنها يوم أحد ووقوفه بعد أن فر المسلمون بأجمعهم ولم يبق معه إلا أربعة : علي والزبير وطلحة وأبو دجانة ، فقاتل ورمى بالنبل حتى فنيت نبلة ، وانكسرت سية قوسه ، وانقطع وتره ، فأمر عكاشة بن محصن أن يوترها فقال : يا رسول الله لا يبلغ الوتر .

قال : أوتر ما بلغ . قال عكاشة : فوالذي بعثه بالحق لقد أوترت حتى بلغ وطويت منه شبرا على سية القوس ، ثم أخذها فما زال يرميهم حتى نظرت إلى قوسه قد تحطمت .

وبارز أبي بن خلف فقال له أصحابه : إن شئت عطف عليه بعضنا فأبى وتناول الحربة من الحارث بن الصمة ثم انتفض بأصحابه كما ينتفض البعير . قالوا : فتطأينا عنه تطأير شمارير^(١) فطمعته بالحربة فجعل يخور كما يخور الثور . ولو لم يدل على ثباته حين انهزم أصحابه وتركوه إلا قوله تعالى : « إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلَوْنَهَا عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُمْ » . فكونه عليه السلام في أخراهم وهم يصعدون ولا يلوون هاربين دليل على أنه ثبت ولم يفر .

وثبت يوم حنين في تسعة من أهله ورهطه الأذنين ، وقد فر المسلمون كلهم ، والنفر التسعة محدقون به : العباس أخذ بحكمة بنلته ، وعلي بين يديه مصلت سيفه ، والباقون حول بركة رسول الله صلى الله عليه وآله يمينه ويسرة ، وقد انهزم المهاجرون

(١) جمع شعور ، وهو ما يجتمع على دبرة البعير من الذبان .

والأنصار ، وكلا فورا أقدم هو صلى الله عليه وآله ، وصم مستقدا يلقي السيوف
والنبل بنحره وصدره ، ثم أخذ كفا من البطحاء وحصب المشركين وقال :
شاهت الوجوه !!

والخبر المشهور عن علي عليه السلام وهو أشجع البشر : « كنا إذا اشتد البأس
وحى الوطيس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وآله ولذنا به » . فكيف يقول
الجاحظ : إنه ماخض الحرب ولا خالط السيوف . وأى فرية أعظم من فرية من نسب
رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الإحجام واعتزال الحرب ؟ ! ثم أى مناسبة بين
أبي بكر ورسول الله صلى الله عليه وآله في هذا المعنى ليقبسه الجاحظ به ^(١) وينسبه
إلى رسول الله صلى الله عليه وآله صاحب الجيش والدعوة ، ورئيس الإسلام والملة
والمحوظ بين أصحابه وأعدائه بالسيادة ، وإليه الإيحاء والإشارة ، وهو الذى أحق
قريشاً والعرب ، وورى أكبادهم بالبراءة من آلهتهم وعيب دينهم وتضليل أسلافهم ،
ثم وترهم فيما بعد بقتل رؤسائهم وأكابرهم . وحق لثله إذا تفحى عن الحرب واعتزلها
أن يتفحى ويمتزل ، لأن ذلك شأن الملوك والرؤساء ، إذ كان الجيش منوطاً بهم
وبيقاتهم ، فمتى هلك الملك هلك الجيش ، ومتى سلم الملك أمكن أن يبقى عليه ملكه
وإن عطب جيشه بأن يستجد جيشاً آخر ، ولذلك نهى الحكماء أن يباشر الملك
الحرب بنفسه ، وخطؤوا الإسكندر لما بارز فوراً ^(٢) ملك الهند ، ونسبوه إلى مجانبه
الحكمة ، ومفارقة الصواب والحزم . فليقل لنا الجاحظ : أى مدخل لأبي بكر في هذا
المعنى ؟ ومن الذى كان يعرفه من أعداء المسلمين ^(٣) ليقصده بالقتل ، وهل هو إلا واحد
من عرض المهاجرين حكمه حكم عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وغيرها ، بل كان
عثمان أُنْبِئَ صَيْتاً ^(٤) وأشرف منه مركبا ، والعيون إليه أطمع ، والمدو عليه أحق

(١) هذه الكلمة وسابقتها ساقطتان من المطبوعة .

(٢) ط : « قوسرا » صوابه في الأصل . وفي معجم استينجاس ٩٤١ أن « فوراً » راجا قنوج
قتله الإسكندر .

(٣) ط : « الإسلام » .

(٤) ط : « أكثر منه صيتاً » .

وأَكَبَ . ولو قتل أبو بكر في بعض تلك المارك هل كان يؤثر قتله في الإسلام ضعفا أو يحدث فيه وهنا ، أو يخاف على الملة لو قتل أبو بكر في بعض تلك الحروب أن تندرس وتعفى آثارها وتنطمس منارها ، ليقول الجاحظ إن أبا بكر كان حكمه حكم رسول الله صلى الله عليه وآله في مجانبة الحروب واعتزالها . نعوذ بالله من الخذلان !

وقد علم العقلاء كلهم ممن له بالسير معرفة ، وبالأثار والأخبار ممارسة ، حال حروب رسول الله صلى الله عليه وآله كيف كانت ، وحاله عليه السلام فيها كيف كانت ، ووقوفه حيث وقف ، وحربه حيث حارب ، وجالوسه في العريش يوم جلس ، وأن وقوفه صلى الله عليه وآله وقوف رياسة وتدير ، ووقوف ظهر وسند ، يتعرف أمور أصحابه ويحرس صغيرهم وكبيرهم بوقوفه من ورائهم ، وتخلفه عن التقدم في أوائلهم ، ولأنهم متى علموا أنه في آخرهم اطمأنت قلوبهم ، ولم يتعلق بأمره نفوسهم فيشتغلوا بالاهتمام به عن عدوهم ، ولا يكون لهم فيئة يلجئون إليها ، وظهر يرجعون إليه ، ويعلمون أنه متى كان خلفهم تفقد أمورهم وعلم موافقهم ، وأوى كل إنسان مكانه في الحماية والنكاية ، وعند المنازلة في الكرّ والحملة ، فكان وقوفه حيث وقف أصلاح لأمرهم ، وأحمى وأحرس لبيضتهم ، ولأنه المطلوب من بينهم ، إذ هو مدبر أمورهم ووالى جماعتهم . ألا ترون أن موقف صاحب اللواء موقف شريف ، وأن صلاح الحرب في وقوفه ، وأن فضيلته في ترك التقدم في أكثر حالاته . فللرئيس حالات :

الأولى حالة يتخلف ويقف آخرها ليكون سندا وقوة ، وردء آوعدة ، وليتولى تدير الحرب ، ويعرف مواضع الخلل .

والحالة الثانية يتقدم فيها في وسط الصف ليقوى الضعيف ويشجع الناكس^(١) . وحالة ثالثة وهي إذا اصطدم الفيلقان ، وتكافح السيفان ، اعتمد ما يقتضيه الحال من الوقوف حيث يستصلح ، أو من مباشرة الحرب بنفسه ، فإنها آخر المنازل ، وفيها تظهر شجاعة الشجاع النجد ، وفشالة الجبان الموه .

(١) ط : « الناكس » بالسين .

فأين مقام الرياسة العظمى لرسول الله صلى الله عليه وآله وأين منزلة أبي بكر
ليسوى بين المنزلتين ، ويناسب بين الحالتين ؟ !

ولو كان أبو بكر شريكا لرسول الله صلى الله عليه وآله في الرسالة ، وممنوحا
من الله بفضيلة النبوة ، وكانت قريش والعرب تطلبه كما تطلب محمداً صلى الله عليه وآله
وكان يدبر من أمر الإسلام وتسريب العساكر وتجهيز السرايا وقتل الأعداء ما يدبره
محمد صلى الله عليه وسلم لكان للجاحظ أن يقول ذلك . فأما وحاله حاله وهو أضعف
المسلمين جنانا ، وأقلهم عند العرب تيرة ، لم يرم قط بسهم ولا سل سيفاً ،
ولا أراق دماً ، وهو أحد الأتباع غير مشهور ولا معروف ، ولا طالب ولا مطلوب ،
فكيف يجوز أن يجعل مقامه ومنزلته مقام رسول الله صلى الله عليه وآله ومنزلته .
ولقد خرج ابنه عبد الرحمن مع المشركين يوم أحد فرآه أبو بكر فقام منفيظا عليه فسل
من السيف مقدار أصبع يروم البروز إليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله :
يا أبا بكر ، شم سيفك وأمتعنا بنفسك ! ولم يقل له « وأمتعنا بنفسك » إلا لأنه
ليس أهلاً للحرب وملاقاة الرجال ، وأنه لو بارز لقتل .

وكيف يقول الجاحظ : لا فضيلة لمباشرة الحرب ولقاء الأقران وقتل أبطال
الشرك . وهل قامت عند الإسلام إلا على ذلك ؟؟ وهل ثبت الدين واستقر إلا بذلك ؟ !
أترأه لم يسمع قول الله تعالى : « إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان
مرصوص » . والمحبة من الله تعالى هي إرادة الثواب . فكل من كان أشد ثبوتاً في هذا
الصف وأعظم قتالاً ، كان أحب إلى الله ومعنى الأفضل هو الأكثر ثواباً . فعلى
عليه السلام إذن هو أحب المسلمين إلى الله ، لأنه أثبتهم قدماً في الصف المرصوص
لم يفر قط بإجماع الأمة ، ولا بارزه قرن إلا قتله .

وأترأه لم يسمع قول الله تعالى : « وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً »
وقوله : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل
الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن » ، ثم قال سبحانه

مؤكداً لهذا البيع والشراء : « وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » . وقال الله تعالى : « ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظُلْمٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ » .

فواقف الناس في الجهاد على أحوال ، وبمعضهم في ذلك أفضل من بعض . فمن دأب إلى الأقران واستقبل السيوف والأسنة كان أثقل على اكتاف الأعداء لشدة نكايته فيهم ، ممن وقف في المعركة وأعان ولم يقدم ، وكذلك من وقف في المعركة وأعان ولم يقدم إلا أنه بحيث تناله السهام والنبل ، أعظم غناء وأفضل ممن وقف حيث لا يناله ذلك . ولو كان الضعيف والجبان يستحقان الرياسة بقله بسط الكف وترك الحرب ، وأن ذلك يشاكل فعل النبي صلى الله عليه وآله ، لكان أوفر الناس حظاً في الرياسة وأشدهم لها استحقاقاً حسان بن ثابت . وإن بطل فضل علي عليه السلام في الجهاد لأن النبي صلى الله عليه وآله كان أقلهم قتالاً — كما زعم الجاحظ — ليطلن على هذا القياس فضل أبي بكر في الإنفاق ، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان أقلهم مالا .

وأنت إذا تأملت أمر العرب وقريش ، ونظرت السير وقرأت الأخبار ، عرفت أنها كانت تطلب محمداً صلى الله عليه وآله وتقصد قصده ، وتروم قتله ، فإن أجزها وفاتها طلبت علياً عليه السلام وأرادت قتله ، لأنه كان أشبههم بالرسول حالاً ، وأقربهم منه قرباً ، وأشدهم عنه دفعا ، وأنهم متى قصدوا علياً فقتلوه أضعفوا أمر محمد صلى الله عليه وآله وكسروا شوكته ، إذ كان أعلى^(١) من ينصره في البأس والقوة والشجاعة ، والنجدة والإقدام والبسالة . ألا ترى إلى قول عتبة بن ربيعة يوم بدر وقد خرج هو وأخوه شيبة وابنه الوليد بن عتبة ، فأخرج إليهم الرسول نفراً من الأنصار فاستنصبوهم فانتصبوا لهم ، فقالوا : ارجعوا إلى قومكم ثم نادوا : يا محمد ،

(١) هذا ما في ط . وفي الأصل : « على » .

أخرج إلينا أكفأنا من قومنا . فقال النبي صلى الله عليه وآله لأهله الأدينين : قوموا يا بني هاشم فانصروا حكم الذي آتاكم الله على باطل هؤلاء ، قم يا علي ، قم يا حمزة ، قم يا عبيدة . ألا ترى ما جعلت هدد لمن قتله يوم أحد لأنه اشترك هو وحمزة في قتل أبيها يوم بدر ؟ ألم تسمع قول هند ترثي أهلها :

ما كان لي عن عتبة من صبر أبي وعمي وشقيقتي صدرى
أخي الذي كان كضوء البدر بهم كسرت يا علي ظهري
وذلك لأنه قتل أخاها الوليد بن عتبة ، وشريك في قتل أبيها عتبة . وأما عمها
شيبه فإن حمزة تفرد بقتله

وقال جبير بن مطعم لوحشي مولاة يوم أحد : إن قتلت محمدا فأنت حر ،
وإن قتلت حمزة فأنت حرة ! فقال : أما محمد فسيمنعه أصحابه . وأما علي فرجل حذر
كثير الالتفات في الحرب ، ولكنني سأقتل حمزة . فعمد له وزرقه بالحربة فقتله .

ولما قلناه من مقاربة حال علي عليه السلام في هذا الباب لحال رسول الله
صلى الله عليه وآله ، ومناسبتها إياها ، وما وجدناه في السير والأخبار من إشفاق رسول الله
صلى الله عليه وآله وحذره عليه ، ودعائه له بالحفظ والسلامة ، قال صلى الله عليه وآله
يوم الخندق وقد برز علي إلى عمرو ورفع يديه إلى السماء بمحضر من أصحابه : « اللهم
إنك أخذت مني حمزة يوم أحد ، وعبيدة يوم بدر ، فاحفظ اليوم [علي^(١)] عليا ،
رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين » . ولذلك ضنَّ به عن مبارزة عمرو حين
دعا عمرو الناس إلى نفسه مرارا ، في كلها يجمعون ويقدم علي ، فيسأل الإذن في البراز
حتى قال له رسول الله صلى الله عليه وآله : إنه عمرو ! فقال : وأنا علي ! فأدناه وقبله
وعمه بمهامته ، وخرج معه خطوات كالودع له القلق لحاله ، المنتظر لما يكون منه .
ثم لم يزل صلى الله عليه وآله رافعاً يديه إلى السماء مستقبلاً لها بوجهه ، والمسلمون
صموت حوله كأنما على رؤوسهم الطير ، حتى ثارت الغبرة وسمعوا التكبير من تحتها

(١) التكملة من ط .

فعلوا أن عليا قتل عمرا ، فكبر رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكبر المسلمون تكبيرة سمعها من وراء الخندق من عساكر المشركين . ولذلك قال حذيفة بن اليمان : « لو قسمت فضيلة علي عليه السلام بقتل عمرو يوم الخندق بين المسلمين بأجمعهم لوسعتهم » . وقال ابن عباس في قوله تعالى : « وكفى الله المؤمنين القتال » قال : بعلي بن أبي طالب .

(٢٠)

ص ٤٧ من الثمانية

فيقال للجاحظ : فعلى أيها كان مَشَى على بن أبي طالب إلى الأفران بالسيف ؟ فأَيُّما قلتَ من ذلك بانت عداوتك لله تعالى ورسوله . وإن كان مشيه ليس على وجه مما ذكرت وإنما كان على وجه النصرة والقصد إلى المسابقة إلى ثواب الآخرة ، والجهاد في سبيل الله وإعزاز الدين ، كنت بجميع ما قلتَ معاندا ، وعن سبيل الإنصاف خارجا ، وفي إمام المسلمين طاعنا . وإن تطرق مثل هذا بوجههم على عليه السلام ليتطرقن مثله على أعيان المهاجرين والأنصار أرباب الجهاد والقتال ، الذين نصرُوا رسول الله صلى الله عليه وآله بأنفسهم ، ووقَّوه بمهجهم ، وفدَّوه بأبنائهم وآبائهم . فاعملْ ذلك كان لعل من العلل المذكورة ، وفي ذلك الطعنُ في الدين ، وفي جماعة المسلمين .

ولو جاز أن يُتوهم هذا في علي عليه السلام وفي غيره لما قال رسول الله صلى الله عليه وآله حكاية عن الله تعالى لأهل بدر : « اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم » ، ولا قال لعلي عليه السلام : « برز الإيمان كله إلى الشرك كله » ، ولا قال : « أوجبَ طلحة^(١) » .

وقد علمنا ضرورة من دين الرسول صلى الله عليه وآله تعظيمه لعلي عليه السلام تعظيما دينيا لأجل جهاده ونصرته ، فالطاعن فيه طاعن في رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) أى عمل عملا أوجب له الجنة .

وآله ؛ إذ زعم أنه قد يمكن أن يكون جهاده لا لوجه الله تعالى ، بل لأمر آخر من الأمور التي عدّها وبعثه على التفوه بها إغواء الشيطان وكيد ، والإفراط في عداوة مَنْ أمر الله بحبته ، ونهى عن بغضه وعداوته . أترى رسول الله صلى الله عليه وآله خفي عليه من أمر على عليه السلام ملاح للجاحظ والعمانية ، فمدحه وهو غير مستحق المدح .

(٢١)

ص ٤٧ و ٤٨ من العثمانية

فيقال له : فلمل إنفاق أبي بكر كما تزعم أربعين ألف درهم لا ثواب له ، لأن نفسه ربما تكون غير معتدلة ، لأنه يكون مطبوعاً على الجود والسخاء ، ولعل خروجه مع النبي صلى الله عليه وآله يوم الهجرة إلى الغار^(١) لا ثواب له فيه ، لأن أسبابه كانت له مهيجة ، ودواعيه غالبة ؛ لحبه — كان — الخروج ، وبغضه — كان — المقام^(٢) . ولعل رسول الله صلى الله عليه وآله في دعائه إلى الإسلام ، وإكبابه على الصلوات الخمس في جوف الليل ، وتدييره أمر الأمة ، لا ثواب له فيه ، لأنه تكون نفسه غير معتدلة ، بل يكون في طباعه الرياسة وحبها ، والعبادة والالتذاذ بها .

ولقد كنا نعجب من مذهب أبي عثمان أن المعارف ضرورة ، وأنها تقع طباعاً . وفي قوله بالتولد ، وحركة الحجر بالطبع ، حتى رأينا من قوله ما هو أعجب منه ، فزعم أنه ربما يكون جهاد على عليه السلام وقتله المشركين لا ثواب له فيه ، لأنه فعله طباعاً . وهذا أطرف من قوله في المعرفة وفي التولد^(٣) .

(١) إلى الغار ، سائطة من ط .

(٢) في ط : « غالبة محبة الخروج وبغض المقام » .

(٣) انظر ما كتبت في حواشي الحيوان ٤ : ٢٠٨ .

(٢٢)

ص ٤٩ — ٥٠ من الثمانية

هذا راجع على الجاحظ في النبي صلى الله عليه وآله ، لأن الله تعالى قال له : « والله يعصمك من الناس » فلم يكن له في جهاده كبير طاعة وكثير طاعة وكثير من الناس يروى عنه صلى الله عليه وآله : « اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر » . فوجب أن يبطل جهادهما . وقد قال للزبير : « ستقاتل عليا وأنت ظالم له » فأشعره بذلك أنه لا يموت في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله . وقال في الكتاب العزيز لطلحة : « وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده » قالوا : نزلت في طلحة . فأعلمه بذلك أنه يبقى بعده . فوجب أن لا يكون لها كبير ثواب في الجهاد .

والذي صح عندنا من الخبر ، وهو قوله « ستقاتل بعدي الناكثين » أنه قاله لما وضعت الحرب أوزارها ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، ووُضعت الجزية ودان العرب قاطبة .

(٢٣)

ص ٥٨ — ٥٩ من الثمانية

أمر عمرو بن عبد ود أشهر وأكثر من أن يحتج له ، فليتملح كتب المغازي والسير ، ولينظر ما رثته به شعراء قريش لما قتل . فمن ذلك ما ذكره محمد بن إسحاق في منازيه قال : وقال مسافع بن عبد مناف ابن زهرة بن حذافة بن ججم ، يبكي عمرو بن عبد الله بن عبد ود ، حين قتله على بن أبي طالب عليه السلام مبارزة ، لما جَزَعَ المذاد^(١) — أي قطع الخندق .

(١) ط : « لحيبة الخروج وبغض المقام » وصواب النص من الأصل . و « كان » تزداد بين المعلازمين .

(١) المذاد ، بالذال المعجمة : موضع بالمدينة حيث حفر الخندق . ط : « المزار » صوابه في الأصل .

عمرو بن عبد كان أول فارس
 تمنح الخلائق ماجد ذومرة
 ولقد علمتم حين ولوا عنكم
 حتى تكفه الحكمة وكلهم
 ولقد تكففت الفوارس فارساً
 سال النزال هناك فارساً غالب
 فاذهب علي ما ظفرت بمثلها
 نفسى الفداء لفارس من غالب
 أعنى الذى جزع المذاذ ولم يكن
 وقال هُبيرة بن أبى وهب الخزومى ، يعتذر من فراره عن على بن أبى طالب
 وتركه حمراً يوم الخندق ويكيه :

لعمرك ما وليت ظهري محمداً
 ولكننى قلبت أمرى فلم أجيد
 وقفت فلما لم أجد لى مقسداً
 ثنى عطفه عن قرنه حين لم يجد
 فلا تبعدن يا عمرو حيا وهالكا
 ولا تبعدن يا عمرو حيا وهالكا
 فن لطراد الخيل تُقدع بالقدا
 هنالك لو كان ابن عمرو لرازاها
 كفتك على لن ترى مثل موقف
 فما ظفرت كفاك يوماً بمثلها
 وأصحابه جيناً ولا خيفة القتل
 لسيفي غناء إن وقفت ولا نبلى
 صدرت كضرام هزبر أبى شبل
 بجالا وكان الحزم والرأى من فعلى
 فقد ميت محمود الثنا ماجد الفعل
 فقد كنت فى حرب المدى مرهف النصل
 وللبذل يوماً عند قرقرة البزل
 لفرجها عنهم فتى غير ما وغل
 وقفت على شلو المقدم كالفحل
 أمّنت بها ما عشت من زلة النعل

(١) بليل هو وادى الصفراء ، دوين بدر .

(٢) ط : « فيهم لم يعجل » .

وقال هبيرة بن أبي وهب أيضاً يرثي عمرا ويبيكه :

لقد علمت علياً لؤى بن غالب لفارسها عمرو إذا ناب نائب
وفارسها عمرو إذا ما يسوقه على وأن الموت لاشك طالب
عشية يدعوهُ عليٌّ وإنه لفارسها إذ خام عنه الكتائب
فيا لهف نفسي إن عمرا لكائن يثرب لا زالت هناك المصائب
لقد أحرز العليا على بقتله وللخير يوما لا محالة جالب
وقال حسان بن ثابت الأنصاري يذكر عمرا :

أمسى الفتى عمرو بن عبد ناظراً كيف العبورُ وليته لم ينظر
ولقد وجدت سيوفنا مشهورة ولقد وجدت جيادنا لم تقهر
ولقد لقيت غداة بدر عصابة ضربوك ضرباً غير ضرب الحسر
أصبحت لا تدعى ليوم عظيمة يا عمرو أو لجسيم أمر منكر
وقال حسان أيضاً :

لقد شقيت بنو جمح بن عمرو وغزومٌ وتيم ما نُقيل^(١)
وعمره كالحسام فتى قریش كأن جبينه سيف صقيل^(٢)
فتى من نسل طامر أريحي تطاوله الأسنة والنصول
دماه الفارس المقدام لما تكشفت القناب والخيول
أبو حسن فتنه حساما جُرازا لا أفل ولا نكول
فغادره مكيباً مسلحاً على عفراء لا بعد القتل
فهذه الأسماء فيه ، بل بعض ما قيل فيه .

وأما الآثار والأخبار فوجوده في كتب السير وأيام الفرسان ووقائعهم . وليس
أحد من أرباب هذا العلم يذكر عمرا إلا قال : كان فارس قریش وشجاعها . وإنما قال
له حسان :

(١) في الأصل : « لقد شقيت » و « ما ثقيل » .
(٢) هذا البيت ساقط من ط .

* ولقد لقيت غداة بدر عصابة *

لأنه شهد مع الشركين بدرًا وقتل قومًا من المسلمين ، ثم فر مع من فر ولحق بمكة . وهو الذي كان قال وعاهد الله عند الكعبة ألا يدعو أحد إلى واحدة من ثلاث إلا أجابه . وآثاره في أيام الفجار مشهورة تنطق بها كتب الأيام والوقائع ، ولكنه لم يذكر مع الفرسان الثلاثة وهم عتيبة وبسطام وعامر ؛ لأنهم كانوا أصحاب غارات ونهب وأهل بادية ، وقريش أهل مدينة وساكنو مدر وحجر ، لا يرون الغارات ولا ينهبون غيرهم من العرب ، وهم مقتصرون على المقام ببلداتهم وحماية حرمهم ، فلذلك لم يشتهر اسمه كاشتهار هؤلاء .

ويقال له : إذا كان عمرو كما تذكر ليس هناك ، فما باله لما جزع الخندق في ستة فرسان هو أحدهم فصار مع أصحاب النبي صلى الله عليه وآله على أرض واحدة ، وهم ثلاثة آلاف ، ودعاهم إلى البراز مرارًا ، لم ينتدب أحد منهم للخروج إليه ، ولا سمح منهم أحد بنفسه ، حتى وبخهم وقرعهم وناداهم : أستم ترعمون أنه من قتل منا فإلى النار ومن قتل منكم فإلى الجنة ؟ أفلا يشواق أحدكم أن يذهب إلى الجنة أو يقدم عدوه إلى النار ؟ فخبئوا كلهم ونكأوا ، وملكهم الرعب والوهل . فإما أن يكون هذا أشجع الناس كما قيل عنه ، أو يكون المسلمون كلهم أجبن العرب وأذلهم وأفسلهم . وقد روى الناس كلهم الشعر الذي أنشده لما نكل القوم بجمعهم عنه ، وأنه جال بفرسه واستدار ، وذهب يمنة ثم ذهب يسرة ، ثم وقف تجاه القوم فقال :

ولقد بحثت من الفدا ، بجمعهم هل من مبارز
ووقفت إذ جبن المشي مع وقفة القرن المناجز
وكذاك أني لم أزل متسرعا نحو الهزاهز
إن الشجاعة في الفتى والجود من خير الفرائز

فلما برز إليه على أجابه فقال له :

لا تمجلن فقد آتاك بحبيب صوتك غير عاجز

دو نية وبصيرة يرجو الغداة نجاة فائز
إني لأرجو أن أقيـم عليك نائمة الجنائز
من ضربة تفنى ويبقى ذكرها عند الهزائز

ولعمري لقد سبق الجاحظ بما قاله بعض جهال الأنصار لما رجع رسول الله
بن بدر وقال فتي من الأنصار شهد معه بدرا : « إن قتلنا إلا عجايز صلما ! » فقال له
النبي صلى الله عليه وآله : « لا تقل ذلك يا ابن أخ ، أولئك الملا ! » .

(٢٤)

ص ٥٩ من المئانية

كل من دون أخبار قریش وآثار رجالها وصف الوليد بالشجاعة والبسالة ،
وكان مع شجاعته أيدياً يصارع الفتيان فيصرعهم ، وليس لأنه لم يشهد حرباً قبلها
ما يجب أن يكون بطلا شجاعاً ، فإن علياً عليه السلام لم يشهد قبل بدر حرباً ،
وقد رأى الناس آثاره فيها .

(٢٥)

ص ٦٢ من المئانية

أما ثباته يوم أحد فأكثر المؤرخين وأرباب السير ينكرونه ، وجمهورهم يروى
أنه لم يبق مع النبي صلى الله عليه وآله إلا عليّ وطلحة والزبير وأبو دُجانة .
وقد روى عن ابن عباس أنه قال : ولهم خامس ، وهو عبد الله بن عباس . ومنهم
من أثبت سادساً وهو المقداد بن عمرو .

وروى يحيى بن سلمة بن كهيل قال : قلت لأبي : كم ثبت مع رسول الله
صلى الله عليه وآله يوم أحد ؟ فقال : اثنان . قلت : من هما ؟ قال : علي وأبو دُجانة .
وهبُ أبا بكر ثبت يوم أحد كما يدعيه الجاحظ ، أيجوز له أن يقول : ثبت
عليّ ، فلا نفخر لأحدهما على الآخر ، وهو يعلم آثار عليّ عليه السلام ذلك اليوم وأنه

قتل أصحاب الألوية من بني عبد الدار ، منهم طلحة بن أبي طلحة الذي رأى رسول الله صلى الله عليه وآله في منامه أنه مردف كبشا فأوله وقال : كبش الكتيبة تقتله (١) . فلما قتله علي عليه السلام مبارزة — وهو أول قتيل قتل من المشركين ذلك اليوم — كبر رسول الله صلى الله عليه وآله وقال : هذا كبش الكتيبة !

وما كان منه من المحاماة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وقد فر الناس وأسلموه ، فتصمد له كتيبة من قريش فيقول : « يا علي » ، اكفني هذه . فيحمل عليها فيهزمها ويقتل حميدها ، حتى سمع المسلمون والمشركون صوتاً من قبل السماء :

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

وحتى قال النبي صلى الله عليه وآله عن جبرائيل ما قال .

أتكون هذه آثاره وأفعاله ثم يقول الجاحظ : لا نفر لأحدهما على صاحبه !

ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين .

(٢٦)

ص ٦٢ من الثمانية

ما كان أغناك يا أبا عثمان عن ذكر هذا المقام المشهور لأبي بكر ؛ فإنه لو تسمعه الإمامية لأضافته إلى ما عندها من المثالب ، لأن قول النبي صلى الله عليه وآله له : ارجع ، دليل على أنه لا يحتمل مبارزة أحد ، لأنه إذا لم يحتمل مبارزة ابنه ، وأنت تعلم حنو الابن على الأب وتبجيله له وإشفاقه عليه وكفه عنه ، لم يحتمل مبارزة الغريب الأجنبي . وقوله له « ومتعنا بنفسك » إيدان له بأنه كان يقتل لو خرج . ورسول الله كان أعرف به من الجاحظ . فأين حال هذا الرجل من حال الرجل الذي صلي بالحرب ، ومشى إلى السيف بالسيف ، فقتل السادة والقادة ، والفرسان والرجالة .

(١) ط : « تقتله » .

(٢٧)

ص ٦٢ من العثمانية

أما قوله « إنه بذل الجهد » فقد صدق . وأما قوله « لا حال أشرف من حاله » فخطأ ، لأن حال من بلغت قوته أضعاف قوته فأعملها في قتل المشركين ، أشرف من حال من نقصت قوته عن بلوغ الناية . ألا ترى أن حال الرجل أشرف في الجهاد من حال المرأة ، وحال البالغ الأيّد أشرف من حال الصبي الضعيف .

قال ابن أبي الحديد :

فهذه جملة ما ذكره الشيخ أبو جعفر محمد بن عبد الله الإسكافي رحمه الله في نقض العثمانية ، اقتصرنا عليها هنا . وسنعود فيما بعد إلى ذكر جملة أخرى من كلامه إذا اقتضت الحال ذكره .

وأنا أقول : قد تثبت ما تلا هذا القول مما ورد في أثناء الشرح من نصوص ، فوجدت أن ابن الحديد قد وقف عند هذا الحد ولم يورد في كتابه نصاً آخر من نصوص رد الإسكافي يزيد مما نقله في هذه المواضع التي حرصت على أن أقرنها هنا بالمواضع التي استدعت الرد .

(٢٨)

ص ١٠٧ — ١٠٨ من العثمانية

إن أبا عثمان يجرّ على نفسه مالا طاقة له به من مطاعن الشيعة . ولقد كان في غنية عن التعلّق بما تعلّق به ، لأن الشيعة تزعم إن هذه الآية بأن تكون طعنًا وعبثًا على أبي بكر أولى من أن تكون فضيلة ومنقبة له ، لأنّه لما قال له « لا تحزن » دلّ على أنه قد كان حزينًا وقنط ، وأشفق على نفسه ، وليس هذا من صفات المؤمنين الصابرين .

ولا يجوز أن يكون حزنه طاعةً ، لأن الله تعالى لا ينهى عن الطاعة ، فلو لم يكن ذنباً لم ينه عنه . وقوله « إن الله معنا » أى إن الله عالم بحالنا وما نضمرة من اليقين أو الشك ، كما يقول الرجل لصاحبه : لا تضمرنّ سوءاً ولا تنوينّ قبيحاً ، فإن الله تعالى يعلم ما نُسِرّه وما نعلنه وهذا مثل قوله تعالى : « ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلهو معهم أينما كانوا » . أى عالم بهم . وأما السكينة فكيف يقول إنها ليست راجعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وبمدها قوله : « وأيده بجنودٍ لم تروها » . أترى المؤيد بالجنود كان أبا بكر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

وقوله « إنه مستغن عنها » ليس بصحيح . ولا يستغنى أحد عن ألطاف الله تعالى وتوفيقه وتأيدته وتثبيت قلبه . وقد قال الله تعالى فى قصّة حُثَيْن : « وضائقُ عليكم الأرضُ بما رَحُبَتْ ثمَّ ولَّيتم مدبرين » . ثمَّ أنزلَ الله سكينةً على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما الصحبة فلا تدلُّ إلّا على المرافقة والاصطحاب . وقد تكون حيث لا إيمان ، كما قال تعالى : « قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك » .

ونحن وإن كنا نعتقد إخلاص أبى بكر وإيمانه الصحيح السليم ، وفضيلته التامة ، إلا أننا لا نحتجّ له بمثل ما احتج به الجاحظ من الحجج الواهية ، ولا نتعلق بما يجرّ علينا دواهى الشيعة ومطاعنها .

(٢٩)

وهي مناقضة لم أعثر على النص الذي سيقت له من الثمانية
وقد جاءت في شرح ابن الحديد عقب المناقضة رقم ١٨

قال الجاحظ :

وعلى أنا لو نزلنا إلى ما يريدونه جعلنا الفراش كالنار وخلصت فضائل أبي بكر
في غير ذلك عن معارض .

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله :

قد بينّا فضيلة المبيت على الفراش على فضيلة الصحبة في النار بما هو واضح
لمن أنصف . ونزيد هنا تأكيذاً بما لم نذكره فيما تقدم فنقول :

إن فضيلة المبيت على الفراش على الصحبة لوجهين :

أحدهما أن علياً عليه السلام قد كان أنس بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وحصل
له بمصاحبته قديماً أنس عظيم ، وإلف شديد ، فلما فارقه عدم ذلك الأنس وحصل
به أبو بكر ، فكان ما يجده عليه السلام من الوحشة وألم الفرقة موجباً زيادة ثوابه ،
لأن الثواب على قدر المشقة .

وثانياً : أن أبا بكر كان يؤثر الخروج من مكة ، وقد كان خرج من قبل فرد ،
فازداد كراهية المقام ، فلما خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وافق ذلك
هوى قلبه ومحبوب نفسه ، فلم يكن له من الفضيلة ما يوازي فضيلة من احتمل
المشقة العظيمة ، وعرض نفسه لوقع السيوف ، ورأسه لرضخ الحجارة ، لأن على
قدر سهولة العبادة يكون نقصان الثواب .

تمت المناقضات

الفهارس

- ١ - فهرس القرآن الكريم ٣٤٦
- ٢ - » الحديث ٣٤٨
- ٣ - » الأمثال ٣٤٩
- ٤ - » الشعر ٣٤٩
- ٥ - » الأعلام ٣٥٠
- ٦ - » القبائل والجماعات ٣٥٦
- ٧ - » البلدان والمواضع ٣٥٨
- ٨ - » الأبحاث المتعلقة بالأعلام والطوائف ٣٦٠
- ٩ - » » بالمعارف العامة ٣٦٣

١ - فهرس القرآن الكريم

السورة	الآية	الترجمة	الصفحة
٢ - البقرة	٤٨	وانقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا	٢٠٨
	١٢٤	انى جاعلك للناس اماما	٢١٠
	١٤٣	وكذلك جعلناكم امة وسطا	٨١
	١٩١	والفتنة اشد من القتل	٢٩
	٢٠٨	يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة	١١٧
٣ - آل عمران	١٨٥	كل نفس ذائقة الموت	٨٠
٤ - النساء	٢٠	وايتيم احداهن فتنظرا	٢٣٠
	٥٩	اطيعوا الله واطيعوا الرسول	١١٥ ، ١١٦
٥ - المائدة	٢٧	واتل عليهم نبا ابنى آدم	٢٠٩
	٢٩	وذلك جزاء الظالمين	٢٠٨
	٣٤	اذهب انت وربك فقاتلا	٥٧
	٥٤	فسوف يانى الله بقوم يحبهم ويحبونه	١١٥
	٥٥	انما وليكم الله ورسوله	١١٨ ، ١١٩
	٥٦	ومن يتول الله ورسوله	١١٨
	٧٥	ما المسيح بن مريم الا رسول	١٢٩
	١١٨	ان تعذبهم فانهم عبادك	٦٩
٧ - الامراف	١٤٢	اخلفنى فى قومى	١٥٦
٨ - الانفال	٦٨	لولا كتاب من الله سبق	٩٢
٩ - التوبة	٣٣	ليظهره على الدين كله	٨١ ، ٧٩
	٤٠	الا لتصروه فقد نصره الله	١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠

الآية	السورة	صفحة
٥٦	والذكر في الكتاب ادريس	١٢٨
١١٥	٢٠ - طه	٩١
٣٥	٢١ - الانبياء	٨٠
٦٧	أف لكم ولما تعبدون من دون الله	٦٨ - ٦٩
٧٩	فهمناها سليمان	٩١
٨٧	وذا النون اذ ذهب مغاضبا	٩١
٢٢	٢٤ - النور	٥٥ ، ١١٢
٨٨ ، ٨٩	٢٦ - الشعراء	٢٠٨
٢٦	٢٨ - القصص	٨٦
٨٨	كل شيء هالك الا وجهه	٨١
٥٧	٢٩ - العنكبوت	٨٠
٣٣	٣١ - لقمان	٢٠٨
٤٥	٣٥ - فاطر	٩٢
١٤٢	٣٧ - الصافات	٩١
٢٠	٣٨ - ص	٩١
٢١	وهل ائلك نبا الخصم	٩٢
٣٠	٣٩ - الزمر	٨٠
٤١	٤٤ - الدخان	٢٠٨
١٧	٤٦ - الاحقاف	١١٣
٣٥	٤٧ - محمد	٣٥
٢	٤٨ - الفتح	٩٢
١٦	قل للمخللين من الاعراب	١١٤
٢٧	لتدخلن المسجد الحرام	٧٨
٤	٤٩ - الحجرات	١٩٤
١٣	ان اكرمكم عند الله اتقاكم	٢٠٢
١٩	٥٠ - ق	٨٧
٥٦	٥١ - الداريات	٢٥٦
٣٧	٥٣ - النجم	٢٠٦
٣٩	وان ليس للانسان الا ما سعى	٢٠٧ ، ٢٠٦
٢٦	٥٧ - الحديد	٢١١
٣٨	لا يستوى منكم من انفق	١٠
٩	٦١ - الصف	٨١ ، ٧٩
٢	٦٥ - الطلاق	٢٧٧
١٠	٦٦ - التحريم	٢١٠
٢٢	٦٧ - الملك	١١٣ - ١١٤
٢٦	٧١ - نوح	٦٩
١	٨٠ - عبس	٩٢
٢١	٩٢ - الليل	٣٥ ، ١١٤

٢ - فهرس الحديث

٢١٧ ، ٣٣	بلال سابق الحبش	٥٣	ابشر ابا بكر
٤٤	نفس ببرد الحضرى	١٤٨	ابو بكر وعمر سيدا كهول اهل الجنة
١٤٠	خير اهل الله عمر بن الخطاب	١٤٠	ابو سفيان خير اهلى
٨٦	رضيت لامتى ماضى لها ابن ام عبد		ابى الله ورسوله الا ان يصلى
	٢٣٤ ، ١٤١	١٦٦ ، ١٦٥	ابو بكر
١٦٤	الرفيق الاعلى	٦٣	ارجع الى مكانك
١٢٣ ، ١٢٢	الزبير حوارى	١٦٠ ، ٥٦	ارم فداك ابنى وامى
	زيد وما زيد ا يسبقه عضو منه الى	٧٥	ارنى مكانها
٢٥٠ - ٢٤٩	الجنة	٢٠٧	اشرف الناس يوسف بن يعقوب
١٧٣	ستكون فتنة هذا فيها يومئذ على الحق	٩٤	افرضكم زيد
٦٢	شم سيفك	١٤٣ ، ١٣٥	افتدوا بالدين من بعدى
٢٣٣	الشیطان يفرق من حسه	٩٤	افروكم ابنى
٣٠	صبرا آل ياسر	١٥٠ ، ١٣٤	اللهم آتني باحب الناس اليك
٢٣٣	ضرب بالحق على لسانه	٢٣٣	اللهم اعز الاسلام بعمر
١٢٢	عثمان ذو النورين	١٥٠ ، ١٤٦ ، ١٤٥	اللهم عاد من عاداه
٤١	عجبت من اخى لوط	١٢١	اللهم فقهه فى الدين
٦٣	عليكم صاحبكم	١٦٤ ، ١٣١	اليكن عنى صواحب يوسف
٥١	فان ربى قد اذن لى فى الهجرة	٢٨	اما والله لقد جئتكم بالذبح
٧٧	قوموا فانحروا	٧٨	امحها يا على
١٤١	كم من ذى طمرين	٨١	امرت ان اقاتل الناس
٦٤	كيف نرون يامعشر المسلمين	١٣٧	ان ابا بكر لم يسؤنى قط
	كيف لا استحي ممن تستحي منه	١٠٤	ان عادوا فعد
١٤١	الملائكة	١٦٤ ، ٨٥	ان عبدا من عباد الله
١٤٢	لا تؤذوا عمارا		ان من امتى سبعين الفا يدخلون الجنة
٣٩	لا هجرة بعد الفتح	٢٤٩	بغير حساب
١٣٠ ، ١٢٩	لا يبلغ عنى الا رجل منى	٢٤٩	انت منهم
١٠٥	لعل الله ان يجعل لك صاحبا		انت منى بمنزلة هارون
٢٣٣ ، ١٤١	لكل امة امين	١٤٣ ، ١٣٤	١٥٣ - ١٥٧ ، ١٦٠ ، ٢٢٨
١٨٣	لن تزالوا بخير	١٦٩ ، ١٦٣ ، ٦٥	انفلوا جيش اسامة
١٤١	لو قال باسم الله رفعتة الملائكة	٤٩	انك ستقاتل بعدى الناكثين
١٤٨ ، ١٤٣	لو كنت متخذنا خليلا	١٣٥	انه لم يكن نبى قبلى فيموت
١٣٥	ليس احد امن علينا بصحبته	٢٣٦	انه ليس سبب ولا نسب
٢٧٧	ليؤمكم خياركم	١٤١	اهتز العرش لموت سعد
١٤٨ ، ١٣٥ ، ٥١	ما احدا من علينا بصحبته	٢٤	اهجههم ومعك روح القدس
١٢٨	ما قلت الفبراء	٧٤	الايمان فالايمن
١٣٧	مادعوت احدا الى الاسلام الا . . .	١٣٧	ايها الناس ان الله بعثنى

١١٣ ، ٧٢	هلا تركت الشيخ في رحله	٨٤	مامات نبي قط الا دفن حيث يقبض
١٣٦	هم الامر الخلافة	١٤٧	مامقالة بلفتني
٢٤	هيح الفطاريف على بنى عبد مناف	٢٣٦ ، ٨٤	مامن رجل يذنب ذنبا
	والذي نفس بيده انى لثائم على	١٣٧ ، ٦٨	مثل ابي بكر في الملائكة
٨٥	الحوض	١٧٠ ، ١٦٤	مروا ابا بكر فليصل بالناس
	والذي نفس بيده ما انا بهذا احق	٢٠٧	المسلمون تتكافأ دماؤهم
٢٠٧	من رجل من المسلمين	٦١	من اراد ان ينظر الى رجل يحب الله
٧٠	وانت الصديق	٨٣	من قبل الكلمة
١٣٧	وضع رجل حجره حيث احب	١٤٣ ، ١٣٤ ، ١٤٤	من كنت مولاه فعلى مولاه
	يا ابا بكر ضع حجرا الى جنب حجرى	١٣٩	منا خير فارس في العرب
	١٣٦ — ١٣٧	٢٠٧	الناس كلهم سواء
٢٢٠	ياسلمان لا تبغض العرب		نحر رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢٠٧	يامعاس بن عبد المطلب	٧١	الجمال من سبعة
١٣٧	ياعثمان خذ حجرا	٤٣	نم على فراشى
١٨١	ياعلى قم فانظر	٢١٦ ، ١٦٠ ، ٥٦	هذا خالى اباى فيه
١٣٩	ياتيكم خير ذى يمن	١٣٦ ، ١٥٩ ، ٢٣٥	هذان سيذا كهول اهل الجنة
١٤٢	يبعث يوم القيامة امة واحدة		
١٨١	يفسل ذكره وانثيه		

٣ — فهرس الامثال

٢٣٠	لست منها في غير ولا نلير	٢٣٠	القيت جبلك على غاربك
٢٣٠	مالى في هذا الامر ناقة ولا جمل	٧١	العرب سجال
		٣٦	قلة العيال احد اليسارين

٤ — فهرس الشعر

١٢٥ ، ١١١	منكر ابو محجن	٧٣	النساء حسان
٢٣٢	المفارض الفقصى	١١١	صاحبنا كعب بن مالك
١٩٤	والاقرع عباس بن مرداس	٢٢٠	واب —
١٢٥	الصديق الحارث بن هشام	١١٢	مطرود (جنى)
١٢٥	الصديق الحارث بن هشام	١٢٦	محمد طريف بن عدى
١٢٧	الصديق البارقي	١٢٧	معبد طليعة الاسدى
١١١	فعلا حسان	١٢٦	الصيد حسان
٣٠	جهل عمار بن ياسر	١٢٥	دثر العجاج
١٦٢	عفانا حسان	١٢٤	الكبرا شريح بن هانىء
١١٣	ومكان الحارث بن هشام	١١١	موازدا النجاشى

٥ - فهرس الأعلام

انس بن مالك ٧٥ ، ١٢٤ ، ١٥٠ - ١٥٢	آدم عليه السلام ٨٩ ، ٩١ ، ١٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٨
(أهبان بن أوس) مكلم اللئب ١٦٣،١٤٠	٢٠٩ ، ٢٠٨
أوس بن ثابت ١٦١	إبراهيم عليه السلام ٦٨ ، ١٠٠ ، ١٢٧ ، ٢٠٦
أيمن بن عبيد ٦٦	٢١١ ، ٢١٠ ، ٢٠٦
أيوب عليه السلام ١٥٢	إبراهيم النيمي ١٨٧
أبو أيوب الأنصاري ١٨٢	إبراهيم (بن يزيد النخعي) ٨٨
البارقي ، الشاعر ١٢٧	(أبي بن خلف) ٤٦
أبن السحرخان ٢١٢	» » كعب ٨٨ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١٢١
بديل بن ورقاء الخزاعي ١٠٢ ، ٦٤	أحمد (محمد صلى الله عليه وسلم) ١١١
البراء بن مالك ١٤١ ، ٤٥	الأحنف بن قيس ٩٦
أبو برزة الأسلمي ٩٦	أبو أحيحة ١٠٣ ، ٧٣
أبن بريدة ١٤٤	أبن أبي أحيحة ١٩٢
بسطام بن قيس ٥٩	الأخنس بن شريق ١٠٢
بسطام بن نرسی دهقان بابل ٢١٣	أدریس عليه السلام ١٢٨
أبو بكر الصديق ، عبد الله ، عتيق ،	الأرسطاطاليس ٢٦٦
أبن أبي قحافة ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٢٤ -	أبو أذهر ٢٤
٣٥ ، ٣٩ - ٤٥ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٣ -	أسامة بن زيد ٦٥ ، ٦٦ ، ٨٣ ، ١٤٦ ، ١٤٧
٥٧ ، ٦٠ - ٨٧ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٧ -	١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٩ - ١٧٥ ، ١٤٧
١٠٠ ، ١٠٣ - ١٢٠ ، ١١٥ - ١٣٣ ،	٢١٦ ، ٢٤٢
١٣٥ - ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٤ ،	إسحاق عليه السلام ٢١٨ ، ٢١٩
١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٣ - ١٧٢ ، ١٧٧ -	أبن إسحاق ٢٧
١٨٥ ، ١٨٧ - ١٩٠ ، ١٩٢ - ٢٠٤ ،	أسد قرينس = نوفل بن خويلد
٢١١ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ - ٢٢٤ ، ٢٢٦ -	أسد الله = حمزة
٢٣٠ ، ٢٣٢ - ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ ،	أسماء بنت أبي بكر ، ذات النطاقين
٢٤٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧	٣١ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٨٧ ، ٢٢٤
٢٤٦ بكر بن أخت عبد الواحد	أسماء بنت عميس ٩٥٠ ، ٢٤٠
٢٢٤ أبو بكر عروة بن الزبير	إسماعيل عليه السلام ١٢٨ ، ٢١٨ ، ٢١٩
٢٣٧ أبو بكر بن علي أبي طالب	أسيد بن حضير ٦٣ ، ٧٢
١٠٦ أبو بكر الهذلي	أبن الأشج ١٢٧
بلال (بن رباح) ٣٠ ، ٣٢ ، ٥٤ ، ١٠٣ ،	الأشعث ٩٥
١١٨ ، ١٧٠ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ،	الأعمش ٩١ ، ١٤٤
٢١٢ ، ٢١٧ ، ٢٢٥	الأقرع بن حابس ١٩٤ ، ٢١٧
٢١٣ البوسختان ؟	أبو أمامة بن سهل ١٦١
١٤٥ تمام	أمقلاس ٢١٣
١٢٧ ثابت	الأمين ، أبو عبيدة الجراح ٢٣٣
١٢١ ، ٩٣ جابر بن عبد الله	أمية بن خلف ٣٢

٣٧	أبو الحكم ، أبو جهل	٢٤	جارية بنى مؤمل
١٢٦ ، ١٠٣	الحكم بن أبى العاص	٢٢٦	جالينوس
٢٢٣ ، ٢١٧ ، ٢١١	حكيم بن حزام		جبريل عليه السلام ، روح القدس
١٢٣ ، ٧٢ ، ٣٧ ، ٩	حمزة ، أسد الله	٢٤ ، ٥٣ ، ٦٩ ، ١٠٨ ، ١١٣ ، ١٢٧	
١٢٤ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٧ ، ١٦٢		١٦٤ ، ١٣٧	
١٦٣ ، ١٣٩	حمى الدبر (عاصم بن ثابت)	٢٥	جبير بن معلم
٣٧	جنتمة بنت هاشم ذى الرمحين	١٨٢ ، ١٤٠ ، ١٣٩	جبر بن عبد الله
٧١ ، ٦٠	حنظلة بن أبى سفيان	١٦٠	جعدة بن هبيرة
١٦٣ ، ١٤٠	حنظلة بن أبى عامر ، غسيل الملائكة	١٠٦ ، ٩٥ ، ٩	جعفر بن أبى طالب ، الطيار
		٢٤٠ ، ١٤٦ ، ١٤٢ ، ١٤٠ ، ١٣٩	
٢٤٦	حوشب	٤٢	جعفر بن محمد
٧٠	حويطب بن عبد العزى	٢١٣	جفينة العبادى
٨٨ - ٨٧	أبنت خارجة ، (وهى حبيبة)	٢١٢	جميل بن بصيرى
٢١٢	خالد بن بصيرى	٣٧ ، ٣١ ، ٣٠	أبو جهل ، أبو الحكم
١٧٢ ، ١٦٧	خالد بن سعيد بن العاص	١١٥ ، ١١٤ ، ١٠٢	
١٧٣ ، ١٧٩ ، ١٨٩ - ١٩٣ ، ١٩٦			جوير
٢٣٨		١١٤	حابس
٢٤٩ ، ٢٤٨ ، ١١٦ ، ٨٦	خالد بن الوليد	١٩٤	الحارث بن العصة
٢٩ ، ٢٣ ، ٢٢ ، ٤ ، ٣	خباب بن الارت	٦٣	الحارث بن ظالم
١٧٨ ، ١٠٣ ، ٣٠		٢٦٦	الحارث بن كلفة
٢٢٤	أبو خبيب ، عبد الله بن الزبير	٢٢٦	الحارث بن هشام بن المغيرة
٩١	داود عليه السلام	١٢٥ ، ١١٢	
٨٩	داود بن أبى هند	١٢٨ ، ١٢٧	
٦٣ ، ٥٠ ، ٤٨ ، ٤٥	أبو دجاجة	٦٣	الحباب بن المنذر بن الجموح
١٦٢ ، ٨٨	أبو الدرداء	١٠٨	حبيب بن أبى ثابت
٢١٣	هقان بابل	١٧٤ ، ٩٤	حبيب بن مسلمة القهرى
٢١٣	هقان الفلوجة	١٥٢ ، ١٥٠	الحجاج بن يوسف
٢١٢	هقان نهر الملك	١٩٤ ، ٦١ ، ٦٠	أبو حذيفة بن عتبة
	أبنت النطالين = أسماء بنت أبى بكر	٢١٧	
٢٢٤ ، ٣١		٢٢٦ ، ١٨٠ ، ١٦٢ ، ١٣٦	حذيفة بن اليمان
١٨٠ ، ١٤٠ - ١٣٨ ، ٢٩	أبو ذر الغفارى	١٧٤	حرقوص بن زهير
٢٢٥ ، ١٨٣		١١٠ ، ٧٣ ، ٥٥ ، ٢٤	حسان بن ثابت
٢٤٨ ، ١٧٤	ذو الكلاع	١٦٢ ، ١٢٨ - ١٢٦	
٩١	ذوالنون = يونس بن متى	٩٦	أبو الحسن = على بن أبى طالب
١٣٦	ربيع بن حراش	١٢١ ، ١١٥ ، ٩٣ ، ٧٥	الحسن البصرى
١٦٥	الربيع بن صبيح	٢٤٦ ، ٢٢٧ ، ١٦٥ ، ١٢٣	
٦٦	ربيعة بن الحارث	٢٦٥	الحسن بن حى
١٢٨	رشيد الهجرى	٩٦	الحسن بن على بن أبى طالب
٢١٣	رفيل ؟	١٩٤	حصن
		١٦٤ ، ١٣٠	حفصة أم المؤمنين

٢٤٨ ، ١٧٥
سعيد بن العاص
١٩٢
أبو سفيان بن الحارث ٢٤ ، ١٤٠٦٦
أبو سفيان بن حرب ٦٠ ، ٧١ ، ٧٢ ،
١٠٣ ، ١٦٧ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٨ ،
١٧٩ ، ١٩٦ ، ٢١١ ، ٢١٧ ، ٢٣٨
سلمان الفارسي ١٦٢ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٧ —
١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٨٩ — ١٩٦ ،
٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٣٧
أم سلمة أم المؤمنين ٧٧
سلمة بن سلامة بن وقش ١٧٥
أبو سلمة بن عبد الأسد الخزومي ١٠٥٢٣
أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ١٥٩
سلمة بن كهيل ١٣٦
سليمان عليه السلام ٩١
سهل بن حنيف ٦٣ ، ١٦١ ، ١٨٢
سهيل بن عمرو ٧٠ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ١٧٨ ،
١٧٩ ، ٢١٧
سياه وخش ٢١٣
السيد الحميري ١٢٨
ابن سيرين ٧٥ ، ١٧٥
شرحبيل بن السمط ١٧٤
شريح بن هانئ الحارثي ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٧
الشعبي ٨٨ ، ٨٩ ، ٩١ ، ١٢١ ، ١٧٥ ،
١٧٦ ، ٢٣٥
شعيب عليه السلام ١٥٢
شيبه بن ربيعة ٢٥ ، ١٠٣
أبو صالح (بازام) ١١٧
الصديق = أبو بكر
الصديق الأكبر = علي ٢٣٩
صفية بنت عبد المطلب ٢٠٧
صهيب الرومي ٩٧ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ٢١٦
صباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ١٨١ ، ٢٢١
الضحاك ١٠٦ ، ١١٤ ، ١٢١
ضراب ؟ ٢٢٥
أبو طالب ٢٣ ، ١٠٢ ، ٢٠٥
ابن أبي طالب = علي
طريف بن عدي بن حاتم ١٢٦ ، ١٢٧
ابن طلحة ٢٤١

روح القدس = جبريل
ابن الزبير = عبد الله
الزبير بن العوام ، أبو عبد الله ١١ ، ١٢ ،
٣١ ، ٣٨ ، ٤٥ ، ٤٨ — ٥١ ، ٥٤ ،
٥٨ ، ٥٩ مع كنيته أبي عبد الله ، ٦٣ ،
٩٠ ، ٩٧ ، ١٠٨ ، ١٢٢ — ١٢٤ ،
١٣٩ ، ١٦١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ،
١٧٦ ، ١٨٠ ، ٢١٢ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ،
٢٢٤ — ٢٢٦ ، ٢٣٨ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ،
٢٧٤ — ٢٧٦
أبو الزعرار ١٣٦
أبو زفر ٢٢٥
زنبرة ٣٣
الزهري ٣٣
زياد بن أبيه ٩٥
أبو زيد (جامع القرآن) ٩٣
زيد بن ثابت ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٢ — ٩٤ ،
١٢١ ، ١٧٥
زيد بن حارثة ٣ ، ٤ ، ٢٢ — ٢٤ ، ١٠٠ ،
١٣٩ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٦٢
زيد بن حصن الطائي ١٧٤
زيد بن صوحان ٢٤٩ — ٢٥٠
زيد بن عمرو بن الخطاب ٢٣٧ ، ٢٤٢
زيد بن عمرو بن نفيل ١٤٢
سالم مولى أبي حذيفة ٦١ ، ٢١٢ ، ٢١٧ ،
٢٧٤
سراقة بن مالك بن جشم ٢١٥
سعد بن الربيع ١٦٢
سعد بن هبادة ١٩٩
سعد بن عبيدة ١٤٤
سعد بن معاذ ٥٣ ، ٥٧ ، ٦٣ ، ١٣٩ ،
١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٦٣
سعد بن أبي وقاص ٣١ ، ٣٨ ، ٥٤ ، ٥٦ ،
٦٥ ، ٩٧ ، ١٤٦ ، ١٥٩ — ١٦١ ،
١٧٣ ، ١٨٠ ، ١٨٩ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ،
٢٧٥
سعد بن وهيب = سعد بن أبي وقاص
سعيد بن جبير ٣٠
سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ٦٥ ، ١٤٦

٩٠	عبد الله بن جعفر	طلحة بن عبيد الله ١١ ، ١٢ ، ٢٧ ، ٢٨ ،
١١٧	عبد الله بن حذافة السهمي	٤٩ ، ٥١ — ٥٤ ، ٦٣ ، ٩٥ ،
	عبد الله بن الزبير ، أبو بكر ، أبو خبيب	٩٧ ، ١٢٢ ، ١٢٧ ، ١٤١ ، ١٦١ ،
	٧٥ ، ١٥٩ ، ١٧٥ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤	١٦٨ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨٠ ،
٩٥	عبد الله بن سعد بن أبي سرح	١٨٩ ، ٢١٢ ، ٢٤٦ — ٢٤٩ ، ٢٧٤
١١٨	عبد الله بن سلام	٢٧٦
٩١	عبد الله بن سلمة	طليحة بن خويلد الأسدي ٨٦ ، ١٢٧ ، ٩٤
٩٥	عبد الله بن سمرة	١٨٥ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩
	عبد الله بن عباس ٣٠ ، ٩٣ ، ١١٤ ،	(عاصم بن ثابت) = حمى الدبر
	١١٧ — ١٢١ ، ١٢٨ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ،	عامر بن سعد بن أبي وقاص ١٥٨ ، ١٦٠ ،
	١٥٩	عامر الشعبي ١٠
	عبد الله بن عمر ٧٥ ، ٩٣ ، ١٢١ ، ١٤٧ ،	عامر بن الطفيل ٥٩ ، ٢٦٦
	١٧٣ ، ١٧٥ ، ٢١٦ ، ٢٤٨	عامر بن فهيرة ٣٣ ، ٥٢ ، ٥٤
	عبد الله بن عمرو ٧٥ ، ٩٣	عائشة ، أم المؤمنين ، أم عبد الله
	عبد الله بن المبارك ٢٦٥	١٢ ، ٢٥ ، ٥١ ، ٥٥ ، ٧٩ ، ٨٧ ، ٩٣
	عبد الله بن مسعود ٣٧ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٣ ،	١٠٠ ، ١١٢ ، ١٢١ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ،
	١٢١ ، ١٣٦ ، ١٤١ ، ١٤٥ ، ٢٢٣ ،	١٤٧ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٧٣ ، ٢٢٤ ،
	٢٣٤	٢٧٥
	عبد الله بن وهب الراسبي ١٢ ، ١٣ ، ٤٩ ،	ابن عباس = عبد الله
	١٧٤	العباس بن عبد المطلب ٩ ، ٦٦ ، ٧٢ ،
٢٢٠	عبد المطلب بن هاشم	٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٣ ، ١٤٠ ، ١٤٥ ، ١٩٠ ،
١١٦	عبد الملك بن أبي سليمان	١٩١ ، ٢٠٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦
١٣٦	عبد الملك بن عمير	عباس بن مرداس ١٩٤
٢٢٠	عبد مناف	ابن أم عبد = عبد الله بن مسعود ٨٦ ،
٢٣	العبدرية	١٤١ ، ٢٣٤
١٩٤	العبيد (فرس عباس بن مرداس)	عبد الرحمن بن أبي بكر ٦٢ ، ١١٣ ، ١١٥ ،
٢١٤	أبو عبيد الثقفي	٢٢٠
٩٦	عبيد الله بن علي بن أبي طالب	عبد الرحمن بن عتاب ٢٢٠
	أبو عبيدة بن الجراح ٦٣ ، ٧٠ ، ٧٧ ، ١٤١ ،	عبد الرحمن بن عتيق = عبد الرحمن
	١٤٦ ، ١٦٩ ، ١٨٠ ، ١٨٩ ، ٢٠٠ ، ٢١٢ ،	ابن أبي بكر
	٢٢٢ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ — ٢٣٤ ، ٢٧٣	عبد الرحمن بن عوف ٣١ ، ٥٤ ، ٦٣ ،
٣٤	أم عبيس	٩٧ ، ١٦٢ ، ١٨٩ ، ١٩٩ ، ٢١٢ ،
١١٦	عتاب بن أسيد	٢٢٣ ، ٢٣٣ ، ٢٤٠
١٠٣ ، ٢٦ ، ٢٥	عتبة بن ربيعة	عبد شمس ٢٢٠
٥٩	عتيبة بن الحارث	عبد العزيز بن سياه ١٠٨
٣٠	عتيق = أبو بكر	عبد الله = أبو بكر الصديق ٢٢٤
١٨٢ ، ١٦١	عثمان بن حنيف	أم عبد الله = عائشة أم المؤمنين ٢٢٤
	عثمان بن عفان ، ذو النورين ٦ ، ٣١ ، ٤٢ ،	عبد الله بن أبي بكر ، قتيل الطائف ٥١ ، ١١٣ ،
	٥١ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٧٢ ،	عبد الله بن جدهان ٢١٧

عمر بن الخطاب ٦ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٤٢ ، ٥١ ، ٥٧ ، ٦٥ ، ٧٥ ، ٧٧ — ٨١ ، ٨٤ — ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٧ — ٩٩ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١١٤ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٣٥ — ١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٦ — ١٤٨ ، ١٥٤ ، ١٥٩ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٨ — ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٥ ، ١٨٩ ، ١٩٦ ، ١٩٨ — ٢٠١ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٤ — ٢٢٣ ، ٢٢٦ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ — ٢٣٧ ، ٢٤٠ — ٢٤٢ ، ٢٤٨ — ٢٥٠ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤	٧٤ ، ٧٥ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٣ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤١ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٨ ، ١٧٣ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٨٩ — ١٩٢ ، ١٩٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٣٤ ، ٢٤١ — ٢٤٣ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧٤
عمر بن عبد العزيز ١٨٤	عثمان بن علي بن أبي طالب ٢٣٧
عمر بن علي أبي طالب ٢٣٧ ، ٢٧٥	العجاج بن روبة ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٨
عمرو بن العاص ١٢ ، ٩٥ ، ١٠٦ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٤٨ ، ٢٤٣	ابن العدوية = نوفل بن خويلد ٢٢٤
عمرو بن عبد ود ٥٩	عروة بن الزبير ١٠٢ ، ٦٥ ، ٦٤
عمرو بن عبيد ٢٦٥	عروة بن مسعود ٨٦
عمرو بن واقد الغامدي ١٧٤	العزير ، عزيز مصر ٥٠ — ٤٨ ، ٤٥
العوام بن حوشب ١٨٧	ابن عفراء ١٠٣
عياش بن أبي ربيعة ١٤٦	مقبة بن أبي معيط ٩
عيسى بن مريم ، المسيح بن مريم عليه السلام ٩ ، ١٢ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٩ ، ١٠٠ ، ١٢٩ ، ١٥٣	عقيل بن أبي طالب ١٢٧
عيسى بن يونس السبيعي ١١٦	مكاشة بن محسن ٢٤٩ ، ١٤٠ ، ١٣٩
عبيدة بن حصن ١٧٨ ، ١٩٤ ، ٢٠٧ ، ٢١٧	مكرمة ٢٤٨ ، ١٢١
غسيل الملائكة = حنظلة بن أبي عامر ١٤٠ ، ١٦٣	الملاء بن الحضرمي ١١٦
ابن الفيلة ٣٣	علي بن أبي طالب ٥ ، ٧ ، ٩ — ١٤ ، ١٨ — ٢٣ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤١ — ٤٥ ، ٤٨ — ٥١ ، ٥٤ ، ٥٧ — ٦١ ، ٦٣ ، ٧٢ ، ٧٤ — ٧٦ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٤ — ٩٠ ، ٩٢ — ٩٩ ، ١١٥ — ١٢٢ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٦ — ١٤٦ ، ١٥٠ ، ١٥٢ — ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦١ — ١٦٣ ، ١٧١ — ١٧٣ ، ١٧٥ — ١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٥ — ١٨٧ ، ١٩٠ — ١٩٣ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٥ ، ٢١٢ ، ٢١٨ — ٢٢٠ ، ٢٢٢ — ٢٢٦ ، ٢٣٥ — ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧
غيلان ٢٦٥	عمار بن ياسر ، أبو اليقظان ١١ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٤٢ ، ١٦٢ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٣ — ٢٢٦ ، ٢١٧
الغاريق ، عمر ٢٣٣	ابن عمر = عبد الله
فاطمة بنت أسد بن هاشم ٢٠٥	
فاطمة بنت عتبة بن عبد شمس ٦١	
فاطمة بنت محمد رسول الله ٧٢ ، ٢٣٦ ، ٣٠	
فاكه ١٠٠	
فرعون ١٧٤ ، ١٣	
فروة بن نوفل الأشجعي ١١٥	
الفصل بن دلهم	

٥٨	مرحب اليهودى	١٤٥ ، ٦٦	الفصل بن عباس
٢٦٥	مرداس بن أدية	٢١٢	فيروز بن يزدجرد ، دهقان نهر الملك
١٩٤	مرداس والد عباس	٩٥	قبيصة بن جابر الاسدى
٢٣٧ ، ١٢٦	مروان بن الحكم	٢٢٧ ، ١٠٦	قتادة
٨٨	مسروق	١٤٥	قثم
١١٥ ، ١١٢ ، ٥٥ ، ٥٤	مسطح بن اثالة	١١٣ ، ٧٣ ، ٤٤	أبو صفافة والد أبى بكر
١١٦		١٦٧	
١٨٢	أبو مسعود البدرى		ابن أبى صفافة = أبو بكر
١٧٤	أبو مسلم الخولانى	٢٨	القرينان : طلحة وأبو بكر
١٧٤	مسلمة بن مخلد	٢٦٦	قيس بن زهير
	المسيح بن مريم = عيسى	٢١٤	قيس بن مكشوح
١٩٨ ، ١٨٥ ، ١٠٤ ، ٩٤ ، ٨٦	مسيلمة		ابن أبى كبشة (من سفافهة أبى
٢٤٨		٧١	سفيان)
١١٦ ، ٩٤ ، ٨٨	معاذ بن جبل	٢١٤ ، ١٨٦ ، ١٧٩ ، ١١٤ ، ٥٦	كسرى
١٧٤	معاوية بن حديج	٢١٥	
٤٩ ، ١٢ ، ١٠	معاوية بن أبى سفيان	١١١	كعب بن مالك
٢٤٨ ، ٢٣٤ ، ٩٨ ، ٩٥		١٧٣	كعب بن مرة البهزى
١٠٨	أبو معاوية الضرير		الكلبى = محمد بن السائب
١٤٥	معبد	٨٨	أم كلثوم بنت أبى بكر
١٤٧	أم معبد	٢٣٧ ، ٢٣٦	أم كلثوم بنت على
٢١٤ ، ١٨٣ ، ٩٥ ، ٩٤	المغيرة بن شعبه	٢٩ ، ٢٨	الكتانى (مالك بن الدغنة)
٢٢١ ، ١٨١ ، ١٨٠ ، ٥٧	المقداد بن عمرو	١٤٨ ، ١٠٠	لقمان
١٥٣	ابن أم مكتوم	١٠٢ ، ١٠٠	أبو لهب
١٧٤	مكحول	٢٠٩ ، ٤١	لوط
٧٠	مكرز بن حفص بن الاخيف	٢٨	(مالك بن الدغنة)
١٦٣ ، ١٤٠	مكلم اللب ، أهبان بن أوس	١٢١ ، ١١٨	مجاهد
١٢٨	منصور النمرى	١٢٥ ، ١١١ ، ٨٥	أبو محجن
٢٤٨	المهاجر بن أمية		محمد صلى الله عليه وسلم ٣٢ ، ٣٣ ،
٢٣٧	مهران بن باذان	٧٧ ، ٧٢ ، ٧٠ ، ٦٧ ، ٦٤ ، ٣٨ ، ٣٧	
٨٦ ، ٨٠ ، ٦٩ ، ٥٧	موسى عليه السلام	١١٣ ، ١١٢ ، ١٠٤ ، ١٠٠ ، ٨٠ ، ٧٨	
٩١ ، ١٤٣ ، ١٣٧ ، ١٣٤ ، ١٠٠		١١٦ ، ١٢٦ ، ١٦٤ ، ١٩٤ ، ٢٢١	
١٥٣ - ١٥٨ ، ١٦٠ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩		٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٧٦	
٢٦٠		١١٧	محمد بن السائب الكلبي
١٥٣ ، ١١٦ ، ٨٨	أبو موسى الأشعرى	٢٢٥	محمد بن عائشة
٢٤٣		١١٦	محمد بن على بن أبى طالب
١٣٧ ، ١٠٨ ، ٦٨	ميكائيل	٧٠ ، ٤٩ ، ٤٨ ، ٤٥	محمد بن مسلمة
٢٦٦	النايفة	١٧٤ ، ١٥٣	
١١١	النجاشى (الشاعر)	٩٦	المختار بن أبى عبيد
١٠٦	النجاشى (ملك الحبشة)	٩٦	ابن مخربة العبدى

١٨١	هشام بن عروة	٢١٢	ابن النخرجان
١٨٧	هشيم	١٧٤	النعمان بن بشير
١٧٤	واللة بن الاسقع	٥٢	النفائي (عبد الله بن اريظط)
٢٧	الواحدى	٣٣	النهدية
٣٢	ورقة بن نوفل	٢١١ - ٢٠٩ ، ٦٩	نوح عليه السلام
١١٥	وكيع	٢٧	نوفل بن خويلد ، اسد فريش
١٠٣ ، ٥٩	الوليد بن عتبة	١٥٣ ، ١٤٣ ، ١٣٤	هارون عليه السلام
٥٩ ، ٥٨	ياسر اليهودي	٢٢٨ ، ١٦٠ ، ١٥٨ - ١٥٦ ، ١٥٤	
١٢ ، ٩	يعحي بن زكريا ، عليه السلام	٢٤٦	هاشم الاوقص
١٨٢	أبو اليقظان ، عمار بن ياسر	٣٧	هاشم ذو الرحمن
١٣١ ، ١٣٠	يوسف بن يعقوب عليه السلام	٢٢٠	هاشم بن عبد مناف
	٢٠٧ ، ١٦٤	٢٦٦	هرم بن سنان
١٥٦ ، ١٥٥	يوشع بن نون	٢١٣ ، ١٢٦	الهرمزان
٩١	يونس بن متى عليه السلام	٩٢ ، ٧٥	أبو هريرة

٦ - فهرس القبائل والجماعات

٩٤	البصريون	٢٦٩	الاباضية
٨٣	بكر بن وائل	٨٢ ، ٦٤ ، ٢٨	الأحابيش
٢١٢	بلى	٥٩	الأحلاف
٢٤٨ ، ٨٣	تميم	٢٦٩	الأزرقية
٢٦٩	التهاميون	٢١٤	الأساورة
٢٧ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١١١ ، ١٢٦ ، ١٦٧ ، ١٩١ ، ٢٠٠ ، ٢٢٨ ، ٢٢٨	تيم	٢١٩ ، ٢١٨	بنو اسحاق
		١٢٦ ، ٦٣	اسد
		١٥٥ ، ١٥٤ ، ٥٧	اسرائيل
١٠٢	ثقيف	٢١٩ ، ٢١٨	بنو اسماعيل
٢٦٩	الجزرية	١٣	أصحاب البرانس
٢٢١ ، ١٢٦ ، ٣٢ ، ٢٨	بنو جمح	٢١١	بنو الأصفر
١٠٥ ، ١٠٤ ، ٣٢	الحبش ، الحبشة	١٩٦ ، ١٠٣ ، ٦٠	بنو أمية
٢١٧ ، ١٩٢		٥٢ - ٥٥ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٨١ -	الأنصار
٢٦٩	الحجازيون	٨٣ ، ١٠٠ ، ١٠٦ ، ١١٤ ، ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٩٣ ، ١٩٧ - ٢٠٤ ، ٢١١ ، ٢١٤ ، ٢١٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٨ ، ٢٤٧ - ٢٤٩ ، ٢٦٨ ، ٢٧٣	
٢٦٩	الحسنيون		
٢٦٩	الحسينيون		
١٢٣	الحشوية		
١١٤	بنو حنيفة		
١٠٢ ، ٥٩	خزاعة		
١٩٧	الخزرج		
١٢٨	بنو خلف الخزاعي	١٩٧ ، ١٧٣ ، ٢٨	الأوس
٢٦٥ ، ١٨٥	الخوارج	٢٧٥ ، ٢٤٨ ، ٢١٤ ، ٦١	البديريون

٢٦٩	العراقيون	٥٩	دوس
١٥٩ ، ١١٣	العشرة	٥٨٢ ، ٤٢ ، ٢٠ ، ٩	الرافضة ، الروافض
١٨٧ ، ١٩	العلوية	٨٤ ، ١٠٩ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١٢٠	٨٤
٢٢٣ ، ٩٤ ، ٩٢	العمرية	١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٤٢ ، ١٤٦ ، ١٤٨	١٢٨
٢١٧ ، ٢١٤ ، ١٣٩ ، ١١٤	فارس ، الفرس	٢٢٤ ، ٢١٥ ، ١٨٨ ، ١٧٧ ، ١٤٩	١٤٩
٢١٩	فحطان	٢٢٦ ، ٢٣٥ ، ٢٤٩ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧	٢٢٦
٢٦٩	القرشيون	٢٧٩	٢٧٩
٢٩ ، ٢٧ ، ٢٥ ، ٢٣ ، ١٤ ، ٩	فريش	٢١٩ ، ٢١٢	ربيعه
٣١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٤	٣١	٢٣٢ ، ٢١٧ ، ٢١٤ ، ١١٤ ، ٦٥	الروم
٦٧ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٩٦ ، ٩٧	٦٧	٢٤٢	٢٤٢
١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١١٣ ، ١٢٥	١٠٠	٦٣	بنو زهرة
١٢٦ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٦ ، ١٧٨	١٢٦	١٨٠ ، ٢٦٥ ، ٢٦٩ ، ٢٧٦	الزيدية
١٩١ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢	١٩١	٢٧٩	٢٧٩
٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٧٣	٢١٧	٩٤	بنو ساسان
٢٢٦ ، ٢١٩	فصى	١٥٩	السبعة
٢٦٦ ، ٨٣	فيس	٢٧٠ ، ٢٦٨ ، ١٥٩	الستة
٥٢	بنو قبيلة	٢٣٧	سودان مروان
٢١٩ ، ١١٢ ، ٦٤	كعب	٢٦٩	الشاميون
١٩١	كلاب	٤٩ ، ٤٤ ، ١٨ ، ١٣	الشيعة ، الشيعة
٢١٢	كلب	٨٢ ، ١٢٤ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٥٠ ، ٢٢٣	٨٢
٨٣	كنانة	٢٣٥	٢٣٥
١٢٧	كندة	٢٦٩	الصفارية
٧	الكهنة	٢١٢	طبيء
٢٤٨ ، ٢٩ ، ٢٣	بنو مخزوم	٦٤ ، ٦٣	بنو عامر
١٤٩ ، ٨٢	المرجئة	١٨٧	العباسية
٢١٩ ، ٢١٢	مضر	٣٣	بنو عبد الدار
٢١٩	بنو المطلب بن عبد مناف	٢١٩ ، ١٢٦	بنو عبد شمس
٥٩	المطيبيون	٢١٩ ، ٢٠٥ ، ١٩١ ، ٢٣	بنو عبد المطلب
٢٦٥	المعتزلة	١٦٧ ، ١٠٣ ، ٦٠ ، ٢٤	بنو عبد مناف
٢٧٩	المعلمون	١٦٨ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ٢٢٠ ، ٢٢٦	١٦٨
١٦٧	بنو المغيرة	٢٢٨ ، ٢٣٨	٢٢٨
١٣٧ ، ١٠٩ ، ١٠٨ ، ٦٨ ، ٥٦	الملاحكة	٩٢ ، ٧٤ ، ١٩ ، ١٣ ، ٧ ، ٣	العثمانية
١٤١ ، ١٤٢ ، ٢٢٥	١٤١	٩٤ ، ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٣٠	٩٤
٦٦ ، ٦٥ ، ٦٣ ، ٦١ ، ٥٥	المهاجرون	١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥٨ ، ١٨٧ ، ٢٠٤	١٤٦
٨١ ، ٨٣ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٥	٨١	٢٠٦ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٧٧	٢٠٦
١٠٧ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١٣٢ ، ١٤٦	١٠٧	٢٧٩	٢٧٩
١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٦٦	١٤٧	١٨٦ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٧ ، ٢١٩	المعجم
١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٩٣	١٦٩	٢٢١	٢٢١
٢١٤ ، ٢١٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٨	٢١٤	٣٤	عدي بن كعب

١٩٧ — ١٩٩ ، ٢٠١ — ٢٠٤ ، ٢١١	بنو هاشم ٦٠ ، ٦٣ ، ٨٣ ، ٩٨ ، ١٠٣ ، ١٢٦ ، ١٩١ ، ٢٠٠ ، ٢٠٥ ، ٢١٩ ، ٢٢٤ ، ٢٣٥
٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٦ —	آل ياسر ٣٠
٢٤٨ ، ٢٦٨ ، ٢٧٣ — ٢٧٥	اليمن ٢١٩ ، ٢١٢ ، ٢٣٩
بنو مؤمل ٣٤	يهود ٢٤٥ ، ١٥٥ ، ٥٢
النجدات ٢٦٩	
النصارى ١٤٥ ، ١٩٩ ، ١٥٥	

٧- فهرس البلدان والمواضع ونحوها

١٤١ ، ٨٥ ، ٧١ ، ٦٣ ، ٦٢ ، ٤٥	حنين	٢٠٧ ، ٦٦
١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٦٩ ، ١٧٨	الحوض	٨٥
٢٩	حسى جمع	٣٢
٩٤	الحيرة	١٨٥
٩٤	خراسان	٢٦٥ ، ٩٤
٩٥ ، ٩٤	الخندي	٤٥
٢١٣	الخدمة	٧٣
١٢٥	خيبر	١٤٣ ، ٤٥
٥٣ ، ٥٠ ، ٤٥ ، ٤١ ، ٣٣ ، ١١ —	دار ابي بكر	٥١ ، ٣٢
١٠٨ ، ٧١ ، ٦٧ ، ٦٣ ، ٦٠ ، ٥٩ ، ٥٦	دار خالد بن سعيد	١٩٠
١١١ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٩٤ ،	دار بنى خلف الخزاعي	١٢٨
٢١١ ، ٢٤٦	دار عثمان	٢٤٣ ، ١٦١
٥٧	دمشق	٢٦٥ ، ١٨٠
٢٤٩	ذات السلاسل	١٦٩
١٦١	ذو طوى	٧٣
٣٧ ، ٣٢	سجستان	٩٥
٨٣	السنج	٨٠
٦٤	الشام ٦٩ ، ٧٠ ، ٩٦ ، ١٧٣ ، ١٧٩ ،	
٦٤	١٨٥ ، ٢٤١	
٦٩	شجر عمان	
٥٢ ، ٣٣	صفين ١١ ، ١٢٥ ، ١٥٣ ، ١٧٥	
١٥٣	الطائف ٥١ ، ٨٥ ، ١١٣	
١٢٥	العالية ٨٧	
١١٢	العراق ٩٦	
٢١٤	عريش بدر ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ١١١ ، ١٤٣	
١٤٤	١٤٦	
٧٣	العزى (صنم) ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٧ ، ٧١	
٦٣ ، ٦٤ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٦ ،	عمان ٢٤٨	
١٣٧ ، ١٩٤	الفار ، غار حراء ٣١ ، ٣٣ ، ٤٣ ، ٤٤ ،	

١٩٩ ، ١٦١	مسجد الرسول	١٠٩٤ ، ١٠١ ، ١٠٠ ، ٥٤٤ ، ٥٢ ، ٥١	
١٣٦	مسجد فباء	١٤٣ ، ١٢٠ ، ١١٦ ، ١١٥ ، ١١١	
١٣٦	مسجد المدينة	٢٣٩	
١٢٥	المسقر	١٧٦ ، ١٢٤	غدير خم
٢٣٤ ، ٧٠	مصر	٢١٣	الفلوجه
٢٣ ، ٣٢ ، ٣٠ ، ٢٥ ، ٢٣ ، ٦	مكة	٢١٥ ، ٢١٤	القادسية
٦٥٤ ، ٥٢ ، ٥١ ، ٤٥ ، ٤٢ ، ٤١ ، ٣٧		١٣٦	فباء
٦١ ، ٣ — ١٠١ ، ٧٨ ، ٧٣ ، ٧٢ ، ٦٩		٧٢	فبر حمزة
١٢٥ ، ١١٣ ، ١١٢ ، ١١٠ ، ١٠٥		١١٢	أبو قبيس
٢٢٤ ، ٢١٧ ، ٢٠٣ ، ١٩٢ ، ١٦٧		٢٣٧	فس الناطف
٧٩	منزل عائشه	٩٤	كرمان
١٢٥	مهران	٧٨ ، ٢٩	الكعبة
١٤٦	مؤنة	١٨٢	الكوفة
٢٤٨	نجير	٦٤ ، ٣٧ ، ٣٣ ، ٣٢ ، ٣٠	اللات (صنم)
٢٥٠	نهاوند	١٧٨	المدائن
١٢٥ ، ١١	النهر	٤٢ ، ٣٣ ، ٣٠ ، ٢٨ ، ١٠ ، ٦	المدينة
٢١٢	نهر الملك	٥٢ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥	
٧١	هبل (صنم)	١٣٦ ، ١٤٧ ، ١٥٣ ، ١٦١ ، ١٧٥	
٤١	يثرب	١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٩٠ ، ١٩٧	
١٩٨ ، ١٨٥ ، ٦٠	اليمامة	٢٣٧ ، ١٩٨	
٢٤٨ ، ١٩٠ ، ١٨٥	اليمن	٢٢ ، ٢٩ ، ٢٨	مسجد أبى بكر
٩٨	ينبع	٧٨ ، ٦٤	المسجد الحرام

٨ - فهرس الأبحاث المتعلقة بالأعلام والطوائف

أسامة بن زيد :

فضله ١٤٦ تسميته بالعقب ١٤٧ تفصيل عمر له على ابنه عبد الله ١٤٧ ، ٢١٦

أنس بن مالك :

انهاج الرافضة له بالكفر والكلب ١٥٠ - ١٥٢

أبو بكر الصديق :

قول العثمانية انه افضل الامة وأولها بالامامة ٣ أول الناس اسلاما ٣ فضل اسلامه على اسلام زيد وخباب ٢٢ القول في منزلته ٢٤ كان جبير بن مطعم تلميذه في النسب ٢٥ مالقيه بمكة ٢٧ جوار الكنانى له ٢٧ عتقه للمعلبين ٣٠ ، ٣٢ طلب فريش له ٣١ دعاؤه العرب الى الاسلام ٣١ من اسلم على يده ٣٢ استجاب له سعد ٥٦ مجاهرته باسلامه ٣٧ انفاقه ماله ٩٧،٣٥ كلف بنى تيم برد عمالته في بيت المال ولم يفعل ذلك على ٩٨ استمراره في التجارة بعد الخلافة وفرض المسلمين نفقة ضرورية له ٩٩ بين زهده وزهد على ٩٧ موازنة بين مالقيه هو ومالقيه على ٣٩ موازنة بين صحبة الفار ومبيت على على الفرائش ٤٢ صحبته للرسول ٥٠ تعزية الرسول له في الفار ١٠٧ تلقينه بالصديق ٥١ ، ١٢٢ عظم لعب الصديق ١٢٨ اختصاصه بتسميتين ١٢٣ وبقولهم يا خليفة رسول الله ١٣ اشعار في تلقيبه بالصديق لشعراء الشيعة وغيرهم ١٢٤ ما قيل من الشعر فيه ١١٠ حاجته قريشا في امر الاسراء ٦٩ انفراده بالرسول في العريش ٥٣ كان له الفضل على زعماء من شهدوا بدر ٥٤ شفاعته لاسرى بدر ٦٧ كان أول من حث على قتال المشركين ٥٦ ، ٦٤،٦٣ توليته ميمنة حنين ٦٦ نبأه فيها ٦٦ معارضته لبديل بن ورقاء وعروة ابن مسعود في التخليل ٦٤ تقديم النبي له في الحديدية ٧٠ صواب رايه في صلح الحديدية ٧٦ فضأوه على الفتنة فيها ٧٨ نحر الرسول جملا عن سبعة اولهم أبو بكر ٧١ موازنة النبي بينه وبين عمر ١٧٣،٦٨ اجلال النبي لابييه ٧٣ مسابرة الرسول له وحده يوم فتح مكة ٧٢ لمواخاة بينه وبين حمزة ١٤٧ نزوله قبر حمزة أول نازل ٧٢ علو منزلته عند ابي سفيان ٧٢،٧١ تركية عبد الله بن مسعود له ٨٦ ، ٢٣٤ تركية على له ٨٤ ، ١٣٦ ، ٢٣٥ اقتراح عمر تقديمه في الشرب ٧٣ وثاقفة علاقة الزبير به ٢٢٣ ، ٢٢٤ انزل فيه من القرآن ما لم ينزل في أحد ٩٩ ، ١٠٠ ، ١١٢ ، ١١٥ ليس في العشرة رجل مؤمن الا بيمين غيره ١١٣ ليس في المسلمين صاحب ابن صاحب ابن صاحب غير ولده / عبد الله ١١٣ احاديث في انه خليل الرسول ١٣٥ وفي فضله ١٣٧ وضعه حجر المسجد بعد الرسول ١٣٦ تأميره على الحج ١٢٩ تفصيله بامامة الناس في مرض النبي ١٣٠ ، ١٦٤ ، ١٦٥ صلى بالناس سبع عشرة صلاة ١٧٠ امامته لعلى ١٢٩ سعة فقهه ٨٢ تبطنه لامر الرسول ٨٥ حسن فهمه لكلامه واشارته ١٦٤،٨٥ تماسكه حين علم بموت الرسول ٧٩،٦٦ تحكيمة في موضع دفن الرسول ٨٣ حزمه بعد وفاة الرسول ١٩٩ انفاذه جيش أسامة ٨٣ فضله في منع انتكاس الدعوة ١٨٤ تصميمه في الردة ٦٥ شدته في اخذ الزكاة وفقهه في المطالبة بها ٨١ ، ٨٣ تقديم عمر له ٢٣٢ وكذلك أبو عبيدة ٢٣٢ توليته خالدا ٨٦ استخلافه لعمر واصراره على ذلك ٨٦ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ صدق ظنه وقوة حسه في مرض موته ٨٧ لم يتزوج في خلافته ولا اتخذ سرية ٩٨ وثاقفة بيعته ٢٣٣ تثبيت على بيعته ٢٣٥ المعارضة في استخلافه ١٦٧ طعن الرافضة في تخلفه عن جيش أسامة ١٦٦ طعنهم في شجاعته ٢٤٢ دعواهم في نفاقه ٢٤٣ تكفيرهم له بجحده امامة على ٢٤٩ زعمهم ان خالدا ترك بيعته ثلاثة اشهر ١٩ اثبات اسلامه ٢٤٦ تحقيق قوله في الحساب

قريش وانسابها وقوله « ان هذا الامر ليس بخدمة » ٢٠٠ مذهب في الاحساب تعيينه خطبة له ٢٠٢ منافسة قوله « وليت عليكم ولست بخيركم ٢٢٧ نظير كلمته هذه من كلام العرب ٢٣١

بلال بن رباح :

تعديبه وعتقه ٣٢ ادعاء الرافضة طعنه على ابي بكر وعمر ١٨٠

حمزة بن عبد المطلب :

مواخاة ابي بكر له ١٤٧

خالد بن الوليد :

زعم الرافضة بركة بيعة ابي بكر ثلاثة اشهر ١٩٠

الرافضة :

قولهم في اسلام على ٥ ، ١٨ ، ٢٠ تفخيمهم لقتلى على : مرحب ، وعمرو بن عبد ود ، والوليد ابن عتبة ٥٨ قولهم ان قريشا تعصبت على علي لتفتيله اقاربها ٦٠ وان بنى امية صرفوا الامامة عنه لحقدهم ١٩٦ قولهم ان عليا كان افقه من ابي بكر ٧٤ رد على دعواهم في نزول القرآن في علي ١١٦ استشهاد بحديث راو مرضى عندهم ١١٦ قولهم ان عليا كان يتصدق وهو في الصلاة ١١٩ تكفيرهم للانصار والمهاجرين ١٤٩ قولهم بالنص على امامة علي ١٤٩ ، ٢٧٦ اتهمهم لانس بالكفر والكذب ١٥٠ اكفارهم له لانه كان يعمل للحجاج ١٥٠ احتجاجهم بانس حين يؤيد مذهبهم واكفارهم له حين لايرضيه ١٥٢ طعنهم عليه بما اصابه من سوء في جسده ١٢ مدحهم عليا بما لايليق به ١٥٣ احتجاجهم بحديث « انت مني كهaron من موسى » ١٥٣ ، ١٥٨ الرد على زعمهم مواخاة الرسول لعلي ١٦١ طعنهم في صلاة ابي بكر بالناس ١٧٠ زعمهم ان خلافته كانت بغير اجماع ١٧٢ احتجاجهم بقول الانصار « منا امير ومنكم امير » ويقول سلمان الفارسي « كرداد ونكرداد » ١٧٧ ، ١٨٢ ، ١٨٦ ، ٢٣٧ قولهم « ان ربيعة ابي بكر كانت فلتة » ١٩٦ قولهم ان ابا بكر وعمر كانا لايقولان بالتسوية ٢١١ رميهم عمر بالعصبية ٢٢٠ تحقيق قولهم ان الزبير خرج شادا بسيفه ٢٢١ تكفيرهم لمن انكر امامة علي ٢٢٥ توليهم حليفة وعمارا بعد اكفارهما ٢٢٦ طعنهم على ابي بكر في قوله « وليتكم ولست بخيركم » ٢٢٧ طعن الجاحظ فيهم ٨٢ ، ٨٤ وفي زعمهم في الامام ٢١٥ جورهم في الحكم ١٤٢ مطالبة الجاحظ لهم ان يستشهدوا اهل الكتاب ١٥٥ النفور من الانتماء اليهم ١٧٦ يحتجون باشعار شعرائهم ويرفضون اشعار سواهم ١٢٨ ادعائهم طعن بلال على ابي بكر وعمر ١٨٠ وطعن المقداد ١٨٠ وطعن عمار على ابي بكر وعمر ١٨٢ وطعن ابي ذر على عمر ١٨٣ قولهم ان خالد ترك بيعة ابي بكر ثلاثة اشهر ١٩٠ رميهم ابا بكر وعثمان بالجبن ٢٤٢ دعواهم نفاق ابي بكر ٢٤٣ تكفيرهم اياه بجحده امامة علي ٢٤٩ زعمهم ان الاسر الى على علم ماكان ومايكون ٢٤٣ قولهم ان عليا كان الحق دون طلحة والزبير ٢٤٩ جملة دعواهم ٢٣٨ جملة مناقضاتهم لكل مفاخر ابي بكر ٢٣٨ جملة ردودهم على مطاعن العثمانيه ٢٣٩

الرسول الكريم :

تكرمه بزيارة ابي بكر ٥ عتاب الله رسوله ٩٢ لم يسلم من معارضة بعض امته له ١٩٤ طبقات الناس بعد وفاته ١٩٦ رياسته الكبرى لم ينلها بالنسب ٢٠٥

الزبير بن العوام

تحقيق قول الشبعة ان الزبير خرج شادا بسيفه ٢٢١ طاعته لعمر ٢٢٣ ابتائه في هوى

أبى بكر ٢٢٢ وصية عثمان وعبد الرحمن بن عوف له ٢٢٣ وثيقة علاقته بأبى بكر ٢٢٤ معاداة
لعلى ومفاخرته له ٢٢٤

زيد بن حارثة :

فصله ١٤٦ ذكره باسمه في القرآن ١٤٨

الزيدية :

تكفيرهم من انكر امامة على ١٨٠ تمسكهم بأمر الوصية ٢٧٦

سعد بن أبى وقاص :

كان من المستجيبين لأبى بكر ٥٦ مطالبته بالامامة ١٥٩ ٢٧٥٠ فصله ١٥٩ احاديث في فصله ١٦٠

سلمان الفارسي :

تقديره ١٧٩ احتجاج الرافضة بكلمته ١٧٧ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ، ٢٣٧

سهل بن حنيف :

مواخاة على له وثقته به ١٦١

أبو طالب :

حمايته للرسول ٢٢

عبد الله بن مسعود :

تزكيت له أبى بكر ٨٦ ولعثمان ٢٢٤

عثمان بن عفان :

انكر لأول مرة موت الرسول ٧٩ - ٨٠ افتتح الثغور كلها ٩٤ تزكية على له ١٣٦ اثر عمر
في تجسيم أخطائه ١٨٤ تقديم ابن مسعود له ٢٢٤ طعن الرافضة في شجاعته ٢٤٢

العثمانية :

قولهم : افضل الأمة وأولها بالامامة أبو بكر ٣ قولهم في اسلام على ٥ ، ١٩ ، ٢١ كثرة الفقهاء
والحديثين فيهم ١٧٦ مذهبهم في التسوية ٢٠٦ قولهم بأن الله اختار للناس اماما لاعلى النص
والتسمية ٢٧٧ وسائر أقوالهم وردودهم على مطاعن الرافضة . انظر (الرافضة) .

على بن أبى طالب :

القول في اسلامه ٥ ، ١١ ، ١٣ ، ١٨ ، ٢٠ تحكيم التاريخ في اثبات وقت اسلامه ١٩ موازنة
اسلامه باسلام زيد وخباب ٢٢ اثر حماية أبى طالب في اسلامه ٢٣ لم يكن له صنيع ظاهر
في أول الاسلام في خلال ثلاث عشرة سنة ٢٨ إقراره بفضل أبى بكر ١٠ ، ٨٤ ، ١٣٦ ، ٢٣٥
وبفضله هو وعمر وعثمان ١٣٦ ، ٢٣٥ تشييته بيعة أبى بكر ٢٣٥ تزويجه أم كلثوم لعمر ٢٣٦
تسميته أولاده بأسماء أبى بكر وعمر وعثمان ٢٣٧ قبوله تولية عمر أياه ٢٣٧ موازنة بين صحبة
الفار ومبيته على الفراش ٤٢ موازنة بين مالمقيه هو ومالمقيه أبو بكر ٣٩ هو ورجل من مرضى
المسلمين سواه ٨٧ كان من فقهاء الصحابة ٨٨ خطؤه في الفقه ٨٩ - ٩١ اعتذار من خطئه
بخطا الصحابة والأنبياء ٨٩-٩١ رجوعه في فتاويه ٨٩ لاحجة في اشارته على عمر ٨٧ لم يذكر
في الحفاظ ٩٢ ولا القراء ولا أصحاب التفسير والحديث ولا من يتبعه الفقهاء ٩٣ ولا أصحاب
قوة السلطان ولا أصحاب الفتوح ولا البارمين في السياسة ٩٤ ولا الدهاة ٩٥ ولم يكن مشتهرا

بعلم الكتاب ولا الفرائض والتاويل والقراءات ١٢١ القول في حروبه ٤٥ كان يقال وهو على ثقة من النصر ٤٩ سجلت خطبة له أن القوم كانوا يسكنون في علمه بالحرب ٩٦ دليل آخر على عدم معرفته بالحرب ٩٦ حديث العباس معه في ذلك ٩٧ شدته يوم الحديبية ٧٨ تقدس الرافضة له ٩٢ قولهم بأن الله أسر إليه علم ما كان وما سيكون ٢٤٣ منازل فيه من القرآن فيما يزعمون ١١٥ قولهم أنه كان يتصدى وهو في الصلاة ١١٩ فخرهم بأن الرسول بعثه ليقرأ صدر سورة براءة على الناس سنة تسع ١٢٩ ، ١٣٠ وبحديث «من كنت مولاه فعلى مولاه» ١٣٤ ، ١٤٣ — ١٤٦ ، ١٤٨ وباخاء الرسول له ١٣٤ ، ١٦١ مؤاخاته لسهل بن حنيف ١٦١ كان مقلاً ثم أرى ٩٨ نصحه ببيت المال ٩٩ تكلم الرافضة لمن أنكر إمامته ٢٢٥ النص على إمامته ١٤٩ الطعن في خلافته ١٧٣ معاداة الزبير له ومفاخرته ٢٢٤ تسميته حربه لطلحة والزبير «فتنة» ١٧٥ نفور الصحابة والبدرين من الدخول في حروبه ١٧٥ كثرة الفتن في عهده ١٨٥ انتفاض المسلمين عليه ١٩٥ خلاف أصحابه عليه ١٩٥ مناقشة مذهبه في التسوية ٢١٨ زعم الرافضة أن فريشا تعصبت عليه لتقتيله فأقربها ٦٠ وأن بني أمية صرفت الإمامة عنه لحقدتها عليه ١٩٦ مناقزة سعد بن أبي وقاص له ٢٧٥ الوصية له وانتكار ابنه عمر لها ٢٧٥

عمر بن الخطاب :

تركبة على له ١٣٦ ، ٢٣٥ قبوله توليته ٢٣٧ تسمية على ولده باسمه ٢٣٧ تزويجه إياه أم كلثوم ٢٣٦ لاحقته في إشارة على عليه ٨٧ تعظيم ابن مسعود له ٢٣٤ استخلاف أبي بكر له ٨٦ ، ٢٧٤ تقديمه لأبي بكر ٢٣٢ ، ٧٣ تفصيله أسامة على ابنه عبد الله ١٤٧ ، ٢١٦ أحاديث في الموازنة بينه وبين أبي بكر ٦٨ ، ١٣٧ شدته في الحديبية ٧٨ إنكاره موت الرسول ٧٩ — ٨٠ أنه في تجسيم أخطاء عثمان ١٨٤ تحليل تهجينه لأمر العجم ٢١٤ قوله في التسوية ٢١٥ تعظيمه لصهيب الرومي ٢١٦ ، ٢١٧ ولسالم مولى أبي حذيفة ٢١٧ ، ٢٧٤ وصيته لسالم ٢٧٤ جعله الخلافة بعده شوري بين ستة ٢٧٤ رمى الرافضة له بالعصية ٢٢٠ السر في ذلك ٢٢١

مسطح بن أثانة :

خبره ٥٥ ، ١١٧

هارون عليه السلام :

وزارته لموسى ١٥٦

٩ — فهرس الأبحاث المتعلقة بالمعارف العامة

آية :

آيات في التسوية ٢٠٨

اجماع :

كلمة فيه ١١٦ اجماع الأمة أمر لا ينال ١٩٥

أحاديث :

في التسوية ٢٠٧ في فضل البراء ١٤١ وأبي بكر ١٣٥ ، ١٣٧ وأبي ذر ١٣٨ وزيد بن عمرو ١٤٢ وسعد بن معاذ ١٤١ وسعد بن أبي وقاص ١٦٠ وأبي سفيان ١٤٠ وطلحة ١٤١ وأبي عبيدة ١٤١ وعثمان ١٤١ وعكاشة ١٣٩ وعمار ١٤٢ وعمر ١٣٧ ، ١٤٠ وابن مسعود ١٤١ في الموازنة بين أبي بكر وعمر ٦٨ ، ١٣٧

اخ :

تحقيق معناها والتفرقة بينها وبين الخليل ١٣٥

اختيار :

كلمة فيه ٢٥٢ ترك الاختيار ربما كان اختيارا ٢٧٨

اسباب :

الاسباب المشجعة على القتال ليس الدين اولها ٤٧

استثناء :

تركه حين يكون معروفا مشهورا ١٢٨

اسراء :

محاجة ابي بكر فريشا في امر الاسراء ٦٩

امامة :

تحقيق فيها ١٥٤ هل على الناس ان يتخلوا اماما ٢٥٠ ليس للامة ان تختار الامام ١٥٦ يجب على الخاصة امامته ٢٦١ متى يكون ذلك ٢٦٢ وكيف يكون ٢٦٥ طرق امامته ٢٧٠ النص على الامام ٢٧١ ليس في القرآن آية تنص على امامة ٢٧٣ وكذلك الحديث ٢٧٣

انبياء :

بعض ما اصابهم من السوء في جسد ١٥٢

تاريخ :

تحكيمة في البات وقت اسلام على ١٩

تحقيق :

كلمة الاخ والخليل ١٣٥ المولى ٢٠٨

تخصيص :

تركه حين يكون مفعوما مشهورا ١٢٨

تسوية :

مذهب الثمانية فيها ٢٦٠ احاديث فيها ٢٠٨ آيات فيها ٢٠٨ زعم الرافضة ان ابا بكر وعمر كانا لا يتولان بالتسوية ٢١١ قول عمر فيها ٢١٥ مناقشة مذهب على فيها ٢١٨ .

تعذيب :

تعذيب المسلمين ٢٩

توقييت :

توقييت زمن الدنيا الى عمر الجاحظ بسبعين قرنا ٢٠٩

حديث :

الحديث الضعيف والشاذ ١١ الاعتماد على قوة السند ١٣٦ . وانظر (احاديث) .

خاصة :

احتياج العامة اليهم ٢٥٢ وجوب امامة الامام عليهم ٢٦١ متى يلزمهم ذلك ٢٦٢ وكيف يجوز ٢٦٥ كيف يختارون واحدا من عشرة ٢٦٨

خبر :

خبر مسطح ٥٥ ، ١١٧

خلافة :

انظر (امامة)

خليل :

التفرقة بينه وبين الاخ ١٣٥

دفاع :

دفاع عن البدرين والمهاجرين ٦١

دنيا :

صلاحها بتدبير الخاصة وطاعة العامة ٢٥١

دين :

ليس الدين اول الاسباب المشجعة على القتال ٤٧ صعوبة علم الدين ١٧

رياسة :

فضل رئيس الجيش على المقاتلين ٤٦ ، ٥٠ ، ٥٧ لا تستحق في الدين بغير الدين ٢٠١ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥

شبه :

شبه صاحب والموزير برئيس الجيش ٥٠

شعر :

في ابي بكر ١١٠ في تاليف ابي بكر الصديق ١٢٤

صبي :

حكم اسلام الصبي ٢١

طاعة :

متى تتحقق الطاعة والمعصية في العامة ٢٥٢

عامة :

جهل العامة بالدقائق ٢٥٠ تشبيههم بجوارح البدن ٢٥٠ صلاح الدنيا بتدبير الخاصة وطاعة العامة

٢٥١ احتياجهم الى الخاصة ٢٥٢ متى تتحقق الطاعة والمعصية فيهم ٢٥٢ ماذا يعلمون وماذا

يجهلون ٢٥٢ باب آخر تجهل العوام ولا يشعرون بعجزهم عنه ٢٥٣ معرفتهم بالله ورسوله ٢٥٥

ليس لهم ان يختاروا الامام ٢٥٦ هل العامة محجوجون ٢٥٨

عتاب :

عتاب الله لرسوله ٩٢

علاوة :

مداوة خزاعة وثقيف وابي لهب للمسلمين ١٠٢

علم :

علم الدين والكلام ، صعوبتهما ١٧

قتال :

فصل الرياسة فيه على مباشرته ٤٦ ، ٥٠ ، ٥٧ تهوين أمر المقاتلة ٤٦ ، ٤٧ الأسباب المشجعة عليه ليس الدين أولها ٤٧

قرآن :

امجازه ١٦ نطقه بأمر الفار ٤٤ كيف نعلم قصده لبعض الناس ١٠٠ منازل منه في أبي بكر ١٠٠ دعوى الرافضة نزول القرآن في على ١١٦ ليس فيه أية تنص على امامة ٢٧٣

كلام :

صعوبة علم الكلام ١٧

مسلمون :

نمذيتهم ٢٩ عداوة خزاعة وثقيف وأبي لهب لهم ١٠٢

مصاحف :

رفعها ١٢

ملائكة :

التأييد بالملائكة ١٠٨ الملكان الكاتبان ١٠٩

مؤاخاة :

المؤاخاة بين الصحابة ١٦١

مولى :

تحقيق معناها ٢٠٨

ناس :

طبقاتهم بعد وفاة الرسول ١٩٦ العامة والخاصة ٢٥٠ . اختلاف طبائع الطوائف ٢٥٦

نبوغ :

لا يحتاج في معرفته الى اجتهاد ٢٦٦

هجرة :

الهجرة وسريتها ٥١ فصل هجرة المدينة على هجرة الحبشة ١٠٦

وزارة :

وزارة هارون لموسى ١٥٦ شبه صاحب والوزير برئيس الجيش ٥٠

وصية :

الوصية بالامامة ٢٧٥ — ٢٧٩ قول الرافضة انها كانت بالسنة لبالكتاب ٢٧٦

مؤلفات وتحقيقات عبد السلام هارون

الزجاجي	آمالي الزجاجي — مجلد
	الأساليب الانشائية في النحو العربي
	الألف المختارة من صحيح البخاري ٢/١
الامام ابن دريد	الاشتقاق ٢/١
الجاحظ	البيان والتبيين ٤/١ — مجلد
الجاحظ	البرصان والعرجان والعميان والحولان
	تحقيقات وتنبيهات في معجم
	لسان العرب — مجلد
الجاحظ	الحيوان ٨/١ — مجلد
المرزوقي	شرح ديوان الحماسة ٤/١
سيبويه	الكتاب ٥/١
الجاحظ	العثمانية
ابن سيده	فهارس المخصص
	مجموعة المعاني
	مجموعة رسائل الجاحظ ٤/١

ابن فارس

معجم مقاييس اللغة ٦/١

المفضليات الخمس

همزيات أبي تمام

ابن مزاحم

وقعة صفين